

حقوق الطبع محفوظة للناشر الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : لبنان_بيروت_حارة حريك شارع عبد النور هاتف ٢٧٣٤٨٧ - ٢٧٣٤٨٧ ص . ب ٢٠٦١ برقيا فيكسي

وَإِذْ قُلْنَ اللَّمَكَ عِكَةِ الشَّهُ وَالْآوَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ وَأَسَّهُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿ قَالَ أَرَ يَتَكَ هَلَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَى لَإِنْ أَنَّوْتِنِ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِينَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ وُرِيَّتَ هُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ قَالَ الْدَهُ لَ الْمَا الْمُعَنَّ لَيْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآ وُكُمْ جَزَآ وَ مُؤْورًا



بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَلْنَا لَلْمَلَائَكَةَ اسْجَدُوا لَآدَمُ فَسَجَدُوا إِلَا إَبْلِيسَ قَالَ أَأْسِجَدَ لَمَنَ خَلَقْتَ طَيْناً ، قال أَرَأَيْتُكَ هَذَا الذَّى كُرِمْتَ عَلَى لَنَ أَخْرَتُنَ إِلَى يَوْمِ القَيَامَةُ لَاحْتَنَكُنْ ذَرِيْتُه إلا قليلاً . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في كيفية النظم وجوه (الأول) إعلم أنه تعالى لما ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه ، بين أن حال الأنبياء مع أهل زمانهم كذلك . ألا ترى أن أول الأولياء هو آدم ، ثم إنه كان في محنة شديدة من إبليس (الثانى) أن القوم إيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقتر حوا عليه الافتراحات الباطلة لأمرين المحكر والحسد ، أما الكبر فلأن تمكيرهم كان يمنعهم من الانقياد ، وأما الحسد فلأنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة والدرجة العالية ، فبين تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان حملا إبليس على الحروج من الإيمان والدخول فى الكفر ، فهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق (والثالث) أنه تعالى لما وصفهم بقوله (فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) بين ما هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول إبليس (الاحتنكن ذريته إلا قليلا) فلأجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة إبليس وآدم ، فهذا هو الكلام فى كيفية النظم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إعلم أن هذه القصة قد ذكرها الله تعالى فى سور سبعة ، وهى : البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص والكلام المستقصى فيها قد تقدم فى البقرة والاعراف والحجر فلا فائدة فى الإعادة ولا بأس بتعديد بعض المسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلفوا فى أن المأمورين بالسجود لآدم أهم جميع الملائكة أم ملائكة الآرض على التخصيص؟ فظاهر لفظ الملائكة يفيد العموم إلا أن قوله تعالى فى آخر سورة الاعراف فى صفة ملائكة السموات (وله يسجدون) يوجب خروج ملائكة السموات من هذا العموم.

﴿ المسألة الثانية ﴾ أن المراد من هذه السجدة وضع الجبهة على الآرض أو التحية ، وعلى التقدير الآول فآدم كان هو المسجود له أو يقال كان المسجود له هو الله تعالى وآدم كان قبلة للسجود ؟ .

﴿ المسألةُ الثالثة ﴾ أن إبليس هل هو من الملائكة أم لا؟ وإن لم يكن من الملائكة فأمر الملائكة بالسجود كيف يتناوله؟.

﴿ المسألة الرابعة ﴾ مل كان إبليس كافراً من أول الأمر أو يقال إنما كفر فى ذلك الوقت؟ ﴿ المسألة الخامسة ﴾ الملائكة سجدوا لآدم من أول ماكمات حياته أو بعد ذلك.

﴿ المسالة السادسة ﴾ شبهة إبليس فى الامتناع من السجود أهو قوله (أأسجد لمن خلقت طيناً) أو غيره.

﴿ المسألة السابعة ﴾ دلت هذه الآيات على أن إبليس كان عارفاً بربه ، إلا أنه وقع فى الكفر بسبب الكبر والحسد ، ومنهم من أنكر وقال ما عرف الله البتة .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ ما سبب حكمة إمهال البيس وتسليطه على الخلق بالوسوسة ؟.

ولنرجع إلى التفسير فنقول: إنه تعالى حكى فى هذه الآية عن إبليس نوعا واحداً من العمل ونوعين من القول، أما العمل فهو أنه لم يسجد لآدم وهو المزاد من قوله (فسجدوا إلا إبليس) وأما النوعان من القول؟ فأولهما قوله (أأسجد لمن خلقت طيناً) وهذا استفهام بمعنى الانكار معناه أن أصلى أشرف من أصله فوجب أن أكون أنا أشرف منه ، والأشرف يقبح فى العقول أمره بخدمة الآدنى (والنوع الثانى من كلامه) قوله (أرأيتك هذا الذى كرمت على) قال الزجاج: قوله (أرأيتك هذا الذى كرمت على) قال وقوله (هذا الذى كرمت على) فيه وجوه (الآول) معناه: أخبرنى عن هذا الذى فضلته على وقوله (هذا الذى كرمت على) فيه وجوه (الآول) معناه: أخبرنى عن هذا الذى فضلته على لم فضلته على وأنا خير منه ؟ ثم اختصر الكلام لكونه مفهوماً (الثانى) يمكن أن يقال هذا مبتدأ عذوف منه حرف الاستفهام ، والذى مع صلته خبر ، تقديره أخبرنى أهذا الذى كرمته على! وذلك على وجه الاستصفار والاستحقار ، وإنما حذف حرف الاستفهام لان حصوله فى قوله

(أرأيتك) أغنى عن تكراره (والوجه الثالث) أن يكون هذا مفعول أرأيت لأن الكاف جاءت لمجرد الخطاب لامحل لها، كأنه قال على وجه التعجب والإنكار أبصرت أو علمت هذا الذى كرمت على ، بمعنى لوأبصرته أو علمته لكان بجب أن لاتكرمه على ، هذا هو حقيقة هذه الكلمة ، ثم قال تعالى حكاية [عنه] (لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا) وفيه مباحث: (البحث الأول) قرأ ان كثير (لئن أخرتنى إلى يوم القيامة) باثبات الياء فى الوصل والوقف ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى بالحذف و نافع وأبو عمرو بإثباته فى الوصل دون الوقف .

(البحث الثانى) فى الاحتناك قولان (أحدهما) أنه عبارة عن الآخذ بالكلية ، يقال: احتنك فلان ما عند فلان من مال إذا استقصاد وأخذه بالكلية ، واحتنك الجراد الزرع إذا أكله بالكلية إوالثانى) أنه من قول العرب حنك الدابة يحنكها ، إذا جمل فى حنكها الاسفل حبلا يقودها به ، وقال أبو هسلم : الاحتناك افتعال من الحنك كأنهم يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه ، فعلى القول الأول معنى الآية لاستأصلهم بالإغواء . وعلى القول الثانى لا قودتهم إلى المعاصى كما تقاد الدابة بحبلها .

(البحث الثالث) قوله (إلا قليلا) هم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فان قبل كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم؟ قلنا فيه وجوه (الأول) أنه سمع الملائكة يقولون (أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فعرف هذه الاحوال (الثانى) أنه وسوس إلى آدم فلم يحدله عزماً (۱) فقال الظاهر أن أولاده يكونون مثله فى ضعف العزم (الثالث) أنه عرف أنه مركب من قوة جيمية شهوانية ، وقوة سبعية غضبيه ، وقوة وهمية شيطانية ، وقوة عقلية ملكية ، وعرف أن القوى الثلاث أعنى الشهوانية والغضبية والوهمية تمكون شيطانية ، وقوة عقلية ملكية ، وعرف أن القوة العقلية إنما تمكل فى آخر الاثمر ، ومتى كان الاثمر كذلك كان ما ذكره إبليس لازماً ، واعلم أنه تعالى لما حكى عن إبليس ذلك حكى عن نفسه أنه تعالى قال له اذهب ، وهذا ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته ، والمقصود التخلية و تفويض الأمر إليه .

ثم قال (فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) ونظيره قول موسى عليه الصلاة

⁽١) هذا الوجه يتمارض مع نص الآية الكريمة وهي قول اقه تعالى لملائكته المكرمين (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجدالملائكة) سورة الحجر . فالآية تنص على أن الآمر بالسجود والسجود كان قبل الوسوسة ولو أن الوسوسة كانت قبلالسجود ، لترتب عليه أن يكون الملائكة كلهم أجمون قدجمدوا لآدم بعد المعصية وهوأمرلايليق ولا يتصورفاتني هذاالوجه.

وَالسَّ تَفْزِزْ مَنِ السَّطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِحَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَنَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿ فَيْ

والسلام (فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس) فان قيل أليس الأولى أن يقال: فان جهنم جزاؤهم جزاء موفوراً. ليكون هذا الضمير راجعاً إلى قوله (فن تبعك) ؟ قلنا فيه وجوه (الأول) التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم (والثانى) يجوز أن يكون هذا الخطاب مع الغائبين على طريقة الإلتفات (والثالث) أنه بالحقيق قال « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فكل معصية توجد فيحصل لإبليس مثل وزر ذلك العامل.

فلما كان إبليس هو الاصل فى كل المعاصى صار المخاطب بالوعيد هو إبليس ، ثمم قال (جزاء موفوراً) وهـذه اللفظة قد تجىء متعدياً ولازماً ، أما المتعدى فيقال : وفرته أفره وفراً [و]وفرة فهو موفور [و]موفر ، قال زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لايتق الشتم يشتم واللازم كقوله: وفر المال يفر وفوراً فهو وافر ، فعلى التقدير (الأول) يكون المعنى جزاء موفوراً موفراً ، وانتصب قوله (جزاء) على المصدر.

ر قوله تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكنى بربك وكيلا ﴾

اعلم أن إبليس لمما طلب من الله الإمهال إلى يوم الفيامة لأجل أن يحتنك ذرية آدم فالله تعمالى ذكر أشياء (أولها) قوله (اذهب) ومعناه : أمهلتك هذه المدة (وثانيها) قوله تعمالى (واستفزز من استطعت منهم بسوطك) يقال أفزه الخوف واستفزه أى أزعجه واستخه،

وصوته دعاؤه إلى معصية الله تعالى ، وقيل أراد بصوتك الغناء واللهو واللعب ، ومعنى صيغة الامر هذا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك (وثالثها) (وأجلب علمم بخيلك ورجلك) في قوله (وأجلب) وجوه (الأول) قال للفراء: إنه من الجلبة وهو الصياح وربمــا قالوا الجلبكا قالوا الغلبة والغلب والشفقة والشفق، وقال الليث وأبو عبيدة أجلبوا وجلبوا من الصياح (النابي) عال الزجاح في فعل وأفعل ، أجلب على العدو إجلاباً إذا جمع عليه الخيول (الثالث) قال ان السكت يقال مم يجلبون عليه يعني أنهم يعينون عليه (والرابع) روى تعلب عن ابن الاعرابي أجلب الرجل على الرجل إذا توعده الشر وجمع عليه الجمع. فقوله وأجلب عليهم معناه على قول الفرأ. صح عليهم بخيلك ورجلك ، وعلى قول الزجاج : اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك وتكون الباء في قوله: بخيلك زائدة على هذا القول، وعلى قول ابن السكيت معناه أعن عليهم بخيلك ورجلك ومفعول الإجلاب على هذا القول محذوف كأنه يستعين على إغوائهم بخيله ورجله ، وهذا أيضاً يقرب من قول ابن الأعرابي ، واختلفوا في تفسير الخيل والرجل، فروى أبو الضحى عن ابن عباس أنه قال ﴿ كُلُّ رَاكُبُ أُو رَاجِلُ فَي مُعْصِيةً اللَّهُ تعمالي فهو من خيل إبليس وجنوده » ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله تعالى ، فعلى هذا التقدير خيله ورجله كل من شاركه في الدعاء إلى المعصية (والقول الثاني) يحتمل أن يكون لإبليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل (والقول الثالث) أن المراد منهضرب المثلكا تقول للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك وهذا الوجه أقرب، والخيل تقع على الفرسان قال عليه الصلاة والسلام « ياخيل الله اركى » وقد تقع على الأفراس خاصة ، والمراد ههنا الاول والرجل جمع راجل كما قانوا تاجر وتجر وصاحب وصحب وراكب وركب ، وروى حفص عن عاصم ورجلك بكسير الجيم وغيره بالضم ، قال أبو زيد يقال رجل ورجل بمعنى واحد ومثله حدث وحدث وندس وندس ، قال ابن الانبارى : أخبرنا ثعلب عن الفراء قال يقال رجل ورجل ورجلان بمعنى واحد (والنوع الرابع) من الأشياء التي ذكرها الله تعالى لإبليس قوله (وشاركهم في الأموال والأولاد) نقول: أما المشاركة في الأموال فهي عبارة عن كل تصرف قبيح في المال سواءكان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه أو وضعه في غير حقه ويدخل خيما المناريا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة، وهكذا قاله القاضي وهو ضبط حسن، وأما المفسرون فقد ذكروا وجوماً قال قتادة: المشاركة في الاموال هي أن جعلوا بحيرة وسائبة، وقال عكرمة هي عبارة عن تبتيكهم آذان الانعام ، وقيل مي أن جعلوا من أموالهم شيئًا لغير الله تمالى كما قال تعالى (فقالوا هذا قه برعهم وهذا لشركاتنا) والاصوب ماقاله القاضي، وأما المشاركة فى الاولاد فذكروا فيه وجوها (أحدها) أنها الدعاء إلى الزنا، وزيف الاصم ذلك بأن قال إنه لا ذم على الولد، ويمكن أن يجاب غنه بأن المراد وشاركهم فى طريق تحصيل الولد وذلك بالدعاء إلى الزنا (وثانيها) أن يسموا أولادهم بمبد اللات وعبد العزى (وثالثها) أن يرغبوا أولادهم فى الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية وغيرهما (ورابعها) إقدامهم على قتل الاولاد ووأدهم (وخامسها) ترغيهم فى حفظ الاشعار المشتملة على الفحش وترغيهم فى القتل والقتال والحرف الحبيثة الحسيسة والصابط أن بقال إن كل تصرف من المر، فى ولد، على وجه يؤدى والحرف الحبيثة من منكر أو قبيح فهو داخل فيه.

(والنوع الخامس) من الأشياء التي ذكرها الله تعالى لإبليس في هذه الآية قوله (وعدهم)،

واعلم أنه لماكان مقصود الشيطان الترغيب في الاعتقاد الباطل والعمل الباطل والتنفير عن الاعتقاد الحق والعمل الحق، ومعلوم أرب الترغيب في الشيء لايمكن إلا بأن يقرر عنده أنه لاضرر البتة في فعله ومع ذلك فانه يفيد المنافع العظيمة ، والتنفير عن الشيء لا يمكن إلا بأن يقرر عنده أنه لافائدة في فعله ، ومع ذلك فيفيد المضار العظيمة ، إذا ثبت هذا فنقول: إن الشيطان إذا دعا إلى المعصية فلا بد وأن يقرر أو لا أنه لامضرة في فعله البتة ، وذلك إنما يمكن إذا قال لامعاد و لا جنة و لا نار ، و لا حياة بعد هذه الحياة ، فهذا الطريق يقرر عنده أنه لامضرة البتة في فعل هذه المعاصى ، وإذا فرغ عن هذا المقام قررعنده أن هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في هذه الدنيا إلا به ، فنفو يتها غبن وخسران كما قال الشاعر :

خذوا بنصيب من سرور ولذة 💎 فكل وإن طال المدى يتصرم

فهذا هو طريق الدعوة إلى المعصية ، وأما طريق التنفير عن الطاعة فهو أن يقرر أولا عنده أنه لافائدة فيه وتقريره من وجهين (الأول) أن يقول لاجنة ولا نار ولا ثواب ولا عذاب (والثانى) أن هذه العبادات لافائدة فيها للعابد والمعبود فكانت عبثاً محصاً فهذين الطريقين يقرر الشيطان عند الانسان أنه لا فائدة فيها ، وإذا فرغ عن هذا المقام قال إنها توجب التعب والمحنة وذلك أعظم المضار ، فهذه مجامع تليس الشيطان ، فقوله (وعدهم) يتناول كل هذه الاقسام ، قال المفسرون قوله (وعدهم) بتسويف التوبة ، وقال المفسرون قوله (وعدهم) أى بأنه لاجنة ولا نار ، وقال آخرون (دعدهم) بتسويف التوبة ، وقال آخرون (دعدهم) بالامانى الباطلة مثل قوله لآدم (مانها كما دبكاعن هذه الشجرة إلاأن تكونا ملكين

أو تبكونا من الحالجين) وقال آخرون: وعدهم بشفاعة الأصنام عنداقة تعالى وبالإنساب الشريفة ولم يثار العاجل على الآجل ، وبالجلة فهذه الأقسام كثيرة وكلها داخلة في الضبط الذي ذكرناه وإن أردت الاستقصاء في هدا الباب فطالع كتاب ذم الغرور من كتاب إحياء علوم الدين الشيخ للغزالي حتى يحيط عقلك بمجامع تلبيس إبليس ، واعلم أن اقة تعالى لما قال (وعدهم) أردفه بمما يكون زاجراً عن قبول وعده فقال (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) والسبب فيه أنه إنما بعنو إلى أحد أمور ثلاثة قعناء الشهوة وإمضاء الغضب وطلب الرياسة وعلو الدرجة ، ولا يدعو البتة إلى معرفة الله تعالى ولا إلى خدمته ، وتلك الأشياء الثلاثة معنوية من وجوه كثيرة (أحدها) أنها في الحقيقة ليست لذات بل هي خلاص عن الآلام (وثانيها) وإن كانت لذات لكنها لذات خسيسة مشترك فيها بين الكلاب والديدان والحنافس وغيرها (وثالثها) أنها سريعة الذهاب أن لذات البطن والفرج لاتتم إلا بمزاوالة رطوبات عفنة مستقدرة (وسادسها) أنها غير باقية بل يتبعها الموت والهرم والفقر والحسرة على الفوت والحوف من الموت . فلماكانت هذه المطالب وإن كانت لذيذة بحسب الظاهر إلا أنها بمزوجة بهذه الآفات العظيمة والمخالفات الجسيمة ،كان الترغيب فيها تغريراً ، ولهذا المعنى قال تعالى (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً)

واعلم أنه تمالى لما قال له افعل ما تقدر عليه فقال تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وفيه قولان :

(الأول) أن المرادكل عباد الله من المسكلفين، وهذا قول أبى على الجبائى، قال والدليل عليه أن الله تعسالي استثنى منه فى آيات كثيرة من يتبعه بقسوله (إلا من اتبعك) ثم استدل بهذا على أنه لاسبيل لإبليس وجنوده على تصريع الناس وتخبيط عقولهم وأنه لا قدرة له إلا على قدر الوسوسة وأكد ذلك بقوله تعالى (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم). وأيضاً فلو قدرعلى هذه الإعمال لكان يجب أن يتخبط أمل النسل وأهل العلم دون سائر الناس ليكون ضرره اعظم منم عاد رائم ابن مل عقله لا من جهة الشيطان لكن لغلبة الاخلاط الفاسدة ولا يمتنع أن يكون أحد أسباب ذلك المرض اعتقاد أن الشيطان يقدم عليه فيغلب الخوف عليه فيحدث ذلك المرض.

(والفول الثاني) أن المراد بقوله (إن عبادى) أهل الفضل والعلم والإيمــان لمــا بينا فيما تقدم

رَّبُكُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيًا

أن لفظ العباد فى القرآن مخصوص بأهل الايمان ، والدليل عليه أنه قال فى آية أخرى (إنما سلطانه على الذين يتولونه)

ثم قال ﴿ وكنى بربك وكيلا ﴾ وفيه بحثان:

(البحث الأول) أنه تعالى لما مكن إبليس من أن يأتى بأقصى ما يقدر عليه فى باب الوسوسة ، وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد فى قلب الانسان قال (وكنى بربك وكيلا) ومعناه أن الشيطان وإن كان قادرا فالله تعالى أقدر منه وأرحم بعباده من السكل فهو تعسائى يدفع عنه كيد الشيطان و يعصمه من إضلاله وإغرائه .

(البحث الثانى) هذه الآية تدل على أن المعصوم من عصمه الله تعالى وأن الانسان لايمكنه أن يحترز بنفسه عن مواقع الضلالة ، لأنه لوكان الاقدام على الحق والاحجام عن الباطل إنما يحصل للانسان من نفسه لوجب أن يقال : وكنى الانسان نفسه فى الاحتراز عن الشيطان ، فلما لم يقل ذلك بل قال (وكنى بربك) علمنا أن الكل من الله ، ولهذا قال المحققون : لاحول عن معصية الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله . بقى فى الآية سؤ الان :

(السؤال الأول) أن إبليس هلكانعالما بأن الذي تكلم معه بقوله (واستفزز من استطعت منهم) هو إله العالم أو لم يعلم ذلك؟ فان علم ذلك ثم إنه تعالى قال (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) فكيف لم يصر هذا الوعيد الشديد مانعاً له من المعصية مع أنه سمعه من الله تعالى من غير واسطة؟ وإن لم يعلم أن هذا القائل هو إله العالم، فكيف قال (أرأيتك هذا الذي كرمت على) والجواب: لعله كان شاكا في السكل أو كان يقول في كل قسم ما يخطر باله على سبيل الظن.

(والسؤال الثانى) ما الحكمة فى أنه تعالى أنظره إلى يوم القيامة ومكنه من الوسوسة؟ والحكيم إذا أراد أمرا وعلمأن شيئا من الأشياء يمنع من حصوله فانه لا يسعى في تحصيل ذلك المانع. والجواب: أما مذهبنا فظاهر فى هذا الباب، وأما المعة لة فلهم قه لان: قال الجبائى: علم الله تعالى أن الدين محسروا عند وسوسة إبليس يكفرون بتقدير أن لا يوجد إبليس، وإذا كان كذلك لم يكن فى وجوده مزيد مفسدة، وقال أبو هاشم: لا يبعد أن يحصل من وجوده مزيد مفسدة، إلا أنه تعالى أبقله تشديدا للتكليف على الحلق ليستحقوا بسبب ذلك التشديد مزيد الثواب، وهذان

الوجهان قد ذكرناهما فيسورة الاعراف والحجر، وبالغنا في الكشف عنهما ، والله أعلم . قوله تعالى : ﴿ رَبُّكُمُ الذي يَرْجَى لَكُمُ الفَلْكُ فِي البحر لتبتغوا مر . فضله إنه كان بكم رحيمًا



وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن نعيدكم فيه تارة أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنفرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾

اعلم أنه تعالى عاد الى ذكر الدلائل الدالة على قدرته وحكمته ورحمته ، وقد ذكرنا أن المقصود الأعظم فى هذا الكتاب الكريم تقرير دلائل التوحيد ، فاذا امتد الكلام فى فصل من الفصول عاد الكلام بعده الى ذكر دلائل التوحيد ، والمذكور ههنا الوجوه المستنبطة من الانعامات فى أحوال ركوب البحر .

(فالنوع الأول) كيفة حركة الفلك على وجه البحروهو قوله (ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر) والازجاء سوق الشيء حالابعد حال، وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله (ببضاعة مزجاة) والمعنى: ربكم الذي يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله في طلب التجارة إنه كان بكم رحيما، والخطاب في قوله (ربكم) وفي قوله (إنه كان بكم) عام في حق الكل، والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها.

﴿ والنوع الثانى ﴾ قوله (و إذا مسكم الضر فى البحر) والمراد من الضر، الخوف الشديد كحوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) والمراد أن الانسان فى تلك الحالة لا يتضرع الى الصنم والشمس والقمر والملك والفلك. و إنما يتضرع الى الله تعالى، فلما نجاكم من الغرق والبحر وأخرجكم الى البر أعرضتم عن الايمان والاخلاص (وكان الانسان كفورا) لنعم الله بسبب أن عند الشدة

يتمسك بفضله ورحمته ، وعندالرخاء والراحة يعرضعنه ويتمسك بغيره .

﴿ والنوع الثالث﴾ قوله (أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر) قال الليث : الحسف والحسوف هو دخول الشيء في الشيء. يقال: عين خاسفة وهي التي غابت حــدقتها في الرأس، وعين من المــا. خاسفة أي غائرة الما. ، وخسفت الشمس أي احتجبت وكأنها وقعت تحت حجاب أو دخلت في جحر . فقوله (أن نخسف بكم جانب البر) أي نغيبكم في جانب البر وهو الأرض ، وانمــا قال (جانب البر) لأنه ذكر البحر في الآية الاولى فهو جانب، والبر جانب، خبر الله تعالى أنه كما قدر على أن يغيبهم في الما فهوقادر أيضا على أن يغيبهم في الأرض، فالغرق تغييب تحت الماء كما أن الحسف تغييب تحت التراب، وتقريرالكلام أنه تعالى ذكر في الآية الأولى أنهم كانوا خائفين من هول البحر، فلما نجاهمنه آمنوا، فقال هب أنكم نجوتم منهولالبحر فكيفأمنتم منهول البر؟ فانه تعالى قادر على أن يسلط عليكم آ فات البر من جانب التحت أو من جانب الفوق ، أما من جانب التحت فبالخسف ، وأمامن جانب الفوق فبامطار الحجارة عليهم ، وهو المراد من قوله (أونر سل عليكم حاصبًا) فكما لايتضرعون إلاإلىالله تعالى عند ركوب البحر، فكذلك يجب أن لايتضرعوا إلااليه فى كل الاحوال . ومعنى الحصب فى اللغة الرمى يقال : حصبت أحصب حصباً إذا رميت والحصب المرمى ، ومنه قوله تعالى (حصب جهنم) أي يلقون فيها ، ومعنى قوله (حاصبا) أي عذابا يحصبهم ، أى يرميهم محجارة ، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصباء حاصب ، والسحاب الذي يرمى بالثلج والبرد يسمى حاصبا لآنه يرمى بهما رمياً. وقال الزجاج: الحاصب التراب الذي فيه حصباء والحاصب على هـذا ذو الحصباء مثل اللابن والتامر وقوله (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يعنى لاتجدوا ناصرا ينصركم ويصونكم منعذاب الله ، ثم قال (أم أمنتم أن نعيدكم فيه) أى في البحر تارة أخرى وقوله (فنرسل عليكم قاصفا) من الريح القاصف الكاسر يقال: قصف الشي. يقصفه قصفا إذا كسره بشدة ، والقاصف من الربح التي تكسر الشجر ، وأراد هه:ا ربحا شديدة تقصف الفلك وتغرقهم وقوله (فنغرقكم بمـاكفرتم) أى بسبب كفركم ثم لاتجـدوا لكم علينا به تبيعاً . قال الزجاج: أي لاتجدوا من يتبعنا بانكار مانزل بكم بأن يصرفه عنكم، وتبيع بمعنى تابع.

واعلم أن هذه الآية مشتملة على ألفاظ خمسة : وهى قوله (أن نخسف . أونرسل . أونعيدكم . فنرسل . فن قرأ بالياء ، فنرسل . فنغرقكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو جميع هذه الخسة بالنون ، والباقون بالياء ، فن قرأ بالياء ، فلا ن ماقبله على الواحد الغائب وهو قوله (إلا إياه فلما نجاكم) ومن قرأ بالنون فلان هذا البحر من الكلام ، قد ينقطع بعضه من بعض وهوسهل لان المعنى واحد . ألاترى أنه قد جاء (وجعلناه

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنَ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿ ﴾

هدى لبى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا) فانتقل من الجمع إلى الأفراد وكذلك ههنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، والمعنى واحد والكل جائز والله أعلم .

قوله تعالى :﴿ وَلَقَدَّ كُرَمُنَا بَى آدَمُ وَحَمَّلُنَاهُمْ فَى البّرِ وَالبّحرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مَنَ الطّيباتُ وَفَصَلْنَاهُمْ عَلَى كثير بمن خلقنا تفضيلا ﴾

اعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة رفيعة من نعم الله تعالى على الانسان وهي الاشياء التي بها فضل الانسان على غيره وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أربعة أنواع:

﴿ النوع الأول ﴾ قوله (ولقد كرمنا بني آدم) واعلم أن الانسان جوهر مركب من النفس، والبدن، فالنفس الانسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي، وبدنه أشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي. وتقرير هذه الفضيلة في النفس الانسانية هي أن النفس الانسانية قواها الأصلية ثلاث. وهي الاغتذاء والنمو والتوليد، والنفس الحيوانية لها قو تان الحساسة سواء كانت ظاهرة أوباطنة ، والحركة بالاحتيار، فهذه القوى الخسة أعنى الاغتذا. والنمو والتوليد والحس والحركة حاصاة للنفس الانسانية ، ثم إن النفس الانسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي . و هي التي يتجلي فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق فيهـا ضوء كبريائه وهو الذي يطلع على أسرار عالمي الحلق والامر ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الارواح والاجسام كما هي وهذه القوة من تلقيح الجواهر القدسية والارواح المجردة الالهية ، فهذه القوة لانسبة لهما في الشرف والفضل إلى تلك القوى الخسة النباتية والحيوانية ، وإذا كان الأمر كذلك ظهرأن النفس الانسانية أشرفالنفوس الموجودة فىهذا العالمو إنأردت أن تعرف فضائل القوة العقلية ونقصانات القوى الجسمية ، فتأمل ما كتبناه في هذا الكتاب في تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) فانا ذكرنا هناك عشرين وجها في بيان أن القوة العقلية أجل وأعلى من القوة الجسمية فلا فائدة فىالاعادة ، وأمابيان أن البدن الانساني أشرف أجسام هذا العالم، فالمفسرون[بمــاذكروافى تفسير قوله تعالى(ولقدكرمنابنيآدم)هذا النوع منالفضائلوذكروا أشياء ، أحدها : روىميمونبن مهران عن ابن عباس رضى الله عنها في قوله (ولقد كرمنا بني آدم) قال : كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم فانه يأكل بيديه . وقيل : إن الرشيد أحضرت عنده أطعمة فدعا بالملاعق وعنده أبويوسف ، فقال له : جا. في

التفسير عن جدك فى قوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) جعلنا لهم أصابع يأكلون بهفرد الملاعق وأكل بأصابعه . وثانيها : قال الضحاك : بالنطق والتمييز وتحقيق الكلام أن من عرف شيئا ، فاماأن يعجز عن تعريف غيره كونه عارفا بذلك الشي. أو يقدر على هذا التعريف .

﴿ أَمَا القَسَمُ الْآولَ ﴾ فهو حال جملة الحيوانات سوى الانسان ، فانه إذاحصل فى باطنها ألم أولذة فانها تعريف تعريف غيرها تلك الاحوال تعريفا تاما وافيا .

(وأما القسم الثانى) فهو الانسان، فانه يمكنه تعريف غيره كل ماعرفه ووقف عليه وأحاطبه فكونه قادرا على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقا، وبهذا البيان ظهر أن الانسان الاخرس داخل فى هذا الوصف، لأنه وإن عجز عن تعريف غيره مافى قلبه بطريق اللنسان، فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة وبطريق الكتابة وغيرهما ولايدخل فيه البغاء، لأنه وإن قدر على تعريفات قليلة، فلا قدرة له على تعريف جميع الاحوال على سبيل الكال والتمام. وثالثها: قال عطاه: بامتداد القاة.

واعلمأن هذا الكلامغيرتام لآن الإشجار أطول من قامة الانسان بل ينبغي أن يشترط فيه شرط، وهو طول القامة مع استكال القوة العقلية ، والقوى الحسية والحركية . ورابعما : قال بيان بحسن الصورة ، والدليل عليه قوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) لما ذكر الله تعالى خلقة الانسان قال (فتبارك الله أحسن الحالفين) وقال (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) وإن شئت فتأمل عضوا واحدا من أعضاء الانسان وهوالعين علق الحدقة سوداه ثم أحاط بذلك السواد بياض الأجفان ثم خلق فوق بياض أحاط بذلك البياض سواد الاشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الجبمة ثم خلق فوق بياض الجبمة سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبمة ثم خلق فوق بياض الجبمة سواد الشعر ، وليكن هذا المثال الواحد أنموذجا لك في هذا الباب أن العلم الذي يقدر الإنسان على استنباطه الآدى أن آناه إلله الحفل و تحقيق الكلام في هذا الباب أن العلم الذي يقدر الإنسان الثاني واستعان يكون قليلا . أما إذا استنبط الإنسان على وأو دعه في الكتاب ، وجاء الانسان الثاني واستعان بذلك الكتاب ، وضم اليه من عند نفسه أشياء أخرى ثم لا يزالون يتعاقبون ، ويضم كل متأخر مباحث كثيرة إلى علم المتقدمين كثرت العلوم وقويت الفضائل والمعارف وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية إلى أقصى الغايات وأكمل النهايات ، ومعلوم أن هذا الباب لا يتأتي إلا بواسطة الحط والكتمة ، ولهذه الفضيلة الكاملة قال تعالى (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم والكتمة ، ولهذه الفضيلة الكالم إما بسائط وإما مركبات ، أما البسائط فهي الارض والماء يعلم) وسادسها : أن أجسام هذا العالم إما بسائط وإما مركبات ، أما البسائط فهي الارض والماء

والهوا، والنار . والانسان ينتفع بكل هذه الأربع ، أما الأرض فهى لنا كالام الحاصنة قال تعالى (منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخر جكم تارة أخرى) وقد سهاها الله تعمالى بأسها. بالنسبة الينا ، وهى الفراش والمهد ، والمهاد ، وأما المما، فانتفاعنا به فى الشرب والزراعة والحراثة ظاهر ، وأيضا سخر البحر لنأكل منه لحما طريا ، ونستخرج منه حلية نلبسها ونرى الفلك مواخر فيه ، وأما الهوا، فهو مادة حياتنا ، ولو لا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة ، وأما النار فبما طبخ الاغذية والاشربة ونضجها ، وهى قائمة مقام الشمس والقمر فى الليالى المظلمة ، وهى الدافعة لضرر البردكما قال الشاعر :

ومن يرد في الشتاء فاكهة ﴿ فَانَ نَارُ الشَّتَاءُ فَا كُهِتُهُ

وأما المركبات فهي إما الآثار العلوية ، و إما المعادن والنبات ، وأما الحيو انو الانسان كالمستولى على هـذه الأقسام والمنتفع بها والمستسخر لكل أقسامها فهذا العالم بأسره جاربجري قرية معمورة أوحان معد وجميع منافعها ومصالحها مضروفة إلىالانسان والانسان فيه كالرئيس المخدوم ، والملك المطاع وسائر الحيوانات النسبة اليه كالعبيد، وكل ذلك يدل على كونه مخصوصا من عند الله بمزيد التكريم والتفضيل والله أعلم . وسابعها : أن المخلوقات تنقسم إلىأر بعة أقسام إلىماحصلت له القوة العقلية الحكمية ولم تحصل له القوة الشهوانيـة الطبيعية وهم الملائكة ، وإلى مايكون بالعكس وهم البهائم وإلى ماخلاً عن القسمين وهو النبات والجمادات وإلى ماحصل النوعان فيمه وهو الانسان. ولاشك أن الانسان لكونه مستجمعاً للقوة العقلية القدسية المحضة ، وللقوى الشهوانيـة السيمية والغضبية والسبعية يكون أفضل من البهيمية ومن السبعية ، ولا شك أيضاً أنه أفضل من الاجسام الحالية عنالقو تين مثل النبات و المعادن و الجمادات ، و إذا ثبت ذلك ظهر أن الله تعالى فضل الانسان على أكثرُ أقسام المخلوقات . بتي ههنا بحث في أن الملك أفضل أم البشر ؟ والمعنى أن الجوهر البسيط الموصوف بالقوة العقلية القدسية المحضة أفضل أماابشر المستجمع لهاتين القوتين؟ وذلك بحث آخر وثامنها : الموجود إما أن يكون أزليا وأبديا معا وهو الله سبحانه وتعالى ، وإما أن يكون لاأزليا ولاأبديا وهو عالم الدنيا مع كل مافيه من المعادن والنبات والحيوان، وهذا أخس الاقسام، وإما أن يكون أزليا لاأبديا وهو الممتنع الوجود لان ماثبت قدمه امتنع عدمه ، وإما أن لايكون أزليا ولكنه يكون أبديا ، وهو الانسان والملك ، ولاشك أن هذا القسم أشرف من القسم الثاني والثالث وذلك يقتضي كون الانسان أشرف من أكثر مخلوقات الله تعالى. و تاسعها ؛ العالم العلوى أشرف من العالم السفلي ، وروح الانسان منجنس الارواح العلوية والجواهر القدسية فليس في موجودات

العالم السفلي شيء حصل فيه شيء مر العالم العلوى إلا الانسان فوجب كون الانسان أشرف موجودات العالم السفلي . وعاشرها : أشرف الموجودات هو الله تعالى، وإذا كان كذلك فكل موجودكان قربه من الله تعالى أتم ، وجبأن يكون أشرف ، لكن أقرب موجودات هذا العالم من الله هو الانسان بسبب أن قلبه مستنير بمعرفة الله تعالى ولسانه مشرف بذكرالله وجوارحه وأعضاؤه مكرمة بطاعة الله تعالى فوجب الجزم بأن أشرف موجودات هذا العالم السفلي هو الانسان ، ولحل ثبت أن الانسان ، وجود ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يوجد إلا بايحاد الواجب لذاته ثبت أن كل ماحصل للانسان من المراتب العالم قر والصفات الشريفة فهي إنما حصلت باحسان الله تعالى وإنعامه فلهذا المدى قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) ومن تمام كرامته على الله تعالى أنه تعالى من علق اقرأ ربك الأكرم الذى علم بالقلم) ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للانسان فقال (ولقد كرمنا بني آدم) ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للانسان فقال (ولقد كرمنا بني آدم) وهذا يدل على أنه لانها كرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الانسان والله أعلم . (والوجه الحادي عشر) قال بعضهم هذا التكريم معناه أنه تعالى خلق آدم بيده وخلق غيره بطريق كر، فيكون . ومن كان خلوقا بيد الله كانت العناية به أتم وأكل ، وكان أكرم وأكل ولم والله أعلم . بطريق كر، فيكون . ومن كان خلوقا بيد الله كانت العناية به أتم وأكل ، وكان أكرم وأكل ولم والله أعلم .

(النوع الثانى) من المدائح المذكورة فى هذه الآية قوله (وحملناهم فى البر والبحر) قال ابن عباس فى البرعلى الخيل والبغال والحمير والابل وفى البحر على السفن، وهذا أيضا من مؤكدات التكريم المذكور أو لا، لانه تعالى سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها ويغزو ويقاتل ويذب عن نفسه، وكذلك تسخير الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها بما يختص به ابن آدم، كل ذلك بما يدل على أن الانسان فى هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل ماسواه فهو رعينه و تبع له.

﴿ النوع الثالث ﴾ من المدائح قوله (ورزقناهم من الطيبات) وذلك لأن الأغذية إما حيوانية وإما نباتية ، وكلا القسمين إنما يغتذى الانسان منه بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ ، وذلك بما لايحصل إلا للانسان .

(النوع الرابع) قوله (وفضلناهم على كثير بمن خلقنا تفضيلا) وههنا بحثان: (البحث الأول) أنه قال في أول الآية (ولقد كرمنا بني آدم) وقال في آخرها (وفضلناهم) يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أَنَاسِ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ عَفَاْ وْلَآلِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَاذِهِ مَ أَعْمَى فَهُو فِي ٱلْآخِرةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُ سَبِيلًا ﴿ فَيَ

ولا بد من الفرق بين هـذا التكريم والتفضيل وإلا لزم التكرار ، والأقرب أن يقال: إنه تعالى فضل الانسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والحط والصورة الحسنة والقامة المديدة ، ثم إنه تعـالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لا كذساب العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة ، فالأول هو التكريم والثانى هو التفضيل .

(البحث الثانى) انه تعالى لم يقل: وفضلناهم غلى الكل بل قال (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فهذا يدل على أنه حصل فى مخلوقات الله تعالى شى. لا يكون الانسان مفضلا عليه ، وكل من أثبت هذا القسم قال إنه هو الملائكة . فلزم القول بأن الانسان ليس أفضل من الملائكة بل الملك أفضل من الانسان، وهذا القول مذهب ابن عباس و اختيار الزجاج على مار و اه الواحدى فى البسيط. و اعلم أن هذا الكلام مشتمل على محثين:

﴿ البحث الأولى أن الانبياء عليهم السلام أفضل أم الملائكة ؟ وقد سبق ذكر هذه المسألة بالاستقصاء في سررة البقرة في تفسير قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)

(والبحث الشانى) أن عوام الملائكة وعوام المؤمنين أيهما أفضل ؟ منهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة. واحتجواعليه بماروى عن زيدبن أسلم أنه قال: قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا ذاك في الآخرة ، فقال: وعزتى وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له (كن) فكان . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده . هكذا أورده الواحدى في البسيط ، وأما القائلون بأن الملك أفضل من البشر على الاطلاق فقد عولوا على هذه الآية ، وهو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب لان تقرير الدليل أن يقال : إن تخصيص الكثير بالذكر يدل على أن الحال في القليل بالضد ، وذلك تمسك بدليل الخطاب والله أعلى .

قوله تعالى :﴿ يوم ندعواكل أناس بامامهم فن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومنكان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ الفخر الرازي − ج ٢١ م ٢ الفخر الرازي − ج ٢١ م ٢

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع كرامات الانسان فى الدنيا ذكر أحوال درجاته فى الآخرة فى هذه الآية وفيها مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرى. يدعو باليا. والنون ويدعى كل أناس على البنا. للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس قال الفرا. وأهل العربية لا يعرفون وجها لهذه القراءة المنقولة عن الحسن ولعله قرأ يدعى بفتحة بمزوجة بالضم فظن الراوى أنه قرأ يدعو

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله يوم ندعو نصب باضمار اذكر ولا يجوز أن يقال العامل فيه قوله وفضلناهم لانه فعل ماض ويمكن أن يجاب عنه فيقال المراد ونفضلهم بما نعطيهم من الكرامة والثواب.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (بامامهم) الامام في اللغة كل من اثتم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالني إمام أمنه ، والخليفة إمام رعيته ، والقرآن إمام المسلمين وإمام القوم هو الذي يقتدى به في الصَّلاة وذكروا في تفسير الامام ههنا أقوالا (القول الآول) إمامهم نبيهم روى ذلك مرفوعا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ و يكون المعنى انه ينادى يوم القيامة ياأمة ابراهيم يا أمة موسى ياأمة عيسى ياأمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادى ياأتباع فرعون ياأتباع نمروذ ياأتباع فلان وفلان من رؤسا. الضلال وأكابر الكفر وعلى هذا القول فالباء في قوله بامامهم فيه وجهان (الأول) أن يكون التقدير يدعو كل أناس بامامهم تبعاً وشيعة لامامهم كما تقول أدعوك باسمك (والثاني) أن يتعلق بمحذوف وذلك المحذوف في موضع الحال كأنه قيل يدعو كل أناس مختلطين بامامهم أى يدعون وامامهم فيهن نحو ركب بجنوده (والقول الشانى) وهو قول الضحاك وابن زيد بامامهم أى بكتابهم الذى أنزل عليهم وعلى هذا التقدير ينادى في القيامة ياأهل القرآن ياأهل التوراة ياأهل الانجيل (والقول الثالث) قال الحسن بكتابهم الذى فيه أعمالهم وهو قول الربيع وأبى العالية والدليل على أن هذا الكتاب يسهى إماماً قوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) فسمى الله تعالى هذا الكتاب إماما ، وتقدير الباء على هذا القول بمعنى مع أى ندعو كل أناس ومعهم كتابهم كقولك ادفعه اليـه برمنه أى ومعه رمته (القول الرابع) قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحـكمة في الدِعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسي وإظهار شرف الحسن والجسين وأن لا يفتضح أولاد الزنائم قال صاحب الكشاف وليت شعرى أيهما أبدع أصحة لفظه أم بيان حكمته (والقول الخامس) أقول في اللفظ احتمال آخر وهو أن أنواع الآخلاق الفاضلة والفاسدة كثيرة والمستولى على كل إنسان نوع من تلك الآخلاق فمنهم من يكون الغالب عليه الغضب ومنهم من يكون الغالب عليه شهوة النقود أو شهوة الضياع ومنهم من يكون الغالب عليه الحقد والحسد, في جانب الاخلاق الفاضلة منهم من يكون الغالب عليه العفة أو الشجاعة أو

الكرم أوطلبالعلم والزهد إذا عرفت هذا فنقول: الداعي إلى الأفعال الظاهرة من تلك الاخلاق الباطنة فذلك الحلق الباطن كالامام له والملك المطاع والرئيس المتبوع فيوم القيامة إنما يظهرالثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فهذا هو المراد من قوله (يوم ندعو كل أناس بامامهم) فهذا الاحتمال خطر بالبال والله أعلم بمراده ثم قال تعالى (فن أوتى كتابه بيمينه فأ. لئك يقر مون كتابهم ولا يظلمون فتيلا) قال صاحب الكشاف إنما قال أولتك لان من أوتى في معنى الجمع والفتيل القشرة التي في شق النواة وسمى بهذا الاسم لأنه إذا أراد الانسان استخراجه انفتل وهَذَا يَضَرَبُ مَثْلًا للشيء الحقير التافه ومثله القطمير والنقير في ضرب المثل به والمعنى لاينقصون من الثواب بمقدار فنيل ونظيره قوله (ولا يظلمون شيئاً ، فلا يخاف ظلما ولا هضما)وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال الفتيل هو الوسخ الذي يظهر بفتل الانسان إبهامه بسبابته وهو فعيل من الفتل بمعنى مفتول فان قيل لم خص أصحاب البمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرمونه أيضا قلنا الفرق أن أصحاب الشهال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة والمخازى الشديدة فيستولى الخوف والدهشة على قلومهم ويثقل لسانهم فيعجزوا عن القراءة وأما أمحماب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لاجرم انهم يقرمون كتابهم على أحسن الوجوه وأثبتها ثم لا يكتفون بقرابتهم وحدهم بل يقول الفارى لأهل المحشر (هاؤم اقرأوا كتابيه) فظهر الفرق والله أعلم ثم قال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وفيه مسألتان:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ونصر عن الكسائى ومن كان فى هذه أعمى بالامالة والكسر فهو فى الآخرة أعمى بالفتح وقرأ بالفتح والتفخيم فيهما ان كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم فى رواية بالامالة فيهما فال أبو على العادسي الوجه فى تصحيح قراءة أبى عمرو أن المراد بالاعمى فى السكلمة الآولى كونه فى نفسه أعمى وبهذا التقدير تبكون هذه السكلمة تامة فتقبل الامالة وأما فى الكلمة الثانية فالمراد من الاعمى أفعل التفضيل فكانت بمعنى أفعل من وبهذا التقدير لانكون لفظة أعمى تامة فلم تقبل الامالة والحاصل ان إدخال الامالة فى الاولى دل على أنه ليس المراد أفعل التفضيل وتركها فى الثانية يدل على أن المراد منها أنعن التقدير والله أعلى ()

﴿ المسألة الثانية ﴾ لاشك أنه ليس المراد من قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى القول الآول) أعمى) عمى البصر بل المراد منه عمى القلب أماقوله فهو في الآخرة أعمى ففيه قولان (القول الآول) أن المراد منه أعمى القلب وعلى هذا التقدير ففيه وجوه (الأول) قال عكرمة جاء نفر من أهل

⁽۱) لم يحوذ النحاة أضل التفطيل من أحمى لأن الوصف رباحى والعمى عا لا تفارت قبه وألزموا أن يثال أشد أو اكثر . فأحمى الأول يصف بالعمى كالثانية لكن التفارت في الثانية يغهم من قولى تعالى (وأضل صبيلا)

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِى عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَآتَكَ دُوتَ خَلِيلًا ﴿ وَإِذًا لَا تَعْفَدُ كِدَتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿ وَإِذَا لَا تَعْفَدُ كَدَتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ ا

الين إلى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرأ ماقبلها فقرأ (ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر إلى قوله تفضيلا) قال ابن عباس من كان أعمى في هذه النعم التي قد رآى وعاين فهو في أمر الآخرةالتي لم يرولم يعاين أعمىوأضل سبيلاوعلى هذا الوجه فقوله فى هذه إشارة إلىالنعم المذكورة فىالآيات المتقدمة (وثانياً) روى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباسقال منكان فى الدنيا أعمى ً عما يرى من قدرتي في خلق السموات والارض والبحار والجبال والناس و لدواب فهو عن أمر الآخرة أعمىوأضل سبيلا وأبعد عن تحصيل العلم به وعلى هذا الوجه فقوله فمن كان في هذه إشارة إلى الدنيا وعلى هذين القولين فالمراد من كان في الدنيا أعمى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فأن يكون في الآخرة أعمى القلب عن معرفة أحوال الآخرة أولى فالعمى في المرتين حصل في الدنيا (وثالثها) قال الحسن من كان في الدنيا ضالا كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لانقبل توبته وفي الدنيا يهتدي إلى التخلص من أبواب الآفات وفى الآخرة لايهتدى إلى ذلك البتة (ورابعها) أنه لايمكن حمل العمى الثانى على الجهل بالله لأن أهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة فكان المراد منه العمى عن طريق الجنة أى ومنكان في هذه الدنيا أعمى عن معرفة الله فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة (وخامسها) أن الذين حصل لهم عمى القلب فى الدنيا إنما حصلت هذه الحالة لهم لشدة حرصهم على تحصيل الدنيا وابتهاجهم لمذاتها رطيباتها فهذه الرغبة تزداد فى الآخرة وتعظم هناك حسرتها على فوات الدنيا وليس معهم شىء من أنوار معرفة الله تعالى فيبقون في ظلمة شديدة وحسرة عظيمة فذاك هو المراد من العمي (القول الثاني) أن يحمل العمى الثاني على عمى العين والبصر فن كان في هذه الدنيا أعمى القلب حشر يوم القيامة أعمى العين والبصركما قال (ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتنك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكما وصماً) وهذا العمى زيادة في عقوبتهم واقه أعلم

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مَكَادُوا لِيَفْتَنُونَكُ عَنَ الذَى أُوحِينَا إلَيْكُ لِتَفْتَرَى عَلَيْنَا غَيْرِهُ وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلًا . إذا الآذقاك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتحد لك علنا نصيرا ﴾

إعلم أنه تعالى لما عدد فى الآيات المنقدمة أقسام نعمه على خلقه وأتبعها بذكر درجات الحلق فى الآخرة وشرح أحوال السعداء أردنه بما يجرى مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوسادس أرباب الضلال والانخداع بكلامهم المشتمل على المكر والتلبيس فقال (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك) وفى الآية مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء نزلت هذه الآية في وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه شططاً ، وقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله صلى الله غليه وسلم ولم يجبهم فكرروا ذلك الالتماس، وقالوا إنا نحب أن تعرف العرب فصلنا عليهم، فإن كرهت مانقول وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا ، فقل : الله أمرنى بذلك فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وداخلهم الطمع ، فصاح علمهم عمر وقال : أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكّرونه؟ فأنزل الله هذه الآية ، وروى صاحب الكشاف أنهم جاءوا بكاتبهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى ثقيف لايعشرون ولا يحشرون ، فقالوا ولا يجبون ، فسكَّت رسول الله ، ثم قالوا للكاتب : ١ كتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله يربي فقام عمر بن الخطاب وسل سيفه، وقال: أسعرتم قلب نبينا يامعشر قريش ، أسعر الله قلوبكم ناراً . فقالوا لسنا نكلمك إنمـا نكلم محمداً ، فنزلتُ هذه الآية واعلم أن هذه القصة إنما وقعت بالمدينة فلهذا السبب قانوا إن هذه الآيات مدنية . وروى أن قريشاً قالوا له : اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة ، حتى نؤمن بك . فنزلت هذه الآية وقال الحسن : الكفار أخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلة بمـكة قبل الهجرة فقالوا كف يامحد عن ذم آلهتنا وشتمها فلو كان ذلك حقاً كان فلان وفلان بهذا الأمر أحق منك فوقع في قلب رسول الله عِلِيِّ أن يكف عن شتم آلهتهم . وعلى هذا النقدير فهذه الآية مكية ، وعن سعيد بن جبير أنه عليه السلام كان يستلم الحجر فتمنعه قريش ويقولون لاندعك حتى تستلم فوقع فى نفسه أن يفعل ذلك سع كراهية ، فنزلت هذه الآية

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الزجاج معنى الكلام كادوا يفتنونك و دخلت إن واللام للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية ، والمعنى إن الشأن أنهم قاربوا أن يفتنوكأى يخدعوك فاتنين و أصل الفتنة الاختباريةال فتنالصائخ الذهب إذا أدخله النار وأذابه

لتميز جيده من رديثه ثم استعملوه في كل من أزال الشيء عن حده و جهته فقالوا فتنه فقوله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) أي يزيلونك ويصرفونك عن الذي أوحينا إليك يعني القرآن، والمعنى عنحكمه وذلك لأن في إعطائهم ماسألوه مخالفة لحكم القرآن، وقوله (لتفتري علينا غيره) أيغير ماأوحينا إليكوهو قولهم : قل اللهأمرني بذلك (وإذاً لاتخذوك خليلا) أي لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك خليلا وأظهروا للناس أنك موافق لهم على كونهم وراض بشركهم ثم قال (ولولا أن ثبتناك) أي على الحق بعصمتنا إياك (لقد كدت تركن اليهم) أي تميل اليهم شيئا قليلا وقوله (شيئاً) عبارة عن المصدر أي ركونا قليلا قال ابن عباس ير بد حيث سكت عن جوامهم . قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ﴿ اللَّهُم لا تَكَلَّني إلى نفسي طرفة عبن هُم توعده في ذلك أشد التوعد فقال (إذاً لاذقناك صعف الحياة وضعف الممات) أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن أن يضم إلى الشيء مثله فان الرجل إذا قال لوكيله أعط فلاناً شيئاً فأعطاه درهما فقال أضعفه كان المعنى ضم إلى ذلك الدرهم مثله إذا عرفت هذا فنقول : إنمـا حسن إضهار العذاب في قوله (ضعف الحياة وضعف المات) لما تقدم في القرآن من وصف العذاب بالضعف في قوله (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفاً في النار) وقال (لكل ضعف ولكن لاتعلمون) وحاصل الكلام أنك لو مكنتخواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون إليه همتك لاستحققت بذلك تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تصعيف هذا العذاب أن أقسام نعم الله تعالى في حق الأنبيا. عليهم السلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها أكثر ونظيره قوله تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فان قيل قال عليه السلام : و من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، فوجب هذا الحديث أنه عليه السلام لو رضي بما قالوه لكان وزره مثل وزركل أحدمن أولنك الكفار وعلى هذا التقدير يكون عقابه زائداً على الضعف قلنا إثبات الضعف لايدل على نني انزائد عليه إلا بالبنا. على دليل الخطاب وهو حجة ضعيفة ثم قال تعالى (ثم لاتجد لك علينا نصيراً) يعنى إذاأذقناك العذاب المضاعف لم تجد أحداً يخلصك من عذابنا وعقابنا والله أعلم

﴿ المسألة الثالثة ﴾ احتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه (الأول) أن الآية دلت على أنه عليه السلام قرب من أن بفترى على الله ، والفرية على الله من أعظم الذنوب (والثانى) أنها تدل على أنه لولا أن الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من أن يركن إلى دينهم ويميل إلى مذهبهم (والثالث) أنه لولا سبق جرم وجناية وإلا فلا حاجة إلى ذكر هذا الوعيد الشنيد والجواب عن الأول: أن

كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية أنه قرب وقوعه فى الفتنة ، وهذا القدر لا يدل على الوقوع فى تلك الفتنة فانا إذا قلنا كاد الآمير أن يضرب فلانا لا يفهم منه أنه ضربه ، والجواب عن الثانى: أن كلمة لولا تفيد اتنفاه الشىء لثبوت غيره ، تقول لولا على لهلك عمر ، معناه ان وجود على منع من حصول الهلاك لعمر ، فكذلك ههنا قوله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم) معناه أنه حمل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون ، والجواب عن الثالث : أن ذلك التهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين) ومنها قوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) والله أعلى التبديد على الكافرين والمنافقين) والله أعلى المنافقين المنافقين المنافقين والمنافقين المنافقين المنافقين المنافقين المنافقين والمنافقين والمنافقين المنافقين المنافقين والمنافقين المنافقين والمنافقين والمنافقين المنافقين والمنافقين والمنافية وله ولا تطع الكافرين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافية والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافقين والمنافية والمنافقين والمنافقي

والمسألة الرابعة واحتج أصحابنا على صحة قولهم بأنه لاعصمة عن المعاصى إلا بتوفيق الله تعالى بقوله (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) قالوا إنه تعالى بين أنه لو لا تثبيت الله تعالى له لمال إلى طريقة الكفار ولا شك أن محدا صلى الله عليه وسلم كان أقوى من غيره فى قوة الدين وصفاء اليقين فلما بين الله تعالى أن بقاءه معصوما عن الكفر والضلال لم يحصل إلا باعانة الله تعالى وإغاثته كان حصول هذا المهنى فى حق غيره أولى. قالت المعتزلة: المراد بهذا الثبيت الالطاف الصارفة له عن ذلك وهى ماخطر بباله من ذكر وعده ووعيده ، ومن ذكر أن كرنه نبياً من عند الله تعالى يمنع من ذلك ، والجواب: لاشك أن هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله يمنع الرسول من الوقوع فى ذلك العمل المحذور ، فنقول: لو لم يوجه المقتضى عن فعل فعله الله يمنع الرسول من الوقوع فى ذلك العمل المحذور ، فنقول: لو لم يوجه المقتضى وقعت الحاجة إلى تحصيل هذا المانع علمنا أن المقتضى قد حصل فى حق الرسول بي وأن هذا المانع المنافع والله أعلى وغن الربد إلا إثبات هذا المعنى والله أعلى وغن لاربد إلا إثبات هذا المعنى والله أعلى

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قال القفال رحمه الله: قد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية الوجوه المذكورة، ويمكن أيضا تأويلها من غير تقييد بسبب يضاف نزولها فيه لآن من المعلوم أن المشركين كانوا يسعون في إبطال أمر رسول الله يتاليج بأقصى ما يقدرون عليه، فتارة كانوا يقولون: إن عبدت آلمتنا عبدنا إلهك، فأنزل الله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) وقوله (ودوا لو تدهن فبدهنون) وعرضوا عليه الأموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعام النبوة فأنزل الله تعالى (ولا تمدد المؤمنين عن نفسه فأنزل الله تعالى قوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) فيجوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا الباب

وَ إِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَاهَكَ إِلَا قَلِيلًا اللهِ اللهِ اللهُ عَلِيلًا اللهُ ا

وذلك أنهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه وأن يزيلوه عن منهجه، فبين تعالى أنه يثبته على الدين القويم والمنهج المستقيم، وعلى هذا الطريق فلا حاجة فى تفسير هذه الآيات إلى شىء من تلك الروايات. والله أعلم

ر ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسَتَفُرُونَكُ مِنَ الْأَرْضِ لِيَحْرِجُوكُ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلَافَكُ إِلا قَلَيْلًا . سنةُ مِن قَد أَرْسَلْنَا قَبِلْكُ مِن رَسَلْنَا . ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ .

في هذه الآية قولان (الأول) قال قتادة : هم أهل مكه هموا باخراج الني ﷺ من مكة ، ولوفعلوا ذلك ما أمهلوا ، ولكن الله منعهم من اخراجه ،حتى أمره الله بالخروج ، ثم إنه قالبثهم بعد حروج النبي بَرَاتِيم من مكه حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر وهذا قول مجاهد (والقول التاني) قال ابن عباس: إن رسول الله على الله عليه الله المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا ياأباالقاسم إن الانبياء إنمـابعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن إبراهيم فلو خرجت إلىالشام آمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم . فعسكر رسول الله ﷺ على أميال من المدينة قبل بذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس في دين أنه فنزلت هذه الآية فرجع. فالقول الأول اختيار الزجاج وهو الوجه لأن السورة مكية فان صح القول الثانى كانت الآية مدنية ، والأرض في قوله (ليستفرونك من الأرض) على القول الآول مكة وعلى القول الثاني المدينة وكثر في التنزيل ذكر الارض والمراد منها مكان مخصوص كقوله (أوينفوامن الارض) يعنى من مواصعهم وقوله (فلن أبرح الأرض) يعنى الأرض التيكان قصدها لطلب الميرة ، فان قيل قال الله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوه من قريتك التي أخرجتك) يعني مكه والمراد أهلها فذكر أنهم أخرجو مُروقال في هذه الآية ﴿ وَإِنْ كَادُوا لِيسْتَفْرُونِكُ مِنِ الْآرضِ لِيخْرَجُوكُ منها) فكيف [يمكن] الجمعُ بينهما على قول من قال الارض في هذه الآية مكه ؟ قلنا [نهم هموا باخراجه وهو عليه السلام ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله تعالى ، فزال التناقض . ثم قال تعالى (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) وفيه مسألتان :

﴿ المسألةُ الأولى ﴾ قرأ نانع وابن كثير وأبو عمرو عن عاصم خلفك بفتح الحا. وسكون اللام

أُقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ أَقَ مَا كَانَ مَشْهُودًا ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا كَانَ مَشْهُودًا ﴿ وَقُل رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِ وَأَخْرِجْنِي مُحْرَجَ صِدْقِ وَاجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَننَا نَصِيراً ﴿ فَي وَقُل رَبِ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِ وَأَخْرِجْنِي مُحْرَجَ صِدْقِ وَاجْعَل لِي مِن لَدُنكَ سُلْطَننَا نَصِيراً ﴿ فَي وَقُل جَآءَ ٱلْحَتَ وَزَهَقَ ٱلْبَطِلُ إِنَّ ٱلْبَطِلَ كَانَ لَدُنكَ سُلْطَننَا نَصِيراً ﴿ فَي وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَتَ وَزَهَقَ ٱلْبَطِلُ إِنَّ ٱلْبَطِلَ كَانَ

والباقون خلافك زعم الآخفش أن خلافك فى معنى خلفك وروى ذلك يونس عن عيسى وهذا كقوله (بمقعدهم خلاف رسول الله). وقال الشاعر :

عَفْت الديار خلافهم فِكَأَنَّمَا لَا بِسَطَّ الشَّوَاطِبِ بِينَهِن حصير

قال صاحب الكشاف قرى لا يلبثون وفقراء أبي لا يلبثوا على إعماا، إذن ، فان قيل ماوجه القراء تين ؟ قلنا أما السابقة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراء أبي ففيها الجلة برأسها التي هي قوله (إذا لا يلبثون) عداف على جلة قوله (وإن كادوا ليستفرونك) ثم قال تعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى أن كل قوم أخرجوا نبيهم من ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم فقوله (سنة) نصب على المصدر المؤكد أي صنا ذلك سنة فيمن قد أرسلنا قبلك ثم قال (ولا تجد لسنتنا تحويلا) والمعنى أن ما أجرى الله تعالى به العادة لم يتبيأ لاحد أن يقلب تلك العادة وتمام الكلام في هذا الباب أن اختصاص كل حادث بوقته المعين وصفته المعينة ليس أمراً ثابتاً له لذاته وإلا لزم أن يدوم أبداً على تلك الحالة وأن لا يتميز الشيء عما يما ثله في تلك الصفات بل إنما يحصل ذلك الاختصاص بتخصيص المخصص وذلك الاختصاص بتخصيص المخصص من يتعلق علمه بحصوله في ذلك الوقت ثم تتعلق قدرته بتحصيله في ذلك الوقت ثم يتعلق علمه بحصوله في ذلك الوقت ثم نقول هذه الصفات الثلاثة التي هي المؤثرة في حصول ثلك الاختصاص إن كانت حادثة افتقر حدوثها إلى تخصيص آخر ولزم التسلل وهو محال فلك الاختصاص إن كانت حادثة افتقر حدوثها إلى تخصيص آخر ولزم التسلل وهو عال وإن كانت قديمة فالقديم يمتنع تغيره لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه ولما كان التغير على تلك المهنات المؤثرة في ذلك الاختصاص عتنماً كان النغير في تلك الأشياء المقدرة ممتنعا فعبت بهذا الصفات المؤثرة في ذلك الاختصاص عتنماً كان النغير في تلك الأشياء المقدرة ممتنعا فعبت بهذا المهنات عدله المقدرة ممتنعا فعبت بهذا المهنات المؤثرة في ذلك الاختصاص عندماً كان النفير في تلك الأشياء المقدرة ممتنعا فعبت بهذا المهنات المؤثرة في ذلك الاختصاص عندماً كان النفير في تلك الأشياء المقدرة ممتنعا فعبت بهذا المهنات المؤثرة في ذلك الاختصاص عندماً كان النبي في المؤثرة في ذلك الاختصاص عندماً كان النبير في تلك الأشياء المقدرة ممتنعا فعبت بهذا

قوله تعالى : ﴿ أَمِّمُ الصلاةُ لدلوكُ الشَّمَسُ إلى غَسَقُ اللَّيلُ وقرآنَ الفَجرِ إِنْ قرآنَ الفَجرِ كَانَ مشهوداً ومن اللَّيلُ فتهجد به نافلة لك على أن يبعثك ربك مقاما محوداً. وقل رب أدخلى مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً. وقل جاء الحق وزهق الباطل

زَهُوقًا ﴿ إِنَّ ﴾

إن الباطل كان زهوةاً ﴾ في الآية مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ في النظم وجوه (الأول) أنه تعالى كما قرراً مرالالهيات والمعاد والنبوات أردفها بدكر الأمر بالطاعات بعد الإيمان وأشرف الطاعات بعد الإيمان الصلاة فلهذا السبب أمر بها (الثاني) أنه تعالى لما قال (وإنكادوا ليستفزونك من الأرض) أمره تعالى بالاقبال على عادته لكى ينصره عليم فكا نه قيل له لا تبال بسميم في إخراجك من بلدتك ولا تلتفت إليهم واشتغل بعبادة الله تعالى وداوم على أداء الصلوات فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويحمل يدك فوق أيديهم ودينك غالباً على أديانهم ونظيره قوله في سورة طة (فاصبر على مايقولون وسبح محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) وقال (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح محمد ربك وكن من الساجدين، واعد ربك حتى يأتيك اليقين) والوجه (الثالث) في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا له اذهب إلى الشام فانه مسكن الانبياء عزم صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكا نه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصرة والدولة الا بتأييده ونصرته فداوم على الصلوات وارجع إلى مقرك ومسكنك وإذا وخلى هذا ورجعت اليه فقل رب أدخلي مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لى في هذا البلد سلطانا نصيراً في تقرير دينك وإظهار شرعك والله أعلم

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلف أهل اللغسة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين (أحدهما) أن دلوكها غروبها وهذا القول مروى عن جماعة من الصحابة ، فنقل الواحدى في البسيط عن على عليه السلام أنه قال: دلوك الشمس غروبها ، وروى سعيد بن جبير هذا القول عن ابن عباس وهذا القول مسعود قال: دلوك الشمس غروبها ، وروى سعيد بن جبير هذا القول عن ابن عباس وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة من المتأخرين (والقول الثاني) أن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السهاء وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعيين واحتج القائلون بهذا القول على صحته بوجوه (الحجة الأولى) روى الواحدى في البسيط عن جابر أنه قال وطعم عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال الذي صلى الله عليه وسلم أنه قال: داكت الشمس » (الحجة الثانية) روى صاحب الكشاف عن الذي صلى الله عليه وسلم أنه قال: وأتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر » . (الحجة الثائة) قال أمل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قبل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة ، وقبل لها إذا أفلت دالكة الآنها في الحالين زائلة . هكذا قاله الأزهرى وقال النهال الدلوك الميل ، يقال مالت الغروب ، اذا عرفت هذا القائم الدلوك الميل ، الميل مالت الغروب ، اذا عرفت هذا القائم الدلوك الميل ، العلى عليه مالت الغروب ، اذا عرفت هذا القائم الدلوك الميل ، افتال مالت المنص الذوال ، ويقال مالت الغروب ، اذا عرفت هذا

فنقول: وجب أن يكون المراد من الدلوك هبنا الزوال عن كبد السباء وذلك لآنه تعالى علق إقامة الصلاة بالدلوك، والدلوك عبارة عن الميل والزوال، فوجب أن يقال إنه أول ماحصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم فلما حصل هذا المعنى حال ميلها من كبد السباء وجب أن يتعلق به وجوب الصلاة وذلك يدل على أن المراد من الدلوك في هذه الآية ميلها عن كبد السباء وهذه حجة قوية في هذا الباب استنبطتها بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة: أن الدلوك عبارة عن الميل والزوال والله أعلم . (الحجة الرابعة) قال الازهرى الاولى حمل الدلوك على الزوال في نصف الهار، والمعنى (أقم الصلاة) أى أدمها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقدير فيدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم قال (وقرآن الفجر) فاذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الحس في هذه الآية، وإن حملناه على الغروب لم يدخل فيه إلا ثلاث صلوات وهي المغرب والعشاء والفجر وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أولى فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال، واحتج الفراء على قوله الدلوك هو الغروب بقول الشاعر:

هذا مقام قدى رباح وقفت حتى دلكت براح وبراح اسم الشمس أى حتى غابت، واحتج ابن فتيبة بقول ذى الرمة: مصابيح ليست باللواتى يقودها نجوم ولا أفلاكهن الدوالك

واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف لأن عندنا الدلوك عبارة عن الميل والتغير وهذا المعنى حاصل فى الغروب فكان الغروب نوعا من أنواع الدلوك فكان وقوع لفظ الدلوك على الغروب لاينافى وقوعه على الزوال كما أن وقوع لفظ الحيوان على الانسان لاينافى وقوعه على الفرس ومنهم من احتج أيضا على صحة هذا القول بأن الدلوك اشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه عند النظر إليها وهذا إنما يصح فى الوقت الذى يمكن النظر إليها ومعلوم أنها عند كونها فى وسط السهاء لايمكن النظر إليها ، أما عند قربها من الغروب فيمكن النظر إليها [و] عند ما ينظر الإنسان إليها فى ذلك الوقت يدلك عينيه ، فثبت أن لفظ الدلوك مختص بالغروب. والجواب أن الحاجة إلى ذلك اليتبين عند كونها فى وسط السهاء أتم فهذا الذى ذكرته بأن يدل على ان الدلوك عبارة عن الزوال من وسط السهاء أولى واقة أعلم

﴿ المسألَة الثالثة ﴾ قال الواحدى: اللام في قوله لدلوك الشمس لام الأجل والسبب وذلك لأن الصلاة إنما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلى اقامتها لأجل دلوك الشمس

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله (إلى غسق الليل) غسق الليل سواده وظلمته قال الكسائى: غسق الليل غسوقا ، والغسق : الاسم ، بفتح السين . وقال النضر بن شميل : غسق الليل دخول أوله ، وأتيته حين غسق الليل ، أى حين يختلط ويسد المناظر ، وأصل هذا الحرف من السيلان يقال : غسقت العين تغسق . وهو هملان العين بالماء ، والغاسق السائل ، ومن همذا يقال لما يسيل من

أهل النار : الغساق، فمعنى غسق الليل أي انصب بظلامه، وذلك أن الظلمة كأنها تنصب على العالم ، وأما قول المفسرين ، قال ابن جريج قلت لعطاء: ما غسق الليل ؟ قال أوله حين يدخل . وسأل نافع بن الازرق ابن عباس ما الغسق: قال دخول الليل بظلمته، وقال الازهرى: غسق الليــل عند غيبوبة الشفق عند تراكم الظلمة واشــتدادها، يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعاً، وغسقت الجراحة إذا امتلأت دماً، قال لأنا لو حملنا الغسق على هــذا المعنى دخلت الصلوات الاربع فيه وهي الظهر والعصروالمغرب والعشاء، ولو حملنا الغسق على ظهور أول الظلمة لم يدخل فيه إلا الظهر والمغرب فوجب أن يكون الأول أولى ، واعلم أنه يتفرع على هذين القولين بحث شريف فان فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أولَّ المغرب وعلى هذا النقدير يكون المذكور فى الآية ثلاثة أوقات وقت الزوال ووقت أول المغرب ووقت الفجر وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتآ للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين وأن يكون أول المغرب وقتا للمغرب، والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركا أيضا بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطاتما إلا أنه دل الدليل على أن الجمع في الحضر من غير عَذر ولا يجوز فوجب أن يكون الجمع جائزًا بعذر السفر وعذر المطر وغيره، أما إن فسرنا الغسق بالظلمة المتراكمة فنقول الظلمة المتراكمة إنما تحصل عنـــد غيبوبة الشفقالابيض وكلمة الى لانتها. الغاية والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية فوجب جواز إقامة الصلوات كلها قبل غيبوبة الشفق الابيض وهذا إبما يصح إذا قلنا إنها تجب عند غيبوبة الشفق الاحمر والله أعلم

﴿ المسألة الحامسة ﴾ قوله وقرآنالفجرأجموا على أن المراد منه صلاة الصبح وانتصابه بالعطف على الصلاة في قوله أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وفيه فوائد (الأولى) أن هذه الآية تدل على ال الصلاة لا تتم إلا بالقراءة (الفائدة الثانية) أنه تعالى أضاف القرآن إلى الفجر والتقدير أقم قرآن الفجر فوجب أن تتعلق القراءة بحصول الفجر وفي أول طلوع الصبح قد حصل الفجر لآن الفجر سمى فجراً لانفجار ظلمة الليل عن نور الصباح وظاهر الأمر للوجوب فقتضى هذا اللفظ وجوب إقامة صلاة الفجر من أول طلوعه إلا أنا أجمنا على أن هذا الوجوب غير حاصل ،فوجب أن يبقى الندب لآن الوجوب عبارة عن رجحان مانع من الترك فاذا منع مانع من الترك وأن يبقى أصل الرجحان حتى تنقل عنالفة الدليل فثبت أن هذه الآية تقتضى أن إقامة الفجر في أول الوقت أفضل وهذا يدل على صحة مذهب الشافعي في أن التغليس أفضل من التنوير والله أعلم (الفائدة الثالثة) أن الفقهاء بينوا أن المنهر الحدي على السنة أن تكون القراءة في هذه الصلاة أطول من القراءة في سائر الصلوات فالمقصود من قوله وقرآن الفجر الحد على أن تطويل القراءة في هذه الصلاة مطلوب لآن التخصيص بالذكر بدل

على كونه أكمل من غيره (الفائدة الرابعة) أنه وصف قرآن الفجر بكونه مشهوداً قال الجمهور معناه أن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الامام تنزل ملائكة الهار عليهم وهم في صلاة الغداة وقبل أن تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكنت ملائكة المهار ثم إن ملائكة الليل إذا صعدت قالت يا رب إنا تركنا عبادك يصلون لك و تقول ملائكة النهار ربنا أتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة ائتهدوا أنى قد غفرت لهم . وأقول هذا أيضاً دليل قوى فى أن التغليس أفضل من التنوير لان الانسان إذا شرع فيها من أول الصبح فني ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة و تكثيرها زالت الظلمة وظهرانضو. وحضرت ملائكة الهار فبهذا الطريق تحضر في هذه الصلاة ملائكة الليل وملائكة النهار أما إذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وفت التنوير فهناك ما بقيت الظلمة فلم يبق فى ذلك الوقت أحد من ملائدكمة الليل فلا يحصل المعنى المدكور فثبت أن قوله تعالى (إنه كان مشهودا) دليل قوى على أن التغليس أفضل وعندى في تفسير قوله تعالى (إنه كان مشهودا) احتمال آخر وذلك لأنه كلماكانت الحوادث الحادثة أعظموا كمل كان الاستدلال بها على كال قدرة الله تعالى أكل فالانسان إذا شرع في أداء صلاة الصبح من أول هذا الوقت كانت الظلمة الفوية باقية في العالم ، فاذا امتدت القراءة في أثنا. هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة إلى الضوء والظلمة مناسبة للموت والعدم ، والضوء مناسب للحياة والوجود . وعلى هذا التقدير فالانسان لما قام من منامه فكائه انتقل من الموت إلى الحياة ومن العدم إلى الوجود ثم إنه مع ذلك يشاهد في أثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة إلى الندو. ومن الموت إلى الحياة ومن السكون إلى الحركة ومن العدم إلى الوجود . وهذه الحالة حالة عجيبة تشهد العقول والارواح بأنه لايقدر على هذا التقليب والتحويل والتبديل إلا الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقوة الغير المتناهية وحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة وبنفتح على العقل والروح أبواب المكاشفات الروحانية الالهية فتصير الصلاة التي هي عبارة عن أعمال الجوارح مشهودا عليهما بهذه المكاشفات الالهية المقدسة ولذلك فكل من له ذوق سليم وطبع مستقيم إذا قام من منامه وأدى صلاة الصبح فى أول الوقت واعتبر اختلاف أحوال العالم من الظلمة الحاصلة إلى النور ومن السكون إلى ألحركة فانه يجد في قلبه روحا وراحة ومزيدًا في نور المعرفة وقوة اليقَين فهذا هو المراد من قوله (إن قرآن الفجركان مشهودا) وظهر أن هذا الاعتبار لا يحصل إلا عند أداء صلاة الفجر على سبيل التغليس فهذا ماخطر بالبال والله أعلم بمراده . وفى الآية احتمال ثالث وهو أن يكون المراد من قوله (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) الترغيب في أن تؤدى هذه الصلاة بالجاعة ويكون المعنى كونه مشهودا بالجماعة الكثيرة ومزيد التحقيق فيه أنابينا أن تأثير هذه الصلاة في تصفية القلب وفي تنويره أكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين في المسجد

لادا. هذه العبادة استنار قلب كل واحد منهم ثم بسبب ذلك الاجتماع كا نه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد إلى قلب الآخر فتصير أرواحهم كالمرايا المشرقة المتقابلة إذا وقعت عليها أنوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرايا إلى الآخرى فكذا في هذه الصورة ولهذا السبب فانكل من له ذوق سليم وأدى هذه الصلاة في هذا الوقت بالجماعة وجد من قلبه فسحة و نورا وراحة (الفائدة الحامسة) قوله (وقرآن الفجر إن قرآن الفجركان مشهودا) يحتمل أن يكون السبب في كونه مشهودا هو أن الإنسان لما نام طول الليل فصار كالغافل فهذه المدة عنمراقبة أحوال الدنيافز التصورة الحوادث الجسمانية عن لوح خياله وفكره وعقله وصارت هذه الآلواح كألواح سطرت فيهانقوش فاسدة ثم غسلت وأزيلت تلك النقوش عنها ففأولوقت القيام منالمنام صارت ألواحعقله وفكره وخيالهمطهرة عنالنقوش الفاسدة الباطلة . فاذا تسارعالانسان في ذلك الوقت إلى عبادة الله تعانى وقراءة الكابات الدالة على تنزيه والاقدام على الافعال الدالة على تعظيم الله تعالى انتقش في لوح عقله وفكره وخياله هذه النقوش الطاهرة المقدسة ، ثم إن حصول هذه النقوش يمنع من استحكام النقوش الفاسدة ، وهي النقوش المتولدة من الميل إلى الدنيا وشهواتها فهذا الطريق يترشح الميل إلى معرفة الله تعالى ومحبته وطاعته ويضعف الميل الى الدنيا وشهواتها. إذا عرفت هذا فنقول هذه الحكمة إنما تحصل إذا شرع الانسان في العسلاة من أول قيامه من النوم عند التغليس. وذلك يدل على المقصود واعلم أن أكثر الحلق وقعوا في أمراض القلوب وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والتكاثروهذه الدنيا مثل دار المرضى إذا كانت علومة من المرضى والانبياء كالاطباء الحاذةين والمربض ربما قد قوى مرضه فلا يعود إلى الصحة إلا بمعالجات قوية وربما كأن المريض جاهلا فلا ينقاد للطبيب ويخالف في أكثر الأمر ، إلا أن الطبيب إذا كان مشفقا حاذمًا فانه يسعى في إزالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه فان لم يقدر على إزالته فانه يسمى في تقليله وتخفيفه . إذا عرفت هذا فنقول : مرضحبالدنيا مستول على الحلق ولاعلاج له إلا بالدعوة إلى معرفة الله تعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس ، وقل من يقبله و ينقاد له . لاجرم [أن] الانبياء اجتهدوا في تقليل هذا المرض وحمل الخلق على الشروع في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم بمــــا ينفع في إزالة هذا المرض من الوجه الذي قررناه فوجب أن يكون مشروعا والله أعلم بأسرار كلامه .

أما قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) فاعلم أنه تعالى لمــا أمر بالصلوات الخس على سبيل الرمز والاشارة أردفه بالحث على صلاة الليل وفيه مباحث:

﴿ البحث الأول ﴾ التهجد عبارة عن صلاة الليل فقوله فتهجد به أى بالقرآن كما قال (قم الليل الا قليلا) الى قوله (ورتل القرآن ترتيلا).

﴿ البحث الثانى ﴾ قال الواحدي الهجود في اللغة النوم وهو معروف كثير في الشعر يقال:

هجدنا فقد طال السرى

أهجدته وهجدته أي أنمته ومنه قول لبيد:

كأنه قال نومنا فان السرى قد طال علينا حتى غلبنا النوم وروى أو عبيد عرب أن عبيدة المحاجد النائم والهاجد المصلى بالليل وروى ثعلب عن ان الاعرابي مثل هذا القول كأنه قال هجد الرجل إذا صلى من الليل وهجد إذا نام بالليل فعند هؤلا. هذا اللفظ من الاضداد وأما الازهرى فانه توسط فى تفسير هذا اللفظ وقال المعروف فى كلام العرب أن الهاجد هوالنائم ثم وأينا أن فى الشرع يقال لمن قام من النوم الى الصلاة إنه متهجد فوجب أن محمل هذا على أنه سمى متهجداً للقائه الهجود عن نفسه وهو الاثم . ويقال فلان رجل متحرج ومتأثم ومتحوب أى يلتى الحرج والاثم والحوب عن نفسه . وأقول فيه احتمال آخر وهو أن الانسان إنما يترك لذة النوم و يتحمل مشقة القيام الى الصلاة ليطيب رقاده وهجوده عند الموت فلماكان غرضه من ترك هذا المجود أن يصل الى الهجود المذيذ عند الموت كان هذا القيام طلباً لذلك الهجود فسمى تهجداً لهذا السبب (وفيه وجه ثالث) وهو ماروى أن الحجاج بن عمرو المازى قال : أيحسب أحدكم إذا قام من الليل فصلى حتى يصبح أنه قد تهجد إنما التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة أحرى بعدرقدة ثم صلاة أخرى بعد رقدة هكذا كانت صلاة رسول الله بالقيل السبب عرفت هذا فلا بعد أنه سمى تهجداً لهذا السبب .

﴿ البحث الثالث ﴾ قوله (من) فى قوله (ومن الليل) لابدله من متعلق والفاء فى قوله (فتهجد) لابد له من معطوف عليه والتقدير قم من الليل أى فى بعض الليل فتهجد به وقوله (به) أى بالقرآن والمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن .

﴿ البحث الرابع ﴾ معنى النافلة فى اللغمة ماكان زيادة على الأصل ذكرناه فى قوله تعالى (يسألونك عن الأنفال) ومعناها أيضاً فى هذه الآية الزيادة وفى تفسير كونها زيادة قولان مبذيان على أن صلاة الليل هلكانت واجبة على النبى يَرَابِيّتُهُ أم لا فن الناس من قال إنها كانت واجبة عليه ثم نسخت فصارت نافلة أي نطوعا وزيادة على الفرائض وذكر مجاهد والسدى فى تفسير كونها (نافلة) وجهاً حسناً قالا إنه تعالى غفر للنبى يَرَابِيّتُهُ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكل طاعة يأتى بها سوى المكنوبة فانه لا يكون تأثيرها فى زيادة الدرجات وكثرة الثواب وكان المقصود من تلك العبادة زيادة الثواب فلهذا سميت نافلة بخلاف الأمة فان الطاعات إنما تكون زوائد ونوافل فى حق النبي عَرَابِيّتُهُ لا فى حق غيره فلهذا السببقال (نافلة لك) يعنى أنها زوائد ونوافل فى حق النبي عَرَابُ وتقريره ماذكرناه . وأما الذين قالوا إن صلاة يعنى أنها زوائد ونوافل فى حقك لا فى حق غيرك وتقريره ماذكرناه . وأما الذين قالوا إن صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا معنى كونها نافلة له على التخصيص أنها فريضة عليك زائدة على الضوات الخسخصصت بها من بين أمتك و يمكن نصرة هذا الةول بأن قوله فتجد عليك والمدة على النبي على النبي عليه وسلم قالوا معنى كونها نافلة له على التخصيص أنها فريضة عليك زائدة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا معنى كونها نافلة له على التخصيص أنها فريضة على كونها نافلة له على التخصيص أنها فريضة عليك زائدة على الدول بأن قوله فتهجد

أمر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجباً فلو حملنا قوله نافلة لك على عدم الوجوب لزم التعارض وهو خلاف الاصل فوجب أن يكون منى كونها نافلة له ما ذكرناه من كون وجوبها زائداً على وجوب الصلوات الخس والله أعلم .

(البحث الحامس) قوله (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن العجر) وإن كان ظاهر الآمر فيه مختصا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه فى المعنى عام فى حق الآمة والدليل عليه أنه قال ومن الليل فتهجد به نافلة لك فبين أن الآمر بالتهجد مخصوص بالرسول وهذا يدل على أن الآمر بالصلاة الحس غير مخصوص بالرسول عليه السلام وإلا لم يكن لتقييد الآمر بالتهجد بهذا القيد فائدة أصلا والله أعلم . ثم قال تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محوداً) اتفق المفسرون على أن كلة عسى من الله واجب قال أهل المعانى لآن لفظة عسى تفيد الاطاع ومن أطمع إنسانا فى شى مم حرمه كان عاراً والله تعالى أكرم من أن يطمع أحداً فى شى مثم لا يعطيه ذلك . وقوله (مقاما محوداً) فيه محثان :

(البحث الأول) في انتصاب قوله محموداً وجهان (الأول) أن يكون انتصابه على الحال من قوله يبعثك محمودا (والثاني) أن يكون نعتاً للقام وهو ظاهر

﴿ البحث الثانى ﴾ في تفسير المقام المحمود أقوال (الأول) أنه الشفاعة قال الواحدي أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال النبي ﷺ في هذه الآية ﴿ هُو المقام الذي أشفع فيه لامتي ﴾ وأقول اللفظ مشعر به وذلك لان الانسان إنما يصير محمودا إذا حمده حامد والحمد إنما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاماً أنعم رسول الله ﷺ فيه على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لايجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليم الشرع لأن ذلك كان حاصلا في الحال وقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) تطميع وتطميع الانسان في الشي. الذي وعده في الحال محال فوجب أن يكون ذلك الانعام الذي لأجله يصير محمودا إنعاما سيصل منه حصل له بعد ذلك إلى الناس وما ذاك إلا شفاعته عند الله فدل هذا علىأن لفظ الآية وهو قرله (عسىأن يبعثك ربك مقاما محمودا) يدل على هذا المعنى وأيضاً التنكير في قوله مقاما محمودا يدل على أنه يحصل للنبي عليه السلام فى ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم أن حمد الانسان علىسعيه في النخليص عن العقاب أعظم من حمده في السعى في زيادة من الثواب لاحاجة به اليها لأن احتياج الانسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الرائدة التي لاحاجة به إلى تحصيلها وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ماهو مذهب أهل السنة و لما ثبت أن الفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعارا قوياً ثم وردت الإخبار الصحيحة فى تقرير هذا المعنى وجب حل اللفظ عليه ومما يؤكدهذا الوجه الدعاء المشهور وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه به الأولون والآخرون

واتفق الناس على أن المراد منه الشفاعة (والقول الثاني) قال حذيفة . يجمع الناس في صعيد فلا تشكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيكوسعديك والشر ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا منبأ ولا منجا منك إلا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت، فهذا هو المراد من قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وأقول القول الاول أولى لان سعيه في الشفاعة يفيده إقدام الناس على حمده فيصير محمودا وأما ذكر هذا الدعاء فلا يفيد إلا الثواب أما الحمد فلا فان قالوا لم لايجوز أن يقال إنه تعالى يحمده على هذا القول قلنا لأن الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز (القول الثالث) المراد مقام تحمد عاقبته وهذا أيضاً ضعيف للوجه الذي ذكرناه فى القول الثانى (القول الرابع) قال الواحدى روى عن ابن مسعود أنه قال ﴿ يَقَعُدُ اللَّهُ محمدا على العرش ﴾ وعن مجاهد أنه قال بجلسه معه على العرش ، ثم قال الواحدى وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكِتاب ينادى بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه (الأول) أن البعث ضد الاجلاس يقال بعثت النازا _ القاعد فانبعث ويقال بعث الله الميت أى أقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير للضد بالضد وهو فاسد(والثاني) أنه تعالى قال مقاما محمودا ولم يقلمقعدا والمقام موضع القيام لاموضع القعو د(والثالث) لوكان تعالى جالساً على العرش بحيث يجلس عنده محمد عليه الصَّلاة والسلام لـكان محدودا متناهياً ومنكان كذلك فهو محدث (والرابع) يقال إن جلوسه مع الله على العرش لبس فيه كثير اعزاز لأن مؤلاء الجهال والحتى يقولون في كل أهل الجنة إنهم يزورون الله تعالى وإنهم بجلسون معه وإنه تعالى يسألهم عن أحوالهم التي كانوا فيها في الدنيا وإذا كانت هذه الحالة حاصلة عندهم لـكل المؤمنين لم يكن لتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بهـا مزيد شرف ورتبة (والخامس) أنه إذا قيل السلطان بعث فلاناً فهم منه أنه أرسله إلى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه أنه أجلسه معنفسه فثبت أن هذا القول كلام رذل ساقط لا يميل اليه إلا إنسان قليل العقل عديم الدين والله أعلم ثم قال تعالى (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) وفيه مباحث :

(البحث الأول) أنا ذكرنا فى تفسير قوله (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) قولين أحدهما المراد منه سعى كفار مكة فى إخراجه منها والثانى المراد منه أن اليهود قالوا له الأولى لك أن تخرج من المدينة إلى الشام ثم إنه تعالى قال له (أقم الصلاة) واشتغل بعبادة الله تعالى ولا تلتفت إلى هؤلاء الجهال فانه تعالى ناصرك ومعينك ثم عاد بعد هذا الكلام الى شرح تلك الواقعة فان فسرنا تلك الآية أن المراد منها أن كفار مكة أرادوا إخراجه من مكة كان معنى هذه الآية أنه تعالى أمره بالهجرة الى المدينة وقال له (وقل رب أدخلنى مدخل صدق _ وهو المدينة _ وأخرجنى عخرج صدق _ وهو مكة)وهذا قول الحسن وقتادة وإن فسرنا تلك الآية بأن المراد منها أن الدرد

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَاهُوَشِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (اللَّهُ

حملوه على الحروج من المدينة والذهاب الى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثم أمره الله تعدل بأن يرجع إليها كان المراد أنه عليه الصلاة والسلام عند العود إلى المدينة قال (رب أدخلى مدخل صدق - وهو المدينة - و أخرجنى خرج صدق) يعنى اخرجنى منها إلى مكة مخرج صدق أى افتحها لى (والقول الثانى) فى تفسير هذه الآية وهو أكل مما سبق أن المراد (وقل رب أدخلى - فى الصلاة - و أخرجنى) منها مع الصدق والاخلاص وحضورذكرك والقيام بلوازم شكرك (والقول الثالث) وهو أكل مما سبق أن المراد (وقل رب أدخلى - فى القيام ممهمات أداء دينك وشريعتك - و أخرجنى) منها بعد الفراغ منها إخراجا لا يبقى على منها تبعة ربقية . (والقول الرابع) وهو أعلى ما سبق (وقل رب أدخلى) فى محار دلائل توحيدك و تنزيهك وقدسك ثم أخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث وقدسك ثم أخرجنى من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث المحدثات إلى الاستغراق فى معرفة الأحد الفرد المنزه عن التكثيرات والنغيرات (والقول الحامس) أدخلنى فى كل ماندخلى فيه مع الصدق فى عبوديتك والاستغراق بمعرفتك وأخرجنى عنه مع الصدق فى العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه أن يكون صدق العبودية حاصلا فى كل دخول وخروج وحركة وسكون (والقول السادس) أدخلى القبر مدخل صدق وأخرجنى منه مخرج صدق

(البحث الثانى) مدخل بضم الميم مصدر كالادخال يقال أدخلته مدخلاكما قال (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) ومعنى إضافة المدخل والمخرج الىالصدق مدحهماكا به سأل الله تعالى إدخالا حسناً وإخراجا حسناً لايرى فيهما مايكره ثم قال تعالى (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) أى حجة بينة ظاهرة تنصرنى بها على جميع من خالفنى ، وبالجلة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه النقوية على من خالفه بالحجة وبالقهر والقدرة وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه بأنه يعصمه من الناس فقال (والله يعصمك من الناس) وقال (ألا إن حزب الله هم المفلحون) وقال (ليظهره على الدين كله) ولما سأل الله النصرة بين الله له أنه أجاب دعاءه فقال (وقل جاء الحق و وهو الدين والشرائع ، وزهق بطل واضمحل ، وأصله من زهقت نفسه تزهق أى هلكت ، وعن ابن مسعود و أنه دخل مكه يوم واضمحل ، وأصله من زهقت نفسه تزهق أى هلكت ، وعن ابن مسعود و أنه دخل مكه يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول جاء الحق وزهق الباطل في المنتخب على وجه » وقوله (إن الباطل كان زهوقا) يمنى أن الباطل وإن اتفقت له خولة وصولة إلاأنها لاتبقى بل تزول على أسرع الوحوه والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَنَعْزُلُ مِنَ القَرَآنُ مَا هُو شَفَاءً وَرَحَةً لَلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُزَيِّدُ الظَّالَمِينَ إِلَا

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَعَا بِجَانِيهِ عَ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَعُوسًا

اللهُ عُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَا كِلَتِهِ عَ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَأَهْدَى سَبِيلًا ﴿ اللهُ عَلَى

حساراً . وإذا أنعمنا على الانسان أعرض و نآى بجانبه وإذا مسه الشركان يؤوسا . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ﴾

إعلم أنه تعالى لما أطنب في شرح الالهيات والنبوات والحشر والمعاد والبعث وإثبات القضاء والقدر ثم أتبعه بالأمر بالصلاة ونبه على مافيها من الأسرار ، وإنما ذكر كل ذلك في القرآن أتبعه ببيان كون القرآن شفاء ورحمة فقال (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة) ولفظة من هاهنا ليست للتبعيض بل هي للجنس كقوله (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ماهو شفاء. فجميع القرآن شفا. للمؤمنين، واعلم أن القرآن شفا. من الأمراض الروحانية ، وشفا. أيضا من الآمراض الجسمانية ، أما كونه شفا. مُن الأمراض الروحانية فظاهر ، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطـلة والآخلاق المذمومة ، أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فساداً الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هـذه المطالب، وإبطال المداهب الباطلة فيها، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة لاجرم كان القرآن شفا. من هذا النوع من المرض الروحاني . وأما الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف مافيها من المفاسد والارشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والاعمال المحمودة فكان القرآن شفا. من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفا. من جميع الأمراض الروحانية ، وأماكونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من الأمراض. ولما اعترف الجمهور من الفلاسفه وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التي لايفهم منها شيء آثاراً عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد ، فلأن تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر حلال الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سبرًا لحصول النفع في الدين والدنيا كان أولى ويتأكد ما ذكرنا بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من لم يستشف بالقرآن فلاشفاه الله تعالى ، وأما كونه رحمة للمؤمنين فأعلم أنا بينا أن الارواح البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والاخلاق الفاسدة والقرآن قسمان بعضهما يفيد الحُلاص عن شبهات الصالين وتمويهات المبطلين وهو الشفاء. وبعضهما يفيد تعليم كيفة اكتساب العلوم العالمية، والآخلاق الفاصلة التي بها يصل الانسان الى جوار رب العالمين، والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين وهو الرحمة، ولما كان إزالة المرض مقدمة على السعى في تحكيل موجبات الصحة لاجرم بدأ الله تعالى في هذه الآية بذكر الشفاء ثم أتبعه بذكر الرحمة، واعلم أنه تعالى لما بين كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بين كونه سببا للخسار والضلال في حصداً وهذه الآخلاق المنسركون وإنما كان كذلك لآن سماع القرآن يزيدهم غيظا وغضباً وحقدا وحسداً وهذه الآخلاق الذميمة تدعوهم الى الاعمال الباطلة وتزيد في تقوية تلك الإخلاق الفاسدة والإتيان بتلك في جواهر نفوسهم ثم لايزال الحلق الحبيث النفساني يحمل على الاعمال الفاسدة والإتيان بتلك في درجات الحزى والصلال والفساد والنكال ثم إنه تعالى ذكر السبب الأصلى في وقوع هؤلاء الجاهلين الصالين في أودية الصلال ومقامات الحزى والنكال وهو حب الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم أن ذلك إنما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونآى بحانبه) وفيه مباحث:

﴿ الأول ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن الانسان هاهنا هو الوليد بن المغيرة وهذا بعيد ، بل المراد أن نوع الانسان من شأنه أنه إذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر وصار غافلا عن عبودية الله تعالى متمردا عن طاعة الله كما قال (إن الانسان ليطنى أن رآه استغنى)

(البحث الثانى) قوله أعرض أى ولى ظهره أى عرضه إلى ناحية و نآى بجانيه أى تباعد ومعنى النأى فى اللغة البعد والاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك عادة المتكبرين وفى قوله نأى قراءات (إحداها) وهى قراءة العامة بفتح النون والهمزة وفى حم السجدة مثله وهى اللغة الغالبة والنأى البعد يقال نأى أى بعد (و ثانيها) قراءة ابن عامر ناء وله وجهان تقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويحوز أن يكون من نأى بمعنى نهض (وثالثها) قراءة حزة والكسائى بامالة الفتحتين وذلك لأنهم أمالوا الهمزة من نأى ثم كسروا النون إنباعا للكسرة مثل رأى (ورابعها) قرأ أبو عمرو وعاصم فى وراية أبى بكر ونصير عن الكسائى وحزة نأى بفتح النون وكسر الهمزة على الأصل فى فتح النون وإمالة الهمزة . ثم قال تعالى : (وإذا مسه الشركان يؤوسا) أى إذا مسه فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤوساً شديد اليأس من رحمة الله (ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) والحاصل أنه إن فاز بالنعمة والدولة اغتر بها فنسى ذكر الله ، وإن بتى فى الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى فهذا المسكين محروم أبداً عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى فهذا المسكين محروم أبداً عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى فهذا المسكين عمروم أبداً عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى فهذا المسكين عروم أبداً عن ذكر الله ونطيره قوله تعالى (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول دبى أكرمن)

وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا



إلى قوله (ربى أهانن) وكذلك قوله (إلإن انسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الحنير منوعًا) ثم قال تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) قال الزجاج الشاكلة الطريقة والمذهب. والدليل عليه أنه يقال هذا طريق ذو شواكل أي يتشعب منه طرق كثيرة ثم الذي يقوى عندي أن المراد من الآية ذلك قوله تعالى (فربكم أعلم بمن هوأهدى سبيلا) وفيه وجه آخروهو أن المراد أركلأحد يفعلعلى وفق ما شاكل جوهر نفسه ومقتضىروحه فانكانت نفسه نفسأ مشرقة خيرة طاهرة علوية صدرت عنه أفعال فاصلة كريمة وإنكانت نفسه نفساً كدرة نذلة حبيثة مضلة ظلمانية صدرت عنه أفعال خسيسة فاسدة ، وأقول : العقلاء اختلفوا في أن النفوس الناطقة البشرية هلهي مختلفة بالماهية أم لا؟ منهم من قال إنها مختلفة بالمماهية وإن اختلاف أفعالها وأحوالهما لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ، ومنهم من قال إنها متساوية في المــاهية واختلاف أفعالها لاجل اختلاف أمزجتها . والمختارعندي هو القسم الأول والقرآن مشعر بذلك ، وذلك لأنه تعالى بين في الآية المتقدمة أن القرآن بالنسبة إلى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة إلى أقوام آخرين يفيد الحسار والخزى ثم أتبعه بقوله (قلكل يعمل على شاكلته) ومعناه أن اللاثق بتلك النفو سالطاهرة أن يظهر فيها من القرآن آثار الذكاء والكمال ، وبتلك النفوسالكدرة أن يظهر فها منالقرآن آثار الخزى والضلال كما أن الشمس تعقد الملح و تلين الدهن و تبيض ثو بالقصار و تسود وجهه . وهذا الكلام إنما يتم المقصود منه إذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهياتهما فبعضها مشرقة صافية بظهر فها من القرآن نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية يظهر فيها من القرآن ضلال على ضلال

قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أو تيتم من العلم إلا قليلا ﴾ إعلم أنه تعالى لما ختم الآية المتقدمة بقوله (كل يعمل على شاكلته) وذكرنا أن المراد منه مشاكلة الارواح للأفعال الصادرة عنها وجب البحث هاهنا عن ماهية الروح وحقيقته فلذلك سألوا عن الروح وفي الآية مسائل:

﴿ المَسَالَةُ الأُولَى ﴾ للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال أظهرها أن المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة ، روى أن اليهود قالوا لقريش اسألوا محمداً عن ثلاث فان أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي : اسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاثة فقال عليه السلام غداً أخبركمولم يقل إن شاه

الله فانقطع عنه الوحى أربعين يوماً ثم نزل الوحى بعده (ولا تقولنِ لشي. إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء آلة) ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وأبهم قصة الروح ونزل فيه قوله تعالى (ويسألونك عزالروح قل الروح منأمر ربى) وبين أن عقول الحلقة ﴿ مَ عَنْ مَعْرَفَةُ حقيقة الروح فقال (وما أو تيتم من العلم إلا قليلا) ومن الناس من طعن في هذه الرواية مر وجوه (أولها) أن الروح ليس أعظم شأناً ولا أعلى مكاناً منالله تعالى فاذاكانتمعرقة الله تعالى مكنة بلحاصلة فأىمانع يمنع من معرفة الروح (وثانيها) أن اليهود قالوا إن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي وهذا كلام بعيد عن العقــل لأن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ليست إلا حكاية من الحكايات وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلا على النبوة وأيضا فالحكاية التي يذكرها إما أن تعتبر قبل العلم بنبوته أو بعد العلم بنبوته فان كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وإنكان بعد العلم بنبوته فحيفئذ صارت نبوته معلومة قبل ذلك فلا فائدة فى ذكر هذه الحكاية . وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يبعد جعله دليلا على صحة التيوة (وثالثها) أن مسألة الروح يعرفها أصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين قلو قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن لا أعرفها لاورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير فان الجهل بمثل هذه المسألة يفيد تحقير أي انسان كان فكيف الرسول الذي هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء (ورابعها) أنه تعالى قال فىحقه (الرحمن علم القرآن) (وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) وقال (وقل رب زدنى علما) وقال في صفة القرآن (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ، وكان عليه السلام يقول ﴿ أَرْنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِي ﴾ فمن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به أن يقول أنا لا أعرف هذه المسألة مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق بل المختارعندنا أنهم سألوه عن الروح وأنه صلى الله عليه وسلم أجاب عنه على أحسن الوجوه و تقريره أن المذكور في الآية أنهم سألوه عَن الروح والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة (أحدها) أن يقال ماهية الروح أهو متحيز أو حال في المتحيز أو موجود غير متحيز ولاحال فيالتحيز (و ثانيها) أن يقال الروح قديمة أو حادثة (وثالثها) أن يقال الارواح هل تبقى بعد موت الإجسام أوْ تفنى (ورابعها) أن يقال ماحقيقة سعادة الارواح وشقاوتها وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة ، وقوله (يسألو نك عن الروح) ليس فيه ما يدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها إلا أنه تعالى ذكرله في الجواب عن هذا السؤال قوله (قل الروح من أمر ربي) وهذا الجواب لا يليق إلا بمسألتين من المسائل التي ذكر ناها إحداهما السؤال عنماهية الروحوالثانية عن قدمها وحدوثها. ﴿ أَمَا البَحْثُ الْأُولُ ﴾ فهم قالوا ماحقيقة الروح وماهيته ؟ أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخُل هـذا البدن متولَّدة من امتزاج الطبائع والآخلاط ، أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الاجسام ، أوهو عبارة عن موجود يغاير هذه إ الاجسام والاعراض؟ فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الاجسام ولهذه الاعراض وذلك لأن هذه الاجسام أشيا. تحدث من امتزاج الاخلاط والعناصر ، وأما الروح فانه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله (كن فيكون) فقالوا لم كان شيئاً مغايراً لهذه الاجسام ولهذه الاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد ولايلزم منعدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه فان أكثر حفائق الآشياء وماهياتها مجهولة .فانا نعلم أن السكنجبين له خاصية تقتضي قطع الصفرا. فأما إذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فذاك غير معلوم فثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذلك هاهنا وهذا هو المراد من قوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . ﴿ وَأَمَا الْمُبْحِثُ الثَّانِي ﴾ فهو أن لفظ الآمر قد جا. بمعنى الفعل قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْ فَرَعُونَ برشید) وقال (فلما جاء أمرنا) أى فعلنا فقوله (قل الروح من أمر ربى) أى من فعل ربى وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة فقال بل هي حادثة وإنما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده ثم احتج على حدوث الروح بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) يعني أن الارواح في مبدأ الفطرة تبكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف فهي لاتزال تكون في التغيير من حال إلى حال وفي التبديل من نقصان الي كمال والتغيير والتبديل من أمارات الحدوث فقوله (قل الروح من أمر ربى) يدل على أنهم سألوه أن الروح هل هي حادثة فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو المرادمن قوله (قل الروح من أمر ربى) ثم استدل على حدوث الأرواح بتغيرها من حال إلى حال وهو المراد من قوله (وما

و المسألة الثانية ﴾ في ذكر سائر الأقوال المقولة في نفس الروح المذكورة في هذه الآية . إعلم أن الناس ذكروا أقوالا أخرى سوى ما تقدم ذكره (فالقول الأول) أن المراد من هذا الروح هو القرآن قالوا وذلك لأن الله تعالى سمى القرآن في كثير من الآيات روحا واللائق بالروح المسئول عنه في هذا الموضع ليس إلا القرآن فلا بد من تقرير مقامين (المقام الأول) تسمية الله القرآن بالروح بدل عليه قوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وقوله (ينزل الملائمكة بالروح من أمره) وأيضا السبب في تسمية القرآن بالروح أن بالقرآن تحصل حياة الأرواح والعقول لأن به تحصل معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته ومعرفة كتبه ورسله والأرواح إنما تحيا بهذه المعارف وتمام تقرير هذا الموضع ذكرناه في تفسير قوله (ينزل والأرواح إنما تحيا بهذه المعارف وتمام تقرير هذا الموضع ذكرناه في تفسير قوله (ينزل من القرآن ماهو شفا. و رحمة للمؤمنين) والذي تأخر عنه القرآن لأنه تقدمه قوله (وننزل من القرآن ماهو شفا. و رحمة للمؤمنين) والذي تأخر عنه قوله (وائن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) إلى قوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على قوله (وائن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) إلى قوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على

أُوتيتم مر العلم إلا قليلا) فهذا مانقوله في هذا الباب والله أعلم .

أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) فلما كان ما قبل هذه الآية في وصف القِرآن وما بعدها كذلك وجب أيضا أن يكون المراد من هذا الروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسقة وذلك لأن القوم استعظموا أمر القرآن فسألوا أنه من جنسَ الشعر أو من جنس الكهانة فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وإنما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه و تنزيله فقال (قل الروح من أمر ربى) أى القرآن ظهر بأمر ربى وليس من جنس كلام البشر (القول الثانى) أن الروح المستول عنه فى هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو أعظمهم قدراً وقوة وهو المراد من قولة تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) ونقلوا عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال هو ملك له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك · اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة قالوا ولم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش ولو شاً. أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل ، ولقائل أن يقول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه (الأول) أن هذا التفصيل لمـا عرفه على ، فالنبي أولى أن يكون قد عرفه فلم لم يخبرهم به ، وأيضا أن عليا ما كان ينزل عليه الوحى، فهذا التفصيل ماعرفه الا من الني صلى الله عليه وسلم فلم ذكر الني صلى الله عليه وسلم ذلك الشرح والبيان لعلى ولم يذكره لغيره (الثانى) أن ذلك الملك إنكان حيوانا واحدا وعاقلا واحداً لم يكن فى تكثير تلك اللغات فائدة وإن كان المتكلم بكل واحدة من تلك اللغات حيوانا آخر لم يكن ذلك ملكا واحدا بل يكون ذلك مجموع ملاتكة (والثالث) أن هذا شي. مجهـول الوجود فكيف يسأل عنه ، أما الروح الذي هو سبب الحياة فهو شي. تتوفر دواعي العقلاء على معرفته فصرف هذا السؤال اليه أولى (والقول الرابع) وهوقول الحسن وقتادة أن هذا الروح جبريل والدليـل عليه أنه تعـالى سمى جبريل بالروح فى قوله (نزل به الروح الامين على قلبك) وفى قوله (فأرسلنا البهـا روحنا) ويؤكد هذا أنه تعالى قال (قل الروح من أمر ربى ﴾ [في جبريل] وقال [حكاية عن] جبريل (وما نتنزل إلا بأمر ربك) فسألوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي اليه (والقول الخامس) قال مجاهد الروح خلق ليسوا من الملائكة على صورة بني آدم يأكلون ولهم أيد وأرجل ورؤوس وقال أبو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس ولم أجد في القرآن ولا في الاخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول وأيضا فهـذا شي. مجهول فيبعد صرف هذا السؤال اليه فحـاصل ماذكرناه في تفسير الروح المذكور في هذه الآية هذه الأقوال الخسة والله أعلم بالصواب.

﴿ الْمُسَالَةُ الثَّالِثَةَ ﴾ في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان ، إعلم أن العلم الضروري حاصل بأن هاهنا شيئاً اليه يشير الانسان بقوله أنا وإذا قال الانسان علمت وفهمت وأبصرت

وسمعت وذقت وشممت ولمست وغضبت فالمشار اليـه لكل أحد بقوله أنا إما أن يكون جسما أوعرضا أو مجموع الجسم والعرض أو شيئا مغايراً للجسم والعرض أو من ذلك الشي. الثالث فهذا ضبط معقول (أمَّا القسم الأول) وهو أن يقال إن الانسان جسم فذلك الجسم إما أن يكون هو هذه البنية أو جسما داخلا في هذه البنية أو جسما خارجا عنها ، أما القائلون بأن الإنسان عبارة عن هذه البنية المحسوسة وعن هذا الجسم المحسوس فهم جمهور المتكلمين وهؤلاء يقولون الانسان لايحتاج تعريفه إلى ذكر حد أو رسم بل الواجب أن يقال الانسان هو الجسم المبنى بهذه البنية المحسوسة واعلم أن هذا القول عندنا باطل وتقريره أنهم قالوا الانسان هو هذا الجسم المحسوس، فاذا أبطلنا كون الانسان عبارة عن هذا الجسم وأبطلنا كون الانسان محسوساً فقد بطل كلامهم بالكلية والذي يعل على أنه لا يمكن أن يكون الانسان عبارة [عن] هذا الجسم وجوه (الحجة الأولى) أن العلم البديمي حاصل بأن أجزاء هذه الجنة متبدلة بالزيادة والنقصان تارة بحسب النمو والذبول وتارة بحسب السمن والهزال والعملم الضرورى حاصل بأن المتبدل المتغير مغاير الثابث الباقى ويحصل من بحموع هذه المقدمات الثلاثة العلم القطعي بأن الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجئة (الحجة الثانية) أن الانسان حال ما يكون مشتغل الفكر متوجه الهمة نحو أمر معين مخصوص فانه في تلك الحالة يكون غافلًا عن جميع أجزا. بدنه وعن أعضائه وأبعاضه بحموعها ومفصلها وهو فى تلك الحالة غير غافل عن نفسه المعينة بدليــل أنه في تلك الحالة قد يقول غضبت واشتهيت وسمعتكلامك وأبصرت وجهك ، و تاء الضمير كناية عن نفسه فهو في تلك الحالة عالم بنفسه المخصوصة وغافل عن جملة بدنه وعن كل واحد من أعضائه وأبعاضه و [يكون] المعلوم غيرمعلوم فالانسان يجب أن يكون مغابراً لجملة هذا البدن ولكل واحدمن أعضائه وأبعاضه (الحجة الثالثة) أن كل أحد يحكم عقله باضافة كل واحد من هذه الاعضاء إلى نفسه فيقول رأسي وعيى ويدى ورجلي ولساني وقلى والمضاف غير المضاف اليه فوجب أن يكون الشي. الذي هو الانسان مغايراً لجملة هذا البدن و لـكل و احد من هذهُ الاعضا. فان قالوا قد يقول نفسي وذاتي فيضيف النفس والذات الى نفسه فيلزم أن يكون الشيء وذاته مغايرة لنفسه وهو محال قلنا قد يراد به هذا البـــدن المخصوص وقديراد بنفس الشيء وذاته الحقيقة المخصوصة انتي يشير اليهاكل أحد بقوله أنا فاذا قال نفسي وذاتي فان كان المراد البدن فعندنا أنه مغاير لجوهر الانسان ، أما إذا أريد بالنفس والذات المخصوصة المشار اليها بقوله أنا فلا نسلم أن الانسان يمكنه أن يضيف ذلك الشي. الى نفسه بقوله إنساني وذلك لأن عين الإنسان ذاته فكيف يضيفه مرة أخرى إلى ذاته (الحجة الرابعة) أن كل دليل على أن الأنسان يمتنع أن يكون جسما فهو أيضا يدل على أنه يمتنع أن يكون عبارة عن هذا الجسم وسيأتى تقرير تلُّك الدلائل (الحجمة الخامسة) أن الانسمان قد يكون حياً حال ما يكون البدن ميناً فوجب كون

الانسان مغايراً لهذا البدن والدليل على صحة ماذكرناه قوله تعمالى (ولا تحسبن الذين قنلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) فهذا النص صريح فى أن أولئك المقتولين أحياً. والحس يدل على أن هذا الجسد ميت .

(الحجة السادسة) أن قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) وقوله (أغرقوا فأدخلوا ناراً) يدل على أن الانسان يحيا بعد الموت وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « أنبياء الله لايمو تون ولكن ينقلون من دار إلى دار » وكذلك قوله عليه السلام « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « من مات فقد قامت قيامته » كل هذه النصوص تدل على أن الانسان يبق بعد موت الجسد، وبديمة العقل والفطرة شاهدان بأن هذا الجسد ميت. ولو جوزنا كونه حياً جاز مثله في جميع الجمادات ، وذلك عين السفسطة . وإذا ثبت أن الانسان شيء فير هدا الجسد .

(الحجة السابعة) قوله عليه السلام فى خطبة طويلة له «حتى إذا حل الميت على نعشه رفرف دوحه فوق النعش، ويقول يا أهلى وياولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى، جمعت المال من حله وغير حله فالغنى لغيرى والتبعة على فاحذروا مثل ماحل بى » وجه الاستدلال أن النبي بياني صرح بأن حال ما يكون الجسد محولا على النعش بنى هناك شى. ينادى ويقول يا أهلى وياولدى جمعت المال من حله وغير حله ومعلوم أن الذى كان الاهل أهلا له وكان جامعاً للمال من الحرام والحلال والذى بنى فى رقبته الوبال ليس إلا ذلك الانسان فهذا تصريح بأن فى الوقت الذى كان فيه الجسد ميتاً محولا كان ذلك الانسان حياً باقياً فاهما وذلك تصريح بأن الانسان شيء مغاير لهذا الجسد ولهذا الهيكل.

(الحجة الثامنة) قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) والخطاب بقوله ارجمى إنما هو متوجه عليها حال الموت فدل هذا على أن الشيء الذي يرجع إلى الله بعد موت الجسد يكون حياً راضياً عن الله ويكون راضياً عنه الله والذي يكون راضياً ليس إلا الانسان فهذا يدل على أن الانسان بقي حياً بعد موت الجسد والحي غير الميت فالانسان مغاير لهذا الجسد.

﴿ الحجة التاسعة ﴾ قوله تعالى (حتى إذا جاء أحدكم الموت توقته رسلنا وهم لايفرطون. ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) أثبت كونهم مردودين الى الله الذى هو مولاهم حال كون الجسد ميتاً فوجب أن يكون ذلك المردود الى الله مغايراً لذلك الجسد الميت.

(الحجة العاشرة) نرى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدفون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون إلى زياراتهم، ولولا أنهم بعد موت الجسد بقوا

أحياء لكان التصدق عنهم عبثاً ، والدعاء لهم عبثاً ، ولكان الذهاب الى زيارتهم عبثاً ، فالاطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرتهم الاصلية السليمة شاهدة بأن الانسان شيء غير هذا الجسد وأن ذلك الشيء لا يموت ، بل [الذي] يموت هذا الجسد .

(الحجة الحادية عشرة) أن كثيراً من الناس يرى أباه أو ابنه بعد موته فى المنام ويقول له إذهب الى الموضع الفلانى فان فيه ذهباً دفنته لك وقد يراه فيوصيه بقضاء دين عنه ثم عند اليقظة إذا فتشكان كما رآه فى النوم من غير تفاوت ، ولو لا أن الانسان يبتى بعد الموت لماكان كذلك ، ولما دل هذا الدليل على أن الانسان يبتى بعد الموت ودل الحس على أن الجسد ميت كذلك ، ولما دله هذا الجسد الميت .

(الحجة الثانية عشرة) أن الانسان اذا ضاع عضو من أعضائه مشل أن تقطع يداه أو رجلاه أو تقلع عيناه أو تقطع أذناه الى غيرها من الاعضاء فان ذلك الانسان يجد من قلبه وعقله أنه هو عين ذلك الانسان ولم يقع فى عين ذلك الانسان تفاوت حتى أنه يقول أنا ذلك الانسان الذى كنت موجوداً قبل ذلك إلا أنه يقول إنهم قطعوا يدى ورجلى ، وذلك برهان يقيى على أن ذلك الانسان شى. مغاير لهذه الاعضاء والابعاض وذلك يبطل قول من يقول الانسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة.

(الحجة الثالثة عشرة) أن القرآن والأحاديث يدلان على أن جماعة من اليهود قد مسخهم الله وجعلهم فى صورة القردة والخنازير فنقول: إن ذلك الانسان هل بتى حال ذلك المسخ أو لم يبق ؟ فان لم يبق كان هذا إماتة لذلك الانسان وخلقا لذلك الحنزير وليس هذا من المسخ فى شى. وإن قلنا إن ذلك الانسان بتى حال حصول ذلك المسخ فنقول على ذلك التقدير : ذلك الانسان بلق وتلك البنية وذلك الهيكل غير باق ، فوجب أن يكون ذلك الانسان شيئاً مغايراً لتلك البنية .

(الحجة الرابعة عشرة) أن رسول الله بين كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى وكان يرى إبليس فى صورة الشيخ النجدى فهاهنا بنية الانسان وهيكله وشكله حاصل مع أن حقيقة الانسان غير حاصلة وهذا يدل على أن الانسان ليس عبارة عن هذه البنية، وهذا الهيكل. والفرق بين هذه الحجة والتي قبلها أنه حصلت صورة هذه البنية مع عدم هذه البنية وهذا الهيكل.

(الحجة الخامسة عشرة) أن الزانى يزنى بفرجه فيضرب على ظهره فوجب أن يكون الانسان شيئاً آخر سوى الفرج وسوى الظهر ، وبقال إن ذلك الشيء يستعمل الفرج في عمل والظهر في عمل آخر ، فيكون المتلذذ والمتألم هو ذلك الشيء إلا أنه تحصل تلك اللذة بواسطة ذلك الغضو ويتألم بواسطة الضرب على هذا العضو .

﴿ الحجة السادسة عشرة ﴾ أن إذا تكلمت مع زيد وقلت له افعل كذا أو لاتفعل كذا

فالمخاطب بهذا الخطاب والمأمور والمنهى ليس هو جبهة زيد ولا حدقته ولا أنفه ولا فه ولا شيئاً من أعضائه بعينه ، فوجب أن يكون المأمور والمنهى والمخاطب شيئا مغايراً لهده الاعضاء ، وذلك يدل على أن ذلك المأمور والمنهى غير هذا الجسد فان قالوا لم لايجوز أن يقال المأمور والمنهى جلة هذا البدن لاشىء من أعضائه وأبعاضه ؟ قلنا بوجه التكليف على الجلة إنما يصح لوكانت الجلة فاهمة عالمة فنقول لوكانت الجلة فاهمة عالمة فاما أن يقوم بمجموع البدن علم وإحد أو يقوم بكل واحد من أجزاء البدن علم على حدة ، والأول يقتضى قيام العرض بالمحال الكثيرة وهو محال ، والثانى يقتضى أن يكون كل واحد من أجزاء البدن عالما فاهما مدركا على سبيل الاستقلال ، وقد بينا أن السلم الضرورى حاصل بأن الجزء المعين من البدن ليس عالما فاهما مدركا بالاستقلال فسقط هذا السؤال .

(الحجة السابعة عشرة) أن الانسان يجب أن يكون عالما ، والعلم لايحصل إلا في القلب فيلزم أن يكون الانسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب وإذا ثبت هذا بطن القول بأن الإنسان عبارة عن هذا الهيكل ، وهذه الجئة إنما قلنا إن الانسان يجب أن يكون عالما لأنه فاعل محتار ، والفاعل المختار هو الذي يفعل بواسطة القلب والاختيار وهما مشروطان بالعلم لأن مالا يكون مقصودا امتنع القصد الى تكوينه فئبت أن الانسان يجب أن يكون عالماً بالاشياء وإيما قلنا إن العلم لا يوجد إلا في القلب للبرهان والقرآن ، أما البرهان فلأنا نجد العلم الضروري بأنا نجد علومنا من ناحية القلب ، وأما القرآن فآيات نحو قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) وقوله (كتب في قلوب لا يفقهون بها) ووقوله (كتب في قلوب الا يمان) وقوله (نزل به الروح الآمين على قلبك) وإذا ثبت أن الانسان عيب أن يكون عالماً ، وثبت أن العلم ليس إلا في القلب ثبت أن الانسان شي في القلب أو شيء له تعلق بالقلب وعلى التقديرين فانه يبطل قول من يقول الانسان هو هذا الجسد وهذا الهيكل .

﴿ وأما البحث الثانى ﴾ وهو بيان أن الانسان غير محسوس وهو أن حقيقة الإنسان شيء مناير السطح واللون وكل ماهو مرتى فهو إما السطح وإما اللون وهما مقدمتان قطعيتان وينتج هذا القياس أن حقيقة الانسان غير مرثية ولا محسوسة وهذا برهان يقيني .

و المسألة الرابعة كه فى شرح مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود فى داخل البدن اعلم أن الآجسام الموجودة فى هذا العالم السفلى إما أن تكون أحد العناصر الآربعة أو ما يكون متولداً من امتزاجها ، ويمننع أن يحصل فى البدن الانسانى جسم عنصرى خالص بل لا بد وأن يكون الحاصل جسها متولداً من امتزاجات هذه الآربعة فنقول: أما الجسم الذى تغلب عليه الارضية فهو الاعضاء الصلبة الكثيفة كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولم يقل أحد من العقلاء الذين قالوا: الانسان شى، مغاير لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضو معين من هذه الاعضاء وذلك لان هذه الاعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانية فلا جرم لم يقل أحد من العقلاء بأن الانسان عبارة عن أحد هذه الاعضاء ، وأما الجسم الذى تغلب عليه المائية فهو من العقلاء بأن الانسان عبارة عن أحد هذه الاعضاء ، وأما الجسم الذى تغلب عليه المائية فهو

الاخلاط الاربعة ولم يقلأحد في شيء منها إنه الانسان إلا في الدم فان منهم من قال إنه هوالروح بدليل أنه إذا خرج لزم الموت ، أما الجسم الذي تغلب عليه الهوائية والنارية فهو الارواح وهي نوعان (أحدهما) أجسام هوائية محلوطة بالحرارة الغريزية متولدة إما في القلب أو في الدماغ وقالوا إنها هي الروح وإنها هي الانسان ثم اختلفوا فنهم من يقول الانسان هو الروح الذي في القلب، ومنهم من يقول إنه جزء لا يتجزأ في الدماغ، ومنهم من يقول الروح عبارة عن أجزاء نارية مختلطة بهذه الارواح القلبية والعماغية وتلك الاجزاء النارية وهي المسهاة بالحرارة الغريزية وهي الانسان، ومن الناس من يقول الروح عبارة عن أجسام نورانية سماوية لطيفة، والجوهر على طبيعة ضوء الشمس وهي لاتقبل التحلُّل والتبدل ولا التفرق ولا التمزق فاذا تكون البدن وتم استعداده وهو المراد بقوله (فاذا سويته) نفذت تلك الاجسام الشريفة السماوية الالهية في داخل أعضاء البدن نفاذ النار في الفحم ونفاذ دهن السمسم في السمسم ، ونفاذ ماء الورد في جسم الورد، ونفاذ تلك الاجسام السهاوية في جوهرالبدن هو المراد بقوله (ونفخت فيه من روحي) مم إن البدن مادام يبقى سليما قابلا لنفاذ تلك الاجسام الشريفة بتى حياً ، فاذا تولدت في البدن أخلاط غليظة منعت تلك الاحلاط الغياظة من سريان تلك الاجسام الشريفة فيها فانفصلت عن هذا البدن فحينتذ يعرض الموت ، فهذا مذهب قوى شريف يجب التأمل فيه فانه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الالهية من أحوال الحياة والموت ، فهذا تفصيل مذاهب القاتلين بأن الانسان جسم موجود في داخل البدن، وأما أن الانسان جسم موجود خارج البدن فلا أعرف أحمله ذهب الى هذا القول (أما القسم الثاني) وهو أن يقال الانسان عرض حال في البدن، فهذا لا يقول به عاقل لأن من المعلوم بالضرورة أن الانسان جوهر لأنه موصوف بالعلم والقدرة والتدبر والتصرف، ومن كان كذلك كان جوهراً والجوهر لا يكون عرضاً بل الذي يمكن أن يقول به كل عاقل هو أن الانسان يشترط أن يكون موصوفا بأعراض مخصوصة ، وعلى هذا التقدير فللناس فيه أقوال (القول الأول) أن العناصر الأربعة إذا امتزجت وانكسرت سورة كل واحدمنها بسورة الآخر حصلت كيفية معتدلة هي المزاج ؛ ومراتب هذا المزاج غير متناهية فبعضها هي الانسانية وبعضها هي الفرسية ، فالانسانية عبارة عن أجسام موصوفة متولدة عرب امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص ، هذا قول جهور الاطباء ومنكرى بقاء النفس وقول أبى الحسين البصرى من المعتزلة (والقول الثاني) أن الانسان عبارة عن أجسام مخصوصة بشرط كونها موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة والحياة عرض قائم بالجسم وهؤلا. أنكروا الروح والنفس وقالوا ليس هاهنا إلا أجسام مؤتلفة موصوفة بهذه الاعراض المخصوصة وهي الحياة والعلم والقدرة ، وهذا مذهب أكثر شيوخ المعتزلة (والقول الثالث) أن الإنسان عبارة عن أجسام موصوفة بالحياة والعلم والقدرة والإنسان إيما يمتازعن سائر الحيوانات بشكل جسده

وهيئة أعضائه وأجزائه إلا أن هذا مشكل فان الملائكة قد يتشبهون بصور الناس فهاهنا صورة الإنسان حاصلة مع عدم الإنسانية وفي صورة المسخ معنى الإنسانية حاصل مع أن هذه الصورة غير حاصلة فقد بطل اعتبار هذا الشكل في حصول معنى الانسانية طرداً وعكساً (أما القسم الثالث) وهو أن يقال الإنسان موجود ليس بحسم ولا جسمانية فهو قول أكثر الإلهيين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس المثبتين للنفس معاداً روحانيا وتوابا وعقاباً وحساباً روحانيا وذهب إليه جماعة عظيمة من علما. المسلمين مثل الشيخ أبي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي رحمهما الله ، ومن قدما. المعتزلة معمر بن عباد السلمي ، ومن الشيعة الملقب عندهم **بالشيخ المفيد، ومن الكرامية جماعة ، واعلم أن القائلين باثبات النفس فريقان (الأول) وهم** المحققون مهم من قال الإنسان عبارة عن هذا الجوهر المخصوص ، وهذا البدن وعلى هذا التقدير فالانسان غير موجود في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل بالعالم ولا منفصل عنه ، ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما أن إلهالعالم لانعلق له بالعالم إلا على سبيل التصرف والتدبير (والفريق الثاني) الذين قالوا النفس إذا تعلقت بالبدن اتحدت بالبدن فصارت النفس عين البدن ، والبدن عين النفس وبحموعهما عند الاتحاد هو الانسان فاذا جا. وقت الموت بطلهذا الاتحاد وبقيت النفس وفسدالبدن فهذه جملة مذاهبالناس في الإنسان وكان تابت بن قرة يثبت النفس ويقول إنها متعلقة بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للكون والفساد والتفرق والتمزق وأن تلك الاجسام تكون سارية فى البدن وما دام يبقى ذلك السريان بقيت النفس مدبرة للبدن فإذا انفصلت تلك الأجسام اللطيفة عن جوهر البدن انقطع تعلق النفس عن البدن

﴿ المسألة الخامسة ﴾ في دلائل مثبتي النفس من ناحية العقل احتج القوم بوجوه كثيرة بعضهاقوى وبعضها ضعيف والوجوه القوية بعضهاقطعية وبعضها إقناعية فلنذكر الوجوه القطعية والحجة الأولى ﴾ لاشك أن الإنسان جوهر فاما أن يكون جوهراً متحيزاً أو غير متحيز والأول باطل فتعين الثانى والذى يدل على أنه يمتنع أن يكون جوهراً متحيزاً أنه لوكان كذلك لكان كونه متحيزاً غير تلك الذات ولوكان كذلك لكان كل ما علم الإنسان ذاته المخصوصة وجب أن يعلم كونه متحيزاً بمقدار مخصوص وليس الأمركذلك فوجب أن لايكون الإنسان جوهراً متحيزاً فنفتقر في تقرير هذا الدليل الى مقدمات ثلاثة (المقدمة الأولى) لوكان الإنسان جوهراً متحيزاً لكان ونه متحيزاً عين ذاته المخصوصة والدليل عليه أنه لوكان تحيزه صفة قائمة بعدان ذلك المحل من حيث هو مع قطع النظر عن هذه الصفة ، إما أن يكون متحيزاً أو لا يكون والقسمان باطلان فبطل القول بكون التحيز صفة قائمة بالمحل إنما قلنا إنه يمتنع أن يكون محل احدهما لأنه يلزم كون الشيء الواحد متحيزاً مرتين ولانه يلزم اجتماع المثلين ولانه ليس جمل احدهما

ذاتاً والآخرصفة أولىمن العكس ولانالتحيز الثانى إنكان عين الذات فهو المقصود وإنكان صفة لزم التسلسل وهو محال وإنما قلنا إنه يمتنع أن يكون محل التحيز غير متحيز لأن حقيقة التحيز هوالذهاب في الجهات والامتداد فيها ، والشيء الذي لايكون متحيزاً لم يكن له اختصاص بالجهات وحصوله فيها ليس بمتحيز محال ، فثبت بهذا أنه لوكان الإنسان جوهراً متحيزاً لكان تحيزه غير ذاته المخصوصة (المقدمة الثانية) لوكان تحيزذاته المخصوصة عين ذاته المخصوصة لكانمتي عرف ذاته المخصوصة فقد عرف كونها متحيزة ، والدليل عليه أنه لوصارت: اته المخصوصة معلومة وصارتحيزه مجهولا لزم اجتماع النفي والإثبات في الشيء الواحد وهو محال (المقدمة الثالثة) أنا قد نعرف ذاتنا حال كوننا جاهلين بالتحيز والامتداد في الجهات الثلاثة وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان فان الإنسان حال كونه مشتغلا بشي. من المهمات مثل أن يقول لعبده لم فعلت كذا ولم خالفت أمرى و إنى أبالغ في تأديبك وضربك فعند مايقول لم خالفت أمرى يكون عالما بذاته المخصوصة إذ لو لم يعلم ذاته المخصوصة لامتنع أن يعلم أن ذلك الإنسان خالفه ولامتنع أن يخبر عن نفسه بأنه علىعزم أنْ يؤدبه ويضربه فني هذه الحالة يعلم ذاته المخصوصة مع أنه في تلك الحالة لا يخطر بباله حقيقة التحيز والامتدادفي الجهات والحصول في الحيزفثبت بماذكرنا أنه لوكان ذات الإنسان جوهرا متحيزاً لكان تحيزه عين ذاته المخصوصة ولوكان كذلك لكانكل ماعلم ذاته المخصوصة فقد علم التحيز وثبت أنه ليس كذلك فيلزم أن يقال ذات الإنسان ليس جوهراً متحيزا وذلك هو المطلوب، فان قالوا هذا معارض بأنه لوكانجوهرآ مجردا لكانكلمن عرفذات نفسه عرف كونه جوهرا مجردا وليس الامركذلك قلنا الفرق ظاهر لأن كونه بجردا معناه أنه ليس بمتحيز ولا حالا في المتحيز وهذا السلب ليس عين تلك الذات المخصوصة لأن السلب ليس عين الثبوت ، وإذا كان كذلك لم يبعد أن تكون تلك الذات المخصوصة معلومة وأن لايكون ذلك السلب معلوما بخلاف كونه متحيزا فانا قد دللنا على أن تقدير كون الإنسان جوهراً متحيزاً يكون تحيزه عين ذاته المخصوصة وعلى هذا التقدير يمتنع أن تكون ذاته معلومة ويكون تحيزه مجهولا فظهر الفرق .

(الحجة الثانية) النفس واحدة ومتى كانت واحدة وجب أن تكون مغايرة لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه فهذه الحجة مبنية على مقدمات (المقدمة الأولى) هي قولنا النفس واحدة ولنا هاهنا مقامان تارة ندعى العلم البديهي فيه وأخرى نقيم البرهان على صحته ، أما (المقام الأول) وهو إدعاء البديهية فنقول المراد من النفس هو الشيء الذي يشير اليه كل أحد بقوله أما وكل أحد يه لم بالضرورة أنه إذا أشار إلى ذاته المخصوصة بقوله أنا كان ذلك المشار اليه واحداً غير متعدد قان قبل لم لا يجوز أن يكون المشار اليه لكل أحد بقوله أنا وإنكان واحداً إلا أن ذلك الواحد يكون مركبا من أشياء كثيرة قلنا إنه لاحاجة لنا في هذا المقام إلى دفع هذا السؤال بل نقول المشار اليه بقول أنا معلوم بالضرورة أنه شيء واحد فأما أن ذلك الواحد هل هو واحد مركب من أشياء بقول أنا معلوم بالضرورة أنه شيء واحد فأما أن ذلك الواحد هل هو واحد مركب من أشياء

كثيرة أو هو واحد في نفسه واحد في حقيقته فهذا لا حاجة اليه في هذا المقام ، (أما المقام الثاني) وهو مقام الاستدلال فالذي يدل على وحدة النفس وجوه .

(الحجة الأولى) أن الغضب حالة نفسانية تحدث عند إرادة دفع المنافر والشهوة حالة نفسانية تحدث عند طلب الملايم مشروطا بالشعور بكون الشيء ملايماً ومنافراً فالقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافر إن لم يكن لهما شعور بكونه منافراً امتنع انبعاثها لدفع ذلك المذافر على سبيل القصد والاختيار لآن القصد إلى الجذب تارة والى الدفع أخرى مشروط بالشعور بالشيء فالشيء المحكوم عليه بكونه دافعاً للمنافر على سبيل الاختيار لابد وأن يكون له شعور بكونه منافراً فالذي يغضب لابد وأن يكون هو بعينه مدركا فثبت بهذا البرهان اليقيني مباينة حاصلة في ذوات متباينة .

(الحجة الثانية) أنا إذا فرضنا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقلا فعله الخاص امتنع أن يصير اشتغال أحدهما بفعله الخاص مانعاً للآخر من اشتغاله بفعله الخاص به . وإذا ثبت هذا فنقول لو كان محل الادراك والفكر جوهراً ومحل الغضب جوهراً آخر ومحل الشهوة جوهراً وجب أن لا يكون اشتغال القوة الغضبية بفعلها مانعا للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعلها ولا بالمكس لكن الثانى باطل فان اشتغال الإنسان بالشهوة وانصبابه اليها يمنعه من الاشتغال بالغضب وانصبابه إليه وبالعكس فعلمنا أن هذه الأمور الثلاثة ليست مبادى مستقلة بل هي صفات مختلفة بحوهر واحد فلاجرم كان اشتغال ذلك الجوهر بأحد هذه الإفعال عائقا لهمين الإشتغال بالفعل الآخر الحجة الثالثة) أنا إذا أدركنا أشياء فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يصير سبباً لحصول الغضب فلوكان الجوهر المدرك مغايراً للذي يغضب والذي يشتهي فحين أدرك الجوهر المدرك مغايراً للذي يغضب والذي يشتهي فين أدرك الجوهر المدرك الم يحصل عند الجوهر المشتهي من ذلك الادراك أثر ولا خبر فوجب أن لا يترتب على ذلك الإدراك لاحصول الشهوة ولاحصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب والاستلزام علمنا أن صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة بمينها وصاحب الغضب بعينه .

(الحجة الرابعة) أن حقيقة الحيوان أنه جسم ذو نفس حساسة متحركة بالارادة فالنفس لا يمكنها أن تتحرك بالادارة إلا عند حصول الداعى ولامعى للداعى إلا الشدور بخير يرغب فى حذبه أو بشر يرغب فى دفعه وهذا يقتضى أن يكون المتحرك بالارادة هو بعينه مدركا للخير والشر والملذ والمؤذى والنافع والضار فثبت بما ذكرنا أن النفس الانسانية شى، واحد و ثبت أن ذلك الشيء هو المبصر والسامع والشام والدائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمنذكر والمشتهى والغاصب وهو الموصوف بحميع الإدراكات لكل المدركات وهو الموصوف بحميع الأفعال الإختيارية والحركات الإرادية ، وأما والمقدمة الثانية) فى بيان أنه لماكانت النفس شيئا واحداً وجب أن لا تكون النفس فى هذا البدن ولا شيئاً من أجزائه فنقول أما بيان أنه متى كان الأمر كذلك امتنع كون النفس عبارة عنجملة هذا البدن وكذا القوة السامعة وكذا سائر القوى كالتخيل والتذكر

والتفكر والعلم بأن هذه القوى غير سارية فى جملة أجزا. البدن علم بديهي بل هو مِن أقوى العلوم البديمية ، وأما بيان أنه يمتنع أن تكون النفس جزءاً من أجزا. هذا البـدن فانا نعلم بالضرورة أنه ليس في البدن جزء واحد هو بعينه موصوف بالابصار والسماع والفكر والذكر بل الذي يتبادر إلى الخاطرأن الابصار مخصوص بالعين لابسائر الاعضا. والسماع مخصوص بالأذن لابسائر الاعضاء والصوت مخصوص بالحلق لابسائر الاعضاء وكذلك القول في سائر الادراكات وسائر الافعال فأما أن يقال إنه حصل في البدن جزء واحد موصوف بكل هذه الإدراكات وبكل هذه الافعال فالعلم الضرورى حاصل بأنه ليس الامر كذلك فثبت بما ذكرنا أن النفس الانسانية شيء واحد موصوف بحملة هذه الإدراكات وبجملة هذه الافعال وثبت بالبديهية أن جملة البدن ليست كذلك وثبت أيضاً أن شيئاً من أجزاء البدن ايس كذلك فحينتذ يحصل اليقين بأن النفس شيء مغاير لهذا البدن و لكلو احد من أجزائه وهو المطلوب. ولنقررهذا البرهان بعبارة أخرى فنقول : إنا نعلم بالضرورة أنا إذا أبصرنا شيئا عرفناه وإذا عرفناه اشتهيناه وإذا اشتهيناه حركنا أبداننا إلى القرب منه فوجب القطع بأن الذي أبصر هو الذي عرف وأن الذي عرف هو الذي اشتهى وأن الذي اشتهي هو الذي حرك إلى القرب منه فيلزم القطع بأن المبصر لذلك الشيء والعارف به والمشتهى والمتحرك إلى القرب منه شيء واحد إذ لوكان المبصر شيئا والعارف شيئا ثانيا والمشتهى شيئا ثالثا والمتحرك شيئا رابعا لكان الذى أبسر لم يعرف، والذى عرف لم يشته والذي اشتهي لم يتحرك، ومن المعلوم أن كون الشي. مبصراً لشي. لايقتضي صيرورة شي. آخرعالما بذلك الشي. وكذلك القول في سائر المراتب وأيضا فانا نعـلم بالضرورة أن الرائى للمرئيات لمــا رآها فقدعرفها ولماعرفها فقد اشتهاها ولما اشتهاها طلبها وحرك الاعضاء إلى القرب منها ونعلمأيضا بالضرورة أن الموصوف بهذه الرؤية وبهذا العلموبهذه الشهوة وبهذا التحرك هولاغيره وأيضا العقلاء قالوا الحيوان لابد أن يكون حساسا متحركا بالارادة فانه إن لم يحس بشي. لم يشعر بكونه ملائما أو بكونه منافراً وإذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مريداً للجذب أو الدفع فثبتأن الشيء الذي يكون متحركا بالارادة فانه بمينه يجب أن يكون حساسا فثبت أن المدرك لجميع المدركات يدرك بجميع أصناف الإدراكات وأن المباشر لجميع التحريكات الاختيارية شيء وآحد وأيضا فلأنا إذا تكلمنا بكلام نقصد منه تفهيم الغير [عقلنا] معانى تلك الكلمات ثم لما عقلناها أردنا تعريف غيرنا تلك المعـانى ولمـا حصلتُ هذه الإرادة في قلوبنا حاولنا إدخال تلك الحروف والاصوات في الوجود لنتوسل بها إلى تعريف غيرنا تلك المعاني. إذا ثبت هذا فنقول: إنكان محل العملم والإرادة ومحل تلك الحروف والاصوات جسماً واحداً لزم أن يقال إن محل العلوم والارادات هو الحنجرة واللهاة واللسان ، ومعلوم أنه ليس كذلك ، وإن قلنا محل العملوم والإردات هو القلب لزم أيضاً أن يكون محل الصوت هو القلب وذلك أيضا باطل بالضرورة، الفخر الرازي ـ ج ٢١ م ٤

وإن قلنا محل الكلام هو الحنجرة واللهاة واللسان، ومحل العلوم والإرادات هو القلب، ومحل القدرة هو الأعصاب والأوتار والعضلات، كنا قد وزعنا هذه الأمور على هذه الأعضاء المختلفة لكنا أبطلنا ذلك. وبينا أن المدرك لجميع المدركات والمحرك لجميع الاعضاء بمكل أبواع التحريكات يجب أن يكون شيئاً واحداً، فلم يبق إلا أن يقال فى الإدراك والقدرة على التحريك [أنه] شيء سوى هذا البدن وسوى أجزاء هذا البدن وأن هذه الاعضاء جارية مجرى الآلات والادوات فكما أن الإنسان يعقل أفعالا مختلفة بواسطة آلات مختلفة فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالآذن وتتفكر بالدماغ وتعقل بالقلب، فهذه الاعضاء آلات النفس وأدوات لها، والنفس جوهرمغاير لها مفارق عنها بالذات متعلق بها تعلق التصرف والندبير وهذا البرهان شريف يقيني في ثبوت هذا المطلوب والله أعلم.

﴿ المقدمة الثالثة ﴾ لو كان الإنسان عبارة عن هذا الجسد لكان إما أن يقوم بكل واحد من الاجزاء حياة وعلم وقدرة على حدة ، وإما أن يقوم بمجموع الاجزاء حياة وعلم وقدرة، والقسمان باطلان فبطل القول بكون الإنسان عبارة عن هذا الجسد، وأما بطلان القسم الأول فلأنه يقتضى كون كل واحد من أجزاء الجسدحياً عالمًا قادراً علىسبيل الاستقلال فوجب أن لا يكون الإنسان الواحد حيواناً واحداً بل أحياء عالمين قادرين وحينتذ لايبق فرق بين الإنسان الواحد وبين أشخاص كثيرين من الناس وربط بعضهم بالبعض بالتسلسل لكنا نعلم بالضرورة فساد هذا الـكلام لأنى أجد ذاتى ذاتاً واحدة لاحيوانات كثيرين ، وأيضاً فبتقُدير أن يكون كل واحد من أجزا. هذا الجسد حيواناً واحداً على حدة فحينتذ لا يكون لكلُّ واحد منهما خبر عن حال صاحبه فلا يمتنع أن يريد هذا أن يتحرك إلى هذا الجانب ويريد الجزء الآ أن يتحرك إلى الجانب الآخر فحينئذ يقع التدافع بين أجزاء بدن الإنسان الواحد كما يقع بين شخصين. وفساد ذلك معلوم بالبدّيمة ، وأما بطلان القسم الثانى فلأنه يقتضي قيام الصفة الواحدة بالمحال الكثيرة ، وذلك معلوم البطلان بالضرورة ولأنه لو جاز حلول الصفة الواحدة في المحال الكثيرة لم يبعد أيضاً حصول الجسم الواحد في الاحياز الكثيرة ولان بتقدير أن تحصل الصفة الواحدة في المحال المتعددة فحينتذ يكون كل واحد من تلك الاجزاء حياً عاقلا عالماً فيتجرد الامر إلى كون هذه الجثة الواحدة أناساً كثيرين، ولما ظهر فساد القسمين ثبت أن الإنسان ليسهو هذه الجثة . فان قالوا : لم لا يجوز أن تقوم الحياة الواحدة بالجزء الواحد ، ثم إن تلك الحياة تقتضى صيرورة جملة الاجزا. أحيا. قلنا هذا باطل لانه لامعنى للحياة إلا الحبية ، ولامعنى للعلم إلا العالمية ، وبتقدير أن نساعد على أن الحياة معنى يوجب الحبية والعلم معنى يوجب العالمية إلا أنا نقول إن حصل فى مجموع جثة مجموع حياة واحدة وعالمية واحدة فقد حصلت الصفة الواحدة في المحال الكثيرة وهو محال ، وإن حصل في كل جزء وجثة حياة على حدة

وعالمية على حدة عاد ماذكرنا من كون الإنسان الواحد أناساً كثيرين وهو محال.

﴿ المقدمة الرابعة ﴾ أنا لما تأملنا في أحوال النفس رأينا أحوالها بالضد من أحوال الجسم ، وذلك يدل على أن النفس ليست جسما ، وتقرير هذه المنافاة من وجوه (الأول) أن كل جسم حصلت فيه صورة فانه لايقبل صورة أخرى من جنس الصورة الاولى إلا بعد زوال الصورة الاولى زوالا تاماً مثاله : أن الشمع إذا حصل فيه شكل التثليث امتنع أن يحصل فيه شكل التربيع والتدوير إلا بعد زوال الشكل الأول عنه ، نعم إنا وجدنا الحال في تصور النفس بصور المعقولات بالضد من ذلك فان النفس التي لم تقبل صورة عقلية البتة يبعد قبولها شيئًا من الصور العقلية فاذا قبلت صورة واحمدة صار قبولها للصورة الثانية أسهل، ثم إن النفس لانزال تقبل صورة بعد صورة من غير أن تضعف البتة بلكلماكان قبولها للصور أكثر صار قبولها للصور الآتية بعد ذلك أسهل وأسرع ، ولهـذا السبب يزداد الإنسان فهماً وإدراكا كلسا ازداد تخرجا وارتباطاً في العلوم فثبت أن قبول النفس للصور العقلية على خلاف قبول الجسم للصورة وذلك يوهم أن النفس ليست بحسم (والثانى) أن المواظبة على الافكار الدقيقة لها أثرُ في النفس وأثر في البدن، أما أثرها في النفس فهو تأثيرها في إخراج النفس من القوة إلى الفعل في التعقلات والإدراكات وكلماكانت الافكار أكثركان حصول هذه الاحوال أكمل وذلك غاية كالها ونهاية شرفها وجلالتها ، وأما أثرها في البدن فهو أنها توجب استيلاء اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه، وهذه الحالة لو استمرت لانتقلت إلى المـاليخوليا وسوق الموت فثبت بما ذكرنا أن هذه الافكار توجب حياة النفس وشرفها وتوجب نقصان البدن وموته فلوكانت النفس هي البدن لصار الشيء الواحد سبباً لـكاله ونقصانه معاً ولحياته وموته معاً ، وأنه محال (والثالث) أنا إذا شاهدنا أنه ربما كان بدن الإنسان ضعيفاً نحيفاً، فاذا لاح له نور من الأنوار القدسية وتجلى له سر من أسرار عالم الغيب حصل لذلك الإنسان جرا.ة عظيمة وسلطنة قوية . ولم يعبأ بحضور أكابر السلاطين ولم يقم لهم وزنا ولولا أن النفس شي. سوى البدن لما كان الأمركذلك (الرابع) أن أصحاب الرياضات و المجاهدات كلما أمعنوا في قهر القوى البدنية وتجويع الجسد قويت قوآهم الروحانية وأشرقت أسرارهم بالمعارف الإلهية وكلما أمعن الإنسان في الاكل والشرب وقضا، الشهرة الجسدانية صاركالبهيمة وبتي محروماً عن آثار النطق والعقل والمعرفة ولولا أن النفس غير البدن لما كان الأمركذلك (الحامس) أنا نرى أن النفس تفعل أفاعيلها بآلات بدنية فانها تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتأخذ باليد وتمشى بالرجل، أما إذا آل الأمر إلى العقل والإدراك فانها مستقلة بذانها في هذا الفعل من غير إعانة شيء من الآلات ولذلك فان الإنسان لايمكنه أن يبصر شيئاً إذا أغمض عينيه وأن لا يسمع صوتاً إذا سد أذنيه . كما لا يمكنه البتة أن يزيل عن قلبه العلم بماكان عاماً به فعلمنا أن النفس غنية بذاتها

فى العلوم والمعارف عن شى. من الآلات البدنية ، فهذه الوجوه الخسة أمارات قوية فى أن النفس ليست بحسم، وفى المسألة الأولى كثير من دلائل المتقدمين ذكرناها فى كتبنا الحكمية فلا فائدة فى الاعادة .

﴿ المسألة السادسة ﴾ في إثبات أن النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية .

(الحجة الأولى) قوله تعالى (ولا تكونو اكالذين نُسوا الله فأنساهم أنفسهم) ومعلوم أن أحداً من العقلاء لا ينسى هذا الهيكل المشاهد فدل ذلك على أن النفس التي ينساها الانسان عند فرط الجهل شيء آخر غير هذا البدن .

﴿ الحجة الثانية ﴾ قوله تعالى (أخرجوا أنفسكم) وهذا صريح أن النفس غير البدن وقد استقصينا في تفسير هذه فليرجع اليه.

(الحجة الثالثة) أنه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانية فقال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) إلى قوله (فكسو نا العظام لحماً) ولا شك أن جميع هذه المراتب اختلافات واقعة فى الاحوال الجسمانية ثم إنه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال (ثم أنشأناه خلقاً آخر) وهذا تصريح بأرب ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة فى الاحوال الجسمانية وذلك يدل على أن الروح شىء مغاير للبدن فان قالوا هذه الآية حجة عليكم لانه تصالى قال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) وكلمة من للتبعيض وهذا يدل على أن الانسان بعض من أبعاض الطين قلنا كلمة من أصلها لابتداء الغاية كقولك خرجت من البصرة الى الكوفة فقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) يقتضى أن يكون ابتداء تخليق الانسان حاصلا من هذه السلالة ونحن نقول بموجبه لأنه تعالى يسوى المزاج أولا ثم ينفخ فيه الروح فيكون ابتداء تخليقه من السلالة .

﴿ الحجة الرابعة ﴾ قوله (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) ميز تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح فالتسوية عبارة عن تخليق الابعاض والاعضاء وتعديل المزاج والاشباح فلما ميز نفخ الروح عن تسوية الاعضاء ثم أضاف الروح إلى نفسه بقوله (من روحى) دل ذلك على أن جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد .

(الحجة الخامسة) قوله تعالى (ونفس وما سواها فألهم الجورها وتقواها) وهذه الآية صريحة فى وجود شى. موصوف بالادراك والتحريك حقاً لآن الالهام عبارة عن الادراك وأما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه الآية صريحة فى أن الانسان شى. واحد وهو موصوف أيضاً بالادراك والتحريك وموصوف أيضاً بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى ومعلوم أن جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين فلا بد من اثبات جوهر آخر يكون موصوفاً بكل هذه الامور.

(الحجة السادسة) قوله تعالى (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) فهذا تصريح بأن الانسان شيء واحد وذلك الشيء هو المبتلى بالتكاليف الإلهية والامور الربانية وهو الموصوف بالسمع والبصر و مجموع البدن ليس كذلك وليس عضواً من أعضاء البدن كذلك فالنفس شيء مغاير لجملة البدن و مغاير لاجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات. واعلم أن الاحاديث الواردة في صفة الارواح قبل تعلقها بالاجساد وبعد انفصالها من الاجساد كثيرة وكل ذلك يدل على أن النفس شيء غير هذا الجسد ، والعجب بمن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروى هذه الاخبار الكثيرة ثم يقول توفي رسول الله يتاليج وماكان يعرف الروح وهذا من العجائب والله أعلم.

﴿ المسألة السابعة ﴾ في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ماذكرناه أن الروح لوكان جسما منتقلا من حالة إلى حالة ومن صفة الى صفة لكان مساوياً للبدن في كونه متولداً من أجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى فاذا سـثل رسول الله ماليم عن الروح وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم علقة ، ثم مضغة فلما لم يقل ذلك بل قال (إنه من أمر ربي) بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل في الوجود إلا لاجلأن الله تعالى قال له (كن فيكون) دل ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الاجسام بل هو جوهر قدسي مجرد واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحــاب الرياضيات وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصرون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطى : خلق الله الارواح من بينِ الجمال والبها. فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر ، وأما بيان أن تعلقه الاول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره إلى جمــــــلة الاعضاء فقد شرحناه في تفسير قوله تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) واحتج المنكرون بوجوه (الأول) لوكانت مساوية لذات الله في كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له في تمـام المـاهية وذلك محال (الثاني) قوله تعالى (قتل الانسان ما أكفره منأى شي. خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شا. أنشره) وهندا تصريح بأن الانسان شي. مخلوق من. النطفة ، وأنه يموت ويدخل القبر ثم إنه تعالى يخرجه من القبر، ولو لم يكن الانسان عبارة عن هذه الجثة لم تكن الاحوال المذكورة في هـذه الآية صحيحة (الثالث) قوله (ولاتحسين الذين قتلوا في سبيل الله) الى قوله (يرزقون فرحين) وهذا يدل على أن الروح جسم لأن الارزاق والفرح من صفات الاجسام (الجواب عن الأولُ) أن المساواة في أنه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز مساواه في صفة سلبية والمساواة في الصفة السلبية لا توجب الماثلة واعلم أن جماعة من الجهـال يظنون أنه لماكان الروح موجوداً ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز وجب أن يكون مثلا للاله أو جزءًا للاله وذلك جهــل فاحش وغلط قبيح وتحقيقه ما ذكرناه من أن المساواة في السلوب

وَلَينِ شِنْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيِّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ١

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّا فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ١١

لو أوجبت الماثلة لوجب القول باستواء كل المختلفات وأن كل ماهيتين مختلفتين فلا بد أن يشتركا في سلب كل ما عداهما ، فلتكن هذه الدقيقة معلومة فانها مغلطة عظيمة للجهال ، والجواب عن (الثانى) أنه لما كان الانسان في العرف ، والجواب عن (الثالث) أن الرزق المدكور في الآبة محمول على ما يقوى حالهمهو يكمل في العرف ، والجواب عن (الثالث) أن الرزق المدكور في الآبة محمول على ما يقوى حالهمهو يكمل كالهم وهو معرفة الله ومجته بل نقول هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا لآن أبدانهم قد بليت تحت التراب والله تعالى يقول إن أرواحهم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش وهذا يدل على أن الروح غير البدن وليكن هذا آخر كلامنا في هذا الباب ولنرجع إلى علم التفسير ثم قال تعالى (وما أو تيم من العلم إلا قليلا) وعلى قولنا قد ذكرنا فيه احتمالين ، أما المفسرون فقالوا إن النبي تأليق لمن العلم إلا قليلا) وعلى قولنا هذا . فيزا الجب شأنك يامحدساعة تقول (ومن يؤت الحكمة فقداً وتي خيراً كثيراً) وساعة تقول هذا . فيزل قوله (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام) إلى فقداً وتي خيراً كثيراً) وساعة تقول هذا . فيزل قوله (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام) إلى أخره وما ذكروه ليس بلازم لآن الشيء قد يكون قليلا بالنسبة إلى شيء كثيراً بالنسبة إلى شيء كثيراً بالنسبة إلى شيء النسبة إلى الشهوات الجسمانية واللذات الجسدانية .

قوله تعالى : ﴿ وَائْنَ شَنَا لَنَدْهَبُ بِالذِّى أُوحِينَا اللَّكُ ثُمَ لَا تَجَدَّ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِلا . إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً ﴾ وفي الآية مسائل.

﴿ المسألة الأولى ﴾ إعلم أنه تعالى لما بين فى الآية الأولى أنه ما آتاهم (من العلم إلا قليلا) بين فى هذه الآية أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضاً لقدر عليه وذلك بأن يمحو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب وهذا وإن كان أمراً مخالفاً للعادة إلا أنه تعالى قادر عليه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ احتج الكعبي بهذه الآية على أن القرآن يخلوق فقال والذي يقدر على إذالته والذهاب به يستخيل أن يكون قديماً بل يجب أن يكون محدثاً. وهذا الاستدلال بعيد لأن المراد بهذا الإذهاب إزالة العلم به عن القلوب وإزالة النقوش الدالة عليه عن المصحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول محدثاً وقوله (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) أي لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه ثم قال (إلا رحمة من ربك) أي إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به وهدذا امتنان من الله

قُل لَّإِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلِحْنُ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَنذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ١

بيغا. القرآن على أنه تعالى من على جميع العلما. بنوعين من المنة (أحدهما) تسهيل ذلك العلم عليه (الثانى) إبقاء حفظه عليه وقوله (إن فضله كان عليك كبيراً) فيه قولان (الأول) المراد أن فضله كان عليك كبيراً بسبب إبقاء العلم والقرآن عليك (الثانى) المراد أن فضله كان عليك كبيراً بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وحتم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود فلما كان كذلك لاجرم أنعم عليك أيضاً بابقاء العلم والقرآن عليك.

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَئُن اجتمعت الإنس والجن على أن يأنوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أنا في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى (وإن كنتم في ريب بما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) بالغنا في بيان إعجاز القرآن ، وللناس فيه قولان منهم من قال: القرآن معجز في نفسه ، ومنهم من قال إنه ليس في نفسه معجزاً إلا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الإثبات بمعارضته مع أن تلك الدواعي كانت قوية كانت هذه الصرفة معجزة والمختار عندنا في هذا الباب أن نقول القرآن في نفسه إما أن يكون معجزاً أو لا يكون فان كان معجزاً فقد حصل المطلوب ، وإن لم يكن معجزاً بل كانوا قادرين على الإتيان بمعارضته وكانت الدواعي متوفرة على الإتيان بهذه المعارضة وما كان لهم عنها صارفومانع . وعلى هذا التقدير كان الإتيان بمعارضته واجباً لازماً فعدم الإتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضاً للعادة فيكون معجزاً فهذا هو الطريق الذي نختاره في هذا الباب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لقائل أن يقول هب أنه قد ظهر عجز الإنسان عن معارضته فكيف عرفتم عجز الجن عن معارضته ؟ وأيضا فلم لا يحوز أن يقال إر هذا الكلام نظم الجن ألقوه على محمد صلى الله عليه وسلم و خصوه به على سبيل السعى فى إصلال الحلق فعلى هذا إنما تعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم إذا عرفتم أن محمداً صادق فى قوله أنه ليس من كلام الجن بل هو من كلام الله تعالى فحينتذ يلزم الدور وليس لاحد أن يقول كيف يعقل أن يكون هذا من قول الجن لانا نقول إن هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن ، وإنما يحسن هذا التحدى لو كانوا فصحاء بلغاء ، ومتى كان الامر كذلك كان الاحتمال المذكور قائماً . أجاب العلماء عن الأول بان عجز البشر عن معارضته يكنى فى إثبات كونه معجزاً وعن الثانى أن ذلك لو وقع لوجب فى حكمة الله أن يظهر ذلك التلبيس وحيث لم يظهر ذلك دل على عدمه وعلى أنه تعالى قد أجاب عن هذا

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَنَذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلِ فَأَنِيَ أَكْثُرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (١٤) وَقَالُواْ لَن نُوْمِنَ لَكَ حَتَى تَفْجُرَ لَنَامِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿ إِنَّى أَوْ تَكُونَ لَكَ

السؤال بالأجوبة الشافية الكافية فى آخر سورة الشعراء فى قوله (قل هل أنبشكم على من تنزل الشياطين. تنزل على كل أفاك أثيم) وقد شرحنا هذه الأجوبة هناك فلا فائدة فى الإعادة.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قالت المعتزلة الآية دالة على أن القرآن مخلوق لأن التحدى بالقديم وهذه المسألة قد ذكرناها أيضاً بالاستقصاء في سورة البقرة فلا فائدة في الإعادة .

ثم قال تعالى ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾

وهذا الكلام يحتمل وجوها (أحدها) أنه وقع التحدى بكل القرآن كما في هذه الآية ، ووقع التحدى أيضا بعشر سور منه كما في قوله تعالى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) ووقع التحدى بالسورة الواحدة كما في قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) ووقع التحدى بكلام من سورة واحدة كما في قوله (فليأتوا بحديث مثله) فقوله (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) يحتمل أن يكون المراد منه التحدى كما شرحناه ، ثم انهم مع ظهور عجزهم في جميع هذه المراتب بقوا مصرين على كفرهم (وثانيها) أن يكون المراد من قوله (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أنا أخبرناهم بأن الذين بقوا مصرين على الكفر مثل قوم نوح وعاد وثمود كيف ابتلاهم بأنواع البلا. وشرحنا هذه الطريقة مراراً وأطواراً ثم إن هؤلا. الاقوام يعنى أهل مكة لم ينتفعوا بهذا البيان بل بقوا مصرين على الكفر (وثائنها) أن يكون المواد أنه تعالى ذكر دلائل التوحيد ونني الشركا. والاضداد في هذا القرآن مراراً كثيرة ، وذكر شبهات منكرى النبوة والمعاد مراراً وأطوارا ، وأجاب عنها ثم أردفها بذكر الدلائل القاطعة على صحة النبوة والمعاد ، ثم إن هؤلاء الكفار لم ينتفعوا بسماعها بل بقوا مصرين على الشرك وإنكار التواقد.

ثم قال تعالى ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ يريد أبى أكثر أهل مكة ﴿ إلا كفورا ﴾ أى جحودا للحق، وذلك أنهم أنكروا مالا حاجة إلى إظهاره، فإن قيل كيف جاز ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ ولا يجوز أن يقال ضربت إلا زيدا ، قلنا لفظ أبى بغيد النفى كا ته قيل فلم يرضوا إلا كفورا

قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض بنبوعاً . أو تكون لك

جنة من نخيل وعنب فتفجر الآنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السهاء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السهاء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾

إعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزا وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد عليه فحينئذ تم الدليل على كونه نبيا صادقا لانا نقول إن محمدا ادعى النبوة وظهر المعجز على وفق دعواه وكل من كان كذلك فهو نبي صادق ، فهذا يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وليس من شرط كونه نبيا صادقاً تواثر المعجزات الكثيرة وتواليها لأنا لو فتحنا هذا الباب للزم أن لاينتهى الامر فيه إلى مقطع وكلما أنى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر ولا ينتهى الآمر فيه إلى حد ينقطع عنده عناد المعاندين وتغلب الجاهلين لآنه تعالى حكى عن الكفار أنهم بعدأن ظهركون القرآن معجزا التمسوا من الرسول ﷺ ستة أنواع من المعجزاتالقاهرة كما حكى عن ابن عباس دأن رؤساء أهل مكة أرسلوا إلى الرسول ﷺ وهم جلوس عندالكعبة فأتاهم فقالوا يامحمد إن أرض مكة ضيقة فسـير جبالهـا لننتفع فيها وفجر لنا فيها ينبوعا أي نهرآ وعيوناً نزرع فيها فقال لا أقدر عليه ، فقال قائل منهم أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الآنهـار خلالها تفجيراً فقال لا أقدر عليه ، فقيل أو يكون لك بيت من زخرف أى من ذهب فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه ، فقيل له أما تستطيع أن تأتى قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع ، قالوا فاذا كنت لاتستطيع الخير فاستطع الشر فأسقط السماءكما زعمت علينا كسفا أي قطعاً بالعذاب وقوله كما زعمت إشارة إلى قوله (إذا السماء انشقت ، إذا السماء انفطرت) فقال عبد الله بن أمية المحزومي وأمه عمة رسول الله ﷺ لاوالذي يحلف به لا أومن بك حتى تشد سلما فتصعد فيه ونحن ننظر إليك فتأتى بأربعة من الملائك يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدرًى أنؤمن بك أم لا ! ، فهذا شرح هذه القصة كما رواها ابن عباس.

﴿ المسألة الأولى ﴾ إعلم أنهم اقترحوا على رسول الله على أنواعا من المعجزات أولها قولهم

(حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) قرأعاصم وحزة والكسائى تفجر بفتح النا. وسكون الفاء وضم الجيم مخففة واختاره أبو حاتم قال لان الينبوع واحد والباقون بالتشديد واختاره أبو عبيدة ولم يختلفوا فى الثانية مشددة لاجل الانهار ، لابها جمع يقال فجرت الماء فجراً و فجرته تفجيرا ، فمن ثقل أراد به كثرة الاشجار من الينبوع وهو وإنكان واحداً فلمكثرة الانفجار فيه يحسن أن يثقل كما تقول ضرب زيد إذا كثر الضرب منه فيكثر فعله وان كان الفاعل واحداً ومن خفف فلان الينبوع واحد، وقوله ينبوعا ، يعنى : عيناً ينبع الماء منه ، تقول نبع الماء ينبع نبعا ونبوعا ونبعا ذكره الفراء ، قال القوم أزل عنا جبال مكة ، و فجر لنا الينبوع ليسهل علينا أمر الزراعة والحراثة (وثانيها) قولهم (أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتغجر الانهار خلالها تفجيرا) والتقدير كأنهم قالوا هب أنك لاتفجر هذه الانهار لاجلنا ففجرها من أجلك (وثالها) قولهم (أو تسقط السهاء كما زعمت علينا كسفاً) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ ابن عامر كسفاً بفتح السين هاهنا وفى سائر القرآن بسكونها ، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم هاهنا ، وفي الروم بفتح آلسين ، وفي باقي القرآن بسكونها ؛ وقرأ حفص في سائر القرآن بالفتح إلا في الروم ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والـكسائي في الروم بفتح السين، وفي سائر القرآن بسكون السين ، قال الواحدي رحمه ألله كسفا، فيه وجهان من القراءة سكون السين وفتحها ، قال أبو زيد يقال : كسفت الثوب أكسفه كسفا إذا قطعته قطعاً ، وقال الليث: الكسف، قطع العرقوب، والكسفة: القطعة، وقال الفرا. سمعت أعرابياً يقول لبزاز أعطى كسفة : يريد قطَّعه ، فن قرأ بسكون السين احتمل قوله وجوها (أحدها) قال الفرا. أن يكون جمع كسفة مثل: دمنة ودمن وسدرة وسدر (وثانيها) قال أبو على: إذا كان المصدر الكسف، فالكسف الشيء المقطوع كما تقول في الطحن والطبخ السقى، ويؤكد هذا قوله (وإن يرواكسفا من السهاء ساقطاً) (وثالثها) قال الزجاج : من قرأ : كسفاكا نه قال أو يسقطها طبقاً علينا واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته ، وأما فتح السين فهو جمع كسفة مثل قطعة وقطع وسدرة وسدر ، وهو نصب على الحال في القراءتين جميعاً كا نه قيل أو تسقط السهاء علينا مقطعة. ﴿ الْمُسْأَلَةُ الثَّانِيةِ ﴾ قوله (كما زعمت) فيه وجوه (الأول) قال عكرمة كما زعمت يامحمد أنك نبي فأسقط السماء علينا (والثاني) قال آخرون كما زعمت أن ربك إن شا. فعل (الثالث) يمكن أَنْ يَكُونَ المرَّادَ مَاذَكُرُهُ الله تعالى في هذه السورة في قوله (أفأمنتم أن تخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم حاصباً) فقيل اجعل السهاء قطعاً متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا (ورابعها) قولهم (أو تأتَّى بالله والملائكة قبيـــلا) وفي لفظ القبيل وجوه (الأولا) القبيل بمعنى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر ، وهذا القول منهم يدل على جهلهم حيث لم يعلموا أنه لايجوز عليه المقابلة ويقرب منه قوله (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) . (والقول الثاني) ما قاله ابن عباس يريد فوجا

بعد فوج. قال الليث وكل جند من الجن والإنس قبيل وذكر ما ذلك فى قوله (إنه يراكم هر وقبيله) (القول الثالث) إن قوله قبيلا معناه هاهنا ضامنا و كفيلا ، قال الزجاج يقال قبلت به أقبل كقولك كفلت به أكفل ، وعلى هذا القول فهو واحد أريد به الجمع كقوله تعالى (وحسن أولتك رفيقا) (والقول الرابع) قال أبو على معناه المعاينة والدليل عليه قوله تعالى (لولا أنزل علينا الملائك أو نرى ربنا) . (وخامسها) قولهم (أو يكون لك بيت من زخرف) قال مجاهد: كنا لا ندرى ما الزخرف حتى رأيت فى قراءة عبد الله (أو يكون لك بيت من ذهب) قال الزجاج: الزخرف الزينة يدل عليه قوله تعالى (حتى إذا أخذت الارض زخرفها وازينت) أي أخذت كال زيتها ولا شيء فى تحسين البيت وتزيينه كالذهب (وسادسها) قولهم (أو ترقى فى السماء) قال الفراء يقال رقيت وأنا أرقى رقى ورقيا وأنشد:

أنت الذي كلفتني رقى الدرج على الكلال والمشيب والعرج

وقوله فى السماء أى فى معارج السماء فحذف المضاف ، يقال رقى السلم ورقى الدرجة ثم قالوا (ولن نؤمن لرقيك) أى لن نؤمن لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتاباً من السماء) فيه تصديقك قال عبد الله بن أمية (لن نؤمن) حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائك يشهدون لك أن الأمر كما تقول ولما حكى الله تعالى عن الكفار اقتراح هذه المعجزات قال لمحمد على السبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) وفيه مباحث

(المبحث الأول) أنه تعالى حكى من قول الكفار قولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) إلى قوله (قل سبحان ربى) وكل ذلك كلام القوم وإنا لا نجد بين تلك الكلمات وبين سائر آيات القرآن تفاوتاً فى النظم فصح بهذا محمد ماقاله الكفار لو نشاء لقلتا مثل هذا (والجواب) أن هذا القرآن قليل لايظهر فيه التفاوت بين مراتب الفصاحة والبلاغة قرال هذا السؤال.

(البحث الثانى) هذه الآيات من أدل الدلائل على أن الجيء والدهاب على الله محال لآن كلمة سبحان التنزيه عما لاينبغى، وقوله سبحان ربى تنزيه لله تعالى عن شيء لايليق به أو نسب اليه مما تقدم ذكره وليس فيها تقدم ذكره شيء لا يليق بالله إلا قولهم أو تأتى باقه فدل هذا على أن قوله (سبحان ربى) تنزيه لله عن الإتيان والجيء وذلك يدل على فساد قول المشبهة فى أن اقه تعالى يجيء ويذهب، فان قالوا : لم لا يجوز أن يكون المراد تنزيه الله تعالى عن أرب يتحكم عليه المتحكمون فى اقتراح الاشياء؟ قلنا القوم لم يتحكموا على الله ، وإنما قالوا المرسول وما تحكوا نبياً صادقا فاطلب من الله أن يشرفك بهذه المعجزات فالقوم تحكموا على الرسول وما تحكوا على الله فلا يليق حمل قوله (سبحان ربى) على هذا المعنى فوجب حمله على قولهم أو تأتى باقة

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْمُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿ قُلْ قُل لَوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَنَهِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَيِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَسُولًا رَبِي قُلْ كَنَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ وَكَانَ بِعِبَادِهِ عَجْبِيرًا بَصِيرًا رَسُولًا رَبِي قُلْ كَنَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ وَكَانَ بِعِبَادِهِ عَجْبِيرًا بَصِيرًا

(البحث الثالث) تقرير هذا الجواب أن يقال: إما أن يكون مرادكم من هذا الاقتراح أنكم طلبتم الإتيان من عند نفسى بهذه الآشياء أو طلبتم منى أن أطلب من الله تعالى إظهارها على يدى لتدل على كونى رسولا حقا من عند الله ، والأول باطل لآنى بشر والبشر لاقدرة له على هذه الآشياء والثانى أيضا باطل لآنى قد أتيتكم بمعجزة واحدة وهى القرآن والدلالة على كونها معجزة فطلب هذه المعجزات طلب لما لاحاجة اليه ولاضرورة فكائن طلبها يحرى مجرى التعنت والمتحكم وأنا عبد مأمور ليس لى أن أتحكم على الله فسقط هذا السؤال فثبت أن قوله (قل سبحان ربى حل كنت إلا بشراً رسولا)جواب كاف في هذا الباب ، وحاصل الكلام أنه سبحانه بين بقوله (سبحان ربى حل كنت إلا بشراً رسولا) كونهم على الضلال في الإلهيات ، وفي النبوات . أما في الإلهيات فيدل على ضلالهم قوله سبحان ربى أى سبحانه عنأن يكون له إتيان ومجى وذهاب وأما في النبوات فيدل على ضلالهم قوله (هل كنت إلا بشراً رسولا) وتقريره ما ذكرناه

قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنْعُ النَّاسُ أَنْ يَوْمَنُوا إِذْ جَاءُمُ الْحَدَى إِلَا أَنْ قَالُوا أَبْعَثُ اللَّهُ بَشُرَارُسُولًا . قُلُ لُو كَانَ فَى الآرضَ مَلَائكَةً يمشُونَ مطتمنين لنزلنا عليهم •ن السَّهَاءُ مَلَّكَا رسُولًا . قُل كُنَى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصـيراً ﴾

إعلم أنه تصالى لما حكى شبة القوم فى اقتراح المعجزات الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبة أخرى وهي أن القوم استبعدوا أن يبعث الله الى الحلق رسولا من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه لو أرسل رسولا إلى الحلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبة من وجوه (الأول) قوله (ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاهم الهدى) وتقرير هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث الله ملكا رسولا الى الحلق فالحلق إنما يؤمنون بكونه رسولامن عند الله لأجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذى يهديهم إلى معرفة ذلك الملك فى إدعاء رسالة الله تعالى فالمراد من قوله تعالى (إذ جاءهم الهدى) هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الإقرار برسالته فثبت أن يكون قولهم بأن الرسول لابد وأن يكون

وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُو المُهْنَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَحُمْ أَوْلَيَا عَن دُونِهِ وَمَن يَضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَحُمْ أَوْلَهُمْ جَهَنّمُ كُلّما خَبَتْ وَخُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُحْمًا وَضَمَّا مَأْوَلَهُمْ جَهَنّمُ كُلّما خَبَتْ زِدْنَلَهُمْ سَعِيرًا ﴿ وَهُ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُحَمّا وَصُمَّا مَأُولُهُمْ جَهَنّمُ كُلّما خَبَتْ زِدْنَلَهُمْ سَعِيرًا ﴿ وَهُ إِلّهُ جَزَا وُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِعَايلَتِنَا

من الملائكة تحكما فاسداً وتعنتا باطلا (الوجهالتاني) من الاجوبة التي ذكرها الله في هذه الآية عن هذه الشبهة هو أن أهل الارض لوكانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لان الجنس الى الجنس أميل أما لوكان أهل الارضمن البشر لوجب أن يكون رسولهم منالبشر وهو المراد من قوله (لوكان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين انزلنـا عليهم من السهاء ملكا رسولا)، (الوجهالثالث) من الاجوبة المذكورة في هذه الآية قوله (قل كني باللهشهيداً بيني وبينكم) وتقريره أن الله تعالى لمــا أظهر المعجزة على وفق دعواى كان ذلك شهادة من الله تعــالى على كونى صادقاً ومن شهد الله على صدقه فهو صادق فبعد ذلك قول القائل بأن الرسول يجب أن يكون ملكا لا إنساناً تحكم فاسد لا يلتفت اليه ولمــا ذكر الله تعالى هذه الاجوبة الثلاثة أردفها بما يجرى مجرى التهديد الوعيد فقال (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) يعنى يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لايذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد وحب الرياسة والاستنكاف منالانقياد للحق. قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَهِدُ اللَّهِ فَهُو المُهَنَّدُ وَمَنْ يَصْلُلُ فَلَنْ تَجَدُّ لَهُمْ أُولِياء مَنْ دُونُهُ وَنَحْشَرُهُمْ يُومُ القيامَة على وجوههم عميًا وبكماً وصماًمأو اهمجهنم كلما خبت زدناهم سعيراذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا ﴾ إعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات القوم في إنكار النبوة وأردفها بالوعيد الاجمالي وهو قوله (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) ذكر بعده الوعيد الشديد على سبيل التفصيل ، أما قوله (من يهـ د الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أوليا. من دونه) فالمقصود تسلية الرســول وهو أن الذين سبق لهم حكم الله بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن ينقلبوا عن ذلك الضلال واستحال أن يوجد من يصرفهم عن ذلك الضلال ، واحتج أصحابنا بهذه الآية على صحة مذهبهم فى الهدى والصلال والمعتزلة حملوا هذا الإضلال تارة على الإضلال عن طريق الجنة وتارة على منع الالطاف وتارة على التخلية وعدم التعرضله بالمنع وهذه المباحث قد ذكرناها مراراً فلا فأئدة في الاعادة ، أما قوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) فان قيلكيف يمكنهم المشيعلي وجوههم قلنا الجواب س وجهين: (الأول) إنهم يسحبون على وجوههم قال تعالى (يوم يسحبون في النار على و جوههم) ، (الثانى) روى أبو هريرة قيل يارسول ألله كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي

يمشيهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على و جوههم ، قال حكماً. الاسلام الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها وليس لها تعلق بعالم الابرار وحضرة الإله سبحانه وتعالى فلماكانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة الى الدنيا لا جرم كان حشرهم على وجوههم ، وأما قوله (عمياً وبكماً وصماً) فاعلمأن واحداً قال لابن عباس رضى الله عنه : أليسُ أنه تعالى يقول (ورآى المجرمون النار) وقال (سمعوا لها تغيظا وزفيراً) وقال (دعوا هنالك ثبوراً) وقال (يوم تأتى كِلنفس تجادل عن نفسها) وقال حكاية عن الكفار (والله ربنا ماكنا مشركين) فثبت بهـذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال ههنا (عمياً وبكماً وصماً) أجاب ان عباس وتلامذته عنه من وجوه (الأول) قال ابن عباس عمياً لايرون شيئاً يسرهم صماً لايسمعون شيئاً يسرهم بكماً لاينطقون بحجة (الثانى) قال فى رواية عطاء عمياً عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه بكماً عن مخاطبـة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صماً عن ثنا. الله تعالى على أوليائه (الثالث) قال مقاتل انه حين يقال لهم (اخسئوا فيها و لا تكلمون)يصيرون عمياً بكماً صماً ، أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون (الرابع) أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لمــا قدروا على أن يطالعوا كتبهم ولا أن يـمعوا إلزام حجة الله عليهـم إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم الله عمياً و بكماً وصماً (والجواب) أن الآيات السابقة تدل على أسم في النار يبصرون ويسمعون ويصيحون، أما قوله تعمالي (مأواهم جهنم) فظاهر، وأما قوله (كلما خبت زدناهم سعيراً) ففيه مباحث :

﴿ البحث الأول ﴾ قال الواحدى الخبو سكون النار يقال خبت النار تخبو إذا سكن لهبها وممنى خبت سكنت وطفئت يقال فى مصدره الخبو وأخبأها المخبىء إخباء أى أخدها ثم قال (زدناهم سعيراً) قال ان قتيبة زدناهم سعيراً أى تلهباً .

﴿ البحث الثانى ﴾ لقائل أن يقول إنه تعالى لايخفف عنهم العـذاب وقوله (كلما خبت) يدل على أن العذاب يخف فى ذلك الوقت قلنا كلما خبت يقتضى سكون لهب النار ، أما لا يدل هذا على أنه يخف العذاب فى ذلك الوقت .

﴿ البحث الثالث ﴾ قوله (كلما خبت زدناهم سعيراً) ظاهره يقتضى وجوب أن تكون الحالة الثانية أزيد من الحالة الأولى وإذا كان كذلك كانت الحالة الأولى بالنسبة الى الحالة الثانية تخفيفاً (والجواب) الزيادة حصلت فى الحالة الأولى أخف من حصولها فى الحالة الثانية فكان العذاب شديداً ويحتمل أن يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل فى أوقاته غير مشعور به نعوذ بالله منه ولما ذكر تعالى أنواع هذا الوعيد قال ذلك (جزاؤهم بأنهم كفروا) والباء فى قوله بأنهم كفروا باء السبية وهو حجة لمن يقول العمل علة الجزاء والله أعلم .

وَقَالُوۤا أَءِذَا كُنَّا عِظْكُما وَرُفَكُنَّا أَءِنَا لَمَبُعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿ وَلَا يَرُوْا أَنَّ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الظَّالِمُونَ إِلّا كُفُورًا ﴿ وَإِنَّ قُل لّوَ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَرَآ إِنَ رَحْمَةِ رَبِّي وَيَا لَا اللّهُ عَلَى الظَّالِمُونَ إِلّا كُفُورًا ﴿ وَإِن اللّهِ اللّهِ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

قوله تعالى : ﴿ وقالوا أثذا كنا عظاماً ورفاتاً أثنا لمبعوثون خلقاً جديداً أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً ﴾ إعلم أنه تعالى لما أجاب عن شهات منكرى النبوة عاد إلى حكاية شهة منكرى النبوة عاد إلى حكاية شهة منكرى الخشر والنشر ليجيب عنها و تلك الشبهة هى أن الإنسان بعد أن يصير رفاتاً ورميها يبعد أن يقدر على هو بعينه وأجاب الله تعالى عنه بأن من قدر على خلق السموات والارض لم يبعد أن يقدر على إعادتهم بأعيانهم وفى قوله (قادر على أن يخلق مثلهم) قولان : (الأول) المعنى قادر على أن يخلقهم ثانياً فعبر عن خلقهم ثانيا بلفظ المثل كما يقول المتكلمون أن الاعادة مثل الابتداء (القول الثانى) المراد قادر على أن يخلق عبيداً آخرين يوحدونه ويقرون بكال حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشهات الفاسدة وعلى هذا التفسير فهو كقوله تعالى (ويأت بخلق جديد) وقوله (ويستبدل قوما غيركم) قال الواحدى والقول هو الأوللانه أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور أن البعث والقيامة أمر ممكن الوجود في نفسه أردفه بأن لوقوعه ودخوله فى الوجود وقتاً معلوماً عند الله وهوقوله (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) ثم قال تعالى (فأبى الظالمون إلا كفوزاً) معلوماً عند الله وهوقوله (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) ثم قال تعالى (فأبى الظالمون إلا كفوزاً) عبد هذه الدلائل الظاهرة أبوا إلا الكفر والنفور والجحود و

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لُو أَنتَم تَمَلَكُونَ خَزَائُنَ رَحْمَةً رَبِّي إِذَا لَامْسَكُتُم خَشْيَة الْإِنفَاق وكان الإنسان قتورا ﴾ وفي الآية مسائل.

﴿ المسألة الأولى ﴾ أن الكفار لما قالوا (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) طلبوا إجراء الأبهار والغيون في بلدتهم لتكثر أموالهم وتنسع عليهم معيشتهم فبين الله تعالى لهم أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم و لما أفدموا على إيصال النفع إلى أحد و على هذا النقدير فلا فائدة في إسعافهم بهذا المطلوب الذي التمسوه فهذا هو الكلام في وجه النظم والله أعلم. ﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (لوأنتم) فيه بحث يتعلق بالنحو وبحث آخريتعلق بعلم البيان ، (أما البحث النحوي) فهو أن كلمة (لو) من شأنها أن تختص بالفعل لأن كلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء

لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذى يدل على الآثار والأحوال والمنتنى هو الاحوال والآثار لا الذوات فنبت أن كلمة (لو) مختصة بالافعال وأنشدوا قول المتلس :

لوغير أخوالى أرادوا نقيصتى نصبت لهم فوق العرانين مأتما

والمعنى لو أراد غير أخوالى (وأما البحث) المتعلق بعلم البيان فهو أن التقديم بالذكر يدل على التخصيص فقوله (أنتم تملكون) دلالة على أنهم هم المختصون بهذه الحالة الحسيسة والشح الكامل. والمسالة الثالثة في خزائن فضل الله ورحمته غير متناهية فكان المعنى أنكم لوملكتم من الحير والنعم خزائن لانهاية لها لبقيتم على الشح وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء ثم قال تعالى (وكان الإنسان قتوراً) أى بخيلا يقال قتر يقتر قترا وأقتر إقتارا وقتر تقتيرا إذا قصر في الانفاق فان قيل فقد دخل في الانسان الجواد الكريم فالجواب من وجوه (الأول) أن الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجاً والمحتاج لابد أن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود به لاسباب من خارج فثبت أن الاصل في الانسان البخل (الثاني) إن الإنسان إنما يبذل لطلب الثناء والحد وللخروج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق إلا ليأخذ العوض فهو في الحقيقة لنا من الارض ينبوعا)

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إلى لاظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر وإنى لاظنك يافرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعاً وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ في الآية مسائل . ﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن المقصود من هذا الكلام أيضا الجواب عن قولهم (لن نؤمن لك)

حتى تأتينا بهذه المعجزات القاهرة فقال تعالى (إنا آتينا موسى) معجزات مساوية لهذه الآشياء التى طلبتموها بل أقوى منها وأعظم فلو حصل فى علمنا أن جعلها فى زمانكم مصلحة لفعلناها كما فعلنا فى حق موسى فدل هذا على إنا إنما لم نفعلها فى زمانكم لعلمنا أنه لا مصلحة فى فعلها .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إعلم أنه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه الصلاة والسَّلام (أحدها) أن الله تُعالى أزال العقدة من لسائه قيل فىالتفسير ذهبت العجمة وصَارفصيحاً (وثانيها) إنقلاب العصاحية (وثالثها) تلقف الحية حبالهم وعصيهم مع كثرتها (ورابعها) اليد البيضا. وخمسة أخر وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (والعاشر) شق البحر وهو قوله (وإذ فرقنا بكم البحر) (والحادي عشر) الحجروهوقولة (أن اضرب بعصاك الحجر) (الثاني عشر) إظلال الجبل وهو قوله تعالى (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة)(والثالث عشر) الزال المن والسلوى عليه وعلى قومه (والرابع عشر والحامس عشر) قوله تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالمنين ونقص من الثمرات). (والسادس عشر) لطمس على أمو الهم من النحل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير روى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله (تسع آيات بينات) فذكر محمَّد بن كعب في مسألة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال ياغلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فآذا فيـه بيض مكسور نصفین وجوز مکسور وفول وحمص وعدس کلها حجارة إذا عرفت هـذا فنقول إنه تعالی ذکر في القرآن هذه المعجزات الستة عشر لموسى عليه الصلاة والسلام وقال في هذه الآية (ولقد آ تينا موسى تسع آيات بينات)وتخصيص التسعة بالذكر لايقدح فيه ثبوت الزائد عليه لأنا بينا فيأصول الفقه أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نني الزائد بلُّ نقول إنما يتمسك في هذه المسألة بهذه الآية ثم نقول: أما هذه التسعة فقد اتفقوا على سُبعة منها وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبتى الاثنان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما ولما لم تكن تلك الاحوال مستندة إلى حجة ظنية فضلا عن حجة يقينية لاجرم تركت تلك الروايات، وفي تفسيرقوله تعالى (تسع آيات بينات) أقوال أجودها ما روى صفوان بن عسالاًمه قال إن يهودياً قال لصاحبه إذهب بنا إلى هــذا النبي نسأله عن تسع آيات فذهبا إلى النبي عَرَاقِيمٌ وسألاه عنها فقال هن أن لاتشركوا بالله شيئاً , لا تسرقوا ولاتزنوا ولا تقتلوا ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفراريوم الزحف وعليكم خاصة اليهود أن تعدلوا فى السبت فقام اليهوديان فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد إنك ني ولولا نُخاف القتل وإلا اتبعناك .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) فيه مباحث:

﴿ البحث الأول ﴾ فيهوجوه (الوجه الأول) أنه اعتراض دخل فى الكلام والتقدير (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) ـ إذ جاء بنى إسرائيل فاسألهمـ وعلى هذاالتقدير فليس المطلوب من الفخر الرازي ـ ج ٢١ م ٥

سؤاله بنى إسرائيل أن يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود أن يظهر لعامة اليهود وعلمائهم صدق ما ذكره الرسول فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد (والوجه الثانى) أن يكون قوله فاسأل بنى إسرائيل أى سلهم عن فرعون. وقل له أرسل معى بنى اسرائيل (والوجه الثالث) سل بنى إسرائيل أى سلهم أن يوافقوك والتمس منهم الإيمان الصالح. وعلى هذا الناويل فالتقدير فقلنا له سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك.

﴿ البحث الثانى ﴾ أمر رسول الله بَرَائِيَّةِ بأن يسأل بنى إسرائيل معنلَه الذين كانوا موجودين في زمان الذي يَرَائِيَّةِ والذين جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام هم الذين كانوا فى زمان موسى حسفت كانوا فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم لماكانوا أولاد أولئك الذين كانوا فى زمان موسى حسفت هذه الكناية . ثم أخبر تعالى أن فرعون قال لموسى (إنى الاظنك ياموسى مسحورا) وفى لفظ المسحور وجوه (الأول) قال الفراء إنه بمعنى الساحر كالمشئوم والميمون وذكرنا هذا فى قوله (حجاباً مستورا) ، (الثانى) أنه مفعول من السحر أى أن الناس سحروك و خبلوك فتقول هذه الكلمات لهذا السبب (الثالث) قال محمد بن جرير الطبرى معناه أعطيت علم السحر ، فهذه العجائب التى تأتى بها من ذلك السحر ثم أجابه موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) وفيه مباحث :

(البحث الأول) قرأ الكسانى علمت بضم الناء أى علمت أنها من علم الله فان علمت وأقررت وإلا هلكت والباقون بالفتح وضم الناء قراءة على وفتحها قراءة ابن عباس وكان على رضى الله عنه يقول والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذى علم فبلغ ذلك ابن عباس رضى الله عنهما فاحتج بقوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى عليه السلام قال الزجاج الأجود فى القراءة الفتح لأن علم فرعون بأنها آيات نازلة من عند الله أوكد فى الحجة فاحتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون أوكد من الاحتجاج بعلم نفسه ، وأجاب الناصرون لقراءة على عليه السلام عن دليل ابن عباس فقالوا من الاحتجاج بعلم نفسه ، وأجاب الناصرون لقراءة على عليه السلام عن دليل ابن عباس فقالوا هذه الآيات نازلة من عند الله فليس فى الآية ما يدل عليه ، وأجابوا عن الوجه الثانى بأن فرعون قال (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) قال موسى (لقد علمت) فكانه ننى ذلك وقال لقد علمت صحة ما أنيت به علما صحيحاً علم العقلاء . واعلم أن هذه الآيات من عند الله ولا تشك فى ذلك بسبب سفاهتك .

﴿ البحث الثانى ﴾ التقدير ما أنزل هؤلاء الآيات ونظيره قوله: والعيش بعد أولئك الأقوام وقوله بصائر أى حججاً بينة كاثما بصائر العقول وتحقيق الكلام أن المعجزة فعل خارق للمادة فعله فاعله لغرض تصديق المدعى ومعجزات موسى عليه الصلاة والسلام كانت موصوفة

بهذين الوصقين لأنها كانت أفعالا خارقة للعادة وصرائح العقول تشهد بأن قلب العصاحية معجزة عظيمة لايقدر عليها إلا الله ثم إن تلك الحية تلقفت حبال السحرة وعصيهم على كثرتها ثم عادت عصاكما كانت فأصناف تلك الأفعال لايقدر عليها أحد إلا الله ، وكذا القول في فرق البحر وإظلال الجبل فثبت أن تلك الأشياء ماأنزلها إلا رب السموات (الصفة الثانية) أنه تعالى إنما خلقها لتدل على صدق موسى في دعوة النبوة ، وهذا هو المراد من قوله (ماأنزل هؤلا. إلا رب السموات والأرض) حال كونها بصائر أي دالة على صدق موسى في دعواه وهذه الدفائق لا يمكن فهمها من القرآن إلا بعد إتقان علم الأصول وأفول يبعد أن يصير غير علم الأصول العقلي قاهراً في تفسير كلام الله ثم حكى تعالى أن موسى قال لفرعون (وإنى لاظنك يافرعون مثبوراً) واعلم أن فرعون قال لمونىي (و إنى لأظنك ياموسي مسحوراً) فعارضه موسى وقال له (وإنى لاظنك يافرعون مثبوراً) قال الفراء: المثبور المُلعون المحبوس عن الحيروالعرب تقول ماثبرك عن هذا أى مامنعك منه وما صرفك ، وقال أبو زيد يقال ثبرت فلاناً عن الشي. أثبره أى رددته عنه، وقال مجاهد وقتادة هالكا، وقال الزجاج يقال ثبر الرجل فهو مثبور إذا هلك، والثبور الهلاك، ومن معروف الكلام فلان يدعو بالويل والثبور عند مصيبة تناله، وقال تعالى (دعوا هنا لك ثبوراً ، لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبورا كثيراً) واعلم أن فرعون لما وصف موسى بكونه مسحوراً أجابه موسى بأنك مثبور يعنى هذه الآيات ظاهرة ، وهذه المعجزات قاهرة ولايرتاب العاقل في أنها من عند الله و في أنه تعالى إنما أظهرها لأجل تصديق وأنت تنكرها فلا يحملك على هذا الإنكار إلا الحسد والعناد والغي والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والثبور، ثم قال تعالى (فأراد أن يستفزهم مر. الارض) يه في أراد فرعون أن يخرجهم يعني موسى وقومه بني إسرائيل ، ومعني تفسير الاستفزاز تقدم في هذه السورة من الأرض يعني أرض مصر ، قال الزجاج: لا يبعد أن يكون المراد من استفزازهم إخراجهم منهم بالقتل أو بالتنحية ثم قال (فأغرقناه ومن معه جميعاً) المعنى ماذكره الله تعالى في قوله (ولا يحيق المكر السي. إلا بأهله) أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتخلص له تلك البلاد والله تعالى أعلك فرعون وجعل ملك مصر خالصة لموسى ولقومه وقال (لبني اسرائيل اسكنوا الأرض) خالصة لـكم خالية من عدوكم قال تعالى (فاذا جا. وعد الآخرة) يريد القيامة (جثنا بكم لفيفاً) من هاهنا وهاهنا ، واللفيف الجمع العظيم من أخلاط شتى من الشريف والدني. والمطيع والعاصي والقوى والضعيف ، وكل شي. خلطته بشي. آخر فقدلففته ، ومنه قيل لففت الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض وقوله النفت الزحوف ومنه ، التفت الساق بالساق ، والمعنى جثنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً يعنى جميع الخلق المسلم والكافرو البر والفاجر.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَهُ وَبِالْحُقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ وَهَ وَقُوْءَانَا فَرَوْ اللّهِ عَلَى أَمُحُثُ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ وَهَ وَاللَّهُ عَلَيْهِ مَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ الللَّهُ اللَّا الللَّهُ ا

قوله تعالى : ﴿ وَبَالَحَقُ أَنْرَلْنَاهُ وَبِالْحَقَ نُولُ وَمَا أُرْسَلْنَاكُ إِلَّا مَبْشُراً وَنَذَيْراً. وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً. قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذفان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾

إعلم أنه تعالى لما بين أن القرآن معجز قاهر دال على الصدق في قوله (قل لأن اجتمعت الإنس والجن) ثم حكى عن الكفار أنهم لم يكتفوا بهذا المعجز بل طلبوا سائر المعجزات ، ثم أجاب الله بأنه لاحاجة إلى إظهار سائر المعجزات وبين ذلك بوجوه كثيرة ، منها أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام آناهم الله تسع آيات بينات فلما جحدوا بها أهلكهم الله فكذا هاهنا ، ثم الاستئصال بهم وذلك غير جائز في الحكمة لعلمه تعالى أن منهم من يؤمن والذي لا يؤمن فسيظهر من نسله من يصير مؤمنا ، ولما تم هذا الجواب عاد إلى تعظيم حال القرآن وجلالة درجته فقال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) والمعنى أنه ما أردنا بانزاله إلا تقرير الحق والصدق وكما أردنا هذا المعنى وحصل وفي هذه الآية فوائد (الفائدة الأولى) أن الحق هوالثابت الذي لا يؤول وذلك لانه مشتمل على دلائل النوحيد وصفات الجلال والإكرام وعلى تعظيم الملائكة لا يتول وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والإكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير نبوة الانيانة وإثبات الحشر والنقس والتحريف ، وأيضا فهذا الكتاب كتاب تكفل على شريعة باقية لا يتطرق اليها النسخ والنقض والتحريف ، وأيضا فهذا الكتاب كتاب تكفل الله بحفظه عن تحريف الوائه في وتبديل الجاهلين كما قل (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فكان هذا الكتاب حقا من كل الوجوه (الفائدة الثانية) أن قوله (وبالحق أنزلناه) يفيد الحصر فكان هذا الكتاب حقا من كل الوجوه (الفائدة الثانية) أن قوله (وبالحق أنزلناه) يفيد الحصر فكان هذا الكتاب حقا من كل الوجوه (الفائدة الثانية) أن قوله (وبالحق أنزلناه) يفيد الحصر فكان هذا الكتاب حقا من كل الوجوه (الفائدة الثانية) أن قوله (وبالحق أنزلناه) يفيد الحصر

ومعناه أنه ما أنزل لمقصود آخر سوى إظهار الحق وقالت المعتزلة ، وهذا يدل على أنه ماقصد بالزاله إضلال أحد من الخلق ولا اغواؤه ولا منعه عن دين الله (الفائدة الثالثة) قوله (وبالحق أنزلناه و بالحق نزل) يدل على أن الإنزال غير البزول ، فوجب أن يكون الخلق غير المخلوق وأن يكون التكوين غير المحكون على ماذهب اليه قوم (الفائدة الرابعة) قال أبو على الفارسي الباء في قوله (وبالحق أنزلناه) بمعنى مع كما تقول نزل بعدته وخرج بسلاحه ، والمدني أنزلنا القرآن مع الحق وقوله (وبالحق نزل) فيه احتمالان (أحدهما) أن يكون التقدير نزل بالحق كما تقول نزلت بزيد وعلى هذا التقدير الحق محمد يهلي لأن القرآن نزل به أي عليه (الثاني) أن تكون بمعني مع كما قلنا في قوله (وبالحق أنزلناه) ثم قال تعالى (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيراً) والمقصود كن هؤلاء الجهال الذين يقتر حون عليك هذه المعجزات و يتمردون عن قبول دينك لاشيء عليك من كفرهم فاني ماأرسلتك إلا مبشراً للمطيعين ونذيراً للجاحدين فان قبلوا الدين الحق انتفعوا به وإلا فليس عليك من كفرهم شيء.

ثم قال ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ﴾ وفيه مباحث:

(البحث الأول) أن القوم قالوا: هب إن هذا القرآن معجز إلا أنه بتقدير أن يكون الامركذلك فكان من الواجب أن ينزله الله عليك دفعة واحدة ليظهر فيه وجه الإعجاز فجعلوا إتيان الرسول مهذا القرآن متفرقا شبهة فى أنه يتفكر فى فصل فصل ويقرأه على الناس فأجاب الله عنه بأنه إنما فرقه ليكون حفظه أسهل ولتكون الإحاطة والوقوف على دقائقه وحقائقه أسهل (البحث الثانى) قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء السفلى ، ثم فصل فى السنين التى نزل فيما ، قال قتادة كان بين أوله وآخره عشرون سنة والمعنى قطعناه آية آية وسورة سورة ولم نبزله جملة لتقرأه على الناس على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة أى لا على فورة. قال الفراء: يقال مكث ومكث يمكث ، والفتح قراءة عاصم فى قوله (فكث غير بعيد).

(البحث الثالث) الاختيار عند الأئمة فرقناه بالتخفيف وفسره أبو عمرو بيناه قال أبو عبيد التخفيف أعجب إلى لآن تفسيره بيناه ومن قرأ بالتشديد لم يكن له معنى إلا أنه أنزل متفرقاً فالفرق يتضمن التبيين و يؤكده ما روى ثعلب عن اب الاعرابي أنه قال فرقت أفرق بين الكلام وفرقت بين الأجسام ويدل عليه أيضاً قوله يتلقي و البيعان بالخيار مالم يتفرقا » ولم يقل يفترقا والتفرق مطاوع النفريق والافتراق مطاوع الفرق ثم قال (وتزلناه تنزيلا) أى على الحد المذكور والصفة المذكورة ثم قال (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) يخاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه النهديد والانكار أى أنه تعالى أوضح البينات والدلائل وأزاح الإعذار فاختاروا ماتريدون ثم قال زان الذين أوتوا العلم من قبله) أى من قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس منأهل

قُلِ الْمُعُواْ اللهَ أُوِ الْمُعُواْ الرَّمُونَ أَيَّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَا } الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلا تَحْفَلُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ ال

الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد عليالية خروا سجداً منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام ثم قال (يخرون للأذفان سجداً) وفيه أفوال : (القول الأول) قال الزجاج الذقن بحمع اللحيين وكلما يبتدى. الانسان بالخِرُور الى السجود فأقرب الاشياء من الجبهة الى الأرض الذقن (والقول الثاني) أن الأذقان كناية عن اللحي والانسان اذا بالغ عند السجود في الخضوع والخشوع ربما مسح لحيته على التراب فان اللحية يبالغ في تنظيفها فاذا عفرها الانسان بالتراب فقد أنى بغاية التعظيم (والقول الثالث) ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعمالي فربما سقط على الأرض في معرض السجود كالمغشى عليه ومتى كان الأمركذلك كان خروره على الذقن في موضع السجود فقوله (يخرون للأذقان)كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته ثم بتي في الآية سؤالان (السؤال الأول) لم قال (يخرون للاذقان سجداً) ولم يقل يسجدون؟ والجواب المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم الى ذلك حتى أنهم يسقطون (السؤال الثابي) لم قال (يخرون للاذقان) ولم يقل على الاذقان والجواب العرب تقول اذا خز الرجل فوقع على وجهه خر للذقن والله أعلم ، ثم قال تعالى (ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) والمعنى انهم يقولون في سجودهم (سبحان ربنا) أي ينزهونه و يعظمونه (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي بانزال القرآن وبعث محمد وه ذا يدل على أن هؤلا. كانوا من أهل الكتاب لأن الوعد ببعثة محمد سبق فى كتابهم فهم كانوا ينتظرون إنجاز ذلك الوعد ثم قال (ويخرمون للا ذقان يبكون)والفائدة فى هـذا التكرير اختلاف الحالين وهما خرورهم للسجود وفى حال كونهم باكين عنــد استماع القرآن ويدل عليه قوله (ويزيدهم خشوعاً) ويجوز أن يكون تكرار القول دلالة على تكرار الفعل منهم وقوله (يبكون) معناه الحال (ويزيدهم خشوعا) أى تواضعاً واعلم أنالمقصود من هذه الآية تقرير تحقيرهم والازدرا. بشأنهم وعدم الاكتراث بهم وبايمانهم وامتناعهم منه وأنهم و إن لم يؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منهم .

قِوله تعالى : ﴿ قُلُ ادْعُوا الله أَو ادْعُوا الرَّحْنُ أَيّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَا. الْحَسْنَى وَلَا تَجْهُر بَصِلَاتُكُ وَلَا تَخَافُت بِهَا وَابْتَغَ بِينَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقَلَ الْحَمْدُ للهُ الذِّي لَمْ يَتَخَذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكُ فَيَ المَلْكُ وَلَمْ يَكُنْ

لَّهُ, وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ١

له ولى من الذل وكبره تكبيراً 🌢

قال صاحب الكشاف المراد بهما الاسم لا المسمى والواو للتخيير بمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الله و الرحن) أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في (أيا) عوض عن المضاف اليه و (ما) صلة للابهام المؤكد لما في أى والتقدير أى هذن الاسمين سميتم وذكرتم (فلهالا سمياء الحسنى) والضمير في قوله (فله) ليس براجع الى أحد الإسمين المذكورين ولكن الاسماء الحسنى) لانه إذا حسنت أسماؤه فقد حسن هذان الإسمان لانهما منها ومعنى حسن أسماء الله كونها ومعنى حسن أسماء الحسنى) لانه إذا حسنت أسماء العسنى الانتحميد والتقديس وقد سبق الاستقصاء في هذا الباب في آخر سورة الأعراف في تفسير قوله (ولله الاسماء الحسنى) فادعوه بها والحتج الجبائي بهذه الآية فقال لوكان تعالى هو الخالق للظلم والجور لصح أن يقال ياظالم وحيند يبطل ما ثبت في هذه الآية من كون أسماء بأسرها حسنة (والجواب) أنا لانسلم أنه لوكان خالقاً لأفعال العباد لصح وصفه بأنه ظالم وجائز كم أنه لايلزم من كونه خالقاً للحركة والسكون والسواد والبياض أن يقال يامتحرك ويا أسود ويا أبيض (۱) فان قالوا فيلزم جواز ان يقال ياخالق الظلم والجورقلنا فيلزم ويا أن تقولوا ياخالق العدرات والديدان والحنافس وكما أنكم تقولون أن ذلك حق في نفس الام ولكن الادب أن يقال ياخالق السموات والارض فكذا قولنا هنا ، ثم قال تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخاف بما) وفيه مهاحث:

(البحث الأول) قوله (ولا تجهر بصلاتك) فيه أفوال (الأول) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال كان رسول الله برائج يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى إليه (ولا تجهر بصلاتك) فيسمع المشركون فيسبوا الله عدواً بغيراً علم (ولا تخافت بها) فلا تسمع أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلا (القول الثانى) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة ، وكان أبو بكر يخنى صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلك جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله والته بالقراءة في صلاته صوتك فقال أناجى ربى ، وقد علم حاجتى وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر النبي برائج أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا (القول الثالث) معناه (ولا تجهر بصلات الليل أن تجهر بصلاة الليل

⁽١) يقتضى القياس في الرد على الجبائي أن يقول : أن أسهاء الله توقيقية وهي تسعة وتسعون كلها في القرآن فلا ينبغي أن، يسمر بغيرها

وتخافت بصلاة النهار (والقول الرابع) ان المراد بالصلاة الدعا. وهذا قول عائشة رضى الله عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة رضى الله عنها هى فى الدعا. وروى هذا مرفوعا أن النبي بيليج قال فى هذه الآية إنما ذلك فى الدعا. والمسألة لاترفع صوتك فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك فتعير بها فالجهر بالدعا. منهى عنه والمبالغة فى الإسرار غير جائزة والمستحب من ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود أنه قال لم يخافت من أسمع أذنيه (والقول الخامس) قال الحسن لا ترا. بعلانيتها ولا تسى. بسر بتها.

﴿ البحث الثانى ﴾ الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والأذكار والجهر والمخافتة من عوارض الصوت فالمراد ههنا من الصلوات بعض أجزاء ماهية الصلاة وهو الاذكار والقرآن وهو من باب إطلاق اسم الحكل لإرادة الجزء.

﴿ البحث الثالث ﴾ يقال خفت صوته يخفت خفتاً وخفوتاً إذا ضعف وسكر. _ وصوت خفيتُ أَى خفيض ومنه يقال للرجل إذا مات قد خفت أى انقطع كلامه وخفت الزرع إذا ذبل وخفت الرجل يخافت بقراءته إذا لم يبين قراءته برفع الصوت وقد تخافت القوم إذا تساروا بينهم وأقول ثبت فى كتب الاخلاق أن كلا طرفى الامور ذميم والعدل هو رعاية الوسط ولهذا المعنى مدح الله هذه الامة بقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطّاً)وقال في مدح المؤمنين (والذين إذا. أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ وأمر الله رسوله فقال (و لا تجمل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطهاكل البسط) فكذا ههنا نهى عن الطرفين وهو الجهرو المخافتة وأمر بالتوسط بينهما فقال (وابتخ بين ذلك سبيلا) ومنهم من قال الآية منسوخة بقـوله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وهو بعيد واعلم أنه تعالى لما أمر أن لايذكر ولا ينادى إلا بأسمائه الحسني علمه كيفية التحميد فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) فذكر ههنا من صفات التنزيه والجـلال وهي السلوب ثلاثة أنواع من الصفات (النوع الأول) من الصفات أنه لم يتخذ ولداً والسبب فيه وجوه (الأول) أن الولد هو الشي. المتولد من جزء من أجزاء شي. آخر فكل من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج لايقدر على كمال الإنعام فلا يستحق كمال الحمد (الثانى) أن كل من له ولد فانه بمسك جميع النعم لوَّلَده فاذا لم يكن له ولد أفاض كل تلك النعم على عبيده (الثالث) أن الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفنائه فلوكان له ولد لكان منقضياً ومنكان كذلك لم يقدر على كال الإنعام في كل الأوقات فوجب أن لايستحق الحمد على الإطلاق (والنوع الثاني) من الصفات السلبية قوله (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك فينئذ لا يعرف كونه مستحقاً للحمد والشكر (والنوع الثالث) قوله (ولم يكن له ولى من الذل) والسبب في اعتبار هـذه الصفة أنه لو جاز عليه ولى من الذل لم يجب شكره لتجويز أن غيرٍه حمله

على ذلك الإنعام أو منعه منه ، أما إذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وكان منزها عن أن يكون له ولى يلي أمره كان مستوجباً لاعظم أنواع الحمد ومستحقاً لأجل أفسام الشكرثم قال تعالى (وكره تكبيراً) ومعناه أن التحميد بجب أن يكون مقروناً بالنكبير ويحتمل أنواعا من المعانى (أولَمَا) تكبيره في ذاته وهو أن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وأنه غي عن كل ما سواه (وثانيها) تكبيره في صفاته وذلك من ثلاثة أوجه (أولها) أن يعتقد أن كل ما كان صفة له فهو من صفات الجلال والعز والعظمة والكمال وهو ميزه عن كلصفات النقائص (وثالثها) أن يعتقد أنكل واحد من تلك الصفات متعلق بما لا نهاية له من المعلومات وقدرته متعلقة بما لا نهاية له من المقدورات والممكنات (ورابعها) أن يعتقد أنه كما تقدست ذاته عن الحدوث وتبزهت عن التغير والزوال والتحول والانتقال فكذلك صفاته أزلية قديمة سرمدية منزهة عرب التغير والزوال والتحول والانتقال (النوع الثالث) من تكبير الله تكبيره في أفعاله وعند هذا تختلف أهل الجبر والقدر فقال أهل السنة إنا نحمد الله ونكره ونعظمه على أن يجرى في سلطانه شي. لاعلى وفق حكمه وإرادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته ومشيئنه وإرادته ، وقالت المعتزلة إنا نكبر الله و نعظمه عن أن يكون فاعلاً لهذه القبائح والفواحش بل نعتقد أن حكمته تقتضي التنزيه والتقديس عنها وعن إرادتها وسمعت أن الاستاذ أبا اسحاق الإسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمداني فلما رآه قال سبحان من تنزه عرب الفحشاء فقال الاستاذ أبو اسحاق سبحان من لا يحرى في ملكه إلامايشاء(١) (النوع الرابع) تكبير الله في أحكامه وهو أن يعتقد أنه ملك مطاع وله الامر والنهى والرفع والخفض وأنه لا اعتراض لاحد عليــه فى شي. من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء (النوع الخامس) تكبير الله فى أسمائه وهو أن لايذكر إلا بأسمائه الحسني ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة العالية المنزهة (النوع السادس) من التكبير هو أن الإنسان بعد أن يبلغ في التكبير والتعظيم والتنزيه والتقديس مقدار عقله وفهمه وخاطره يعترف أن عقله وفهمه لا بني بمعرفة جلال الله ، ولسانه لا بني بشكره ، وجوارحه وأعضاؤه لا تني بخدمته فكبر الله عن أن يكون تكبيره وافياً بكنه مجده وعزته . وهذا أقصى ما يقدر عليه العبد الضعيف من التكبير والتعظيم ونسأل الله تعالى الرحمة قبل الموت وعند الموت و بعد الموت إنه الكريم الرحم وبالله العصمة والتوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى : « تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثا. بين الظهر والعصر يوم العشرين من شهر المحرم فى بلدة غزنين سنة إحدى وستمائة والحمد لله والصلاة على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما » .

⁽ ١) لهذه المحاورة تتمة وهي أن القاضي عبد الجبار ردعليه بقوله (أيريد ربك أن يعصي ؟ فحجه أبو اسحاق بقوله ؛ أيعصي ربك كرها عنه ؟ والاسفرايتي من أهل السنة وعبد الجبار من المعترلة .

(١٨) سُمُوكَةُ (الْكَافِيْ عَكِيتُ مُنْ اللهُ ال

قال ان عباس إنها مكية غير آيتين منها فيهما ذكر عيينة بن حصن الفزارى وعن قتادة أنها مكية وعن رسول الله بَرِّكِتْم قال و ألا أدلـكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ؟ هي سورة الـكهف » .

بِنْ الرَّحْمَرِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدهِ الْكَتَابَ وَلَمْ يَجْعَلَ لَهُ عِوَجًا ﴿ مَا تَيْمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَدُنَهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجَرًا حَسَنَا ﴿ مَا مَكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿ مَنْ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كثين فيه أبداً ﴾ في الآية مسائل : ﴿ المسألة الأولى ﴾ أما الكلام في حقائق قولنا (الحمد لله) فقد سبق ، والذي أقوله ههنا أن التسبيح أيما جاء فاتما جاء مقدماً على التحميد ، ألاثرى أنه يقال (سبحان الله والحمد لله) إذا عرفت هذا فنقول : إنه جل جلاله ذكو التسبيح عندما أخبر أنه أسرى بمحمد على الله فقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) وذكر التحميد عند ما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد على قال (الحمد لله الذي أنزل على عبده اللكتاب) وفيه فو اثد :

﴿ الفائدة الأولى ﴾ أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لاينبغى وهو إشارة الى كونه كاملا فى ذانه والتحميد عبارة عن كونه مكملا لغيره ، ولاشك أن أول الأمر هو كونه كاملا فى ذاته . ونهاية الأمركونه مكملا لغيره . فلا جرم وقع الابتدا. فى الذكر بقولنا سبحان الله ثم ذكر بعده الحد لله تنبها على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية . إذا عرفت هذا فنقول : ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكناب لفظ التحميد ، وهذا تنبيه على أن الإسراء به

أول درجات كماله وإنزال الكتاب غاية درجات كماله ، والأمر فى الحقيقة كذلك لآن الإسراء به إلى المعراج يقتضى حصول الكمال له ، وإنزال الكتاب عليه يقتضى كونه مكملا للأرواح البشرية وناقلا لها من حضيض البهيمية إلى أعلى درجات الملكية ، ولاشك أن هذا الثانى أكمل . وهذا تنبيه على أن أعلى مقامات العباد مقاماً أن يصير [العبد]عالماً فى ذاته معلما لغيره ولهذا روى فى الحبر أنه على الصلاة والسلام قال : « من تعلم وعلم فذاك يدعى عظما فى السموات » .

﴿ الفائدة الثانية ﴾ أن الإسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت إلى فوق وإنزال الكتاب عليه عبارة عن إنزال نور الوحى عليه من فوق الى تحت ، ولاشك أن هذا الثانى أكمل .

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ أن منافع الإسراء به كانت مقصورة عليه ألا ترى أنه تعمالي قال هنالك (لنريه من آياتنا) ومنافع انزال الكتاب عليه متعدية ، ألا ترى أنه قال (لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين) والفوائد المتعدية أفضل من القاصرة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ المشهة استدلوا بلفظ الإسرا. في السورة المتقدمة وبلفظ الإنزال في هذه السورة على أنه تعالى مختص بجهـة فوق (والجواب) عنه مذكور بالتمام في سورة الاعراف في تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش).

والمسألة الثالثة وإنزال الكتاب نعمة عليه و نعمة علينا، أما كونه نعمة عليه فلا نه تعالى أطلعه بو المسالة الثالثة وإنزال الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والإكرام وأسرار أحوال الملائكة والانبياء وأحوال القضاء والقدر، و تعلق أحوال العالم السفلى بأحوال العالم الملائكة والمالم الموى، و تعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا، وكيفية نزول القضاء من عالم الفيب، وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات، و تصيير النفس كالمرآة التي يتجلى فيها عالم الملكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت، فلاشك أن ذلك من أعظم النعم، وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلا نه مشتمل على التكاليف والأحكام والوعيد والوعيد والثواب والعقاب، وبالجلة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل واحد ينتفع به مقدارطاقته وفهمه فلماكان كذلك ويجبعلى الرسول وعلى جميع أمته أن يحمديوا الله عليه فعلمهم الله تعالى كيفية ذلك التحميد فقال (الحمد الله الرسول وعلى عبده الكتاب عمرائمة أن يحمديوا الله عليه فعلمهم الله تعالى وعلى عائمة أن يحمديوا الله عليه فعلمهم الله تعالى وعلى عبده الكتاب عمرائمة أن الشيء بحب أن يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملالفيره وبحب أن يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملالفيره في قوله (ولم يجعل له عوجا) إشارة إلى كونه كاملا في ذاته وقوله (قيا) إشارة إلى كونه مكملا فيره في قوله (لا يعمل له عوجا) إشارة إلى كونه كاملا في ذاته وقوله في نفسه بالغاً في الصحة وعدم لغيره في هدى للمنقين) فقوله (لارب فيه) إشارة الى كونه في نفسه بالغاً في الصحة وعدم

الاخلال إلى حيث يجب على العاقل أن لايرتاب فيه وقوله (هدى للمتقين) إشارة إلى كونه سبباً لهداية الخلق وإكمال حالهم فقوله (ولم يجعل لهءوجاً) قائم مقام قوله (لاريب فيه) وقوله (قيما) قائم مقام قوله (هدى للمتقين) وهذه أسرار لطيفة .

(البحث الثانى) قال أهل اللغة العوج فى المعانى كالعوج فى الأعيان، والمراد منه وجوه: (احدها) ننى التناقض عن آياته كما قال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً). (وثانيها) أن كل ماذكرالله من التوحيد والنبوة والآحكام والتكاليف فهو حق وصدق ولاخلل فى شى. منها البتة (وثالثها) أن الإنسان كا نه خرج من عالم الغيب متوجها إلى عالم الآخرة وإلى حضرة جلال الله وهذه الدنيا كا نها رباط بى على طريق عالم القيامة حتى أن المسافر إذا نزل فيه اشتغل بالمهمات التي يجب رعايتها فى هذا السفر ثم يرتحل منه متوجها إلى عالم الآخرة فكل مادعاه فى الدنيا إلى الآخرة ومن الجسمانيات الى الروحانيات ومن الحلق الى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدانية إلى الاستنارة بالآنوار الصمدانية فنبت أنه ميراً عن العوج والانحراف والباطل فلهذا قال تعالى (ولم يجعل له عوجاً) (الصفة الثانية) للكتاب وهي قوله (قيها) قال ابن عباس يريد مستقيا وهذا عندى مشكل لآنه لاعدى لننى الاعوجاج إلا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وأنه باطل، بل الحق ما ذكرناه وأن المراد من كونه (قيها) أنه سبب لهداية الحلق وأنه يجرى من يكون قيها للأطفال، فالأرواح البشرية كالأطفال، والقرآن كالقيم الشفيق وأنه يجرى من يكون قيها للأطفال، فالأرواح البشرية كالأطفال، والقرآن كالقيم الشفيق القائم مصالحهم.

(البحث الثالث) قال الواحدى جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير والتقدير: أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجاً. وأقول قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لانا بينا أن قوله (ولم يجعل له عوجاً) يدل على كونه كاملا فى ذاته ، وقوله (قيماً) يدل على كونه مكملا لغيره وكونه كاملا فى ذائه متقدم بالطبع على كونه مكملا لغيره فثبت بالبرهان العقلى أن الترتيب الصحيح هو الذى ذكره الله تعالى وهو قوله (ولم يجعل له عوجاً قيماً) فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه.

(الاول) قال صاحب الكشاف لايجوز جعله حالا من الكتاب لأن قوله (ولم يجعل له عوجاً) معطوف على قوله (الزل) فهو داخل فى حيز الصلة فجعله حالا من الكتاب يوجب الفصل معطوف على قوله (أنزل) فهو داخل فى حيز الصلة فجعله حالا من الكتاب يوجب الفصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة ، وأنه لايجوز . قال : ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير (ولم يجعل له عوجا ـ وجعله ـ قيماً) · (الوجه الثانى) قال الأصفهانى الذى برى فيه أن يقال قوله (ولم يجعل له عوجا) حال وقوله (قيما) حال أخرى وهما حالان متواليان والتقدير أنزل على عبده الكتاب غير بجعول له عوجا قيما (الوجه الثالث) قال السيد صاحب حل العقد

يمكن أن يكون قوله (قيما) بدلا من قوله (ولم يجعل له عوجاً) لأن معنى (لم يجعل له عوجاً) أته جعله مستقيما فكا نه قيل (أنزل على عبده الكتاب) وجعله (قيمًا)، (الوجه الرابع) أن يكون حالا من الضمير في قوله (ولم بجعل له عوجاً) أي حال كونه قائمًا بمصالح العباد وأحكام الدين ، واعلم أنه تعالى لما ذكر أنه (أنزل على عبده الكتاب) الموصوف مهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لاجله أنزله فقال (لينذر بأساً شديداً من لدنه) وأنذر متعد إلى مفعولين كـقوله(إنا أنذرناكم عذاباً قريباً) إلا أنه اقتصر ههنا على أحدهما وأصله (لينذر-الذين كفروا- بأساً شديداً) كما قال في صده (ويبشر المؤمنين) والبأس مأخوذ من قوله تعمالي (بعذاب بئيس) وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبآسة وقوله (من لدنه) أي صادراً من عنده قال الزجاج وفي (لدن.) لغات يقال لدن ولدى ولد والمعنى واحد ، قال وهي لا تتمكن تمكن عند لانك تقول هذا القول صواب عندی و لا تقول صواب لدنی و تقول عندی مال عظیم و المال غائب عنك ولدنی لما يليك لاغير وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر بسكون الدال مع إشهام الضم وكسر النون والها. وهى لغة بني كلاب ثم قال تعالى (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) واعلم أن المقصودين إرسال الرسل إنذار المذنبين وبشارة المطيعين ، ولما كان دفع الضرر أهم عند [ذوى] لعقول من إيصال النفع لا جرم قدم الإبذار على التبشير في اللفظ ، قال صاحب الكشاف وقرى. ويبشر بالتخفيف والتُّنقيل وقوله (ما كثين فيه أبداً) يعنى خالدين وهو حال للمؤمنين من قوله (أن لهم أجراً) (الأول) أنه تعالى وصفه بالإنزال والنزول وذلك من صفات المحدثات فان القديم لا يجوز عليه التغير (الثاني) وصفه بكونه كتاباً والكنب هو الجمع وهو سمى كتاباً لكونه بحموعاً من الحروف والكلمات وما صح فيه التركيب والتأليف فهو محدث (الثالث) أنه تعالى أثبت الحد لنفسه على إنوال الكتاب والحمد إنما يستحق على النعمة والنعمة محدثة مخلوقة (الرابع) أنه وصف الكتاب بأنه غير معوج وبأنه مستقيم والقديم لا يمكن وصفه بذلك فثبت أنه محدث مخلوق (و ثانيها) مسألة خلق الإعمال فان هـذه الآيات تدل على قولنا في هذه المسألة من وجوه (الأول) نفس الأمر بالحد لأنه لو لم يكن للعبد فعل لم ينتفع بالكتاب إذ الانتفاع به إنما يحصل إذا قدر على أن يفعل ما دل الكتاب على أنه يجب فعله ويترك ما دل الكتاب على أنه يجب تركه وهو إنما يفعل ذلك لوكان مستقلا بنفسه ، أما إذا لم يكن مستقلا بنفسه لم يكن لعوج الكتاب أثر في اعوجاج فعله ولم يكن لكون الكتاب قيما أثر في استقامة فعله، أما إذا كان العبد قادراً على الفعل مختاراً فيه بق لعوج الكتاب واستقامته أثر فى فعله (والثانى) أنه تعلل لوكان أنزل بعض الكتاب ليكون سبباً لكفرالبعض وأنزل الباقى ليؤمن البعض الآخر فمن أين أن الكتاب قيم لاعوج فيه؟ لأنه لوكان فيه عوج لما زاد على ذلك (والثالث) قوله (لينذر) وفيه دلالة على أنه تعمَّالى أراد منه عليه

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُواْ الْمُحَدَّ اللَّهُ وَلَدا ﴿ مَالَهُم بِهِ عِمِنْ عِلْمِ وَلَا لِلْاَبَآ عِهِمْ كَبُرَتْ كَلَيْهَ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُواْ الْمُحَادُ اللَّهُ وَلَوْنَ إِلَّا كَذِبًا ﴿ فَالْعَلَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَىٰ الللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ الللّهُ عَلَمُ الللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ الللّهُ عَلَمُ

إندار الكل و بشير الكل و بتقدير أنه يكون خالق الكفر والإيمان هو الله تعالى لم يبق للاندار والتبشير معى لأنه تعالى إذا خلق الإيمان فيه حصل شاء أو لم يشأ وإذا خلق الكفر فيه حصل شاء أو لم يشأ وإذا خلق الكفر والتبشير على الكفر والإيمان جارياً بجرى الإندار والتبشير على الكفر والإيمان جارياً بجرى الإندار والتبشير على الكفر والإيمان جارياً بحرى الإندار والتبشير على طويلا قصيرا وأسود وأبيض مما لاقدرة له عليه (والرابع) وصفه المؤمنين بأمهم معملون الصالحات فان كان ما وقع خلق الله تعالى فلا عمل لهم البتة (الخامس) إيجابه لهم الأجر الحسن على ما عملوا فان كان الله تعالى يخلق ذلك فيهم فلا إيجاب ولا استحقاق.

﴿ المسألةُ الرابعة ﴾ قال قوله (لينذر) يدل على أنه تمالى إنما يفعل أفعاله لأغراض صحيحة وذلك يبطل قول من يقول إن فعله غير معلل بالغرض، واعلم أن هـذه الكابات قد تكررت في هذا الكتاب فلا فائدة في الإعادة.

قوله تعالى : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً · مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً · فلملك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ في الآبة مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن قوله تعالى (ويندر الذين قالوا اتخذالته ولداً) معطوف على قوله (ليندر بأساً شديداً من لدنه) والمعطوف يجب كونه مغايراً للمعطوف عليه فالأول عام في حق كل من استحق العداب، والثانى خاص بمن أثبت لله ولداً، وعادة القرآن جارية بأنه إذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنيها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلى كهقوله تعالى (وملائكته وجبريل وميكال) فكذا ههنا العطف يدل على أن أقبح أنواع الكفر والمعصية إثبات الولد لله تعالى.

﴿ المسألة الثانية ﴾ الذين أثبتوا الولد لله تعالى ثلاث طوائف (أحدها) كفار العرب الذين قالوا الملائدكة بنات آلله (وثانيها) النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله و (ثالثها) اليهود الذين قالوا عزير ابن الله ، والكلام في أن إثبات الولد لله كفر عظيم و يلزم منه محالات عظيمة قد ذكر ناه في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) وتمامه مذكور في سورة مريم ، ثم إنه تعالى أنكر على القائلين باثبات الولد لله تعالى من وجهين (الأول) قوله (مالهم

به من علم ولا لآبائهم) فان قبل اتخاذ الله ولداً محال فى نفسه فكيف قبل مالهم به من علم؟ قلنا انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصل إليه ، وقد يكون لآنه فى نفسه محال لايمكن تعلق العلم به . ونظيره قوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به) واعلم أن نفاة القياس تمسكوا بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على أن القول فى الدين بغير علم باطل ، والقول بالقياس الظنى قول فى الدين بغير علم فيكون باطلا وتمام تقريره مذكور فى قوله (ولا تقف ماليس لك به علم) وقوله (ولا لآبائهم) أى ولاأحد من أسلافهم ، وهذا مبالغة فى كون تلك المقالة باطلة فاسدة (النوع الثانى) مما ذكره الله فى إبطاله قوله (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) وفيه مباحث :

(البحث الأول) قرى. (كبرت كلمة) بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية ، قال الواحدى ومعنى التمييز أنك إذا قلت كبرت المقالة أو الكلمة جاز أن يتوهم أنها كبرت كذباً أو جهلا أو افترا. فلما قلت كلمة ميزتها من محتملاتها فانتصبت على التمييز والتقدير كبرت الكلمة كلمة فحصل فيه الإضمار ، أما من رفع فلم يضمر شيئا كما تقول عظم فلان فلذلك قال النحويون والنصب أقوى وأبلغ ، وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة .

﴿ البحث الثانى ﴾ قوله (كبرت) أى كبرت الكلمة ، والمراد من هذه الكلمة ماحكاه الله تعالى عنهم فى قوله (قالوا اتخذ الله ولدا) فصارت مضمرة فى كبرت وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة .

﴿ البحث الثالث ﴾ احتج النظام في إثبات قوله: أن الكلام جسم بهذه الآية قال إنه تعالى وصف الكلمة بأنها تخرج من أفواههم والحروج عبارة عن الحركة ؛ والحركة لاتصح إلا على الاجسام. والجواب أن الحروف إنما تحدث بسبب خروج النفس عن الحلق، فلما كان خرج النفس سببا لحدوث الكلمة أطلق لفظ الحروج على الكلمة .

(البحث الرابع) قوله (تخرج من أفواههم) يدل على أن هذا الكلام مستكره جداً عند العقل؛ كأنه يقول هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان، فكائه شيء يجرى به لسانهم على سبيل التقليد، لانهم مع أنها قولهم عقولهم وفكرهم تأباها و تنفر عنها ثم قال تعالى (إن يقولون إلا كذبا) ومعناه ظاهر، واعلم أن الناس قد اختلفوا في حقيقة الكذب. فعندنا أنه الحبر الذي لايطابق المخبر عنه سواء اعتقد المخبر أنه مطابق أم لا؟ ومن الناس من قال شرط كونه كذبا أن لايطابق المخبر عنه مع علم قائله بأنه غير مطابق، وهذا القيد عندنا باطل، والدليل عليه هذه الآية فانه تعالى وصف قولهم باثبات الولد نقه بكونه كذبا، مع أن الكثير منهم يقول ذلك، ولا يعلم كونه باطلا، فعلمنا أن كل خبر لايطابق المخبر عنه فهو كذب سواء علم القائل بكونه مطابقاً أو لم يعلم، ثم قال تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) وفيه مباحث:

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّمَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَيُّهُمْ أَيْهُمْ أَيْهُمْ أَيُّهُمْ أَيُّهُمْ أَيْهُمْ أَيْهُمُ أَيْهُمْ أَيْمُ أَيْهُمْ أَيْمُ أَيْهُمْ أَيْمُ أَلِكُمْ أَيْمُ أُلِكُمْ أَيْمُ أَيْمُ أَيْمُ أَيْمُ أَيْمُ أُلِكُمْ أُلِكُمْ أُلِكُ

﴿ البحث الأولى المقصود منه أن يقال للرسول: لا يعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذراً ومبشراً فأما تحصيل الإيمان فى قلوبهم فلا قدرة لك عليه . والغرض تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عنه .

(البحث الثانى) قال الليث بخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء. وقال الاخفش والفراء أصل البخع الجهد يقال بخعت لك نفسي أى جهدتها، وفي حديث عائشة رضيالله عنها أنها ذكرت عمر فقالت بخع الأرض أى جهدها حتى أخذ مافيها من أموال الملوك. وقال الكسائى بخعت الأرض بالزراعة إذا جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه إذا نهكها وعلى هذا معنى (باخع نفسك) أى ناهكها وجاهدها حتى تهلكها ولكن أهل التأويل كلهم قالوا قاتل نفسك ومهلكها والاصل ماذكرناه، هكذا قال الواحدى.

﴿ البحث الثالث ﴾ قوله (على آثارهم) أى من بعدهم يقال مات فلان على أثر فلان أى بعده وأصل هذا أن الإنسان إذا مات بقيت علاماته وآثاره بعد موته مدة ثم إنها تنمحى وتبطله بالكلية فاذاكان موته قريباً من موت الأول كان موته حاصلا حال بقاء آثار الأول فصح أن يقال مات فلان على أثر فلان.

﴿ البحث الرابع ﴾ قوله (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) المراد بالحديث القرآن قال القاضى وهذا يقتضى وصف القرآن بأنه حديث وذلك يدل على فساد قول من يقول إنه قديم وجوابه أنه محمول على الالفاظ وهي حادثة.

(البحث الخامس) قوله (أسفاً) الاسف المبالغة فى الحزن وذكر نا الكلام فيه عند قوله (غضبان أسفاً) فى سورة الاعراف وعند قوله (يا أسفا على يوسف) وفى انتصابه وجوه (الاول) أنه نصب على المصدر ودل ماقبله من الكلام على أنه يأسف (الثانى) يجوز أن يكون مفعولا له أى للاسف كقولك جئتك ابتغاء الخير (والثالث) قال الزجاج (أسفاً) منصوب لانه مصدر فى موضع الحال.

﴿ البحث السادس ﴾ الفا. في قوله (فلعلك) جواب الشرط وهو قوله (إن لم يؤمنوا) قدم عليه ومعناه التأخير .

قوله تعالى : ﴿ إِنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضَ زَيْنَةً لِمَا لَنْبُلُومُ أَيْهُمُ أَحْسَنَ عَمَلًا ۚ وَإِنَا لَجَاعِلُونَ مَا عَلِيهَا صَعَيْدًا جَرِزًا ﴾ في الآية مسائل :

- ﴿ المسألة الأولى ﴾ قال القاضى وجه النظم كأنه تعالى يقول يا محمد إنى خلقت الارض وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الحلق بهذه التكاليف ثم إنهم يكفرون ويتمردون مع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم. فأنت أيضاً يامحمد ينبغى أن لاتنتهى فى الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق.
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا فى تفسير هذه الزينة فقال بعضهم النبات والشجر وضم بعضهم إليه الذهب والفضة والمعادن، وضم بعضهم إليه سائر الحيوانات وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة الارض. وبالجملة فليس بالارض إلا المواليد الثلاثة وهى المعادن والنبات والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان، وقال القاضى الاولى أنه لايدخل فى هذه الزينة المكلف لانه تعالى قال (إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم) فمن يبلوه يجب أن لا يدخل فى ذلك فأما سائر النبات والحيوان فانهم يدخلون فيه كدخول سائر ماينتفع به، وقوله (زينة لها) أى للارض ولا يمتنع أن يكون مايحسن به الارض زينة للأرض كما جعل الله السماء مزينة بزينة الكواكب أما قوله (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) ففيه مسائل:
- ﴿ المسألة الأولى ﴾ ذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى لا يعلم الحوادث إلا عند دخولها فى الوجود فعلى هذا الإبتلاء والإمتحان على الله جائز ، واحتج عليه بأنه تعالى لوكان عالماً بالجزئيات قبل وقوعها لكان كل ماعلم وقوعه واجب الوقوع وكل ماعلم عدمه ممتنع الوقوع وإلا لزم إنقلاب علمه جهلا وذلك محال والمفضى إلى المحال محال ولوكان ذلك واجاً فالذى علم وقوعه بحب كونه فاعلا له ولا قدرة له على النمل وعلى فاعلا له ولا قدرة له على النرك والذى علم عدمه يكون ممنع الوقوع ولا قدرة له على الفعل وعلى هذا يلزم أن لا يكون الله قادراً على شى. أصلا بل يكون موجبا بالذات وأيضاً فيلزم أن لا يكون العبد قدرة لا على الفعل ولا على النرك لأن ما علم الله وقوعه امتنع من العبد تركه وما علم الله عدمه امتنع من فعله فالقول بكونه تعالى عالماً بالإشياء قبل وقوعها يقدح فى الربوبية ولى العبودية وذلك باطل فثبت أنه تعالى إنما يعلم الأشياء عند وقوعها وعلى هذا التقدير فالابتلاء والامتحان والاختبار جائز عليه وعند هذا قال يحرى قوله تعالى (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) على ظاهره ، وأما حمهورعلماء الاسلام فقد استبعدوا هذا القول وقالوا إنه تعالى من الأزل الى الأبد عالم بحميع الجزئيات فالابتلاء والامتحان عليان عليه وأينها وردت هذه الألفاظ فالمراد أنه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان ذلك على سبيل الابتلاء والامتحان وقد ذكرنا هذه المسألة مراراً كثيرة .
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ قال القاضى معنى قوله (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) هو أنه يبلوهم ليبصرهم أيهم أطوع لله وأشد استمراراً على خدمته لأن من هذا حاله هو الذى يفوز بالجنة فبين تعالى أنه كلف لأجل ذلك لا لأجل أن يعصى ، فدل ذلك على بطلان قول من يقول خلق بعضهم للنار .

 الفخر الرازي ج ٢١ م ٢

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اللام فى قوله (لنبلوهم) تدل ظاهراً على أن أفعال الله معللة بالأغراض عند المعتزلة، وأصحابنا قالوا هذا محال لأن التعليل بالغرض إنما يصح فى حق من لا يمكنه تحصيل ذلك الغرض إلا بتلك الواسطة، وهذا يقتضى العجز وهو على الله محال.

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال الزجاج أيهم رفع بالإبتداء إلا أن لفظه لفظ الاستفهام، والمدى لنختبر و ممتحن هذا أحسن عملا أم ذاك، ثم قال تعالى (وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزا) والمعنى أنه تعالى بين أنه إنما زين الارض لاجل الإمتحان والإبتلاء لا لاجل أن يبقى الإنسان فها متنعماً أبداً لانه يزهد فيها بقوله (وإنا لجاعلون ماعليها الآية) وفظيره قوله (كل من عليها فان) وقوله (فيذرها قاعا) الآية، وقوله (وإذا الارض مدت) الآية. والمعنى أنه لابد من المجاذاة بعد فناء ما على الارض، وتخصيص الإبطال والإهلاك بما على الارض يوهم بقاء الارض غير إلا أن سائر الآيات دلت على أن الارض أيضاً لاتبقى وهو قوله (يوم تبدل الارض غير الارض) قال أبو عبيدة: الصعيد المستوى من الارض، وقال الزجاج هو الطريق الذي لانبات الارض) قال أبو عبيدة: الصعيد في آية التيمم، وأما الجرز فقال الفراء: الجرز الارض التي فيه، وقد ذكرنا تفسير الصعيد في آية التيمم، وأما الجرز فقال الفراء والشاء والإبل إذا أكلت ما عليها، وامرأة جروز إذا كانت أكولا، وسيف جراز إذا كان مستأصلا، ونظيره قوله تقالى انسوق الماء إلى الارض الجرز).

قوله تعالى : ﴿ أَم حسبت أَن أَصحاب الكهفّ والرقيم كانوا من آياتنا عجباً . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي النا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ فى الآنة مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوآ عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط ، فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب ، فان من كان قادراً على تخليق السموات والارض ثم يزين الارض بأنواع المعادن

والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرزاً خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر فى النوم، هذا هو الوجه فى تقرير النظم، والله أعلم

﴿ المسألة الثانية ﴾ قد ذكر نا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه القصة مشروحا فقال كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وكان بؤذى رسول الله ﷺ وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث رستم واسفنديار ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً ذكر فيه الله وحدث قومه ما أصاب من كان قبلهم من الأمم، وكان النضر يخلفه في مجلسه إذا قام ، فقال أما والله يامعشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلموا فأنا أحدثكم بأحسن من حديثه ،ثم يحدثهم عن ملوك فارس ، ثم إن قريشاً بعثوه و بعثوا معه عتبة بن أبي معيط إلى أحمار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلوهم عن محمد وصفته وأخبروهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول، وعندهم من العلم ماليس عندنا مر. علم الانبياء فخرجا حتى قدما إلى المدينة فسألوا أحبار اليهود عن أحوال محمد فقال أحبار اليهود سلوه عن ثلاث : عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ، ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح وما هو؟ فان أخبركم فهو نبي و إلَّا فهو متقول ، فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا قد جنناكم بفصل مابيننا وبين محمد ، وأخبروا بما قاله البهود فجاؤا رسول الله ﷺ وسألوه فقال رسول الله برائي أخبر لم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن ، فانصر فو ا عنه ومكث رسول الله برائية فيا يذكرون خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به ، وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليـلة فشق عليه ذلك، ثم جا.ه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الـكهف وفيها معاتبة الله إياه على جزئه عليهم ، وفيها خبر أولئك الفتية ، وخبر الرجل الطواف .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الكهف الغار الواسع في الجبل فاذا صغر فهو الغار ، وفي الرقيم أفوال (الأول) روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كل القرآن أعليه إلا أربعة غسلين وحنانا والأواه والرقيم (الثاني) روى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم فقال زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها وهو قول السدى (الثالث) قال سعيد بن جبير ومجاهد: الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتب فيه أسماؤهم وقصتهم وشد ذلك اللوح على باب الكهف، وهذا قول جميع أهل المعانى والعربية قالوا الرقيم الكتاب، والأصل فيه المرقوم، ثم نقل إلى فعيل، والرقم الكتاب، والأصل فيه المرقوم، ثم نقل إلى فعيل، والرقم الكتابة، ومنه قوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مكتوب، قال الفراء: الرقيم لوح كان فيه أسماؤهم وصفاتهم، ونظن أنه إنما سمى رقيما لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه، وقيل الناس رقوا حديثهم نقراً في جانب الجبل، وقوله (كانوا من آياتنا عجبا) المراد أحسبت أن واقعتهم كانت عجيبة في

حوال مخلوقاتنا فلا تحسب ذلك فان تلك الواقعة ليست عجيبة في جانب مخلوقاتنا ، والعجب همنا مصدر سمى المفعول به ، والتقدير كانوا معجوبا منهم ، فسموا بالمصدر والمفعول به من هذا يستعمل باسم المصدر ، ثم قال تعالى (إذ أوى الفتية إلى الكهف) لايجوز أن يكون إذ هنامتعلقا مما قبله على تقدير أم حسبت إذ أوى الفتية لانه كان بين النبي و بينهم مدة طويلة فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي أووا فيه إلى الكهف بل يتعلق بمحذوف، والتقدير اذكر إذ أوى، ومعنى أوى الفتية في الكهف صاروا إليه وجعلوه مأواهم قال فقالوا (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزآنرحمنك وجلائل فضلك وإحسانك وهي الهداية بالمعرفة والصروالرزق والامنمن الأعداءوقولهمن لدنك يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لائقة بفضل الله تعالى وواسع جوده وهيى. لنا أى أصلح من قولك هيأت الأمر فتهيأ (من أمرنا رشداً) الرشد والرشاد نقيض الضلال وفَّى تفسير اللفظُّ وجهان (الأول) التقدير وهي. لنا أمرًا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين مهتدين (الثاني) اجعل أمرنا رشداً كله كقولك رأيت منك رشداً ثم قال تعالى (فضربنا على آذابهم)قال المفسرون معناه أنمناهم وتقدير الكلام أنه تعالىضرب على آذانهم حجاباً يمنع من أن تصل إلى أسماعهم الأصوات الموقظة والتقدير ضربنا عليهم حجاباً إلا أنه حذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بني على امرأته يريدون بني عليها القبة ثم إنه تعالى بين أنه أنمــــا ضرب على آذانهم في الكهف وهو ظرف المكان وقوله سنين عدداً ظرف الزمان وفي قوله عدداً بحثان (الأول) قال الزجاج ذكر العدد ههنا يفيد كثرة السنين وكذلك كل شي. بما يعد إذا ذكر فيه العدد ووصف به أريد كثرته لأنه إذا قل فهم مقداره بدون التعديدأما إذا أكثر فهناك يحتاج إلى التعديد فاذا قلت أقمت أياماً عدداً أردت به الكثرة .

﴿ البحث الثانى ﴾ فى انتصاب قوله عدداً وجهان (أحدهما) نعت لسنين المعنى سنين ذات عدد أى معدودة هذا قول الفراء وقول الزجاج وعلى هذا يجوز فى الآية ضربان من التقدير (أحدهما) حذف المضاف (والثانى) تسمية المفعول باسم المصدر قال الزجاج ويجوز أن ينتصب على المصدر ، المعنى تعد عداً ثم قال تعالى (ثم بعثناهم) يريد من بعد نومهم يعنى أيقظناهم بعد نومهم وقوله (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله (ثم بعثناهم) لنعلم اللام لام الغرض فيدل على أن أفعال الله معللة بالأغراض وقد سبق الكلام فيه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ظاهر اللفظ يقتضى أنه تعالى إنما بعثهم ليحصل له هذا العلم وعند هذا يرجع إلى أنه تعالى هل يعلم الحوادث قبل وقوعها أم لا ، فقال هشام لا يعلمها إلا عند حدوثها واحتج بهذه الآية والكلام فيه قد سبق ، ونظائر هذه الآية كثيرة فى القرآن منها ماسبق فى هذه السورة ومنها قوله فى سورة البقرة (إلا لنعلم من يتبع الرسول بمن ينقلب على عقبيه) وفى آل عمران

(ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) وقوله (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم) وقوله (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم).

﴿ المسألة الثالثة ﴾ (أى) رفع بالإبتداء (وأحصى) خبره وهذه الجلة بمجموعها متعلق العلم فلهذا السبب لم يظهر عمل قوله (لنعلم) في لفظة (أى) بل بقيت على ارتفاعها و نظيره قوله اذهب فاعلم أيهم قام قال تعالى (سلهم أيهم بذلك زعيم) وقوله (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) وقرى اليملم على فعل مالم يسم فاعله و في هذه القران فائدتان (إحداهما) أن على هذا التقدير لا يلزم إثبات العلم المتجدد لله بل المقصود أنا بعثناهم ليحصل هذا العلم لبعض الخلق (والثانية) أن على هذا التقدير يجب ظهور النصب في لفظة أى ، لكن لقائل أن يقول الإشكال بعد باق لأن ارتفاع لفظة أى بالإبتداء لا باسناد يعلم إليه . ولمجيب أن يجيب فيقول : إنه لا يمتنع اجتماع عاملين على معمول واحد لأن العوامل النحوية علامات ومعرفات ولا يمتنع اجتماع المعرفات الكشيرة على الشيء الواحد والله أعلم .

والمسألة الرابعة ﴾ اختلفوا في الحزبين فقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك فالملوك حزب وأصحاب الكهف حزب (والقول الثاني) قال مجاهد الحزبان من هذه الفتية لآن أصحاب الكهف لما انتهوا اختلفوا في أنهم كم ناموا والدليل عليه قوله تعالى (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) فالحزبان هما هذان ، وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول (القول الثالث) قال الفراء: إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قال أبو على الفارسي قوله أحصى ليس من باب أفعل التفضيل لأن هذا البناء من غير الثلاثى انجرد ليس بقياس فأما قولهم ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف وأعدى من الجرب وأفلس من ابن المدلق، فن الشواذ والشاذ لا يقاس عليه بل الصواب أن أحصى فعل ماض وهو خبر المبتدأ والمبتدأ والخبر مفعول نعلم وأمدا مفعول به لاحصى وما في قوله تعالى (كما لبثوا) مصدرية والتقدير أحصى أمداً للبثهم، وحاصل الكلام لنعلم أى الحزبين أحصى أمد ذلك اللبث، ونظيره قوله (أحصاه الله) وقوله (وأحصى كل شي عدداً).

﴿ المسألةُ السادسة ﴾ احتج أصحابنا الصوفية بهذه الآية على صحة القول بالكرامات وهو استدلال ظاهر ونذكر هذه المسألة ههنا على سبيل الاستقصاء فنقول قبل الحوض في الدليل على جواز الكرامات نفتقر إلى تقديم مقدمتين:

﴿ المقدمة الآولى ﴾ في بيان أن الولى ماهو فنقول ههنا وجهان (الآول) أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعلكا لعليم والقدير فيكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية (الثاني)

أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح. وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالى عن كل أنواع المعاصى ويديم توفيقه على الطاعات واعلم أن هذا الإسم مأخوذ من قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقوله (وهو يتولى الصالحين) وقوله تعالى (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وفوله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) وقوله (إنما وليكم الله ورسوله) وأقول الولى هو القريب في اللغة فاذا كان العبد قريباً من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه وكان الرب قريباً منه برحمته وفضله وإحسامه فهناك حصلت الولاية.

﴿ المقدمة الثانية) إذا ظهر فعل خارق للمادة على الإنسان فذاك إما أن يكون مقروناً بالدعوى أولا مُع الدعوى والقسم الاول وهو أن يكون مع الدعرى فتلك الدعوى إما أن تكون دعوى الإلهية أو دعوى النبوة أو دعوى الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشياطين ، فهذه أربعة أقسام (القسم الأول) ادعاء الإلهية وجوز أصحابنا ظهور خوارق العادات على بده من غير معارضة كما نقل،أن فرعون كان يدعى الإلهية وكانت تظهر خوارق العادات على يده و كما نقل ذلك أيضافي حق الدجال قال أصحابنا وإيما جازذلك لانشكله وخلقته تدلعلي كذبه فظهور الخوارق على يده لا يفضى إلى التلبيس (والقسم الثاني) وهو ادعاً. النبوة فهـذا القسم على قسمين لأنه إما أن يكون ذلك المدعى صادقاً أو كاذبًا فان كان صادقاً وجب ظهور الخوارق على يده وهـ ذا متفق عليه بين كل من أقر بصحة نبوة الأنبياء ، وإن كانكاذباً لم يجز ظهور الخوارق على يده وبتقدير أن تظهر وجب حصول المعارضة (وأما القسم الثالث) وهو ادعا. الولاية والقائلون بكرامات الاوليا. اختلفوا في أنه هل يحوز أن يدء ، الكرامات ثم إنها تحصل على وفق دعواه أم لا (وأما القسم الرابع) وهو ادعا. السحر وطاعة الشيطان فعند أصحابنا يجوز ظهور خوارق العادات على يده وعند المعتزلة لايجوز (وأما القسم الثاني) وهوأن تظهر خوارق العادات على يد انسان،منغير شي. من الدعاوي ، فذلك الإنسان إما أن يكون صالحاً مرضياً عند الله، وإما أن يكون خبيثاً مذنباً. والأول هو القول بكرامات الأولياء، وقد اتفق أصحابنا على جوازه وأنكرها المعتزلة إلا أبا الحسين البصري وصاحبه محود الخوارزي (وأما القسم الثالث) وهو أن تظهر خوارق العادات على بعض من كانمردودا عن طاعة الله تعالى فهذا هو المسمى بالاستدراج فهذا تفصيل الكلام في هاتين المقدمتين ، إذا عرفت ذلك فنقول: الذي يدل على جواز كرامات الأوليا. القرآن والاخبار والآثار والمعقول. أما القرآن فالمعتمد فيه عندنا آيات :

﴿ الحجة الأولى ﴾ قصة مريم عليها السلام ، وقد شرحناها في سورة آل عمران بلا نعيدها ﴿ الحجة الثانية ﴾ قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأنه تعالى كان يعصمهم من حر الشمس كما قال (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود)

إلى قوله (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات الهين) ومن الناس من تمسك في هذه المسألة بقوله تعالى (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن ير تد اليك طرفك) وقد بينا أن ذلك الذي كان عنده علم من الكتاب هو سلمان فسقط هذا الاستدلال. أجاب القاضي عنه بأن قال لابد من أن يكون فيهم أو في ذلك الزمان نبي يصير ذلك علماً له لما فيه من نقض العادة كسائر المعجزات، قلنا إنه يستحيل أن تكون هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء لان إقدامهم على النوم أمر غيرخارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لأن الناس لايصدقونه فيهذه الواقعة لانهم لايعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى إلا إذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا أن هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثهائة سنين وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لأحد من الأنبيا. فلم يهق إلا أن تجعل *كر*امة للا وليا. وإحساناً اليهم . أما الاخبار فكثيرة : (الحبر الأول) ما أخرج في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الني والله والم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسي ابن مريم عليه السلام وصبي في زمن جريج الناسك وصبي آخر ، أما عيسي فقد عرفتموه ، وأما جريج فكان رجلا.عابدا ببني اسرائيل وكانت له أم فكان يوماً يصلي إذ اشتاقت اليه أمه فقالت يا جريج فقال يارب الصلاة خير أم رؤيتها ثم صلى فدعته ثانياً فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات وكان يصلى ويدعها فاشتد ذلك على أمه قالت اللهم لاتمته حتى تربه المومسات ، وكانت زانية هناك فقالت لهم أنا أفتن جريحاً حتى يزني فأتته فلم تقدر على شي. ، وكان هناك راج يأوى بالليل إلى أصل صومعته قلمًا أعياها راودت الراعي على نفسها فأتاها فولدت تم قالت ولدىهذا من جريج فأتاها بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه فصلى ودعا ثم نخس الغلام قال أبو هريرة كا في أنظر إلى النبي برايج حين قال بيده ياغلام من أبوك؟ فقال الراعى فندم القوم على مأكان منهم واعتذروا اليه . وقالوا نبنى صومعتـك من ذهب أو فضة فأبي عليهم، وبناها كمانت، وأما الصيالآخر فان امرأة كان معها صي لها ترضعه إذ مربها شاب جميل ذو شارة حسنة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الضي اللهم لاتجعلني مثله ثم مرت بها أمرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فقال الصي اللهم اجعلني مثلها .فقالت له أمه في ذلك فقال إن الشابكان جبارًا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وإن هذه قيلانها زنت ولم تزن وقيل انها سرقت ولم تسرق وهي تقول حسى الله ﴾ (الحبر الثانى) وهو خبر الغار وهو مشهور في الصحاح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله مُلِقِيم و انطاق ثلاثة رهط عن كان قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم بابالغار فقالوا والله لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدءوا الله بصالح أعمالكم فقال رجلمنهم كان لىأبوان شيخان كبيران وكنت لاأغبق قبلهما فناما فى ظل شجرة يوماً فلمأبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما

فقمت والقدح في يدى أنتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت هذا ابتّغا. وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه ، ثم قال الآخركانت لى ابنة عم وكانت أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني وأعطيتها مالا عظيما على أن تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لايجوز لك أن تفك الخاتم إلابحقه ! فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتعاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لايستطيعون الخروج منها ، قال رسول الله ﷺ ثم قال الثالث اللهم الى استأجرت أجرا. فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجريمه حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين وقال ياعبد الله أدإلى أجرتى ، فقلت له كل ماترى من أُجر تك من الإبل والغنم والرقيق فقال ياعبد الله أتستهزى. بي ؟ فقلت إنى لاأستهزى. بك فأخذ ذلك كله اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون ﴾ وهـذا حديث حسن صحيح متفق عليه (الخبر الثالث) قوله برائج « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره ، ولم يفرق بين شي. وشي. فيما يقسم به على الله (الخبر الرابع) روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي مُلِيِّةٍ ﴿ بِينَا رَجُلُ يُسُوقُ بَقْرَةً قَدْ حَمْلُ عَلَيْهَا فَالْتَفْتُتُ الَيْهِ الْبَقْرَةُ فقالت إنى لم أُحلق لهـذا ، وإنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبي ترابق آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، (الخبر الخامس) عن أبي هريرة عن النبي علية قال بينها رجل يسمع رعداً أو صوراً في السحاب: أن اسق حديقة فلإن ، قال فعدوت ألى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك؟ قال فلان بن فلان بن فلان قلت: فماتصنع بحديقتك هذه إذاصر متها؟ قال ولم تسأل عن ذلك؟ قلت لا بي سمعت صو تاً في السحاب أن اسق حديقة فلان قال أما إذ قلت فاني أجعلها أثلاثا فأجعـل لنفسي وأهلي ثلثاً وأجعـل للسياكين وابن السبيل ثلثاً وأنفق عليها ثلثًا » (أما الآثار) فلنبدأ بما نقل أنه ظهر عن الخلفاء الراشدين من الكرامات ثم بمـا ظهر عن سائر الصحابة ، أما أبو بكر رضى الله عنه فمن كراماته أنه لمــا حملت جنازته إلى بالب قبر الني ﷺ ونودي السلام عليك يارسول الله هـذا أبو بكر بالباب فاذا الباب قد انفتح وإذا بهاتف يهتف من القبر أدخلوا الحبيب إلى الحبيب، وأما عمر رضي الله عنـه فقد ظهرت أنواع كثيرة من كراماته وأحدها ما روى أنه بعث جيشاً وأمر عليهم رجلًا يدعى سارية بن الحصين فيينا عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصبح في خطبته وهو على المنبر ياسارية الجبل الجبل قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه فكتبت تاريخ تلك الكلمة فقـدم رسول مقـدم الجيش فقال يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح ياسارية الجبل الجبل فأسندنا غهورنا إلى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت قلت سمعت بعض

المذكرين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال لأبى بكر وعمر أنتما منى بمنزلة السمع والبصر فلماكان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، لاجرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم (الثاني) روى أن نيل مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة و احدة(١)وكان لايجرى حتى يلَّقَى فيه جارية واحدة حسنا. ، فلما جا. الاسلام كتب عمرو بن الماص بهذه الواقعة إلى عمر ، فكتب عمر على خزفة : أيها النيل إن كنت تجرى بأمر الله فاجر ، وإن كنت تجرى بأمرك فلا حاجة بنا إليك ! فألقيت تلك الخزفة فى النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك (الثالث) وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمرالدرة على الأرض وقال اسكني باذن الله فسكنت وماحدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك (الرابع) وقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة : يانار اسكني باذن الله فألقوها فى النارَ فانطفأت فى الحال (الحامس) روى أن رسول ملك الروم جا. انى عمر فطلب داره فظن أن داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك ، وإنما هو فى الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الىالصحرا. رأى عمر رضى الله عنه وضع درته تحت رأسه و نام على النراب، فعجب الرسول من ذلك وقال: إن أهل الشرق والغرب يُخافون من هذا الإنسان وهو على هذه الصفة! مم قال في نفسه: إنى وجدته خالياً فأقتله وأخلص الناسمنه .فلما رفع السيف أخرج الله من الأرض أسدين فقصداه فخاف وألتى السيف من يده وانتبه عمر ولم ير شيئاً فسأله عزالحال فذكر له الواقعة وأسلم . وأقول هذه الوقائع رويت بالآحاد ، وههنا ما هو معلوم بالتواتروهو أنه مع بعده عِن زينة الدنيا واحترازه عن التكلفات والتهويلات ساس الشرق والغرب وقلب المالك والدول لو نظرت فى كتب التواريح علمت أنه لم يتفق لاحد من أول عهد آدم الى الآن ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ، ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات . وأماعثمان رضى الله عنه فروى أنس قال سرت فى الطريق فرفعت عينى إلى امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالى أراكم تدخلون على وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت أجا. الوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة (الثانى) أنه لما طعن بالسيف فأول قطرة من دمه سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهوالسميع العليم) (الثالث) أنَّ جهجاها الغفاري انتزع العصا من يد عثمان وكسرها على ركبته فوقعت الأكلة فيركبته . وأما على كرم الله وجهه فيروى أن واحداً من محبيه سرق وكان عبداً أَسُود فأتى به إلى على فقال له أسرقت؟قال نعم. فقطع يده فانصرف من عند على عليه السلام فلقيه سلمان الفارسي وأبن الكرا ، فقال ابن الكرا من قطع يدك فقال أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتولفقال قطع يدك وتمدحه ؟فقال : ولم لا أمدحه و قد قطع بدى محقو خلصني من النار افسمع سلمان ذلك فأخبر به علياً فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السها. ارفع

١) أي أشبه بالراكد .

الرداء عن اليد فرفعناه فاذا اليد قد برأت باذن الله تعالى وجيل صنعه . أما سائرااصحابة فأحوالهم في هـذا الباب كثيرة فنذكر منها شيئاً قليـلا (الأول) روى محمد بن المنكدر عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركبت البحر فانكسرت سفينني التيكنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في خيسة فيها أسد فخرج الآسد الى يريدني فقلت يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله ﷺ فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظنفت أنه يودعني ورجع (الثاني) روى ثابت عن أنسأن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الأنصار تحدثًا عند رسول الله ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وفى يدكل واحد منهما عصا فأضاءت عصا أحدهما لهما حتىمشيا فيضوئها فلما انفرق بينهما الطريق أضاءت للآخرعصاه فمشى في ضوتها حتى بلغ منزله (الثالث) قالو الخالد بن الوليد إن في عسكر كمن يشرب الخر فركب فرسه ليلة فطاف بالعسكر فلتي رجلا على فرس ومعه زق خمر ، فقال ماهذا ؟ قال خل فقال خالد اللهم اجعله خلاً . فذهب الرجل إلى أصحابه فقال أتيتكم بخمر ماشربت العرب مثلها! فلما فتحوا فاذا هو خل فقالوا والله ماجئتنا إلا بخل؟. فقال هذا والله دعا. حالدن الوليد (الرابع) الواقعة المشهوره وهي أن خالد بن الوليد أكل كفاً من السم على اسمالله وماضره (الخامس) روى ان ابن عمر كان في بعض أسفاره فلتي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لماً سلط عليه شي. (السادس) روى أن النبي ﷺ بعث العلاء بن الحضرى في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الأعظم ومشوا على الماء. وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن الحد وألحصر فمن أرادها طالعها . وأما الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرمات فن وجوه :

(الحجة الأولى) أن العبد ولى الله قال الله تعالى (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) والرب ولى العبد قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال (وهو يتولى الصالحين) وقال (إنما وليكم الله ورسوله) وقال (أنت مولانا) وقال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) فئبت أن الرب ولى العبد وأن العبد ولى الرب وأيضاً الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال (والذين آمنوا أشد حباً لله) وقال (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وإذا ثبت هذا فنقول : العبد إذا بلغ فى الطاعة إلى حيث يفعل كل ماأس، الله وكل مافيه رضاه وترككل مانهى الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة مايريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل مايريده الله ويأمره به فلأن يفعل الرب الرحيم مرة واحدة مايريده الرب الرحيم مرة واحدة مايريده الرب الرحيم مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى ولهذا قال تعالى (أوفوا بعهدى أوف بعهد كم) .

﴿ الحجة الثانية ﴾ لو امتنع إظهار الكرامة لكانذلك إما لأجل أن الله ليس أهلا لآن يفعل مثل هذا الفعل أو لأجل أن المؤمن ليس أهلا لآن يعطيه الله هذه الحطية، والأول قدح في

قدرة الله وهو كفر ، والثانى باطل فان معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة . قه وطاعاته والمواظبة على ذكر تقديسه وتمجيده وتهليله أشرف من إعطاء رغيف واحد فى مفازة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلأن يعطيه رغيفاً فى مفازة فأى بعد فيه ؟

(الحجة الثالثة) قال النبي بياني حكاية عن رب العزة و ماتقرب عبد الى بمثل أداء ماافترضت عليه ولا يزال يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً ويداً ورجلا بى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يمشى » وهذا الخبريدل على أنه لم يبق فى سمعهم نصيب لغير الله ولا فى بصرهم ولا فى سائر أعضائهم إذ لو بتى هناك نصيب لغير الله لما قال أنا سمعه وبصره . إذا ثبت هذا فنقول : لا شك أن هذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع وإعطاء الرغيف وعنقود من العنب أو شربة من الماء فلما أو صل الله برحمته عبده إلى هذه الدرجات العالية فأى بعد فى أن يعطيه رغيفاً واحداً أو شربة ماء فى مفازة .

(الحجة الرابعة) قال عليه السلام حاكياً عن رب العزة « من آذى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة » فجعل إيذا، الولى قائماً مقام إيذائه وهذا قريب من قوله تعالى (إن الذين يبايمونك إنما يبايمون الله) وقال (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) وقال (إن الذين يبايمون الله) وقال (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) وقال (إن الذين عود ون الله ورسوله لعنهم الله وإيذاء محد صلى الله عليه وسلم إيذاء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم إيذاء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات إلى أبلغ الغايات فكذا ههذا لما قال « من آذى لى وليا فقد بالرزنى بالمحاربة » دل ذلك على أنه تعالى جعل إيذاء الولى قائماً مقام إيذا، نفسه ويتاً كد هذا بالخبر بالمحاربة تعدل ذلك على أنه تعالى جعل إيذاء الولى قائماً مقام إيذا، نفسه ويتاً كد هذا بالخبر المعمتى فيقول يارب كيف أفعل هذا وأنت رب العالمين ا فيقول إن عدى فلاناً مرض فلم تعده أطعمتى فيقول يارب كيف أفعل هذا وأنت رب العالمين ا فيقول إن عدى فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لوعدته لوجدت ذلك عندى» وكذانى السقى والإطعام فدلت هذه الاخبار على أن أولياء الله يبلغون إلى هذه الدرجات فأى بعد فى أن يعطيه الله كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر أو قرداً (۱) .

(الحجة الخامسة ﴾ أنا نشاهد فى العرف أن من خصه الملك بالخدمة الخاصة وأذن له فى الدخول عليه فى مجلس الآنس فقد يخصه أيضاً بأن يقدره على مالا يقدر عليه غيره، بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك القرب فانه يتبعه هذه المناصب فجعل القرب أصلا والمنصب تبعاً وأعظم الملوك هو رب العالمين فاذا شرف عبداً بأنه أو صله إلى عتبات خدمته و درجات كرامته وأوقفه على أسرار معرفته و رفع حجب البعد بينه وبين نفسه وأجلسه على بساط قربه فأى

^{. (}١) الورد يهاسم من اسهاء الأساء .

بعد فى أن يظهر بعض تلك الكرامات فى هذا العالم مع أن كل هذا العالم بالنسبة إلى ذرة من تلك السعادات الروحانية والمعارف الربانية كالعدم المحض.

(الحجة السادسة) لاشك أن المتولى للأفعال هو الروح لا البدن ولا شك أن معرفة الله تمالى للروح كالروح للبدن غلى ماقررناه فى تفسير قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره) وقال عليه السلام وأبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى و ولهذا المعنى ربى أن كلمن كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقل ضعفاً ولهذا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ذلك الوقت باب خير بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية . وذلك لأن علياً كرم الله وجهه فى ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه وتشه بحواهر الارواح الملكية وتلالات فيه أضواء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له من القدرة ماقدر بها على مالم يقدر عليه غيره وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي يقول ماقد كنت له سمماً وبصراً فاذا صار نور جلال الله سمماً له سمع القريب والبعيد وإذا صار ذلك النور بصراً له رأى القريب والبعيدوإذا صار ذلك النور يداً له قدر على التصرف في الصعب والسهل والبعيد والقريب .

﴿ الحجة السابعة ﴾ وهي مبنية على القوانين العقلية الحكمية ، وهي أنا قد بينا أن جوحرالروح ليس من جنس الأجسام الكائنة الفاسدة المتعرضة للتفرق والتمرق بل هو من جنس جواهر الملائكة وسكان عالم النموات ونوع المقدسين المطهرين إلا أنه لمما تعلق بهذا البدن واستغرق في تدبيره صار في دلك الاستغراق الى حيث نسى الوطن الاول والمسكن المتقدم وضار بالكلية متشبها بهذا الجسم الفاسد فعنمفت قوته وذهب مكنته ولم يقدر على شيء من الأفعال، أما إذا استأنست بمعرفة الله ومحبته وقل انغاسها في تدبير هذا البدن، وأشرقت عليها أنوار الأرواح السماوية العرشية المقدسة ، وفاضت عليها من تلك الانواز قويت على التصرف في أجسام هذا العالم مثل قوة الأرواح الفلكية على هذه الاعمال وذلك هو الكرامات، وفيه دقيقة أخرى وهي أن مذهبنا أن الارواح البشرية مختلفة بالماهية ففيها القوية والضعيفة ، وفيها النورانية والكُدرة ، وفيها الحرة والنذلة والارواح الفلكية أيضا كذلك ، ألا ترى إلى جبريل كيف قال الله في وصفه (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) وقال في قوم آخرين من الملائكة (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً) فكذا ههنا فاذا اتفق في نفس من النفوس كونها قوية ، القوة القدسية العنصرية مشرقة الجوهر علوية الطبيعة ، ثم انضاف إليها أنواع الرياضات التي تزيل عن وجهها غبرة عالم الكون والفساد أشرقت وتلألات وقويت على التصرف فى هيولى عالم الكون والفساد باعانة نور معرفة الحضرة الصمدية وتقوية آضوا. حضرة الجلال والعزة . ولنقبض ههنا عنان البيان فان وراءها أسراراً دقيقة وأحوالا

حميقة من لم يصل اليها لم يصدق بها ، ونسأل الله الإعانة على إدراك الحيرات ، واحتج المنكرون الكرامات بوجوه (الشبة الاولى) وهي التي عليها يعولون وبها يضلون أن ظهور الخارق للعادة جعله الله دليــــلا على النبوة فلو حصل لغير نبي لبطلت هذه الدلالة لآن حصول الداييل مع عدم المدلول يقدم في كونه دليلا ، وذلك باطل (والشبهة الثانية) تمسكوا بقوله عليه السلام حكاية عن الله سبحانه « لن يتقرب المتقربون إلى بمثل أداء ما افترضت عليهم » قالوا هذا يدل على -أن التقرب إلى الله بأدا. الفرائض أعظم من التقرب اليه بأدا. النوافل، ثم إن المتقرب اليه بأدا. الفرائض لا يحصل له شي. من الكرامات فالمتقرب اليه بأدا. النوافل أولى أن لا يحصل له ذلك (الشبهة الثالثة) تمسكوا بقوله تعالى (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) والقول بأن الولى ينتقل من بلد إلى بلد بعيد ـ لاعلى الوجه ـطعن في هذه الآية ، وأيضاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة إلا فى أيام كثيرة مع التعب الشديد فكيف يعقل أن يقال أن الولى ينتقل من بلد نفسه إلى الحج فى يوم واحد (الشبهة الرابعة) قالوا هذا الولى الذي تظهر عليه الكرامات إذا ادعى على إنسان درهما فهل نطالبه بالبينة أم لا؟ فان طالبناه بالبينة كان عبثاً لأن ظهور الكرامات عليه يدل على أنه لا يكذب، ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدايل الظني، وإن لم نطالبه بها فقد تركنا قوله عليه السلام ﴿ البينة على المدعى ﴾ فهذا يدل على أن القول بالكرامة باطل (الشهة الخامسة) إذا جاز ظهور الكرامة على بـض الأوليا. جاز ظهورها على الباقين فاذا كثرت الكرامات حتى خرقت العادة جرت وفقا للعادة وذلك يقدح في المعجزة والكرامة (والجواب) عن الشبهة الأولى أن الناس اختَلفوا في أنه هل يجوز للولى دعوى الولاية؟ فقال قوم من المحققين إن ذلك لا يجوز ، فعلى هذا القول يكون الفرق بين المعجزات والكرامات أن المعجزة تكون مسبوقة بدعوى النبوة والكرامة لاتكون مسبوقة بدعوى الولاية، والسبب في هذا الفرق أن الانبيا. عليهم السلام إنما بعثوا الى الخلق ليصيروا دعاة للخلق من الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة فلو لم تظهر دعوى النبوة لم يؤمنوا به وإذا لم يؤمنوا به بقوا على الكفر وإذا ادعوا النبوة وأظهروا المعجزة آمن القوم بهم فاقدام الانبيا. على دعوى النبوة ليس الغرض منه تعظيم النفس بل المقصود منه إظهار الشفقة على الحلق حتى ينتقلوا من الكفر إلى الإيمان، أما ثبوت الولاية للولى فليس الجهل بها كفراً ولا معرفتها إيمـاناً فكان دعوى الولاية طلباً لشهوة النفس، فعلمنا أن الني يجب عليه إظهار دعوى النبوة والولىلايجوزله دعوى الولاية فظهرالفرق: أما الذين قالوا يجوزللولى دعوى الولاية فقد ذكروا الفرق بين المعجزة والكرامة من وجوه : (الأول) أن ظهور الفعل الخارق للعادة يدل على كون ذلك الإنسان مبرءاً عن المعصية ، ثم إن اقترن هذا الفعل بإدعاء النبوة دل على كونه صادقا في دعوى النبوة ، و إنَّ اقترن بادعا. الولاية دل على كونه صادقاً في دعوى الولاية ، وجذاً

الطريق لايكون ظهور الكرامة على الأولياء طعنا في معجزات الأنبياء عليهم السلام (الثاني) أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعى المعجزة ويقطع بها ؛ والولى إذا ادعى الكرامة لايقطع بها لأن المعجزة يجب ظهورها ، أما الكرامة [ق]لايجب ظهورها (الثالث) أنه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة (الرابع) أنا لا يجوز ظهور الكرامة على الولى عند ادعاء الولاية إلا إذا أقر عند تلك الدعوى بكونه على دين ذلك النبي ومتى كان الأمر كذلك صارت تلك الكرامة معجزة لذلك النبي ومؤكدة لرسالته وجذا التقدير لا يكون ظهور الكرامة طاعناً في نبوة النبي بل يصير مقوياً لها (والجواب) عن الشهة الثالية أن قوله تعالى (وتحمل أثقالكم من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق، و (الجواب) عن الشبهة الثالثة أن قوله تعالى (وتحمل أثقالكم من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق، و (الجواب) عن الشبهة الثالثة أن قوله تعالى (وتحمل أثقالكم نادرة فتصير كالمستثناة عن ذلك العموم . وهذا هو (الجواب) عن الشبهة الرابعة وهي المسك بقوله نادرة فتصير كالمستثناة عن ذلك العموم . وهذا هو (الجواب) عن الشبهة الرابعة وهي المسك بقوله نادرة فتصير كالمستثناة عن ذلك العموم . وهذا هو (الجواب) عن الشبهة الرابعة وهي المسك بقوله نادرة فتصير كالمستثناة عن ذلك العموم . وهذا هو (الجواب) عن الشبهة الرابعة وهي المسك بقوله عليه المدعي (والجواب) عن الشبهة الخامسة ان المطيعين فيهم قلة كما قال تعالى (وقليل من عبادى الشكور) وكما قال إبليس (ولا تجداً كثرهم شاكرين) وإذا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليم من الكرامات في الأوقات النادرة قادحا في كونها على خلاف العادة .

﴿ المسألة السابعة ﴾ في الفرق بين الكرامات والاستدراج. اعلم أن من أراد شيئاً فاعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون ذلك العبد وجبها عند الله تعالى سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد يكون ذلك إكراماً للعبد وقد يكون استدراجاً له ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة من القرآن (أحدها) الاستدراج قال الله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعداً من الله وتحقيقه أنه ثبت في العلوم العقلية أن تكرر الإفعال سبب لحصول الملكة الراسخة فاذا مال قلب العبد الى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فيئند يصل الطالب الى المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة يزيد في الميل وحصول الميل يوجب مزيدااستى ومعلوم أن الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف فلاجرم ومعلوم أن الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف فلاجرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة الى أن يتكامل فهذا هو الاستدراج (وثانيها) المكر قال تعالى (فلا يأمن مكراته إلا القوم الخاسرون، ومكروا ومكر الله والله خيراً الكيد قال تعالى (مكرنا مكراً وهم لايشمون) (وثالها) الكيد قال تعالى (مكرنا مكراً وهم لايشمون) (وثالها) الكيد قال تعالى (عادعون الله وهو خادعهم) وقال (عادين آمنوا وما يخدعون إلا نفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً) (وخامسها) وولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً) (وخامسها)

الإهلاك قال تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم) وقال فى فرعون (واستكبر هو و جنوده فى الإرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لايرجعون، فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) فظهر بهذه الآيات أن الإيصال إلى المرادات لايدل على كال الدرجات والفوز بالخيرات بقى علينا أن نذكر الفرق بين الكرامات وبين الاستدراجات. فنقول إن صاحب الكرامة لايستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد وحذره من قهر الله أقوى فانه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج، وأما صاحب الاستدراج فانه يستأنس بذلك الذى يظهر عليه ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لانه كان مستحقاً لها وحينئذ يستخفر غيره ويتكبر عليه ويظن أنه إنما وم وعصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة فاذا ظهر شيء من هذه الاحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجا لا كرامة. فلهذا المهني قال المحققون أكثر صاحب الكرامات كما يخافون من انواع البلاء. والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة قاطع عن من انواع البلاء. والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه:

(الحجة الأولى) أن هذا الغرور إنما يحصل إذا اعتقد الرجل أنه مستحق لهذه الكرامة لأن بتقدير أن لا يكون مستحقاً لها امتنع حصول الفرح بها بل يجب أن يكون فرحه بكرم المولى وفضله أكبر من فرحه بنفسه وثبت أن الفرح بالكرامة أكثر من فرحه بنفسه وثبت أن الفرح بالكرامة أكثر من فرحه بنفسه وثبت أن الفرح بالكرامة لا يحصل إلا إذا اعتقد أنه أهل ومستحق لها وهذا عين الجهل لأن الملائكة تالوا (لاعلم لنا إلا ما علمتنا) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره) وأيضاً قد ثبت بالبرهان اليقيني أنه لاحق لأحد من الخلق على الحق فكيف يحصل ظن الاستحقاق.

﴿ الحجة الثانية ﴾ أن الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه فالفرح بالكرامة فرح بغيرالحق والفرح بغير الحق حجاب عن الحق والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور .

(الحجة الثالثة ﴾ أن من اعتقد فى نفسه أنه صار مستحقاً للكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم فى قلبه ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلا ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الحلق فى جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم فى جنب آلائه و نعائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهى فى مقابلة عزته حيرة وجهل . رأيت فى بعض الكتب أنه قرأ المقرى. فى مجلس الاستاذ أبى على الدقاق قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فقال علامة أن الحق رفع عملك أن لا يبقى [ذكره] عندك فان بنى عملك فى نظرك فهو مدفوع وإن لم يبقى معك فهو مرفوع مقبول .

﴿ الحجة الرابعة ﴾ أن صاحب الكرامة إنما وجد الكرامة لاظهار الذل والتواضع فى حضرة الله فاذا ترفع وتجبر وتكبر بسبب تلك الكرامات فقد بطل مابه وصل الى الكرامات فهذا طريق ثبوته يؤديه الى عدمه فكان مردودا ولهذا المعنى لما ذكر النبي عليه مناقب نفسه

وفضائلهاكان يقول فى آخركل واحد منها ولا فخر يعنى لا أفتخر بهذه الكرامات وإنمــا أفتخر اللكرم والمعطى .

(الحجة الخامسة) أن ظاهر الكرامات فى حق إبليس وفى حق بلعام كان عظيما ثم قيل لإبليس وكان من الكافرين وقيل لبلعام فمثله كمثل الكلب وقيل لبلما. بنى اسرائيل (مثل الذين حملوا التوراة مم لم يحملوها كمثل الحمار بحمل أسفارا) وقيل أيضا فى حقهم (وما اختلف الذين أو توا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) فبين أن وقوعهم فى الظلمات والصلالات كان بسبب فرحهم بما أو توا من العلم والزهد.

(الحجة السادسة) أن الكرامة غير المكرم وكل ماهو غير المكرم فهو ذليل وكل من تعزز بالذليل فهو ذليل وكل من تعزز بالذليل فهو ذليل ، ولهذا المعنى قال الخليل صلوات الله عليه : (١) أما إليك فلا ، فالاستغناء بالفقير فقر والتقوى بالماجز عجز والاستكال بالناقص نقصان والفرح بالمحدث بله والاقبال بالكلية على الحق خلاص . فتبت أن الفقير إذا ابتهج بالكرامة سقط عن درجته . أما إذا كان لايشاهد في الكرامات إلا المكرم ولا في الإعزاز إلا المعز ولا في الخلق إلا الحالق فهناك يحق الوصول .

(الحجة السابعة) أن الافتخار بالنفس وبصفاتها من صفات إبليس وفرعون ، قال إبليس (أنا خير منه)وقال فرعون (أليس لى ملك مصر) وكل من ادعى الإلهية أو النبوة بالكذب فليس له غرض إلا تزيين النفس و تقوية الحرص والعجب ولهذا قال عليه السلام و ثلاث مهلكات ، وختمها بقوله : واعجاب المرء بنفسه » .

﴿ الحجة الثامنة ﴾ أنه تعالى قال (فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) فلما أعطاه الله العطية الكبرى أمره بالاشتغال بخدمة المعطى لابالفرح بالعطية .

(الحجة التاسعة) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيره الله بين أن يكون ملكا نبياً وبين أن يكون عبداً نبياً ترك الملك ، ولا شك أن وجدان الملك الذي يعم المشرق والمغرب من الكرامات بل من المعجزات ثم إنه يه الله يترك ذلك الملك واختار العبودية لانه إذا كان عبداً كان افتخاره بمولاه وإذا كان ملكا كان افتخاره بعبيده ، فلما اختار العبودية لاجرم جعل السنة التي في التحيات التي رواها ابن مسعود و وأشهد أن محمداً عبده ورسوله و وقيل في المعراج (سبحان الذي أسرى بعبده) . (الحجة العاشرة) أن محب المولى غير ، ومحب ماللمولى غير ، فن أحب المولى لم يفرح بغير المولى ولم يستأنس بغير المولى والفرح بغيره يدل على أنه ما كان بغير المولى بل كان مجاً لنصيب نفسه و نصيب النفس إنما يطلب للنفس فهذا الشخص ما أحب المولى بل كان مجاً لنصيب نفسه و نصيب النفس إنما يطلب للنفس فهذا الشخص ما أحب الا نفسه ، وما كان المولى محبوباً له بل جعل المولى وسيسلة إلى تحصيل ذلك المطلوب . والصنم الاكبر هو النفس كما قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلحه هواه) فهذا الإنسان عابد للصنم الاكبر

⁽١) هذا من خطابه لجبريل عليه السلام فانه لما ألق في النارسا له جبريل فقال : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه السلام أما إليك فلا ١ .

حَى أَن المحققين قالوا لامضرة في عبادة شي. من الآصنام مثل المضرة الحاصلة في عبادة النفس ولا خوف من عبادة الاصنام كالحوف من الفرح بالكرامات.

(الحجة الحادية عشرة) قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له عزجا وبرزقه من حيث الايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وهذا يدل على أن من لم يتق الله ولم يتوكل عليه لم يحصل له شي. من هذه الافعال والاحوال.

﴿ المسألة الثامنة ﴾ في أن الولى هل يعرف كونه واياً ، قال الاستاذ أبوبكر بنفورك لايجوز وقال الاستاذ أبو على الدقاق و تلميذه أبو القاسم القشيرى يجوز ، وحجة المانعين وجوه :

(الحجة الأولى) لو عرف الرجل كونه ولياً لحصل له الأمن بدليل قوله تعالى (ألا إن أولياً الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن حصول الأمن غير جائز ويدل عليه وجوه: (أحدها) قوله مالى (فلا يأمن مكر الله إلا القوم المخاسرون) واليأس أيضا غير جائز لقوله تعالى (إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) ولقوله تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضائون) والمحيى فيه أن الأمن لا يحصل إلا عند اعتقاد العجز، واليأس لا يحصل إلا عند أعتفاد البخل واعتماد العجز واليأس لا يحصل الاعتد أعتفاد البخل واعتماد العجز والبخل في حق أقه كفر، فلا جرم كان حصول الآمن والقنوط كفر (الثانى) أن الطاعات وإن كثرت إلا أن قهر الحق أعظم ومع كون القهر غالباً لا يحصل الامن (الثانى) أن الطاعات وإن كثرت إلا أن قهر الحق أعظم ومع كون القهر غالباً لا يحصل والأمن يقتضى ترك الحذوف (الرابع) أنه تعالى وصف المخلصين بقوله (ويدعوننا رغباً ورهباً من والنا، ورهبا من فراقنا. وقبل رغباً في فضلنا، ورهبا من عقابنا. وقبل رغباً في فضلنا، ورهبا من عدلنا. وقبل رغباً في وصالنا، ورهبا من فراقنا. والاحسن أن يقال رغبا فينا، ورهبا منا.

(الحجة الثانية) على أن الولى لا يعرف كونه وليا؛ أن الولى إنما يصير ولياً لأجل أن الحق عبه لا لأجل أنه بحب الحق، وكذلك القول فى العدو، ثم إن محبة الحق وعداوته سران لا يطلع عليهما أحد فطاعات العباد ومعاصيهم لا تؤثر فى محبة الحق وعداوته لأن الطاعات والمعاصى محدثة، وصفات الحق قديمة غير متناهية، والمحدث المتناهى لا يصير غالباً للقديم غير المتناهى. وعلى هذا التفدير فريماكان العبد فى الحال فى عين المعصية إلا أن نصيبه من الأزل عين الحجة. وريماكان العبد فى الحال فى عين المعصية إلا أن نصيبه من الأزل عين العداوة وتمام التحقيق وريماكان العبد فى الحال فى عين الطاعة ولكن نصيبه من الأزل عين العداوة وتمام التحقيق الناعجة وعداوته صفة، وصفة الحق غير معللة، ومن كانت محبته لا لعلة ، فانه يمتنع أن يصير محبة لا لعلة الطاعة، ولما كانت محبة الحق وعداوته سرين لا يطلع عليهما لا جرم قال عيسى عليه السلام (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفس ولا أعلم المناكف ولا أعلم ما فى نفس ولا أعلم الموسود ولما كولم الموسود ولما كولم الموسود ولما كولم ولما كولم كولم كولم الموسود ول

(الحجة الثالثة) على أن الولى لا يعرف كونه ولياً ؛ أن الحكم بكونه ولياً وبكونه من أهل الحجة الثالثة) على أن الولى لا يعرف كونه ولياً ؛ أن الحكم بكونه ولياً وبكونه من أهل

نَعْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَنِ إِنَّهُمْ فِتْبَةً عَامَنُواْ بِرَبِّمْ وَزِدْنَكُمْ هُدَى ﴿ وَرَبَظْنَاعَكَ فَقُلُومِ مَا يَعْنَ اللَّهُ مَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُواْ مِن وَرَبَظْنَاعَكَ قُلُومِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبْنَا رَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُواْ مِن دُونِهِ عَالْمَةُ لَوْلا دُونِهِ عَلَى اللّهِ كَذُواْ مِن دُونِهِ عَالِمَةً لَولا دُونِهِ عَلَيْهِم بِسُلْطُنِ بَيْنِ فَسَنْ أَظْلُمُ مِمَّنِ الْفَتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذَبًا ﴿ اللّهِ كَذِبًا فَيْ اللّهِ كَذِبًا فَيْ اللّهِ كَذِبًا فَيْ

الثواب والجنة يتوقف على الخاتمة ، والدليل عليه قوله تعالى (من جا. بالحسنة فله عشر أمثالها) ولم يقل من عمل حسنة فله عشر أمثالها ، وهذا يدل على أن استحقاق الثواب مستفاد من الخاتمة لامن أول العمل؛ والذي يؤكد ذلك أنه لو مضى عمره في الكفر ثم أسلم في آخر الأمركان من أهل الثواب و بالضد ، وهذا دليل على أن العبرة بالخاتمة لا بأول العمل ، ولهذا قال تعالى (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) فثبت أن العبرة في الولاية والعداوة وكونه من أهل الثواب أو من أهل العقاب بالخاتمة ، فظهر أن الخاتمة غير معلومة لاحد ، فوجب القطع بأن الولى لا يعلم كونه ولياً ، أما الذين قالوا إن الولى قد يعرفكونه و لياً فقداحتجوا علىصحة قولهم بأنالولاية لهاً ركنان (أحدَّهما) كونه في الظاهر منقاداً للشريعة (الثاني) كونه في الباطن مستغرقاً في نورالحقيقة ، فاذا حصل الامران وعرف الإنسان حصولها عرف لامحالة كونه ولياً ، أما الانقياد في الظاهر للشريعة فظاهر ، وأما استغراق الباطن في نور الحقيقة فهو أن يكون فرحه بطاعة الله واستثناسه بذكر الله ، وأن لايكون له استقرار مع شيء سوى الله (والجواب) أن تداخل(١)الإغلاطـفهذا البابكثيرةغامضة والقضاء عسر، والتجرُّبة خطر، والجزم غرور . ودون الوصول إلى عالم الربوبية أستار ، تارة مِن النيران ، وأخرى من الأنوار ، والله العالم بحقائق الاسرار ، ولنرجع إلى التفسير . قوله تعالى : ﴿ يَحْنُ نَقْصَ عَلَيْكُ نَبَّاهُمُ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فَتَيْهُ آمَنُوا بَرِبُهُمْ وَزَدْنَاهُمْ هَدَى . وربطنا على قلوبهم إذ قامواً فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً ، هؤ لا أقومنا اتخذوا من دونه آلهة لو لا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم من افنرى على الله كذبا ﴾ اعلم أنه تعالىذكرمن قبل جملة منواقعتهم ثم قال (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أى على وجه الصدق (إنهم فتية آمنوا بربهم)كانوا جماعة من الشبان آمنوا بالله ، ثم قال تعالى فى صفاتهم (وربطنا على قلوبهم) أى ألهمناها الصبرو ثبتناها (إذ قاموا) وفي هذا القيام أقوال (الأول) قال مجاهد كانو ا عظاء مدينتهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد ، فقال رجلمنهم أكبر القوم إنى لاجد

⁽١) في الأصل تداخل مكذا ولعل الصواب مداخل لأنه وصفها فيها بعد بقوله كثيرة غامصة .

وَإِذِ آعَتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّهَ فَأْوُواْ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُر لَكُوْ رَبُّكُمْ مِن رَحْمَتِهِ عَ وَيُهَيِّيُ لَكُم مِنْ أَمْرِكُم مِنْ فَقًا شَيْ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجُورٍ مِنْهُ ذَالِكَ مِنْ ءَاينتِ اللّهِ مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُو الْمُهْتَدِ

فى نفسى شيئاً ماأظن أن أحداً يجده ، قالوا ما تجد؟ قال أجد فى نفسى أن ربى رب السموات والأرض (القول الثانى) أنهم قاموا بين يدى ملكهم دقيانوس الجبار ، وقالوا : ربنا رب السموات والارض، وذلك لانه كان يدعو الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبت الله هؤلا. الفتية، وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار ، وأقروا بربوبية الله ، وصرحوا بالبراءة عن الشركا. والأنداد (والقول الثالث) وهو قول عطاء ومقاتل أنهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم وهذا بعيد لأن الله استأنف قصتهم بقوله (نحن نقص عليك) وقوله (لقد قلنا إذاً شططاً) معنى الشطط في اللعة مجاوزة الحد، قال الفراء يقال قد أشط في السوم إذا جاوز الحدولم يسمع إلا أشط يشط أشطاطا وشططاً ، وحكى الزجاج وغيره شط الرجل وأشط إذا جاوز الحد ، ومنه قوله (ولا تشطط) وأصل هذا من قولهم شطت الدار إذا بعدت ، فالشطط البعد عن الحق ، وهو همنا منصوب على المصدر ، والمعنى لقد قلنا إذا قولا شططاً ، أما قوله ﴿ هُؤُلاً قُومُنَا اتْخَذُوا مُرْبُ دونه آلحة) هذا من قول أصحاب الكهف ويعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الأصنام (لولا يأتون ـ هلا يأتون - عليهم بسلطان بين) بحجة بينة ، ومعنى عليهم أى على عبادة الإلهة ، ومعنى الكلام أن عدم البينة بعدم الدلائل على ذلك لا يدل على عدم المدلول، ومن الناس من يحتج بعدم الدنيل على عدم المدلول ويستدل على صحة هذه الطريقة لهذه الآية . فقال إنه تعالى استدل على عدم الشركا. والأضداد بعدم الدليل عليها فثبت أن الاستدلال بعدم الدايل على عدم المدلول طريقة قوية ، ثم قال (فن أظلم عن افترى على الله كذبا) يعنى أن الحكم بثبوت الشيءمع عدم الدليل عليه ظلم وافترا. على الله وكذب عليه ، وهذا من أعظم الدلائل على فسادالقول بالتقليد. قوله تعالى :﴿ وَإِذْ اعْتَرْلْتُمُومُ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهِ فَأُووا إِلَى الْكُوفِ يَنْشُر لَكُمْ رَبُّكُمْ من رحمته ويهيء أحكم من أمركم مرفقاً. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشهال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد

وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيُّ مُرْشِدًا ﴿ اللَّهُ

ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾

إعلم أن المراد أنه قال بعضهم لبعض (وإذ اعتراتموهم) واعتراتم الشيء الذي يعبدونه إلا الله فانكم لم تعتزلوا عبادة الله (فأووا إلى الكهف) قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت كذا فافعل كذا ، ومعناه: إذهبوا إليه واجعلوه مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسطها عليكم (ويهيء لكم من أمركم مرفقا) قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء ، قال الفراء وهما لغتان واشتقاقهمامن الارتفاق ، وكان الكسائي ينكر في مرفق الإنسان الذي في اليد إلا كسر الميم وفتح الفاء ، والفراء يجيزه في الإمر وفي اليد وقيل المرفق ماار تفقت به ، والمرفق وفي اليد وقيل المرفق ماار تفقت به ، والمرفق بالفتح المرافق ثم قال تعالى (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) وفيه مباحث :

(البحث الأول) قرأ ابن عامر تزود ساكنة الزاى المعجمة مشددة الراء مثل تحمر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائى تزاور بالألف والتخفيف والباقون تزاور بالتشديد والألف والكل عنى واحد، والتزاور هو الميل والانحراف، ومنه زاره إذا مال اليه والزور الميل عن الصدق، وأما التشديد فأصله تتزاور سكنت التاء الثانية وأدغمت فى الزاى، وأما التخفيف فهو تفاعل من الزور وأما تزور فهو من الإزورار.

﴿ البحث الثانى ﴾ قوله (وترى الشمس) أى أنت أيها المخاطب ترى الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم وليس المراد أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة فى المخاطبة تكون على هذا النحو ، ومعناه أنك لو رأيته لرأيته على هذه الصورة .

﴿ البحث الثالث ﴾ قوله (ذات اليمين) أى جهة اليمين وأصله أن ذات صفة أقيمت مقام الموصوف لانها تأنيث ذو فى قولهم رجل ذو مال ، وامرأة ذات مال ، والتقدير كا نه قيل تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين ، وأما قوله (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) ففيه بحثان :

(البحث الأول) قال الكسائى قرضت المكان أى عدلت عنه وقال أبو عبيدة القرض فى أشياء فنها القطع ، وكذلك السير فى البلاد أى إذا قطعها . تقول لصاحبك هل وردت مكان كذا فيقول المجيب إما قرضته فقوله (تقرضهم ذات الشهال) أى تعدل عن سمت وقوسهم إلى جهة الشهال (البحث الثانى) للمفسرين همنا قولان (القول الأول) أن باب ذلك الكهف كان مفتوحا إلى جانب الشهال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف وإذا غربت كانت على شهاله فعنوه

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلَّبُهُم بَسِطٌ

ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ١

الشمس ١٠ كان يصل إلى داخل الكهف، وكان الهوا. الطيب والنسم المرافق يصل، والمقصود أن الله تعالى صان أصحاب الكوف من أن يقع عليهم ضوء الشمس و إلا لفسدت أجسامهم فهي مصونة عن العفونة والفساد (والقول الثاني) أنه ليس المراد ذلك، وإنما المراد أن الشمس إذا طلعت منع الله ضوء الشمس من الوقوع . وكذا القول حال غروبها ، وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكيف، وهذا قول الزجاج واحتج على صحته بقوله (ذلك من آيات الله) قال ولو كان الامركما ذكره أصحاب القول الاول لـكان ذلك أمراً معتاداً مَالُوفًا فَلْمَ يَكُنُ ذَلِكُ مِن آيات الله ، وأما إذا حملنا الآية على هذا الوجه الثاني كان ذلك كرامة عجيبة فكأنت من آيات الله ، واعلم أنه تعـالى أخبر بعد ذلك أنهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهواء، قال (وهم في فجوة منه) أي من الكهف، والفجوة متسع في مكان، قال أبوعبيدة وجمعها فجوات ، ومنه الحديث دفاذا وجد فجوة نص، ثم قال تعالى (ذلك من آيات الله) وفيه قولان الذين قالوا إنه يمنع وصول ضوء الشمس بقدرته قالوا المراد من قوله ذلك أي ذلك التزاور والميل، والذين لم يقولوا به قالوا المراد بقوله ذلك أى ذلك الحفظ الذي حفظهم الله في ذلك الغار تلك المدة الطويلة ، من آيات الله الدالة على عجائب قدرته وبدائع حكمته ، ثم بين تعالى أنه كما أن بقاءهم هذه المدة الطويلة مصوناً عن الموت والهلاك من تدبيراته ولطفه وكرَّمه ، فكذلك رجوعهم أولا عن الكفرورغبتهم في الإيمان كان باعانة الله ولطفه فقال (من يهد الله فهو المهتد) مثل أصحاب الكهف (ومن يضلل فلن تجــــد له ولياً مرشداً) كدقيانوس الكافر وأصحابه ، ومناظرات أهل الجبر والقدر في هذه الآية معلومة .

قوله تعالى : ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾

اعلم أن معنى قوله (وتحسبهم) على ما ذكرناه فى قوله (وترى الشمس) أى لو رأيتهم لحسبتهم (أيقاظاً) وهو جمع يقظ و يقظان قاله الاخفش وأبو عبيدة والزجاج وأنشدوا لرؤبة :

ووجدوا إخوانهـــم أيقاظأ

ومثله قوله نجد ونجدان وأنجاد ، وهم رقود أي نائمون وهومصدر سي المفعول به كما يقال قوم ركوع وقعود وسجود يوصف الجمع بالمصدر، ومن قال إنه جمع راقد فقد أبعد لأنه لم يجمع فاعل على فعول قال الواحدي و إنما يحسبون (أيقاظا) لأن أعينهم مفتحة وهم نيام وقال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن أنهم أيقاظ ، والدليل عليه قوله تعالى (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) واختلفوا فى مقدار مدة التقليب فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن لهم فى كلءام تقليبتين وعن مجاهديمكثون على أيمانهم تسع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقوداً تسع سنين وقيل لهم تقليبة واحدة في يوم عاشورا. . وأقول هذه التقديرات لاسبيل للعقل اليها ، ولفظ القرآن لايدلعليه ، وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف ؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما فائدة تقليبهم لئلا تأكل الأرض لحومهم ولا تبليهم ، وأقول هذا عجيب لانه تعالى لما قدر على أن يمسك حياتهم مدة ثلثماثة سنة وأكثرُ فلم لا يقدر على حفظ أجسادهم أيضا مِن غير تقليب ؟ وقوله (ذات) منصوبة على الظرف لأن المعنى (نقلبهم) في ناحية (البمين) أو على ناحية (البمين) كما قلنا في قوله (تزاور عن كهفهم ذات اليمين) وقوله (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس وأكثر المفسرين قالوا إنهم هربوا ليلا من ملكهم ، فروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ومعه كلبه ، وقال كعب مروا بكلب فتبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا مرارا ، فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا جاتبي أنا أحب أحباء للله فناموا حتى أحرسكم ، وقال عبيد بن عمير كان ذلك كلب صيدهم ومعنى (باسط دراعيه) أي ياتيهما على الأرض مبسوطتين غير مقبوضتين ، ومنه الحديث في الصلاة ﴿ أَنَّهُ نَهِي عَنَ افْتُرَاشُ السَّبِعِ ﴾ وقال «لاتفترش ذراعيك افتراش السبع» قوله (بالوصيد) يعنى نناء الكهف قال الزجاج الوصيد فنا. البيت وفنا. الدار وجمعه وصائد ووصد، وقال يونس والاخفش والفرا. أنوصيد والاصيد لغتان مثل الوكاف والإكاف، وقال السدى (الوصيد) الباب والكهف لا يكون له باب و لا عتبة وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت ، ثم قال (لو اطلعت عليهم) أي أشرفت عليهم يقال اطلعت عليهم أي أشرفت عليهم ، ويقال أطلعت فلانا على الشيء فاطلع وقوله (لوليت منهم فراراً) قال الزجاج قوله (فراراً) منصوب على المصدر لأن معنى وليتمنهم فررت (ولملئت منهم رعباً) أي فزعاً وخوفاً قيل في التفسيرطالت شعورهم وأظفارهم وبقيت أعينهم مفتوحة وهم نيام ، فلهذا السبب لو رآهم الرائى لهرب منهم مرعوباً ، وقيل إنه تعالى جعلهم بحيث كل من رآهم فزع فزعا شديداً ، فأما تفصيل سبب الرعب فالله أعلم به . وهـذا هو الاصح وقوله (ولملثت منهم رعباً) قرأ نافع وابن كثير لملثت بتشديد اللام والهمزة والباقون بتخفيف اللام،وروى عن ابن كثير بالتخفيفوالمعنى واحد إلا أن في التشديد مبالغة ، قال الاخفش الحفيفة أجود في كلام العرب . يقال ملاتني رعباً ، ولا يكادون يعرفون ملاتني ، ويدل على هذا أكثر استعمالهم كقوله : و كَذَاكِ بَعَنْنَهُمْ لِيَسَاء لُواْ بَذِهُمْ قَالَ قَابِلٌ مِنْهُمْ كُرْ لِبِثْتُمْ قَالُواْ لِبِثْنَا يَومًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ مِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُواْ أَحَدَكُم بِورِقِكُمْ هَذِهِ مِ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضَ يَوْمِ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ مِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُواْ أَحَدُكُم بِورِقِكُمْ هَذِهِ مِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْبَعْضَ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَيْتُهُمْ فِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّ



فيملاً بيتنا أقطاً وسمناً (١)

وقول الآخر :

ومن مالى. عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمي

لاتملأ الدلو وعرق فيهــا

وقال الآخر : وقال الآخر :

امتلأ الحوض وقال قطبي

وقد جاء التثقيل أيضاً ، وأنشدو ا للمخبل السعدى :

وإذ قتل النعارب بالناس محرماً فلا من عوف بن كعب سلاسله وقرأ ابن عامر والكسائى رعباً بضم العين فى جميع القرآن والباقون بالإسكان.

قوله تعالى : ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم كم لبثتم ، قالوا لبثنايوماً أو بعض يوم ، قالوا دبكم أعلم بمالبثتم . فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاماً ، فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ، إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً ﴾

اعلم أن التقدير وكما (زدناهم هدى ، وربطنا ، على قلوبهم ، فضربنا على آذانهم) وأنمناهم وأبقيناهم أحياء لا يأكلون ولا يشربون ونقلهم فكذلك بعثناهم أى أحييناهم من تلك النومة التى تشبه الموت ليتساءلوا بينهم تساءل تنازع واختلاف فى مدة لبثهم ، فان قيل هل يجوز أن يكون الغرض مربعثهم أن يتساءلوا ويتنازعوا ؟ قلنا لا يبعد ذلك لانهم إذا تساءلوا انكشف لهم من قدرة الله تعالى أمور عجيبة وأحوال غريبة ، وذلك الانكشاف أمر مطلوب لذاته . ثم قال تعالى

⁽۱) هذا صدر بیت من آبیات لامری. القیس منها : إذا ما لم تکن إبل فمعزی کأن قرون جلنها العصی قتملاً بیتنا أقطا وسمناً وحسبك من غنی شبع وری

(قال قائل منهم كم لبثنم) أى كم مقدار لبثنا في هذا الكهف (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار ، فلذلك قالوا لبثنا يوماً فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم ، ثم قال تعالى (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) ، قال ابن عباس هو رئيسهم يمليخا رد علم ذلك الى الله تعـالى لأنه لمـا نظر إلى أشعارهم وأظفارهم وبشرة وجوههم رأى فيها آثار التغير الشديد فعلم أن مثل ذلك التغير لا يحصل إلا في الآيام الطويلة . ثم قال (فابعثوا أحدكم بورقـكم هذه إلى المدينة) قرأ أبو عمرو وحزة وأبو بكر عرب عاصم بورة كم ساكنة الرا. مفتوحة الوِ أو ومنهم من قرأ [ها] مكسورة الواو ساكنة الراكم وقرأ ابن كثير بورقكم بكسرالرا، وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواوو أسكن الرا، وأدغم القاف في الكأف، وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين على هذه، والورق إسم للفضة سواءكانت مضروبة أم لا ، ويدل عليه ماروى أن عرفجة اتخذ أنفا من ورق ، وفيه لغات ورق وورق وورق مثل كبد وكبد وكبد، ذكره الفراء والزَّجاج قال الفراء وكبر الواو أردؤها ، ويقال أيضاً للورق الرقة، قال الأزهري أصله ورق مثل صلة وعدة، قال المفسرون كانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم يعني بالمدينة التي يقال لهـما اليوم طرسوس، وهذه الآية تدل على أن السعى في إمساك الزاد أمر مهم مشروع وأنه لايبطل التوكل وقوله (فلينظر أيها أزكي طعاما). قال ابن عباس يريد ماحل من الذبائح لآن عامة أهل بلدهم كانوا مجوساً وفيهم قوم يخفون إيمانهم وقال مجاهدكان ملكهم ظالمًا فقولهم (أزكى طعامًا) يريدون أيها أبعد عن الغصب، وقيل أيها أطيب وألذ، وقيل أيها أدخص، قال الزجاج: قوله (أيها) رفع بالابتداء و (أزكى) خبره و (طعاماً) نصب على التمييز ، وقوله (وليتلطف) أى يكون ذلك فى سر وكتمان يعنى دخول المدينة وشراء الطعام (ولا يشعرن بكم أحداً) أي لايخبرن بمكانكم أحداً من أهل المدينة (إنهم أن يظهروا عليكم) أى يطلعوا ويشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم من قولهم ظهرت على فلان إذا علوته وظهرت على السطح إذا صرت فوقه ، ومنه قوله تعالى (فأصبحوا ظاهرين) أي عالمين ، وكذلك قوله (ليظهره على الدين كله) أى ليعليه وقوله (يرجموكم) يقتلوكم ، والرجم بمعنى القتل كثير في التنزيل كقوله (ولو لا رهطك لرجمناك) وقوله (أن ترجمون) وأصله الرمي ، قال الزجاج أى يقتلوكم بالرجم، والرجم أخبث أنواع القتل (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى دينهم (ولن تفلحوا إذاً أبداً) أي إذا رجعتم إلى دينهم لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة قال الزجاج قوله (إذاً أبدا) يدل على الشرط أي ولن تفلحوا إن رجعتم إلى ملتهم أبداً ، قال القاضي ماعلى المؤمن الفار بدينه أعظم من هذين فأحدهما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذي هو أخبث أنواع القتل ، والآخر هلاك الدين بأن يردوا إلى الكفر ، فان قيل أليس أنهم لو أكرهوا على الكفر حتى إنهم أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا (ولن تفلحوا إذاً أبدا) وَكَذَٰ اللهُ أَعْثَرُنَا عَلَيْهِ مَ لِيَعْلَمُواْ أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَتَّى وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَ آ إِذْ يَكَنُزَعُونَ بَيْنَهُ مَ أَمْرُهُمْ فَقَالُواْ آبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَكُنَا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُواْ عَلَيْهِم بُنْيَكُنَا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُواْ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهُمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَاللّهُمْ كَلّبُهُمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَاللّهُمْ كَلّبُهُمْ وَيَعْولُونَ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ عَلَيْهُمْ وَاللّهُمْ كَلّبُهُمْ قُلْ رَقِي أَعْلَمُ عَلَيْهُمْ وَيَعْمُ إِلّا عَلِيلٌ فَلَا تَيْكُ فِي إِلّهُ عَلَيْهِمْ إِلّا عَلِيلٌ فَلَا تُحَلِيمُ إِلّا مِنْ آ عَا طَلْهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم إِلّا مِنْ آ عَلَيْهُمْ أَعْدُلُهُمْ أَلَا تُعَلِيمُ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُمْ إِلّا عَلِيلٌ فَلَا تُحَلّقِهُمْ إِلّا عَلِيلٌ فَلَا تُمَالِ فِيهِمْ إِلّا مِنْ آعَ فَلَا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم إِلّا مِنْ آعَالَهُمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارُ فِيهِمْ إِلّا مِن آعَ عَلَيْهُمْ أَوْلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ أَلَا عُلَيْهُمْ أَعُلَالُ فَلَا تُعَلِيلُ فَلَا تُمَالِ فَيهِمْ إِلّا مِن آعَ عَلَيْهُمْ أَعْلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ أَعْلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ أَعْلَالًا عَلْكُولُ اللّهُ عَلَيْهُمْ أَعْلَالُولُونَ عَلَيْهُمْ أَعْلَالُونَ عَلَيْهُمْ أَعْلَالُونَ عَلَيْكُولُونَ عَلَيْكُولُونَ عَلَيْكُولُونَ عَلَيْكُولُونَ عَلَيْكُولُونَ عَلَيْكُولُونَا عَلَيْكُمْ وَلَا تُسْتَفْتِ فِيهِمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلَالْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُونَا اللّهُ عَلَيْكُولُونَا مُعَلِيلًا عَلَيْكُولُونَ اللّهُ عَلَيْكُولُونَ اللّهُ عَلَالْمُ عَلَيْكُولُونَ اللّهُ عَلَا عُلَا عُلَالُهُ عَلَالِهُ عَلَالْمُ اللّهُ عَلَالْمُ اللّهُ عَلَيْكُولُونُ اللّهُ عَلَالْمُ عَلَا عُلَالْمُ اللّهُ عَلَيْكُولُونَا اللّهُ عَلَالْمُ اللّهُ عَلَيْكُولُونُ اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَالْمُ

قلتا يحتمل أن يكون المراد أنهم لو ردوا هؤلاء المسلمين إلى الكفر على سبيل الإكراه بقوا مظهرين لذلك الكفر مدة فانه يميل قلبهم إلى ذلك الكفر ويصيرون كافرين فى الحقيقة ، فهذا الاحتمال قائم فكان خوفهم منه ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وكفائك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يقاؤعون بينهم آمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم من قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجعاً ، سيقولون كلافة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون خمسة و ثلمنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلاتمار فيهم إلامرا ، ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾ إعلم أن المدى كا زدناهم هدى وربطنا على قلوبهم وأنمناهم وقلبناهم وبعثناهم لما فيها من الحكم الظاهرة ، فكفلك أعثرنا عليهم أى أطلعنا غيرهم على أحوالهم يقال عثرت على كذا أى علته وقالوا إن أصل هذا أن من كان غافلا عن شى . فعثر به نظر اليه فعرفه ، فكان العثار سبباً لحصول العلم والتبين فأطلق اسم السبب على المسبب واختلفوا في السبب الذي لاجله عرف التاس واقعة أصحاب الكهف على وجهين : (الأول) أنه طالت شعورهم وأظفارهم طولا مخالفاً للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجبة تدل على أن مدتهم قد طالت طولا خارجا عن العادة والثانى) أن ذلك الرجل لما ذهب الى السوق ليشترى الطعام وأخرج الدراهم لمن الطعام قال صاحب الطعام هذه النقود غيرموجودة في هذا اليوم . وإنها كانت موجودة قبل هذا الوقت عدة طويئة ودهر داهر فلطك وجدت كنزا ، واختلف الناس فيه وحملوا ذلك الرجل الى ملك البلد طويئة ودهر داهر فلطك وجدت هذه الدراهم ؟ فقال : بعت بها أمس شيئاً من التمر ، وخرجنا فرارا من قال لملك من أين وجدت هذه الدرام ؟ فقال : بعت بها أمس شيئاً من التمر ، وخرجنا فرارا من

الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك أنه ما وجد كنزا وأن الله بعثه بعد موته ثم قال تعالى (ليعلموا أن وعد الله حق) يعنى أناإما أطلمنا القوم على أحو الهم ليعلم القوم أن وعد الله حق بالبعث والحشر والنشر روى أن ملك ذلك الوقت كان بمن ينكر البعث إلّا أنه كان مع كفره منصفاً فجعل الله أمر الفتية دليلا للملك، وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعاً ، وقال آخرون الروح تبعث ، وأما الجسد فتأكله الارض ثم إن ذَلك الملك كان يتضرع إلى الله أن يظهر له آية يستدل بها على ماهو الحق في هذه المسألة فأطلعه الله تعالى على أمر أصحاب أهل الكهف . فاستدل ذلك الملك بو اقعتهم على صحة البعث للاجساد ،لأن انتباههم بعدذلك النومالطويل يشبه من بموت ثم يبعث فقوله (إذ يتنازعون بينهم) متعلق بأعثرنا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم ، واختلفوا فى المراد بهذا التنازع فقيل كانوايتنازعون فى صحة البعث ، فالقائلون به استدلوا بهذه الواقعة على صحته ، وقالواكما قدر الله على حفظ أجسادهم مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين فكذلك يقدر على حشر الأجساد بعد موتها ، وقيل إن الملك وقومُه لما رأوا أصحاب الكهف ووقفوا على أحوالهم عاد القوم إلى كهفهم فأماتهم الله فعند هذا اختلفالناس، فقال قوم إنهم نيام كالكرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا (والقول الثالث) أن بعضهم قال : الاولى أن يسد باب الكهف لشلا يدخل عليهم أحد ولا يقف على أحوالهمانسان. وقال آخرون: بل الأولىأن يبنى على باب الكهف مسجد وٰهذا القول يدل على أن أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة (والقول الرابع) أن الكفار قالوا : إنهم كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنياناً ، والمسلمون قالوا كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجداً (والقول الخامس) أنهم تنازعوا فى قدر مكثهم (والسادس) أنهم تنازعوا في عددهم وأسهائهم ، ثم قال تعالي (ربهم أعلم بهم) وهذا فيه وجهان (أحدهما) أنه منكلام المتنازعين كأنهم لما تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أسهائهـم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلنا لم يهتـدوا إلى حقيقة ذلك قالوا رمـم أعلم بهـم (الثانى) أن هـذا من كلام الله تعـالى ذكره رداً للخائضين فى حديثهـم من أولــُـكُ المتنازعين ثم قال تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم) قِيل المراد به الملك المسلم ، وقيل أوليا. أصحاب الكهف ، وقيل , وساء البلد (لنتخذن عليهم مسجداً) نعبد الله فيه و نستبقى آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد، ثم قال تمالى (سقولون ثلاثة رابعهم كليهم) الضمير في قوله (سيقولون) عائد إلى المتنازعين ، روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل بجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقو بياً كانوا ثلاثة رابعهم كلمهم، وقال العاقب وكان نسطورياً كانوا خسة سادسهم كلهم ، وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلهم ، قال أكثر المفسرين هذا الآخير هو الحق وبدل عليه وجوه (الأول) أن الواو في قوله (وثامنهم) هي الواو التي تدخل على الجمله الواقعة صفةللنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المدرفة في نجو قولك

جاه في رجل ومعه آخر ، ومررت بزيد وفي يده سيف ، ومنه قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) وفائدتها توكيد ثبوت الصفة للموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر أابت مستقر ، فكانت هذه الواو دالة على صدق الذين قالوا إنهم كانوا سبعة و ثامنهم كلهم . وأنهم قالوا قولا متقررا متحققا عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس (الوجه الثاني) قالوا إنه تعالى خص هذا الموضع بهذا الحرف الزائد وهو الواو فوجب أن تحصل به فائدة زائدة صورناً للفظ عن التعطيل ، وكلمن أثبت هذه الفائدة الزائدة قال المراد منها تخصيص هذا القول بالاثبات والتصحيح (الوجه الثالث) أنه تعالى أتبع القولين الأولين بقوله (رجماً بالغيب) وتخصيص الشي. بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه، فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الاولان، وأن يكون القول الثالث مخالفاً لها في كونهما رجما بالظن (والوجه الرابع) أنه تعالى لمــا حكى قولهم (ويقولون سبعة و ثامنهم كلهم) قال بعده (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) فاتباع القولين الأولين بكونهما رجماً بالغيب وإتباع هذا القول الثالث بقوله (قل ربي أعلم بمدتهم ما يعلُّمهم إلا قليل) يدل على أن هذا القول ءتاز عن القولين الأولين بمزيدالقوة والصحة (والوجه الخامس) أنه تعالى قال (مايعلمهم إلا قليل) وهذا يقتضي أنه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكل من قال من المسلمين قولا في هذا الباب قالوا انهم كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم فوجب أن يكون المراد من ذلك القليل هؤلا. الذين قالوا هدا القول. كان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: كانوا سبعة وأسماؤهم هذا: يمليخا، مكسلمينا، مسائينا وهؤلا. الثلاثة كانوا أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره: مرنوس، ودبرنوس، وسادنوس، وكان الملك يستشمير هؤلا. الستة في مهماته ، والسابع هو الراعي الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم واسم كلهم قطمير ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: أنا من ذلك العدد القليل، وكان يقول إنهم سبعة و ثامنهم كلهم.

(الوجه السادس) أنه تعالى لما قال (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) والظاهر أنه تعالى لما حكى الأقوال فقد حكى كل ما قيل من الحق والباطل لأنه يبعد أنه تعالى ذكر الأقوال الباطلة ولم يذكر ماهو الحق. فثبت أن جملة الأقوال الحقة والباطلة ليست إلا هذه الثلاثة ، ثم خص الأولين بأنهما رجم بالغيب فوجب أن يكون الحق هو مدا الثالث (الوجه السابع) أنه تعالى قال لرسوله (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) فنعه الله تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتائهم في هذا الباب ، وهذا إنما يكون فيهم منهم أحداً) فنعه الله تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتائهم في هذا الباب ، وهذا إنما يكون فيهم منهم أحداً) فنعه الله تعالى عن المناظرة معهم والمناهم إلا قليل ويبعد أن يحصل العلم بذلك نعل الغير الذي ولا يحصل لذي ، فعلمنا أن العلم بهذه الواقعة حصل لذي عليه السلام ، والظاهر أنه لم يحصل ذلك العلم إلا بهذا الوحى ، لأن الأصل فيما سواه العدم ، وأن يكون الأمر كذلك فكان الحق هو قوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلهم) واعلم أن هذه الوجوه وإن كان بعضها أضعف

من بعض إلا أنه لما تقوى بعضها ببعض حصل فيه كال وتمام والله أعلم. بتى فى الآية مباحث ﴿ البحث الآول ﴾ فى الآية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة فحذف المبتدأ لدلالةالكلام عليه ﴿ البحث الثانى ﴾ خص القول الآول بسين الاستقبال ، وهو قوله سيقولون ، والسبب فيه أن حرف العطف يوجب دخول القولين الآخرين فيه

﴿ البحث الثالث ﴾ الرجم هو الرمى ، والغيب ما غاب عن الإنسان فقوله (رجَمَّا بالغيب) معناه أن يرمى ما غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقة ، يقال فلان يرمى بالكلام رمياً ، أي يتكلم من غير تدبر . ﴿ البحث الرابع ﴾ ذكروا في فائدة الواو في قوله (و ثامنهم كلبهم) وجوها (الوجه الأول) ماذكرَنا أنه مدل على أن هذا القول أولى من سائر الأقوال (وثانيها) أن السبعة عند العرب أصل في المبالغة في العدد قال تعالى (إن تستغفر لهم سيعين مرة) وإذا كان كذلك فاذا وصلوا إلى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستثناف ، فقالوا وثمانية ، فجا. هذا الكلام على هذا القانون ، قالوا ويدل عليه نظيره في ثلاث آيات ، وهي قوله (والناهونُ عن المنكر) لأن هذا هو العدد الثامن مر. الاعداد المتقدمة وقوله (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) لأن أبواب الجنة ثمانية ، وأبواب النار سبعة ، وقوله (ثيبات وأبكارا) هو العدد الثامن بما تقدم ، والناس يسمون هذه ألواو واو الثمانية ، ومعناه ماذكرناه ، قال القفال : وهذا ليس بشيء ، والدليل عليه قوله تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ولم يذكر الواو في النعت الثامن ، ثم قال تعالى (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) وهذا هو الحق ، لأن العلم بتفاصيل كاثنات العالم والحوادث التي حدثت في المــاضي والمستقبل لاتحصل إلا عند الله تعالى، وإلا عند من أخبره الله عنها . وقال ابن عباس أنا من أولئك القليل ، قال القاضي إن كان قد عرفه ِ ببيان الرسول صح ، وإنكان قد تعلق فيه بحرف الواو فضميف ، ويمكن أن يقال الوجو هالسبعة المذكورة وإنكانت لاتفيد الجزم إلا أنها تفيد الظن أ واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه القصة أتبعه بأن نهى رسوله عن شيئين ، عن المراء والاستفتاء ، أما النهى عن المراء ، فقوله (نلا تمــار فيهم إلا مراء ظاهرا) والمراد من المراء الظاهر أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد ، بل يقول : هذا التعيين لادليل عليه ، فوجب التوقف وترك القطع . ونظيره قوله تعالى(ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) وأما النهي عن الاستفتاء فقوله (ولا تستفت فيهم منهم أحداً ، وذلك لأنه لما ثُبُت أنه ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم ، واعلم أن نفاة القياس تمسكوا بهذه الآية قالوا لأن قوله (رجماً بالغيب) وضع الرجم فيه موضع الظن فكا ُنه قيل ظناً بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا: رجم بالظن مكان قولهم ظن ، حتى لم يبق عندهم فرق بينالعبار تين ، ألا وما هو عنها بالحديث المرجم(١) ترى إلى قوله :

وما الحرب إلا ما علتم وذقم وما القول عنهابالحديث المرجم

⁽١) البيت للنابغة الديياني والرواية المشهورة :

أى المظنون هكذا قاله صاحب الكشاف ، وذلك يدل على أن القول بالظن مذموم عند الله ثم إنه تعالى لما ذم هذه الطريقة رتب عليه من استفتا. هؤلاء الظانين ، فدل ذلك على أن الفتوى بالمظنون غير جائز عند الله ، وجواب مثبتى القياس عنه قد ذكرناه مرارا .

قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقُولُ لَشَيْءُ إِنَى فَاعِلَ ذَلَكَ غَدَا ، إِلا أَنْ يَشَاءُ اللهُ وَاذَكُرَ رَبِكُ إِذَا نَسِيتَ وَقَلَ عَسَى أَنْ يَسَاءُ اللهُ وَاذْكُرُ رَبِكُ إِذَا نَسِيتَ وَقَلَ عَسَى أَنْ يَسِدُنِ رَبِي لاَقْرَبُ مِنْ هَذَا رَشَداً . وَلَبْوَا فِي كَهْهُمُ ثَلاَثُمَاتُهُ سَنَيْنُ وَازْدَادُوا تُسْعاً . قُلَ اللهُ أَعْلَمُ عَمَا لَهُمُ مِنْ دُونِهُ مِنْ وَلَى وَلا يَشْرِكُ فَيْ حِكُهُ أَحْداً ﴾ إعلم أن في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال المفسرون إن القوم كما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة ، قال عليه السلام أجيبكم عنها غدا ولم يقل إن شاء الله ، قاحتبس الوحى خسة عشر يوما وفي رواية أخرى أربعين يوما ، ثم نزلت هذه الآية ، اعترض القاضى على هذه الكلام من وجهين (الاول) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عالما بأنه إذا أخبر عن أنه سيفعل الفعل الفلانى غداً فربما جاءته الوفاة قبل الفد ، وربما عاقه عائيق آخر عن الإقدام على ذلك الفعل غدا ، وإذا كان كل هذه الأمور محتملا ، فلو لم يقل إن شاء الله ربما خرج الكلام مخالفاً لما عليه الوجود وذلك يوجب التنفير عنه وعن كلامه عليه السلام ، أما إذا قال إن شاء الله كان عترزاً عن هذا الحنور ، وإذا كان كذلك كان من البعيد أن يعد قصرها على هذا السبب وغيكن أن يجاب عن الآية مشتملة على فوائد كثيرة وأحكام جمة فيبعد قصرها على هذا السبب وغيكن أن يجاب عن الآلولى : إنه لا نزاع أن الأولى أن يقول إن شاء الله إلا أنه ربما انفق له أنه نسى هذا المكلام السبب من الأسباب فكان ذلك من ياب ترك الأولى والأفضل ، وأن يجاب عن الثانى أن اشتله طلى الفوائد الكثيرة لا يمنع من أن يكون سبب نزوله واحدا منها.

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (إلا أن يشاء الله) ليس فيه بيان أنه شاء الله ماذا ، وفيه قولان (الأول) التقدير (ولا تقولن لشيء إلى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) أن يأذن لك في ذلك القول ، والمعنى أنه ليس لك أن تخبر عن نفسك أنك تفعل الفعل الفلاني إلا إذا أذن الله لك في ذلك الإخبار (القول الثاني) أن يكون التقدير (ولا تقرلن لشيء إلى فاعل ذلك غدا) إلا أن تقول (إن شاء الله) والسبب في أنه لابد من ذكر هذا القول هو أن الإنسان إذا قال سأفعل الفعل في غداً لم يبعد أن يموت قبل مجيء الغد ، ولم يبعد أيضاً لو بتي حياً أن يعوقه عن ذلك الفعل شيء من العواتق ، فاذا كان لم يقل إن شاء الله صاركاذ با في ذلك الوعد ، والكذب منفروذلك لا يليق بالانبيا. عليهم السلام ، فلهذا السبب أوجب عليه أن يقول (إن شاء الله) حتى أن بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصركاذ با فلم يحصل التنفير .

﴿ المسالة الثالثة ﴾ إعلم أن مذهب المعتزلة أن الله تعالى يريد الإيمان والطاعة من العبد والعبديريد الكفر والمعصية لنفسه فيقع مراد العبد ولايقع مراد الله فتكون إرادة العبد غالبة وإرادة الله تعالى مغلوبة ، وأما عندنا فكل ما أراد الله تعالى فهو واقع فهو تعالى يريد الـكفر من الكافر ويريد الإيمان من المؤمن وعلىهذا التقرير فارادة الله تعالى غالبة وإراقة العبد مغلوبة إذا عرفت هذا فنقول إذا قال العبد لأفعلن كذا غداً إلا أن يشاء الله والله إنما يدفع عنه الكذب إذا كانت إرادة الله غالبة على إرادة العبد فان على هذا القول يكون التقدير أن العبد قال أنا أفعل الفعل الفلاني إلا إذا كانت إرادة الله بخلافه فأنا على هذا التقدير لا أفعل لأن إرادة الله غالبة على إرادتى فعند قيام المانع الغالب لا أقوى على الفعل ، أما بتقدير أن تكون ارادة الله تعالى مغلوبة فانها لاتصلح عذراً في هذا الباب، لأن المغلوب لا يمنع الغالب. إذا ثبت هذا فنقُول: أجمعت الآمة على أنه إذا قال والله لافعلن كذا ثم قال إنَّ شاء الله دافعاً للحنث فلا يكون دافعاً للحنث إلا إذا كانت إرادة الله غالبة ، فلما حصل دفع الحنث بالاجماع وجب القطع بكون إرادة الله تعالى غالبة وأنه لايحصل في الوجود إلا ما أراده الله وأصحابنا أكدوا هذا الـكلام في صورة معينة وهو أن الرجل إذا كان له على انسان دين وكان ذلك المديون قادراً على أدا. الدين فقال والله لاقضين هذا الدين غداً ، ثم قال انشاء الله فاذا جاء الغد ولم يقضهذا الدين لم يحنث وعلىقول المعتزلة أنه تعالى يريد منه قضاء الدين وعلى هـ ذا التقدير فقوله (ان شاء الله) تعليق لذلك الحكم على شرط واقع فوجب أن يحنث ، ولما أجمعوا على أنه لايحنث علمنا أن ذلك الماكان لأن الله تعالى ما شا. ذلك الفعل مع أن ذلك الفعل قد أمر الله به ورغب فيه وزجر عر. الإخلال به وثبت أنه تعالى قد ينهى عن الشيء ويريده وقد يأمر بالشيء ولا تريده وهو المطلوب، فان قيل هب أن الامركما ذكرتم إلا أن كثيراً من الفقها. قالوا اذا قال الرجل لامرأته أنت طالق إن شاء الله لم يقع الطلاق فما السبب فيه ؟قلنا السبب هو أنه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة الله لم يقع الا أذا عرفنا وقوع

الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا أولا حصول هذه المشيئة لكن مشيئة الله تعالى غيب فلا سبيل الى العلم بحصولها الا اذا علمنا أن متعلق المشيئة قد وقع وحصل وهو الطلاق فعلى هذا الظريق لانعرف حصول المشيئة الا اذا عرفنا وقوع الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا وقوع الملاق، وهو دوروالدورباطل الا اذا عرفنا وقوع المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منها على العلم بالآخرة، وهو دوروالدورباطل فلهذا السبب قالوا الطلاق غير واقع.

﴿ المسألة الرابعة ﴾ احتج القائلون بأن المعدوم شيء بقوله ﴿ ولا تقولن لشي. انى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) قالوا الشيء الذي سيفعله الفاعل غداً سهاه الله تعالى في الحال بأنه شيء لقوله (ولا تقولن لشيء) ومعلوم أن الشيء الذي سيفعله الفاعل غداً فهو معدوم في الحال ، فوجب "تسمية المعدوم بأنه شي. . والجواب أن هذا الاستدلال لايفيد إلا أن المعدوم مسمى بكونه شيئاً . وعندنا أن السبب فيه أن الذي سيصير شيئاً يجوز تسميته بكونه شيئاً في الحال كما أنه قال (أتي أمر الله) والمراد سيأتي أمر الله ، أما قوله (واذكر ربك إذا نسيت) ففيه وجهان (الأول) أنه كلام متعلق بما قبله والتقدير انه إذا نسى أن يقول إن شاء الله فليذكره إذا تذكره وعند هــذا اختلفوا فقال ابن عباس رضى الله عنهما لو لم يحصل التذكر إلا بعد مدة طويلة ثم ذكر إن شا. الله كني في دفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد سنة أو شهر أو أسبوع أو يوم ، وعن طاوس أنه يقدر على الاستثناء في مجلسه ، وعن عطاء يستثني على مقدار حلب الناقة الغزيرة ، وعند عامة الفقهاء أنه لاأثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ،واحتج ابن عباس بقوله (واذكر ربك إذا نسيت) لأن الظاهر أن المراد من قوله (واذكر ربك إذا نسيت) هو الذي تقدم ذكره في قوله (إلا أن يشاء الله) وقوله (واذكر و بك) غير مختص بوقت معين بل هو يتناول كل الأوقات فوجب أن يجب عليه هذا الذكر في أي وقت حصل هذا التذكر وكل من قال وجب هــذا الذكر قال إنه إنمــا وجب لدفع الحنث وذلك يفيــد المطلوب، واعلم أن اسـتدلال ابن عباس رضى الله عنهما ظاهر في أن الاستثناء لايحب أن يكون متصلا ، أما الفقهاء فقالوا إنا لو جوزنا ذلك لزم أن لايستقر شي. من العقود، والأيمان، يحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ،أبو حنيفة رحمه الله :هذا يُرجع عليك ،فانك تأخذ البيعة بالإيمان أتفرضأن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجو اعليك؟ فاستحسن المنصور كلامهورضي به .واعلم أن حاصل هذا الكلام يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه ما فيه . وأيضا فلو قال إن شاء الله على سبيل الحفية بلسانه بحيث لا يسمعه أحد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع أن المحـذور الذي ذكرتم حاصل فيه . فثبت أن الذي عولوا عليه ليس بقوى ،والأولى أن يحتجوا في وجوب كون الاستثناء متصلا بأن الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفا. بالعقد والعهد قال تعالى (أوفوا بالبقود) وقال (وأوفوا بالعهد) فالآتي بالعهد يجبعليه الوفاء بمقتضاه لأجلهذه الآيات

خالفنا هذا الدليل فيما إذا كان متصلا لأن الاستثناء مع المستثنى منه كالحكلام الواحد بدليل أن لفظ الاستثناء وحده لايفيد شيئاً ، افهوجار مجرى نصف اللفظ(١) الواحدة ، فجملة الكلام كالكلمة الواحدة المفيدة ، وعلى هذا التقدير فعند ذكر الاستثناء عرفنا أنه لم يلزم شي. بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا فانه حصل الالتزام التام بالكلام فوجب عليه الوفاء بذلك الملتزم والقول الثاني أن قوله (واذكر ربك اذا نسيت) لا تعلق له بما قبله بل هو كلام مستأنف وعلى هذا القول نفيه وجوه (أحدها) واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسبت كلمة الاستثناء ، والمراد منه الترغيب في الاهتمام بذكرهذه الكلمة ﴿ وَثَانِيماً ﴾ واذكر ربك اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى ﴿ وَثَالَتُهَا ﴾ حمله بعضهم على أدا. الصلاة الماسية عند ذكرها ، وهذا القول بما فيه من الوجوه الثلاثة بعيد لأن تعلق هذا الكلام بما قبله يفيد إتمام الكلام في هذه القضية وجعله كلاما مستأنفاً يوجب صيرورة الـكلاء مبتدأ منقطعاً وذلك لايجوز ثم قال تعالى (وقل عسى أن يهدين ربى لاترب من هذا رشداً) وفيه وجوه (الأول) أن ترك قوله (إن شاء الله) ليس محسن وذكره أحسن من تركه وقوله (لأقرب من هذا رشداً) المراد منه ذكر هذه الجملة (الثاني) إذًا وعدهم بشيء وقال معه إن شاء الله فيقول عسى أن يهديني ربي لشي. أحسن وأكمل مما وعد تـكم به (والثالث) أن قوله (لأقرب منهذا رشداً) إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل على صحة أنى نبي من عند الله صادق القول في ادعا. النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل الله ذلك حيث آتاه من قصص الانبيا. والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك ، وأما قوله تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً قل الله أعلم بمــا لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً) فاعلم أن هـذه الآية آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف وفي قوله (ولبثوا في كهفهم) قولان (الاول) أن هذا حكاية كلام القوم والدليل عليه أنه تعالى قال (سيقولون ثلاثة رابعهم كليهم) وكذا إلى أن قال (ولبثوا في كهفهم) أي أن أولئك الأقوام قالوا ذلك ويؤكده أنه تعالى قال بعده (قل الله أعلم بما لبثوا) وهـنداً يشبه الرد على الـكلام المذكور قبله ويؤكده أيضاً ما روى فى مصحف عبد الله : وقالوا ولبثوا فى كهفهم (والقولاالثانى) أن قوله (ولبثوا فى كهفهم) هو كلام الله تعالى فانه أخبر عن كمية تلك المدة ، وأما قوله (سيقولون ثلاثة رابعهم كلمهم) فهو كلام قد تقدم وقد تخلل بينه وبين هـذه الآية ما يوجب انقطاع أحدهما عن الآخر وهو قوله (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) وقوله (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض) لا يوجب أن ما قبله حكاية ، وذلك لأنه تعالى أراد (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض) فارجموا الى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب.

⁽١) مكذا في الأصل : اللفظ الواحدة . والصواب أن يقال اللفظ الواحد ، أو اللفظة الواحدة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قرأ حزة والكسائى ثاثبائة سنين بغير تنوين والباقون بالننوين وذلك لأن قوله (سنين) عطف بيان لقوله (ثاثبائة) لانه لما قال (ولبثوا في كهفهم ثاثبائة) لم يعرف أبها أيام أم شهورأم سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله (ثاثبائة) فكان مذا عطف بيان له وقبل هو على التقديم والتأخير أى لبثوا سنين ثاثبائة . وأما وجه قراءة حمزة فهوأن الواجب في الإضافة تأثبائة سنة إلا أنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كفوله (بالإخسرين أعمالا) .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قوله (وازدادوا تسعاً) المعنى وازدادوا تسع سنين غان قالوا : لم لم يقل ثُلَّمَا تَهُ و تَسْعُ سَنَينَ ؟ ومَا الفَائدة في قوله (وازدادوا تَسْعاً) ؟ قلنا قال بعضهم :كانت المدة ثلثمائة سنة من السنين الشمسية وثلثماثة وتسع سنين مر. القمرية، وهذا مشكل لأنه لا يصح بالحساب هذا القول ، و يمكن أن يقال : لعلهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم قال (قل الله أعلم بمــا لبثوا) معناه أنه تمالى أعلم بمقدار هِذه المدة من الناس الذين اختلفوا فيها ﴿ وَإِنَّمَا كَانَ أُولَى بَأَنْ يَكُونَ عَالَمًا به لأنه موجد للسموات والأرض ومدبر للعالم، وإذا كان كذلك كان عالمًا بغيب السموات والأرض فيكون عالما بهذه الواقعة لامحالة ثم قال تعالى (أبصر به وأسمع) وهذه كلمة تذكر في التعجب، والمعنى ما أبصره وما أسمعه، وقد بالغنا في تفسير كلمة التعجب في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى (فما أصبرهم على النار) ثم قال تعالى (مالهم من دونه من ولى) وفيه وجوه (الأول) مالاصحاب الكهف من دون الله من ولى فانه هو الذي يتولى حفظهم في ذلك النوم الطويل (الثاني) ليس لهؤلاء المختلفين في مدة لبث أهل الكهف ولي من دون الله يتولى أمرهم ويقيم لهم تدبير أنفسهم فاذا كانوا محتاجين إلى تدبير الله وحفظه فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير أعلامه (الثالث) أن بعض القوم لمـا ذكروا في هذا الباب أقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب، فبين الله أنه ليس لهم من دونه ولى يمنع الله من إنزال العقاب عليهم. ثم قال (ولا يشرك في حكمه أحداً) والمعنى أنه تعالى لما حكم أنَّ لبثهم هو هذا المقدار فليس لاحد أن يقول قولا بخلافه. والأصل أن الإثنين إذا كانا لشريكين فان الاعتراض من كل واحد منهما على صاحبه يكثر ويصير ذلك مانعاً لكل واحد مهما من إمضاء الآمر على وفق مايريده . وحاصله يرجع إلى قوله تعالى (لو كان فيم ا آلهـــة إلا الله لفسدتا) فاقه تعالى نني ذلك عن نفسه بقوله تعالى ﴿ وَلاَّ يَشْرُكُ فَي حَكُمُهُ أَحِداً ﴾ وقرأ ان عامر ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي والخطاب عطفا على قوله (ولا تقولن لشي.) أو على قوله (واذكرربك إذا نسيت) والمعنى ولا تسأل أحداً عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف واقتصر على حكمه وبيانه ولا تشرك أحداً في طلبمعرفة تلك الواقعة وقرأ الياقون بالياء والرفع على الخبر والمعنى أنه تعالى لا يفعل ذلك.

﴿ المسألة السابعة ﴾ اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم ، أما الزمان الذي حصلوا فيه ، فقيل إنهم كانوا قبل موسى عليه السلام وإن موسى ذكرهم في التوراة ، ولهذا السبب فان البهود سألوا عنهم ، وقبل إنهم دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبر المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الوقت الذي بين عيسي عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنهم دخلوا الكهف بعد المسيح. وحكى القفال هذ القول عن محمد بن اسحق. وقال قوم إنهم لم يموتوا ولا يموتون إلى يوم القيامة . وأما مكان هذا الكهف ، فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمى المنجم أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف إلى الروم ، قال فوجه ملك الروم معى أقواماً إلى الموضع الذي يقال إنهم فيه ، قال وإن الرجل الموكل بذلك الموضع فزعني مرب الدخول عليهم ، قال فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم قال وعرفت أنه تمويه واحتيال وأن الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالأدوية المجففة لأبدان الموتى لتصونها عن البلي مثل الناطيخ بالصبر وغيره ، ثم قال القفال والذي عندنا لايعرف أن ذلك الموضع هوموضع أصحاب الكهف أو موضع آخر ، والذي أخبر الله عنه و جب القطع به ولا عبرة بقول أهل الروم إن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، وذكر في الكشاف عن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكيف فقال لو كشف لنا عن هؤلا. فنظرنا إليهم فقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك ، فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ، فقال لابن عباس : لا أنتهى حتى أعلم حالهم ، فبعث أناساً فقال لهم اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم ، وأقول العلم مذلك الزمان وبذلك المكان ليس للمقل فيه مجال، وإنما يستفاد ذلك من نص، وذلك مفقود فتبت أنه لاسبيل إليه .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ إعلم أن مدار القول باثبات البعث والقيامة على أصول ثلاثة (أحدها) أنه تعالى قادر على كل الممكنات (والثانى) أنه تعالى عالم بحميع المعلومات من الكليات والجزئيات (وثالثها) أن كل ماكان ممكن الحصول فى بعض الأوقات كان ممكن الحصول فى سائر الأوقات فاذا ثبت هذه الأصول الثلاثة ثبت القول بامكان البعث والقيامة ، فكذلك هاهنا ثبت أنه تعالى عالم قادر على الكل ، وثبت أن بقاء الإنسان حياً فى النوم مدة يوم ممكن فكذلك بقاؤه مدة ثلثما ثة سنة يجب أن يكون ممكناً بمعنى أن إله العالم بحفظه ويصونه عر الآفة . وأما الفلاسفة فانهم يقولون أيضاً لا يبعد وقوع أشكال فلكية غريبة توجب فى هيولى عالم الكون والفساد حصول أحوال غريبة نادرة ، وأقول : هذه السور الثلاثة المتعلقة اشتمل كل واحد منها على حصول حالة أحوال غريبة نادرة فى هذا العالم فسورة بنى إسرائيل اشتملت على الإسراء بجسد مجمد على تأثير من مكة إلى الشام وهو حالة عجيبة ، وهذه السورة اشتملت على بقاء القوم فى النوم مدة ثلثانة سنة وأزيد وهو أيضاً حالة عجيبة ، وسورة مربم اشتملت على حدوث الولد لا من الآب وهو أيضاً حالة عجيبة .

وَا تَلُ مَا أُوحِى إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَنَهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدُا عَنْ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوْةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا

والمعتمد فى ببان إمكانكل هذه العجائب والغرائب المذكورة فى هذه السور الثلاثة المتوالية هو الطريقة التى ذكر ناها .وبما يدل على أنهذا المعنى من الممكنات أن أبا على بن سينا ذكر فى باب الزمان من كتاب الشفاء أن أرسطاطاليس الحكيم ذكر أنه عرض لقوم من المتألهين حالة شبيهة بحالة أصحاب الكهف، ثم قال أبو على و يدل التاريخ على أنهم كانو ا قبل أصحاب الكهف .

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّلُ مَا أُوحَى إِلَيْكُ مِن كَتَابِ رَبُّكَ لَامْبِدُلُ لَكَايَاتُهُ وَلَنْ تَجَدُّ مَنْ دُونُهُ مُلْتَحَدًّا ﴾ اعلم أن من هذه الآية إلى قصة موسى والخضر كلام واحد في قصة واحدة ، وذلك أن أكار كفار قريش احتجوا وقالوا لرسول الله ﷺ إن أردت أن نؤمن بك فاطرد من عندك هؤلاً. الفقراء الذين آمنوا بك والله تعالى نهاه عن ذلك ومنعه عنه وأطنب فى جملة هذه الآيات فى بيان أن الذي اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد واقتراح باطل ، ثم إنه تعالى جعل الأصل في هذا الباب شيئا واحداً وهو أن يواظب على تلاوة الكتاب الذىأوحاه الله إليه وعلى العمل به وأن لايلتفت إلى اقتراح المقترحين و تعنت المتعنتين فقال (واتل مَا أوحى إليك من كتاب ربك) وفي الآية مسألة وهي : أن قوله (اتل) يتناول القراءة ويتناول الاتباع أيضافيكونالمعنى الزم قراءةالكتاب الذي أو حي إليك والزم العمل به ثم قال (لا مبدل لكلمانه) أي يمتنع تطرق التغيير والتبديل إليه وهذه الآية ممكن النمسك بها في إثبات أن تخصيص النص بالقياس غير جائز لان قوله (اتلماأوحي إليك من كتاب ربك) معناه الزم العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضي وجوب العمل بمقتضى ظاهره ، فان قبل فيجب ألا يتطرق النسخ إليـه قلنا هذا هو مذهب أبى مسلم الأصفهانى فليس يبعد ، وأيضاً فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالغاية فكيف يكون تبديلا .أما قوله (ولن تجدمن دونه ملتحداً) اتفقوا على أن الملتحد هو الملجأ قال أهل اللغة هو من لحد وألحد إذا مال ومنه قوله تعالى (لسان الذي يلحدون إليه) والملحد الماثل عن الدين والمعنى ولن تجد من دونه ملجاً في البيان والرشاد .

قوله تعالى : ﴿ وَاصِبْرَ نَفْسُكُ مَعَ الذِّينَ يَدْعُونَ رَبِّهُمْ بِالْغَـدَاةُ وَالْعَشَّى يُرِيْدُونَ وَجَهُهُ وَلَا تَعْدُ عيناكَ عَنْهُمْ تُريْدُ زَيْنَةُ الْحَيَاةُ الدُّنيا

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَآتَبَعَ هُوَلَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَوُكُالَ

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكر ناوا تبع هواه وكان أمره فرطا ﴾

اعلم أن أكار قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله على إن أردت أن نؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك ، فاذا حضرنا لم يحضروا ، وتعين لهم وقتاً يجتمعون فيه عندك فأنزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية فبين فيها إنه لا يجوز طردهم بل تجالسهم وتوافقهم وتعظم شأنهم ولا تلتفت الى أقوال أولئك الكفار ولا تقيم لهم فى نظرك وزنا سواء غابوا أو حضروا . وهذه القصة منقطعة عما قبلها وكلام مبتدأ مستقل . ونظيرهذه الآية قد سبق فى سورة الأنعام وهو قوله (ولا تطرد الذين يدعون بهم بالغداة والعشى) فنى تلك الآية نهى الرسول و المناق عن طردهم وفى هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم فقوله (واصبر نفسك) أصل الصبر الحبس ومنه نهى رسول الله يتلقي عن المصبورة وهى البهيمة تحبس فترمى ، أما قوله (مع الذين يدعون ربهم بالغذاة والعشى) ففيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ ابن عامر بالعدوة بضم الغين والباقون بالغداه وكلاهما لغة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في قوله (بالغداة والعشى) وجوه : (الأول) المراد كونهم مواظبين على هذا العمل في كل الأوقات كقول القائل ليس لفلان عمل بالغداة والعشى إلا شتم الناس (الثانى) أن المراد صلاة الفجر والعصر (الثالث) المراد أن الغداة هى الوقت الذي ينتقل الإنسان فيه من اليقظة وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت الى الحياة والعشى هو الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من اليقظة إلى النوم ومن الحياة الى الموت والإنسان العاقل يكون في هدنين الوقتين كثير الذكر لله عظيم الشكر لآلاء الله و نعائه ، ثم قال (ولا تعد عيناك عنهم) يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيداً وإنماعدى بلفظة عن لأنها تفيد المباعدة فكا نه تعمل عن تلك المباعدة وقرى ولا تعد عينيك) ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلا بالهمزة و تثقيل الحشو ومنه قولة شعر:

والمقصود من الآية أنه تعالى نهى رسول الله على إن يزدرى فقراء المؤمنين وأن تنبوعيناه عنهم لاجل رغبته فى مجالسة الاغنياء وحسن صورتهم وقوله (تريد زينة الحياة الدنيا) نصب فى موضع الحال ، يعنى أنك [إن] فعلت ذلك لم يكن إقدامك عليه إلا لرغبتك فى زينة الحياة الدنيا ، ولما بالغ فى أمره بمجالسة الفقراء من المسلمين بالغ فى النهى عن الالتفات إلى أقوال الاغنياء والمتكرين فقال (ولا تطع من أغفلناقلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) وفيه مسائل :

(المسألة الأولى احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى هو الذي يخلق الجهل والغفلة فى قالب المعتزلة المراد بقوله تعالى (أغفلنا قلبه قلوب الجهال لأن قوله (أغفلنا) يدل على هذا المعنى ، قالت المعتزلة المراد بقوله تعالى (أغفلنا قلبه

عن ذكرنا) أنا وجدنا قلبه غافلا وليس المراد خلق الغفلة فيه ، والدليل عليه ماروى عن عمرو بن معديكرب الزبيدى أنه قال لبني سليم: قاتلناكم فما أجبناكم ، وسألناكم فما أبخلناكم ، وهجوناكم فما أفحمناكم .أى ماوجدناكم جبنا. ولا بخلا. ولامفحمين أثم نقول حمل اللفظ على هذا المعنى أولى ويدل عليه وجوه : (الأول) أنه لو كان كذلك لما استحقوا الذم (الثاني) أنه تعالىقال بعد هذه الآية (فن شا. فليؤمن ومن شا. فليكفر) ولوكان تعالى خلقالغفلة َفي قابع لما صح ذلك (الثالث) لوكان المرادهو أنه تعالى جعل قلبه غافلا لوجب أن يقال: ولا تطعمن أغفلنا قلبه عن ذكر نافاتبع هواه . لانعلى هذا التقدير يكون ذلك من أفعال المطاوعة ، وهي إنما تعطف بالفاء لابالواو ، ويقال كسرته فانكسر ودفعتــه فاندفع ولا يقال وانكسر واندفع (الرابع) قوله تعــالى (واتبع هواه) ولوكان تعالى أغفل في الحقيقة قلبه لم يجزأن يضاف ذلك إلى اتباعه هواه . والجواب : قوله المراد من قوله (أغفلنا) أي وجدناه غافلا ، وليس المراد تحصيلالغفلة فيه . قلنا الجواب عنه من وجهين (الأول) أن الاشترك خلاف الأصل فوجب أن يعتقد أن وزن الأفعال حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر وجعله حقيقة في النكوين مجازاً في الوجدان أولى من العكس وبيانه من وجوه: (أحدها) أن مجي. بناء الافعال بمعنى التكوين أكثر من مجيئه بمعنى الوجدان والكثرة دليــل الرجحان (وثانيها) أن مبادرة الفهم من هذا البناء الى التكوين أكثر من مبادرته إلى الوجدان ومبادرة الفهم دلَّيــل الرجحان (وثالثها) أنا إن جعلناه حقيقة فى التَّكوين أمكن جعــله مجازاً فى الوجدان لأن العلم بالشي. تابع لحصول المعلوم ، فجمل اللفظ حقيقة في المتبوع ومجازا في التبع موافق للمعقول، أما لوجعلناه حقيقة في الوجدان مجازاً في الايجاد لزم جعله حقيقة في التبع مجازا في الاصل وأنه عكس المعقول فثبت أن الاصل جعل هـذا البنا. حقيقة في الايجاد لا في الوجدان (الوجه الناني) في الجواب عن السؤال أنا نسلم كون اللفظ مشتركا بالنسبة إلى الايجاد وإلى الوجدان إلا أنا نقول يجب حمل قوله (أغفلنا) على إيجاد الغفلة وذلك لأن الدابيل العقلي دل على أنه يمتنع كون العبد موجداً للغفلة في نفسه والدليل عليه أنه إذا حاول إيجاد الغفلة ، فاما أن يحاول إيجاد مطلق الغفلة أو يحاول إيجاد الغفلة عن شي. معين والأول باطل ، وإلا لم يكن بأن تحصل له الغفلة عن هذا الشي. أولى بأن تحصل له الغفلةعن شي. آخر ،لأن الطبيغة المشترك فيها بين الأنواع الكثيرة تكون نسبتها الى كل تلك الانواع على السوية ، أما الثانى فهو أيضاً باطل لان الغفلة عن كذا عبارة عن غفلة لا تمتاز عن سائر أقسام الغفلات إلا بكونها منتسبة إلى ذلك الشيء المعين بعينه ، فعلى هذا لايمكنه أن يقصد إلى إيجاد الغفلة عن كذا إلا إذا تصور أن تلك الغفلة غفلة عن كذا ، ولا يمكنه أن يتصور كون تلك الغفلة غفلة عن كذا إلا اذا تصور كذا لأن العلم بنسبة أمر إلى أمر آخر مشروط بتصوركل واحد من المنتسبين. فثبت أنه لايمكنه القصد إلى إيجاد الغفلة عن كذا إلا مع الشعور بكذا لكن الغفلة عن كذا ضد الشعور بكذا؛ فثبت

أن العبد لايمكنه إيجاد هذه الغفلة الاعند اجتماع الضدين وذلك محال ، والموقوف على المحال محال ، فثبت أن العبد غير قادر على إيجاد النفلة ، فوجب أن يكون خالق الغفلات وموجدها في العباد هو الله ، وهذه نكتة قاطعة في إثبات هذا المطلوب ، وعند هذا يظهر أن المراد بقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه) هو إيجاد الغفلة لا وجدانها ، أما حديث المدح والذم فقد عارضناه مراراً وأطواراً بالعلم والداعي ، أماقوله تعالى بعد هذه الآية (فمن شاء فليؤمن ومنشاء فليكفر) فالبحث عنه سيأني إن شاء الله تعالى ، أما قوله ﴿ وَلا تَطْعُ مِن أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ ﴾ لو كان المراد إيجاد الغفلة لوجب ذكر الفاء ، لا ذكر الواو ، فنقول هذا إنما يلزم لوكان خلق الغفلة في القلب من لوازمه حصول اتباع الهوى كما أن الكسر من لوازمه حصول الانكسار، وليس الأمر كذلك لأنه لايلزم من حسول الغفلة عن الله حصول متابعة الهوى لاحتمال أن يصير غافلًا عن ذكر الله ، ومع ذلك فلا يتبع الهوى بل يبقى متوقفاً لاينافى مقام الحيرة والدهشة والحنوف من الكل فسقط هذا السؤال ، وذَكر القفال في تأويل الآية على مذهب المعتزلة وجوها أخرى (فأحدها) أنه تعالى لما صب عليهم الدنيا صباً وأدى ذلك إلى رسوخ الغفلة في قلوبهم صح على هذا التأويل أنه تعالى حصل الغفلة في قلوبهم كما في قوله تعالى (فلم يزدهم دعائي إلا فرارا) ، (والوجهالثاني) أن معنى قوله (أغفلنا) أى تركناه غافلا فلم نسمه بسمة أهل الطهارة والتقوى وهومن قولهم بعير غفل أى لاسمة عليه (و ثالثها) أن المراد من قوله أغفلنا قلبه أى خلاه مع الشيطان ولم يمنع الشيطان منه فيقال في (الوجه الأول) إن فتح باب لذات الدنيا عليه هل يؤثر في حصول الغفلة في قلبه أو لا يؤثر ، فان أثر كان أثر إيصال اللدَّات اليه سببا لحصول الغفلة في قلبه . وذلك عين القول بأنه تعالى فعل ما يوجب حصول الغفلة في قلبه ، و إن كان لا تأثير له في حصول هذه الغفلة بطل إسناده اليه ، وقد يقال في (الوجه الثاني) إن قوله أغفلنا قلبه بمنزلة قوله سودنا قلبه وبيضنا وجه ولايفيد إلا ما ذكرناه، ويقال في الوجه الثالث إن كان لتلك التخلية أثر في حصول تلك الغفلة فقد صح قولنا ، وإلا بطل استناد تلك الغفلة إلى الله تعالى .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) يدل على أن شر أحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الحق ويكون ملوءا من الهوى الداعى الى الاشتغال بالخلق وتحقيق القول أن ذكر الله نور وذكر غيره ظلمة لآن الوجود طبيعة النور والعدم منبع الظلمة ، والحق تعالى واجب الوجود لذاته فكان النور الحق هو الله ، وما سوى الله فهو بمكن الوجود لذاته . والإمكان طبيعة عدمية فكان منبع الظلمة فالقلب إذا أشرق فيه ذكر الله فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الخلق فهو الظامة الخااصة التامة فالإعراض عن الحق هو المراد بقوله (واتبع هواه) . عن الحق هو المراد بقوله (واتبع هواه) .

وَقُلِ الْحَقْ مِن رَّبِكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكُفُرْ إِنَّا أَعَلَّانًا لَا الْحَقْلَانَا لَا الْحَقَّانَا الْحَقَلَانَا الْحَقَلَانَا الْحَقَلَانَا الْحَقَلَانَا الْحَقَلَانِينَ نَارًا أَحَاطَ رَبِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن بَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءِ كَالْمُهُلِ يَشْوِى الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الل

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قيل (فرطاً) أى مجاوزا للحد من قولهم : فرس فرط ، إذاكان متقدما الخيل ، قال الليث : الفرط الأمرالذي يفرط فيه يقال كل أمر فلان فرط ، وأنشد شعراً :

لقد كلفتني شططا وأمراً خائبا فرطا

أى مضيعاً ، فقوله وكان أمره فرطا معناه أن الامر الذى يلزمه الحفظ له والإهتمام به وهو أمر دينه يكون مخصوصا بايقاع التفريط والتقصير فيه ، وهذه الحالة صفة من لا ينظر لدينه وإنما علمه لدنياه . فبين تعالى من حال الغافلين عن ذكر الله التابعين لهواهم أنهم مقصرون في مهماتهم معرضون عما وجب عليهم من التدبر في الآيات والتحفظ بممهمات الدنيا والآخرة ، والحاصل أنه تعالى وصف أولئك الفقراء بالمواظبة على ذكر الله والإعراض عن غير ذكر الله فقال (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) ووصف هؤلاء الاغنياء بالإعراض عن ذكر الله تعالى والإقبال على غير الله وهو قوله (أغفانا قلبه واتبع هواه) ثم أمر رسوله بمجالسة أولئك والمباعدة عن هؤلاء ، روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه قال كنت جالساً في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر بعضا من العرى وقارى . يقرأ القرآن فجاء رسول الله يالية فقال ماذا كنتم تصنعون؟ قلنا يارسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله وعن نستمع ، فقال عليه فقال ماذا كنتم تصنعون؟ قلنا يارسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله وعن نستمع ، فقال عليه وقال « أبشروا ياصعاليك المهاجرين بالنور النام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار وقال « أبشروا ياصعاليك المهاجرين بالنور النام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار خسين ألف سنة » .

قوله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين نارآ أحاطبهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ في الآية مسائل ﴿ المسألة الأولى ﴾ في تقرير النظم وجوه (الأول) أنه تعالى لما أمر رسوله بأن لا يلتفت إلى أوائك الأغنياء الذين قالوا إن طردت الفقراء آمنا بك قال بعده (وقل الحق من ربكم) أى قل لهؤلاء إن هذا الدين الحق إنما أتى من عند الله فان قبلتموه عاد النفع اليكم وإن لم تقبلوه عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك بالفقر والغنى والقبح والحسن والحنولى والشهرة (الوجه الثانى) في تقرير النظم يمكن أن يكون المراد أن الحق ما جاء من عند الله ، والحق الذي

جاء في من عنده أن أصبر نفسي مع هؤلاء الفقراء ولا أطردهم ولا ألتفت إلى الرؤساء وأهل الدنيا (والوجه الثالث) في تقرير النظم أن يكون المراد هو أن الحق الذي جاء من عند الله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وأن الله تعالى لم يأذن في طرد من آمن وعمل صالحاً لاجل أن يدخل في الإيمان جمع من الكفار، فإن قيل أليس أن العقل يقتضي ترجيح الاهم على المهم فطرد أولئك الفقراء لا يوجب إلا سقوط حرمتهم وهذا ضرر قليل. أما عدم طردهم فإنه يوجب بقاء الكفار على الكفر فسلم على الكفر، وهذا ضرر عظيم، قلنا: أما عدم طردهم فإنه يوجب بقاء الكفار على الكفر فسلم إلا أن من ترك الإيمان لا يلتفت إلى إيمان من عالمة الفقراء فايمانه ليس بايمان بل هو نفاق قبيح، فوجب على العاقل أن لا يلتفت إلى إيمان من هذا حاله وصفته.

﴿ المسألة الثانية ﴾ قالت المعتزلة قوله تعالى (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) صريح في أن الامر في الإيمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض إلى العبد واختياره. فمن أنكر ذلك فقد خالف صريح القرآن ، ولقد سألني بعضهم عن هذه الآية فقلت هذه الآية من أفوى الدلائل على صحة قولنًا وذلك لأن الآية صريحة في أن حصول الإيمان وحصول الكفر موقوف على حصول مشيئة الإيمان وحصول مشيئة الكفروصريح العقل أيضاً يدل له ، فان العقل الاختيارى يمتنع حصوله بدون القصد اليه وبدون الاختيار له. أذا عرفت هذا فنقول حصول ذلك القصد والآختيار إن كان بقصد آخر يتقدمه واختيار آخر يتقدمه لزم أن يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر إلى غير الهاية وهو محال ، فوجب انتهاء تلك القصود وتلك الاختيارات إلى قصد واختيار يخلقه الله تعالى فى العبد على سبيل الضرورة عند حصول ذلك القصد الضرورى والاختيار الضرورى يوجب الفعل فالإنسان شا. أولم يشأ إن لم تحصل فى قلبه تلك المشيئة الجازمة الحالية عن المعارض لم يترتب الفعل ، وإذا حصلت تلك المشيئة الجازمة شاء أو لم يشأ بحب ترتب الفعل عليه، فلا حصول المشيئة مترتب على حصول الفعل، ولا حصول الفعل مترتب على المشيئة. فالإنسان مضطر في صورة مختار ، ولقد قرر الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله هذا المعنى في باب التوكل من كتاب إحياء علوم الدين فقال: فإن قلت إنى أجد فى نفسى وجدانا ضرورياً أنى إن شئت الفعل قدرت على الفعل و أن شئت الترك قدرت على الترك فالفعل والنرك بي لابغيري. وأجاب عنه ، وقال : هب أنك تجد من نفسك هذا المعنى ولكن هل تجد من نفسك أنك إن شتت مشيئة الفعل حصلت تلك المشيئة ، وإن لم تشأ تلك المشيئة لم تحصل . بل العقل يشهد بأنه يشا. الفعل لابسبق مشيئة أحرى على تلك المشيئة ، وإذا شاء الفعل وجب حصول الفعلمنغير مكنة واختيار في هذا المقام فحصول المشيئة في القلب أمر لازم وترتب الفعل على حصول المشيئة أيضاً أمر لازم رهذا يدل على أن الكلمن الله تعالى .

﴿ المسألةُ الثالثة ﴾، قوله (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فيه فوائد:

﴿ الفائدة الآولى ﴾ الآية تدل على أن صدور الفعل عن الفاعل بدون القصد والداعى محال. ﴿ الفائدة الثانية ﴾ أن صيغة الآمر لا لمعنى الطلب فى كتاب الله كثيرة ثم نقل عن على بن أى طالب رضى الله عنه أنه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست بتخيير.

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ أنها تدل على أنه تعالى لا ينتفع با يمان المؤمنين و لا يستضر بكفر الكافرين، بل نفع الإيمان يعود عليهم ، وضرر الكفر يعود عليهم ، كا قال تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها)، واعلم أنه تعالى لمها وصف الكفر والإيمان والباطل والحق أتبعه بذكر الوعيد على الكفروالاعمال الباطلة ، وبذكر الوعد على الايمان والعمل الصالح. أما الوعيد فقوله تعالى (إنا أعتـدنا للظالمين ناراً) يقول أعتدنا لمن ظلم نفسه ووضع العبادة في غير موضعها والانفة في غير محلها فعنــد ما استحسن بهواه وأنف عن قبول الحق لاَجَل أن الذين قبلوه فقراء ومساكين ، فهذا كله ظلم ووضع للشي. في غير موضعه . فَأَخْبَر تَعَالَى أَنْهُ أَعَدَ لِهُوَلَاءَ الْأَقُوام نارا وهي الجحيم ، ثم وصف تعالى تلك النار بصفتين : (الصفة الأولى) قوله (أحاط بهم سرادقها) والسرادق هو الحجزةالتي تكون حول الفسطاط فأثبت للنارشيئاً شبيهاً بذلك يحيط بهم من جميع الجهات، والمراد أنه لاعظم لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما ورا.ها من غير النار بل هي محيطة جم من كل الجوانب. وقال بعضهم المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله في قوله (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) وقالوا هذه الاحاطة بهم إنما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حولالفسطاط (والصفة الثانية) لهذه النارقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماءكالمهل) قيــل في حديث مرفوع إنه دردي الزيت وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل بيت المــال وأخرج نفائة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلألات ثم قال هـ ذا هو المهل ، قال أبو عبيدة والآخفش كل شي. أذبته من ذهب أونحاس أو فضة فهو المهل ، وقيل إنه الصديد والقيح ، وقيل إنه ضرب من القطران . ثم يحتمل أن تكون هذه الاستغاثة لانهم إذا طلبواما. للشرب فيعطون هذا المهل قال تعالى (تصلى نارا حامية تستى من عين آنية) ويحتمل أن يستغيثوا من حرجهنم فيطلبوا ما. يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الما. قال تعالى حكاية عنهم (أن أفيضوا عليناً من الماء) وقال في آية أخرى (سرابيلهم من قطران و تغشى وجوههم النار) فاذا استغاثوا من حرجهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل أبدانهم كالقميص وقوله تعالى (يغاثو ا بماء كالمهل) وارد على سبيل الاستهزاء كقوله: تحية بينهم ضرب وجيع.

ثم قال تعالى (بئس الشراب) أى أن الماء الذى هو كالمهل بئس الشرآب لآن المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ فى احتراق الآجسام مبلغاً عظيما ثم قال تعالى (وساءت مرتفقاً) قال قائلون ساءت النار منزلا ومجتمعاً لمرفقة لآن أهل النار يجتمعون رفقاء كا هل الجنة قال تعالى فى صفة أهل الجنة (وحسن أولئك رفيقاً) وأما رفقاء النار فهم الكفار والشياطين

إِنَّ الَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ إِنَّا لَانْضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿ الْمَالِكِ الْمَالِكِ الْمَالُونَ عَلَا الْمَالُولَ مِن خَعْبِ وَيَلْبَسُونَ لَمُ جَنَّتُ عَدْنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُعَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبِ وَيَلْبَسُونَ لَمُ جَنَّتُ عَدْنِ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُعَلَّا الْأَرَابِكِ فِعَمَ التَّوابُ وَيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسِ وَ إِسْتَبْرَقِ مُّتَكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَابِكِ فِعَمَ التَّوابُ وَحَسُنَتُ مُرْتَفَقًا (اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

والمعنى بئس الرفقاء هؤلاء وبئس موضع النرافق الناركما أنه نعم الرفقاء أهل الجنة ونعم موضع الرفقاء الجنة وقال آخرون مرتفقاً أىمتكاً، وسمى المرفق مرفقاً لانه يتكا عليه ،فالانكاء إنما يكون للاستراحة ، والمرتفق موضع الاستراحة والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذِينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتُ إِنَّا لانضيع أَجْرُ مِن أَحَسَّنَ عَمَلاً أُولَئُكُ لَمم جنات عدن تجرى من تحتهم الآنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسوكي ثياباً خضراً من سندس واسترق متكئين فيها على الآرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾.

إعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المبطلين أردُّنه بوعد المحقين وفي الآية مسائل:

- ﴿ الْمُسَالَةُ الأُولِى ﴾ قوله: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يدل على أن العمل الصالح مغاير للايمان لأن العطف يوجب المغايرة .
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله: (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) ظاهره يقتضى أنه يستوجب المؤمن بحسن عمله على الله أجراً ، وعند أصحابنا ذلك الاستيجاب حصل محكم الوعد وعند المعتزلة لذات الفعل وهو باطل لآن نعم الله كثيرة وهي موجبة للشكر والعبودية فلا يصير الشكر والعبودية موجبين لثواب آخر لآن أدا. الواجب لا يوجب شيئاً آخر .
 - ♦ المسألة الثالثة ﴾ نظير قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الح قول الشاعر:
 إن الخليفــــة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الحواتيم
 كرر أن تأكيداً للاعمال والجزاء علها.
- ﴿ المسألة الرابعة ﴾ أولئك خبر إن وإنا لانضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لانضيع وأولئك خبرين معاً ولك أن تجعل أولئك كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم واعلم أنه تعالى لما أثبت الأجر المبهم أردفه بالتفصيل من وجوه: (أولها) صفة مكانهم وهو قوله (أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار) والعدن في اللغة عبارة عن الإقامة فيجوز أن يكون المعنى أولئك لهم جنات إقامة كما يقال هذه دار إقامة ، ويجوز أن يكون العدن إسما لموضع معين من الجنة

وَاضْرِبْ لَهُم مَّلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّيْنِ مِنْ أَعْنَابِ وَحَفَفْنَهُمَا بِخُلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا رَبَى كِلْتَا الْجَنَّتِيْنِ عَاتَتْ أَكُلَهَا وَلَا تَظْلِم مِّنْهُ شَيْعًا وَفَجَرْنَا بِخُلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا رَبَى كِلْتَا الْجَنَّيْنِ عَاتَتْ أَكُلَهَا وَلَا تَظْلِم مِّنْهُ شَيْعًا وَفَجَرْنَا فَكُلُهُمَا نَهُرا رَبَى وَكَانَ لَهُ مُ مُّمَد فَقَالَ لِصَيْحِبِهِ عَوْهُو يُعَاوِرُهُ وَأَنَا أَكُثُرُ مِنْكَ مَالًا فِلَا مَا أَظُنْ أَن وَكُن لَهُ مَعْدَ وَهُو ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ عَالَ مَا أَظُنْ أَن

وهو وسطها وأشرف أماكنها وقد استقصينا فيه فيما تقدم وقوله (جنات) لفظ حمع فيمكن أن يكونَ المراد ماقاله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ويمكن أن يكون المراد أن نصيب كل واحد من المكلفين جنة على حدة وذكر أن من صفات تلك الجنات أن الأنهار تجرى من تحتهــا وذلك لأن أفضل المساكن في الدنيا البساتين التي بحرى فيها الأنهار (وثانيها) إن لباس أهل الدنيا إما لباس التحلي ، وإما لباس التستر ، أما لباس التحلي فقال تعالى في صفته (يحلون فيها من أساور من ذهب) والمعنى أنه يحليهم الله تعالى ذلك أو تحليهم الملائكة وقال بعضهم على كل واحد منهم ثلاثة أسورة سوار من ذهب لأجل هـذه الآية وسوار من فضة لقوله تعــالى وحلوا أساور من فضة) وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى (ولؤلؤا ولباسهم فيهـا حرير)، وأما لباس التســـتر فقوله (ويلبسون ثياباً خضرامن سندسواستبرق) والمراد منسندس الآخرة واستبرق الآخرةوالاول هو الديباج الرقيق وهو الخز والثانى هو الديباج الصفيق وقيل أصله فارسى معرب وهو استبره أى غليظ فان قيل ما السبب في أنه تعالى قال في الحلى (يحلون) على فعل مالم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون فأضاف اللبس اليهم قلنا يحتمل أن يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم وأن يكون الحلى اشارة الى ما تفضل الله عليهم ابتدا. من زوائد الكرم (وثالثها)كيفية جلوسهم فقال فيصفتها متكثين فيها على الأرائك قالوا الأرائك جمع أريكة وهي سرير في حجلة ، أما للسرير وحده فلا يسمي أريكة . ولما وصف الله تعالى هذه الاقسام قال (نعم الثواب وحسلت مرتفقاً) والمراد أن يكون هذا في مقابلة ما تقدم ذكره من قوله(وساءت مرتفقاً) . قوله تعالى : ﴿ وَاصْرِبَ لَهُمْ مِثْلًا رَجَلَيْنَ جَعَلْنَا لَاحْدُهُمَا جَنَّيْنِ مِنْ أَعْنَابِ وَحَفْفَاهُمَا بِنَخْل وجعلنا بينهما زرعاً ،كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالها نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرًا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن

تَهِيدَ هَلَاهِ مَ أَبِدُا ﴿ وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَا يَمِنَهُ وَلَهِن رَّدِدتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبُ إِنَّ قَالَ لَهُ وَصَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابِ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿ تَكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أَشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا وَ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِينِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿ أَوْ يُصِيحَ مَا وَهُمَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطَلَبُ ﴾ وأُحِيطَ بِمُرَهِ عِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَنلَيْهَنِي لَرْ أَشْرِكَ بِرَبِي أَحَدًا ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿ مُنَالِكَ ٱلْوَلَئِيةُ لِلَّهِ ٱلْحَتِّي هُوَخَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿ كَانَ مُنتَصِرًا ﴿ مُنَالِكَ ٱلْوَلَئِيةُ لِلَّهِ ٱلْحَتِّي هُوَخَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿ فَا

إعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك بما لايو جب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا والغنى فقيرًا ، أما الذي يجب

تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لاجدن خيراً منها منقلباً قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لافوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السهاء فتصبح صعيدا زلقاً أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه مندون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا كه.

حصول المفاحرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية فقال (واضرب لهم مثلا رجلين) أي مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا أخويز في بني اسرائيل أحدهما كافر اسمه براطوس والآخر مؤمر اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تصالى (قال قائل منهم الىكافر أرضا فقال المؤمن اللهم إلى ممانية آلاف دينار فأخذكل واحد منهما النصف فاشترى المكافر أرضا فقال المؤمن اللهم إلى أشترى منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه دارا بألف فقال المؤمن اللهم إلى أشترى منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال المؤمن اللهم إلى اشتريت ألفاً صدافاً للحور العين ثم اشترى أخوه خدماً وضياعا بألف فقال المؤمن اللهم إلى اشتريت منك الولدان بألف فتصدق به ثم أصابه حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده وو يخه على التصدق بماله وقوله تعالى (جعلنا لأحدهما جنتين) ، فاعلم أن الله تعالى وضع تلك الجنة بصفات: (الصفة الأولى) كونها جنة وسمى البستان جنة لاستتار ما يستتر فيها بنظل الاشجار وأصل المكلمة من الستر والتغطية ، (والصفة الثانية) قوله (وحففناهما بنحل) أي بطل الاشجار وأصل المكلمة من الستر والتغطية ، (والصفة الثانية) قوله (وحففناهما بنحل) أي واقفين حول العرش محيطين به ، والحفاف جانب الشيء والاحفة جمع فعني قول القائل حف واقفين حول العرش عيطين به ، والحفاف جانب الشيء والاحفة جمع فعني قول القائل حف به القوم أي صاروا في أحفته وهي جوانبه قال الشاعر:

له لحظات في حفافي سريره إذا كرها فيها عقاب و نائل

قال صاحب الكشاف حفوه إذا طافرا به ، وحفقته بهم أى جعانهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتريده البياء مفعولا ثانيا كقوله غشبته وغشيته به ، قال وهذه الصفة بما يؤثرها الدهاقين فى كرومهم وهى أن يجعلوها محفوفة بالأشجار المشمرة ، وهو أيضاً حسن فى المنظر (الصفة الثالثة) (وجعلنا بينهما زرعا) والمقصود منه أمور (أحدها) أن تكون تلك الارض جامعة للأقوات والفواكه (وثانيها) أن تكون تلك الارض متسعة الأطراف متباعدة الاكناف ومع ذلك فانها لم يتوسطها ما يقطع بعضها عن بعض (وثالثها) أن مثل هذه الارض تأتى فى كل وقت بمنفعة أخرى وهى ثمرة أخرى فكانت منافعها دارة متواصلة (الصفة الرابعة) قوله تعالى وكمتنا الجنتين آنت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) كلا إسم مفرد معرفة يؤكد به مذكران معرفتان ، وكننا المجنتين آنت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) كلا إسم مفرد معرفة يؤكد به مذكران المعرفتان ، وكننا الم مفرد يؤكد به مؤتنان معرفتان . وإذا أضيفا إلى المظهر كانا بالألف فى الاحوال الثلاثة ورأيت كلنا أخيك ، ومررت بكلنا أخيك ، ومورد بالألف فى الاحوال الثلاثة أيضا . وقوله (أنت المجمل باليا على المفعل بالياء و بعضهم يقول مع المضمر بالآلف فى الاحوال الثلاثة أيضا . وقوله (أتت الحلم) حل على اللفط لآن كلتا الفظه لفظ مفرد ولو قيل أتنا على المعنى لجاز ، وقوله (ولم تظلم أكلها) حل على اللفط لآن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل أتنا على المعنى لجاز ، وقوله (ولم تظلم أكلها) حل على اللفط لآن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل أتنا على المعنى لجاز ، وقوله (ولم تظلم

منه شيئاً) أى لم تنقص والظلم النقصان ، يقول الرجل ظلمنى حتى أى نقصى (الصفة الخامسة) قولمه تعالى (و فجرنا خلالهما نهراً) أى كان النهر يجرى فى داخل تلك الجنتين ، وفى قراءة يعقوب و فجرنا مخففة وفى قراءة الباقين و فجرنا مشددة والتخفيف هو الاصل لانه نهر واحد والتشديد على المبالغة لان النهر يمتد فيكون كا نهار و (خلالهم) أى وسطهما وبينهما . ومنه قوله تعالى (ولا وضعو اخلالكم)، ومنه يقال خللت القوم أى دخلت بين القوم (الصفة السادسة) قوله تعالى (وكان له نمر) قرأ عاصم بفتح الثاء والميم فى الموضعين وهوجع نمار أو نمرة ، وقرأ أبو عمر و بضم الثاء وسكون الميم فى الحرفين ذكر أهل اللغة : أنه بالضم أنواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما ، وبالفتح حل الشجر قال قطرب كان أبو عمروبن العلاء يقول الثمر المال والولد ، وأنشد للحارث بن كادة : ولقد رأيت معاشراً قد أنمروا مالا وولداً

وقال النابغة :

مهلا فداء لك الأقوام كلهم ما أثمروه أمن مال ومن ولد

وقوله (وكان له ثمر) أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثر . وعن مجاهد الذهب والفضة أى كان مع الجنتين أشياء من النقود ، ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات قال بعده (فقال له صاحبه وهو يحاوَّره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ﴾ والمعنى أن المسلم كان يحاوره بالوعظ والدعاء إلى الإيمان بالله وبالبعث والمحاورة مراجعة الكلام من قولهم : حار إذا رجع ، قال تعالى (إنه ظن أن لن يحور بلي) ، فذكر تعالى أن عند هذه المحاورة قال الكافر (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) والنفر عشيرة الرجل وأصحابه الذن يقومون بالذب عنه وينفرون معه ، وحاصلالكلام أن الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ، ثم إنه أراد أن يظهر لذلك المسلم كثرة ماله فأخبر الله تعالى عن هذه الحالة فقال (ودخل جنته) وأراه إياها على الحالة الموجبة للهجة والسرور وأحبره بصنوف ما يملم كم من المال ، فان قيل لم أفرد الجنة بعد التثنية قلنا المراد أنه ليس له جنة و لا نصيب في الجنة التي وعد المتقون المؤمنون وهذا الذي ملكه في الدنيا هو جنته لاغير ولم يقصد الجنتين ولا واحداً منهما، ثم قال تعالى (وهو ظالم لنفسه) وهو اعتراض وقع في أثنا. الكلام، والمراد التنبيه على أنه لما اعتز بتلك النعم وتوسل بها إلى الكفران والجحود لقدرته على البعثكان واضعا تلك النعم في غير موضعها ، ثم حكى تعالى عن الكافر أنه قال (ومَا أظن أن تبيد هذه أبدأ وما أظن الساعة قائمة) فجمع بين هذين ، فالأول قطعه بأن تلك الأشياء لا تهلك ولا تبيد أبد مع أنها الحدس يدل على أن أحوال الدنيا بأسرها ذاهبة باطلة غير باقية ؟ قلنا المراد أنها لاتبيد مدة حياته ووجوده ، ثم قال (ولئن رددت إلى ربى لاجدن خيراً منها منقلباً) أى مرجعاً وعاقبة وانتصابه على التمييز ونظيره قوله تعالى (واثن رجعت إلى ربى إن لي عنده للحسني) وقوله (لأو تين مالا

وولدا) والسبب فى وقوع هذه الشبهة أنه تعالى لما أعطاه المال فى الدنيا ظن أنه إنما أعطاه ذلك الكونه مستحقاً له ، والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء . والمقدمة الأولى كاذبة فان فتح باب الدنيا على الإنسان يكون فى أكثر الامر للاستدراج والتملية ، قرأ نافع وان كثير خيراً منهما ، والمقصود عود الكناية إلى الجنتين ، والباقون منها ، والمقصود عود الكناية إلى الجنة التى دخلها ، ثم ذكر تعالى جواب المؤمن فقال جل جلاله (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) وفيه بحثان :

(البحث الأول) أن الإنسان الآول قال (وما أظن الساعة قائمة) وهذا الثانى كفره حيث قال (أكفرت بالذى خلقك من تراب) وهذا يدل على أن الشاك فى حصول البعث كافر . (البحث الثانى) هذا الاستدلال يحتمل وجهين (الأول) يرجع إلى الطريقة المذكورة فى القرآن وهو أنه تعالى لما قدر على الابتداء وجب أن يقدر على الإعادة فقوله (خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) إشارة إلى خلق الإنسان فى الابتداء (الوجه الثانى) أنه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبثاً ، وإنما خلقك للعبودية وإذا خلقك لهذا المعنى وجب أن يحصل للمطيع ثواب وللمذنب عقاب وتقريره ماذكرناه فى سورة يس ، ويدل على هذا الوجه قوله (ثم سواك رجلا) أى هيأك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهـــل يجوز فى العقل مع هذه الحالة إهماله أمرك ثم قال المؤمن (لكنا هو الله ربى) وفيه بحثان :

﴿ البحث الأول ﴾ قال أهل اللغة لكنا أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فاجتمعت النونان فادغمت نون لكن في النون التي بعدها ومثله :

وتقليتي لكن إياك لا أقلى

أى لكن أنا لا أقليك وهوفى قوله (هو الله ربى) ضميرالشأن وقوله (الله ربى) جملة من المبتدأ والحنبر واقعة فى معرض الحبرلقوله هوفان قيل قوله (اكمنا) استدراك لماذا؟ قلنا لقوله (أكفرت) كأنه قال لاخيه أكفرت بالله لكنى مؤمن موحدكما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر.

(والبحث الثانى) قرأ ابن عامر ويعقوب الحضرى ونافع فى رواية (لكناهوالله ربى) فى الوصل بالألف وفى قراءة الباقين (لكن هو الله ربى) بغير ألف والمعنى واحد ثم قال المؤمن (ولا أشرك بربى أحداً) ذكر القفال فيه وجوها : (أحدها) إنى لاأرى الفقر والغنى إلا منه فأحمده إذا أعطى واصبر إذا ابتلى ولا أتكبر عندما ينعم على ولا أرى كثرة المال والأعوان من نفسى وذلك لأن الكافر لما اعتز بكثرة المال والجاه فكا نه قد أثبت لله شريكا فى إعطاء العز والغنى . (وثانيها) لعل ذلك الكافر مع كونه منكرا للبعث كان عابد صم فبين هذا المؤمن فساد قوله باثبات الشركاء (وثالثها) أن هذا الكافر لما عجز الله عن البعث والحشر فقد جعله مساوياً للخلق في هذا العجز واذا أثبت المساواة فقد أثبت الشريك ثم قال المؤمن للكافر (ولولا إذ دخلت جنتك

قلت ما شا. الله لا قوة إلا بالله) فأمره أن يقول هذين الكلامين الأول قوله (ماشا. الله) وفيه وجهان : (الأول) أن تكون (ما) شرطية ويكون الجزاء محذوفا والتقدير أى شيء شاء الله كان . (والثاني) أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره الأمر ماشاء ما أراد الله الايمان من الـكافر وهو صريح في إبطال قول المعتزلة أجاب الـكعبي عنه بأن تأويل قولهم ماشاء بما تولى فعله لا بما هو فعل العبادكما قالوا لا مرد لامر الله لم يرد ما أمر به العباد ثم قال لا يمتنع أن يحصل في سلطانه ما لا يريده كما يحصل فيه ما نهي عنه ، واعلم أن الذي ذكر الكعبي ليس جواباً عن الاستدلال بل هو التزام المخالفة لظاهر النص وقياس الارادة على الأمر باطل لان هـذا النص دال على أنه لا يوجد إلا ما أراده الله وليس في النصوص ما يدل على أنه لايدخل فىالوجود إلا ما أمر به فظهر آلفرق وأجاب القفال عنه بأنَّ قال هلا إذا دخلت بستانك (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) وهم ثلاثة وقوله (وقولوا حطة) أى قولوا هذه حطة وإذاكان كذلك كان المراد من هذا الشيء الموجود في البستان شيء شاء الله تكوينه وعلى هذا التقدير لم يلزم أن يقال كل ماشا. الله وقع لأن هـذا الحكم غير عام فى الـكل بل مختص بالاشــيا. المشاهدة في البستان وهـذا التأويل الذي ذكره القفال أحسن بكثير عا ذكره الجبائي والكعبي، وأقول إنه على جوابه لايدفع الإشكال على المعتزلة لأن عمارة ذلك البستان ريمــا حصلت بالغصوب والظلم الشديدفلا يصح أيضاً على قول المعتزلة أن يقال هذا واقع بمشيئة الله . اللهم إلا أن نقول المراد أن هذه الثمار حصلت بمشيئة الله تعالى إلا أن هذا تخصيص لظاهر النص من غير دليل (والكلام الثانى) الذي أمر المؤمن الكافر بأن يقوله هو قوله (لا قوة إلا بالله) أي لاقوة لاحد على أمرمن الأمور إلاباعانة الله وإقداره. والمقصود إنه قال المؤمن للكافر هلاقلت عند دخول جنتك الأمر ما شا. الله والكائن ماقدره الله اعترافاً بأنها وكل خير فيها بمشيئة الله وفضله فان أمرها بيده إن شا. تركها وإن شاء خربها . وهلا قلت لاقوة إلابالله اقراراً بأن ما قويت به على عمارتها و تدبير أمرها فهو بمعونة الله وتأييدة لايقوى أحد في بدنه ولافي ملك يده إلا بالله ثم ان المؤمن لمــا علم الكافر الايمــان أجابه عن افتخاره بالمــال والنفر فقال (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً) من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا وأقل مفعولا ثانيا ومن قرأ أقل بالرفع جعل قوله (أنا) مبتدأ وقوله (أقل)خبر والجلة مفعولا ثانياً لترن واعلم أن ذكر الولد ههنا يدل علىأن المراد بالنفر المذكور فىقوله (وأعزنفراً) الأعوان والأولادكائه يقول له إن كنت ترانى(أقل مالا دولداً) وأنصاراً في الدنيا الفانية (فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك) إما في الدنيا ، وإما في الآخرة . ويرسل على جنتك (حسباناً منالسهاء) أى عداباً وتخريباً والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب

أى مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها . قال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حسبان ما كسبت يداك وقيل حسباناً أي مرامي الواحد منها حسبانة وهي الصواعق(فنصبح صعيداً زلقاً) أى فتصبح جنتك أرضاً ملساء لانبات فيهـا والصعيد وجه الارض، زلقاً أى تصير بحيث تزلق الرجل علَّيها زلقاً ثم قال (أو يصبح ماؤها غوراً) أي يغوص ويسفل في الأرض (فلن تستطيع له طلباً) أي فيصير بحيث لا تقدر على رده إلى موضعه قال أهل اللغـة في قوله (ماؤها غوراً) أى غائراً وهو نعت على لفظ المصدركما يقال فلان زور وصوم للول حدوا لجمع والمذكر والمؤنث ويقال نساء نوح أي نوائح ثم أخبر الله تعالى أنه حقق ماقدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بثمره) وهو عبارة عن إهلاكه بالكلية وأصله من إحاطة العدو لانه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله (إلا أن يحاط بكم) ومثله قولهم أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعلياً عليهم . ثم قال تعالى (فأصبح يقلب كفيه) وهو كناية عن الندم والحسرة فان من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الآخرى، وقد بمسح إحداهما على الآخرى ، وإنما يفعلهذا ندامة علىما أنفق في الجنة التي وعظه أخوه فيها وعذله (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على عروشها فيمكن أن يكون المراد بالعروش عروشالكرم فهذه العروش سقطت ثم سقطت الجدران عليها ويمكن أن يراد من العروش السقوف وهي سقطت على الجدران. وحاصل الكلام أن هـذه اللفظة كناية عن بطلانها وهلاكها ، ثم قال تعالى (ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً) والمعنى أن المؤمن لما قال (لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا)فهذا الكافر تذكر كلامه وقال (ياليتني لمأشرك بربي أحدا) فان قيل هذا الكلام يوهم أنه إنما هلكت جنته بشؤم شركه وليس الأمر كذلك لأن أنواع البلا. أكثرها إنما يقع للمؤمنين قال تعمالي (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفّر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل، وأيضاً فلما قال (ياليتني لم أشرك ربي أحدا) فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب أن يصير مؤمناً فلم قال بعده (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) والجواب عن (السؤال الأول) أنه لما عظمت حسرته لأجل أنه أنفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضاً في كل عمره عن ظلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية بق الحرمان عن الدنيا والدين عليه . فلهذا السبب عظمت حسرته والجواب عن(السؤال الثاني)أنه إنما ندم على الشرك لاعتقاده انه لوكان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو إنما رغب في التوحيد والردعن الشرك لأجل طلب الدنيا فلهذا السبب ما صار تو حيده مقبولا عنـد الله ثم قال تعـالى (ولم تكري له فشة ينصرونه من دون الله) وفيه بحثان :

(البحث الأول) قرأ حمزة والكسائى (ولم يكن له فئة) باليا. لأن قوله (فئة) جمع فاذا الفخر الرازي – ج ٢١ م ٩

وَاضْرِبْ لَمُم مَّثُلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَاكُمَا وَأَنْزَلْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِوِنَبَاتُ الأَرْضِ

تقدم على الكناية جاز التذكير ، ولانه رعاية للمعنى . والباقون بالناء المنقوطة باثنتين من فوق لان الكناية عائدة إلى اللفظة وهي الفئة .

(البحث الثانى) المراد من قوله (ينصرونه من دون الله) هو أنه ما حصلت له فئة يقدرون على نصرته من دون الله أى هو الله تعالى وحده القادر على نصرته ولا يقدر أحد غيره أن ينصره ثم قال تعالى (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقى)

﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلف القراء فى ثلاثة مواضع من هذه الآية (أولها) فى لفظ الولاية فنى قراءة حزة والكسانى بكسر الواو وفى قراءة الباقين بالفتح وحكى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال كسر الواو لحن قال صاحب الكشاف الولاية بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك (وثانيها) قرأ أبو عمرو والكسائى قوله الحق بالرفع والتقدير هنالك الولاية الحق بله وقرأ الباقون بالجر صفة بنه (وثالثها) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائى وابن عام عقباً بضم القاف وقرأ عاصم وحمزة عقبى بتسكين القاف.

﴿ المسألة الثانية ﴾ (هنالك الولاية لله) فيه وجوه (الأول) أنه تعالى لما ذكر من قصة الرجلين ماذكر علمنا أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر وعرفنا أن الآمر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال (هنالك الولاية لله الحق) أى فى مثل ذلك الوقت وفى مثل ذلك المقام تكون الولاية لله يوالى أولياءه فيغلبهم على أعدائه ويفوض أمر الكفار إليهم فقوله هنالك إشارة إلى الموضع والوقت الذي يريد الله إظهار كرامة أوليائه وإذلال أعدائه ويهما] (والوجه الثانى) في التأويل أن يكون المعنى فى مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجى. إليه كل محتاج مضطريعنى أن قوله (ياليتنى لم أشرك برى أحدا) كلمة ألجى. إليها ذلك الكافر فقالها جرعاً عا ساقه اليه شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها (والوجه الثالث) المعنى هنالك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على المكفرة وينتم لهم ويشنى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه تعالى نصر بما فعل بالكافر أعاه المؤمنين على المكفرة قوله في قوله (فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السها.) ويعضده قوله أى في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله ثم قال تعالى (هو خير ثواباً أى في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله ثم قال تعالى (هو خير ثواباً أى في تلك الدار الآخرة الولاية لله (وخير عقي) أى هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه وقد في الأخرة لمن آمن به والتجأ اليه (وخير عقي) أى هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه وقد ذكرنا أنه قرى عقبي العاقبة (ا).

قوله تعالى : ﴿ وَاضْرَبُ لَمْ مَثُلُ الْحَيْمَاةُ الدُّنيا كَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءُ فَاخْتَلَطُ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضَ

⁽١) على رسمت في المصحف مكذا (عقباً) بالآلف وهي ترسم إملاء (على) بالياء إذا سكت القاف في قراءة عاصم وحمزة على زنة فعلى ، وأما إذا ضمت القاف فتكون جمع علمي وترسم بالآلف حيننذ في قراءة الباقين .

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿ اللهُ الْمَالُ وَالْبَنُونَ وَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَكُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَادًا وَخَيْرًا أَمَلًا ﴿ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَلَا اللهُ عَنْ اللهُ عُلَا اللهُ عَنْ اللهُ عَلَا عَالِمُ عَلَا عَلَا اللهُ عَلَا عَلَا اللهُ عَنْ اللهُ عَلَا عَالِمُ عَلَا عَا عَلَا اللهُ اللهُ عَلَا عَالِمُ اللهُ اللهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَالِمُ اللهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَالِمُ اللَّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ الل

فأصبح هشيها تذروه الرياح وكان الله على كل شي. مقتدرا ﴾

اعلم أن المقصود: اضرب مثلا آخريدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المستكبرين على فقراء المؤمنين فقال (واضرب لهم) أى لهؤلاء الذين افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين (مثل الحياة الدنيا) ثم ذكر المثل فقال (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) وحيننذ يربو ذلك النبات ويهتز ويحسن منظره كما قال تعالى (فاذا أنزلنا عليها المهاء الهترت وربت) ثم إذا انقطع ذلك مدة جف ذلك النبات وصار هشيها ، وهو النبت المشكسر المتفتت . ومنه قوله : هشمت أنفه وهشمت الثريد . وأنشد :

عمرو الذي هشم الثريد لأهله ورجال مكة مسنتون عجاف

وإذا صار النبات كذلك طيرته الرياح وذهبت بتلك الأجزاء إلى سائر الجوانب (وكان الله على كل شي، مقتدراً) بتكوينه أولا وتنميته وسطاً وإبطاله آخراً وأحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناه ؛ ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يبتهج به والباه في قوله (فاختلط به نبات الآرض) فيه وجوه (الأول) التقدير فاختلط بعض أنواع النبات بسائر الانواع بسبب هذا الماء وذلك لان عند نزول المطريقوى النبات ويختلط بعضه بالبعض ويصير في المنظر في عند نزول المطريقوى النبات ويختلط ذلك الماء بالنبات واختلط ذلك النبات بالماء حتى روى ورف غاية الحسن والزينة (والثاني) فاختلط ذلك الماء بالنبات واختلط ذلك النبات بالماء على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منها بصفة صاحبه .

قوله تعالى : ﴿ المالوالبنون بنة الحياة الدنياو الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوا باوخير أملا ﴾ لما بين تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض و الانقضاء مشرفة على الزوال والبوار والفناء بين تعالى أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا والمقصود إدخال هذا الجزء تحت ذلك الكل وسنعقد منه قياس الإنتاج وهو أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض بنتج إنتاجا بديهياً أن المال والبنين سريعة الانقضاء والانقراض ، ومن المقتضى ألبديهى أن ما كان كذلك فانه يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسبيه أو يقيم له

في نظره وزناً فهذا برهان باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الاموال والاولاد ثم ذكر مايدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار مرب الإغنياء فقال (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثو اباً وخير أملا) وتقريرهذا الدليل أن خيرات الدنيا منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة بافية والدائم الباقى خير من المنقرض المنقضى وهذا معلوم بالضرورة ، لا سيما إذا ثبت أن خيرات الدنيا خسيسة حقيرة وأن خيرات الآخرة عالية رفيعة ، لأن خيرات الدنيا حسية وخيرات الآخرة عقلية والعقلية أشرف من الحسية بكثير بالدلائل المذكورة في تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) في بيان أن الادراكات العقلية أفضل من الحسية وإذا كان كذلك كان بحموع السعادات العقلية والحسية هي السعادات الإخروية فوجب أن تكون أفضل من السعادات الحسّية الدنيوية والله أعلم . والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالا قيل إنها قولنا ﴿ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ وللشيخ الغزالي رحمه الله في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف ، فقال روى أن من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر مرات ، فاذا قال والحمد لله صارت عشرين ، فاذا قال ولا إله إلا الله صارت ثلاثين ، فاذا قال والله أكبر صارت أربعين . قال و تحقيق القول فيه أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه سبحاًنه منزهاً عن كل مالا ينبغي فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقر بأن الحقّ سبحانه مع كونه منزهاً عن كل مالا ينبغي فهو المبدأ لإفادة كلّ ماينبغي ولإفاضة كل خير وكمال فقد تضاعفت درجات المعرفة فلا جرم قلنا تضاعف الثواب فاذا قال مع ذلك و لا إله إلا الله فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل مالا ينبغي فهو المبدأ لمكل ماينبغي وليس في الوجود موجود هَكذا إلا الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال والله أكبر معناه أنه أكبر وأعظم من أن يصل العقل إلى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة لاجرم صارت درجات الثواب أربعة (والقول الثاني) أن الباقيات الصالحات هي الصلوات الحنس (والقول الثالث) أنها الطيب من القول كما قال تعالى (وهدوا إلى الطيب من القول) (والقول الرابع) أن كل عمل وقول دعاك إلى الاشتغال بمعرفة الله و بمحبته وخدمته فهو الباقيات الصالحات وكلُّ عمل وقول دعاك إلى الاشتعال بأحوال الحلق فهو خارج عن ذلك وذلك أن كل ماسوى الحق سبحانه فهو فان لذاته هالك لذاته فكان الاشتغال به والآلتفات اليه عملا ماطلاً وسعياً ضائمًا . أما الحق لذاته فهو الباقى لايقبل الزوال لاجرم كان الاشتغال بمعرفة الله ومحبته وطاعته هو الذي يبقي بقاء لايزول ولايفني ثم قال تعالى (خيرعند ربك ثوابا وخيرأملا) أى كل عمل أريد به وجه الله فلا شك أن ما يتعلق به من الثواب وما يتعلق به من الأمل يكون خيرًا وأنضل، لأن صاحب تلك الاعمال يؤمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة .

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْحِبَ الْ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَعَادِرْ مِنْهُمْ أَلَا مَلَ الْحَدُا اللهِ وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفَّا لَقَدْ جِعْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً بِلَ أَحَدُا اللهِ وَيُعُولُونَ يَنُو يَلَتَنَا مَالِ هَلذَا الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ وَعُصْلَهَا وَوَجُدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاصِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبِّكَ أَحَدًا اللهِ المَا اللهُ اللهُ

قوله تعالى : ﴿ وَهِ م نسير الجِسَالُ وَتَرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً وحَشَرَنَاهُم فَلَمْ نَغَادَرَ مَنْهُم أَحَدا . وعرضوا على ربك صفاً لقد جنتموناكما خلقناكم أول مرة بل زعتم أن لن نجعل لـكم موعدا . ووضع الكتاب فنرى المجرمين مشفقين بما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما بين خساسة الدنيا وشرف القيامة أردفه بأحوال القيامة فقال (ويوم نسير الجبال) والمقصود منه الرد على المشركين الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأعوان واختلفوا فى الناصب لقوله (ويوم نسير الجبال) على وجوه : (أحدها) أنه يكون التقدير واذكر لهم (يوم نسير الجبال) عطفا على قوله (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) . (الثانى) أنه يكون التقدير (ويوم نسير الجبال) حصل كذا وكذا يقال لهم (لقد جتمونا كما خلقنا كم أول مرة) لأن القول مضمر فى هذا الموضع فكان المعنى أنه يقال لهم هذا فى هذا الموضع (الثالث) أن يكون التقدير (خير أملا) فى (يوم نسير الجبال) والأول أظهر . إذا عرفت هذا فنقول : إنه ذكر فى الآية من أحوال القيامة أنواعا (النوع الآول) قوله (ويوم نسير الجبال) وفيه بحثان : (البحث الآول) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وان عامر تسير على فعل ما لم يسم فاعله الجبال

(البحث الأول) قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير على فعل ما لم يسم فاعله الجبال بالرفع باسناد تسير إليه اعتباراً بقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) والباقون نسير باسناد فعل التسيير إلى نفسه [تعالى و] الجبال بالنصب لكونه مفعول نسير ، والمعنى نحن نفعل بها ذلك اعتباراً بقوله (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) والمعنى واحد الآنها إذا سيرت فسيرها ليس إلاالله سبحانه . ونقل صاحب الكشاف قراءة أخرى وهي تسير الجبال باسناد تسير إلى الجبال .

﴿ البحث الثانى ﴾ قوله (ويوم نسير الجبال) ليس فى لفظ الآية ما يدل على أنهـا إلى أين تسير ، فيُحتمل أن يقال إنه تعالى يسيرها الى الموضع الذى يريده ولم يبين ذلك الموضع لحلقه والحق أن المراد أنه تعالى يسيرها إلى العدم لقوله تعالى (ويسئلونك عن الجبال فقل بنسفها ربى نسفاً فيذرها قاعا صفصفاً لاترى فيها عوجا ولا أمتا) ولقوله (وبست الجبال بساً فكانت هباء منبئاً) و (النوع الثانى) من أحوال القيامة قوله تعالى (وترى الارض بارزة) وفى تفسيره وجوه: (أحدها) أنه لم يبق على وجهها شيء من العهارات، ولا شيء من الجبال، ولا شيء من الاشجار، فيقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها، وهو المراد من قوله (لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً) بارزة الجوف والبطن فحذف ذكر الجوف، ودليله قوله تعالى (والقت ما فيها وتخلت) وقوله بارزة الجبال والبحار، فلما أفي انته تعالى الجبال والبحار، فلما أفي انته تعالى الجبال والبحار، فلما ألني انته تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن حستورة و(النوع الثالث) من أحوال القيامة قوله (وحشرناهم فلم نفادر منهم أحداً) والمعنى جمعناهم للحساب فلم نفادر منهم أحداً، أي لم نترك من الأولين والآخرين أحداً إلاوجعناهم لذلك اليوم، ونظيره قوله تعالى (قال إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) ومعنى لم نفادر لم نترك، يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوقاء، ومنه الغدر لأنه ما تركته السيول، ومنه سميت ضفيرة المرأة بالفديرة لأنها تجعلها خلفها.

ولما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم ، فقال (وعرضوا على ربك صفاً) وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في تفسير الصفوجوه (أحدها) أنه تعرض الحاق كلهم على الله صفاً واحداً ظاهرين بحيث لابحجب بعضهم بعضاً ، قال القفال ويشبه أن يكون الصف راجعا الى الظهور والبروز ، ومنه اشتق الصفصف للصحراء (وثانيها) لاببعد أن يكون الحلق صفوفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض ، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفاً صفوفا كقوله (يخرجكم طفلا) أى أطفالا (وثالثها) صفاً أى قياما ، كما قال تعالى (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قالوا قياما ،

﴿ المسألة الثانية ﴾ قالت المشبهة قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) يدل على أنه تعالى يحضر فى ذلك المكان و تعرض عليه أهل القيامة صفاً ، وكذلك قوله تعالى (لقد جنتمونا) يدل على أنه تعالى يحضر فى ذلك المكان ، وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم فى الموضع الذى يسألهم فيه عن أعمالهم ويحاسبهم عليها عرصاً عليه ، لا على أنه تعالى يحضر فى مكان وعرضوا عليه ليراهم بعد أن لم يكن يراهم ، ثم قال تعالى (لقد جئتمونا كما خلقنا كم أول مرة) وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه ، لا نهم خلقوا صغاراً ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد أنه قال المشركين المنكرين للبعث المفتخرين فى الدنيا على فقراء المؤمنين بالاموال والانصار

(لقد جئتمونا كما خلفناكم أول مرة) عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان ونظيره قوله تعالى (لقد جثتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم ورا. ظهوركم) وقال تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ـ الى قوله ـ ويأتينا فرداً)ثم قال تعالى (بل زعتم أنان نجعل لكم موعدًا) أي كنتم مع النعزز على المؤمنين بالأموالوالانصار تنكرون البعث والقيامة فالآن قد تركتم الاموال والأنصار في الدنيا وشاهدتم أن البعث والقيامة حق ، ثم قال تعالى (ووضع الكتاب) والمراد أنه يوضع في هذا اليوم كتاب كل إنسان في يده إما في اليمين أو في الشمال ، والمراد الجنس وهو صحف الأعمال (وترى الجرمين مشفقين عا فيه) أي خانفين عا في الكتاب من أعمالهم الحبيثة وخائفين من ظهور ذلك لأهل الموقف فيفتضحون ، وبالجلة يحصل لهم خوف العقاب من الحق وخوفالفضيحة عدالحلق ويقولون ياويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوهاخاصةمن بين الهلكات (مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها) وهي عبارة عن الإحاطة بمعنى لا يترك شيئاً من المعاصي سواء كانت صغيرة أو كبيرة إلاوهي مذكورة في هذا الكتاب ونظيره قوله تعالى (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) وقوله (إنا كنانستنسخ ما كنتر تعملون) وإدخال تا التأنيث في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة الصغيرة والكبيرة (إلا أحصاها) إلا ضبطها وحصرها ، قال بعض العلماء : ضجوا من الصغائر قبل الكبائر (١) . لأن تلك الصغائر هي التي جرتهم الى الكبائر فاحترزوا من الصغائر جداً (ووجدوا ماعملوا حاضرا) في الصحف عتيداً أوجزا. ما عملوا (ولا يظلم ربك أحداً) معناه أنه لا يكتب عليه مالم يفعل ، ولا يزيد في عقابه المستحق، ولا يعذب أحداً بجرم غيره، بقى فى الآية مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الجبائي هذه الآية تدل على فساد قول المجبرة في مسائل: (أحدها) أنه لو عذب عباده من غير فعل صدر منهم لكان ظالماً (وثانيها) أنه لا يعذب الأطفال بغير ذنب (وثالثها) بطلان قولهم لله أن يفعل مايشاء و يعذب من غير جرم لآن الخلق خلقه إذ لوكان كذلك لماكان لنني الظلم عنه معني لآن بتقدير أنه إذا فعل أي شيء أراد لم يكن ظلماً منه لم يكن لقوله إنه لا يظلم فائدة فيقال له (أما الجواب) عن الأولين فهو المعارضة بالعلم والداعي ، وأما الجواب عن هذا الثالث فهو أنه تعالى قال (ماكان لله أن يتخذ من ولد) ولم يدل هذا على أن اتخاذ الولد صحيح عليه فكذا ههنا.

﴿ المسألة الثانية ﴾ عن رسول الله يَزِلِيَّةِ أنه قال ﴿ يحاسب الناس في القيامة على ثلاثة يوسف، وأيوب، وسلمان. فيدعو بالمملوك ويقول له ماشغلك عنى فيقول جعلتنى عبداً للآدى فلم تفرغنى فيدعو يوسف السلام، ويقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك عن عبادتى فيؤمر به الى النار،

⁽١) نظير هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل: أيجاسب الانسان على ما يتكلم به ؟ فقال ، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم ، والحصائد جمع حصيدة ، وهي الكلمة الهيئة .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَنَ عُمَّ الْمُحُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْ رَبِيةٍ قَلْنَا لِلْمَلَنَ عِلْمُ الْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَدُواْ بِنِّسَ رَبِيةٍ قَلْمَ لَكُمْ عَدُواْ بِنِّسَ لَلْظَالِمِينَ بَدَلًا لَيْ مَا أَشْهَدَ تُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِمِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا لَيْ مَا أَشْهَدَ تَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِمِ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدُ اللَّ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَاءِى الذِينَ زَعَمْتُمْ فَلَا عَوْمُ مَلْ فَلَا مَنْ مَا اللَّهُ مَا اللّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ثم يدعو بالمبتلى فاذا قال شغلتنى بالبلاء دعا بأيوب عليه السلام فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلائك فلم يمنعه ذلك عن عبادتى فيؤمر به الى النار ، ثم يؤتى بالملك فى الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة ، فيقول ماذا عملت فيها آتيتك فيقول شغلنى الملك عن ذلك فيدعى بسليمان عليه السلام فيقول هذا عبدى سليمان آتيته أكثر ما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتى اذهب فلا عذر لك ويؤمر به الى النار ، وعن معاذ عن رسول الله والله والله والله من أين المسبه حتى يسأل عن أربع : عن جسده فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه كيف عمل به »

﴿ المسألة الثالثة ﴾ دلت الآية على إثبات صغائر وكبائر فى الذنوب، وهذا متفق عليه بين المسلمين إلا أنهم اختلفوا فى تفسيره فقالت المعتزلة الكبيرة مايزيد عقابه على ثواب فاعله، والصغيرة ماينقص عقابه عن ثواب فاعله، واعلم أن هذا الحد إنما يصح لو ثبت أن الفعل يوجب ثواباً وعقاباً وذلك عندنا باطل لوجوه كثيرة ذكرناها فى سورة البقرة، فى إبطال القول بالإحباط والتكفير بل الحق عندنا أن الطاعات محصورة فى نوعين التعظيم الأمر الله والشفقة على خلق الله فكل ماكان أقوى فى كونه جهلا بالله كان أعظم فى كونه كبيرة ، وكل ماكان أقوى فى كونه ذنبا أو معصية فهذا هو الضبط.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَلْنَا لَلْمَلَائِكُهُ الْجَدُوا لَآدَم فَسَجَدُوا إِلَّا إَلِمُيسَكَانُ مِنَ الْجَنَّ فَفَسَقَ عَنَّ أَمِر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدوبتس للظالمين بدلا . ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا . ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا . ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها

أَنَّهُم مُوَاقِعُوهَا وَلَرْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

ولم يحدوا عنها مصرفاً) وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ أعلم أن المقصود من ذكر الآيات المتقدمة الردعلى القوم الذين افتخروا بأمو الهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية المقصود من ذكرها عين هذا المعنى، وذلك لأن إبليس إنما تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله ونسبه وقال خلقتنى من نار وخلقته من طين فأنا أشرف منه فى الأصل والنسب فكيف أسجد وكيف أتواضع له ! وهؤلاء المشركون عاملوا فقراء المسلمين بعين هذه المعاملة فقالوا كيف نجلس مع هؤلاء الفقراء مع أنا من أنساب شريفة وهم من أنساب نازلة ونحن أغنياء وهم فقراء ، فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا تغيياً على أن هذه الطريقة هي بعينها طريقة إبليس ثم إنه تعالى حذر عنها وعن الإقتداء بها فى قوله (أفتتخذونه وذريته أولياء) فهذا هو وجه النظم وهو حسن معتبر ، وذكر القاضى وجهاً آخر فقال إنه تعالى لما ذكر من قبل أمر القيامة وما يجرى عند الحشر ووضع الكتاب وكأن الله تعالى يريد أن يذكر ههنا أنه ينادى المشركين ويقول لهم أين شركائى الذى زعمتم وكان قد علم تعالى أن إبليس هو الذى يحمل الانسان على إنبات هؤلاء الشركاء ، لاجرم قدم قصته فى هذه الآية إتماماً لذلك الغرض ثم قال القاضى وهذه القصة وإن كان تعالى قد كررها فى سور كثيرة إلا أن فى كل موضع منها فائدة عددة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أنه تعالى بين فى هذه الآية أن إبليس كان من الجن وللناس فى هذه المسألة الموال (الأول) أنه من الملائكة وكونه من الملائكة لاينافى كونه من الجن ولهم فيه وجوه (الأول) أن قبيلة من الملائكة يسمون بذلك لقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) (وجعلوا لله شركاء الجن) (والثانى) أن الجن سموا جناً للاستتار والملائكة كذلك فهم داخلون فى الجن (الثالث) أنه كان خازن الجنة ونسب إلى الجنة كقولهم كوفى وبصرى وعن سعيد بن جبير أنه كان من الجنانين الذين يعملون فى الجنات حى من الملائكة يصوغون حلية أهل الجنة مذخلقوا رواه القاضى فى تفسيره عن هشام عن سعيد بن جبير (والقول الثانى) أنه من الجن الذين هم الشياطين والذين خلقوا من نار وهو أبوهم (والقول الثالث) قول من قال كان من الملائكة فسخ وغير . وهذه المسألة قد أحكناها فى سورة البقرة وأصل ما يدل على أنه ليس من الملائكة أنه تعالى أثبت له ذرية ونسلا فى هذه الآية وهو قوله (افتخذونه وذريته أولياء من دوف) والملائكة أيس لمم ذرية ولا نسل فوجب أن لايكون إبليس من الملائكة . بق أن يقال إن القه تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن إبليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك الأمر ، وأيضاً تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن إبليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك الأمر ، وأيضاً تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن إبليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك الأمر ، وأيضاً تعالى أمر الملائكة بالسجود فلو لم يكن إبليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك الأمر ، وأيضاً

لولم يكن من الملائكة فكيف يصح استثناؤه منهم ، وقد أجبنا عن كل ذلك بالاستقصاء ثم قال تعالى (ففسق عن أمر ربه) وفى ظاهره إشكال لآن الفاسق لايفسق عن أمر ربه ، فلهذا السبب ذكروا فيه وجوها (الآول) قال الفراء ففسق عرب أمر ربه أى خرج عن طاعته . والعرب تقول فسقت الرطبة من قشرها أى خرجت ، وسميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها من البابين وقال رؤبة :

يهوين في نجد وغور غائرًا فواسقًا عن فصدها جوائرًا

(الثانى) حكى الزجاج عن الخليل وسيبويه أنه قال : لما أمر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الأمر ، والمعنى أنه لولا ذلك الآمر السابق لما حصل الفسق ، فلأجل هذا المعنى حسن أن يقال فسق عن أمر ربه (الثالث) قال قطرب : فسق عن أمر ربه رده كقوله واسأل القريةواسأل العير قال تعالى (أفتتخذونه وذريته أوليام من دونى وهم لكم عدو) وفيه مسائل :

- ﴿ المسألة الأولى ﴾ المقصود من هذا الكلام أن إبليس تكبر على آدم وترفع عليه لما ادعى أن أصله أشرف من أصل آدم فوجب أن يكون هو أشرف من آدم ، فكأنه تعالى قال لأولئك الكافرين الذين افتخروا على فقراء المسلمين بشرف نسبم وعلومنصبهم ، إنكم فى هذا القول اقتديتم بابليس فى تكبره على آدم فلماعلتم أن إبليس عدو لكم فكيف تقتدون به فى هذه الطريقة المذمومة . هذا هو تقرير الكلام . فان قيل إن هذا الكلام لايتم إلا باثبات مقدمات (فأولها) إثبات إبليس وثريته وبين أولاد آدم (ورابعها) أن هذا القول الذى قاله أولئك الكفار اقتدوا فيه بابليس . وكل هذه المقدمات الأربعة لاسيل إلى أثباتها إلا بقول الذى قاله أولئك الكفار اقتدوا فيه بابليس . وكل هذه المقدمات الأربعة لاسيل إلى الآيات هل عرفوا كون محمد نياً صادقا أو ماعرفوا ذلك ؟ فان عرفوا كونه نبياً صادقا قبلوا قوله فى كل ما يقوله فكلا نهاهم الذى محمد من أول انتهوا عنه ، وحينتذ فلا حاجة إلى قصة إبليس وإن لم يعرفوا كونه نبياً جهلوا كل هذه المقدمات الأربعة ولم يعرفوا محتها فحينذ لا يكون فى إبرادها عليهم فائدة والجواب أن المشركين كانوا قد سمعوا قصة إبليس وآدم من أهل الكتاب واعتما وعلوا أن ابليس إنما تكبر على آدم بسبب نسبه ، فاذا أوردنا عليهم هذه القصة وان ذلك زاجراً لهم عما أظهروه مع فقراء المسلمين من التكبر والترفع .
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الجبائى فى هذه الآية دلالة على أنه تعالى لا يريد الكفر ولا يخلقه فى العبد ، إذ لو أراده و خلقه فيه ثم عاقبه عليه لكان ضرر إبليس أفل من ضرر الله عليهم! فكيف يو بخهم بقوله (بئس للظالمين بدلا)!؟ تعالى الله عنه علوا كبيرا . بل على هذا المذهب لا ضرر البتة من إبليس بل الضرر كله من الله . والجواب المعارضة بالداعى والعلم .
- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ إيما قال الكفار المفتخرين بأنسابهم وأموالهم على فقراء المسلين

أفتتخذون إبليس وذريته أولياء من دور الله ، لأن الداعى لهم إلى ترك دين محمد بالله هو النخوة واظهار العجب . فهذا يدل على أن كل من أقدم على عمل أو قول بناء على هذا الداعى فهو متبع لأبليس حتى أن من كان غرضه فى إظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر والترفع فهو مقتد بابليس وهومقام صعب غرق فيه أكثر الخلق فنسأل الله الخلاصمنه ثم قال تعالى (بئس للظالمين بدلا) أى بئس البدل من الله البيس لمن استبدله به فأطاعه بدل طاعته ، ثم قال (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض و لا خلق أنفسهم) وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلفوا في أن الضمير في قوله (ما أشهدتهم) إلى من يعود؟ فيه وجوه: (أحدها) وهو الذي ذهب اليه الآكثرون أن المعنى ما أشمهدت الذي اتخذتموهم أوليا. خلق السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله (اقتلوا أنفسكم) يعني ما أشهدتهم لاعتضد بهم والدليل عليه قوله (وماكنت متخذ المضلين عضداً) أي وماكنت متخذهم فوضع الظاهر موضع المضمرَ بياناً لإضلالهم وقوله (عضداً) أى أعواناً (وثانيها) وهو أقرب عندىأن الضمير عائد إلى الكفار الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إن لم تطرد من مجلسك هؤلا. الفقراء لم نؤمن بك فكاأنه تعالى قال : إن هؤلاء الذين أتوا بهذا الاقترح الفاسد والتعنت الباطل ماكانوا شركاء لى في تدبير العالم بدليل قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) ولااعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة ، بلهم قوم كسائر الخلق ، فلم أقدموا علىهذا الاقتراح الفاسد؟ ونظيره أن من اقنرحعليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست بسلطان البلد ولا ذرية المملكة حتى نقبل منك هـ ذه الاقتراحات الهائلة ، فلم تقدم عليها والذي يؤكد هذا أن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات ، وفي هـذه الآية المذكورة الأقرب هو ذكر أولئك الكفار وهو قوله تعالى (بئس للظالمين بدلا) والمراد بالظالمين أولئك الكفار (و ثالثها) أن يكون المراد من قوله (ما أشهدتهــم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) كون هؤلاء الكفار جاهلين بماجرى به القلم في الأزل من أحوال السعادة والشقاوة . فكأنه قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته فىالازل والشتى من حكم الله بشقاوته فىالازل، وأنتم غافلون عن أحوالـالازل كاً نه تعالى قال (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) وإذا جهلتم هذه الحالة فكيف يمكنكم أن تحكموا لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال ولغيركم بالدناءة والذل ، بل ربما صار الأمر في الدنيا والآخرة على العكس فيها حكمتم به .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال صاحب الكشاف قرى. وما كنت بالفتح، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغى لك أن تعتز بهم. وقرأ على رضوان الله عليه (متخذاً المضلين) بالتنوين على الأصل، وقرأ الحسن (عضداً) بسكون الضاد ونقل ضمتها إلى العين، وقرى. (عضداً) بالفتح وسكون الضاد (وعضداً) بضمتين (وعضداً)

بفتحتين جمع عاضد كحادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه ، واعلم أنه تعالى لما قرر أن القول الذى قالوه فى الافتخار على الفقراء اقتداء بابليس عاد بعده الىالتهويل بأحوال يوم القيامة فقال (ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم) وفيه أبحاث :

﴿ البحث الأول ﴾ قرأ حمزة (نقول) بالنونُ عطفاً على قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) و (أولياء من دونى) (وما أشهدتهم خلق السموات والارض ، وماكنت متخذ المضلين عضداً) والباقون قرأوا بالياء.

﴿ البحث الثانى ﴾ واذكر يوم نقول عطفاً على قوله (وإذ قلنا لللائكة اسجدوا).

﴿ البحث الثالث ﴾ المعنى وأذكر لهم يامحمد أحوالهم وأحوال آلهتهم يوم القيامة إذ يقولالله لهم (نادوا شركائى) أى ادعوا من زعمتم أنهم شركا. لى حيث أهلتموهم للعبادة ، ادعوهم يشفعوا لكم وينصروكم والمراد بالشركاء الجن فدعوهم ولم يذكر تعالى فىهذه الآية أنهم كيف دعوا الشركاء لأنه تعالى أبين ذلك في آية أخرى وهو أنهم قالوا (إنا كنا لمكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا) تم قال تعالى (فلم يستجيبوا لهم) أى لم يجيبوهم إلى مادعوهماليه ولم يدفعوا عنهم ضررا وما أوصلوا اليهم نَهُمَّا . ثُمَّ قال تعالى (وجعلنا بينهم موبقاً) وفيه وجوه : (الأول) قال صاحب الكشاف الموبق المهلك من وبقيبق وبوقا ووبقا . إذا هلك وأوبقه غيره فيجوز أن يكون مصدراً كالمورد والموعد و تقرير هذا الوجه أن يقال: إن هؤلا. المشركين الذين اتخذوا من دون الله آ لهة كالملائكة وعيسى دعوا هؤلا. فلم يستجيبوا لهم ثم حيل بينهم وبينهم فأدخل الله تعالى هؤلا. المشركين جهنم وأدخل عيسى الجنة وصار الملائكة إلى حيث أراد الله من دار الكرامة وحصل بين أولئك الكفار وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هـذا الموبق وهو ذلك الوادى في جهنم (الوجه الثاني) قال الحسن (موبقاً) أى عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك . ومنه قوله : لايكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفا . (الوجه الثالث) قال الفراء البين المواصلة أى جعلنا مواصلتهم فىالدنيا هلاكا فى يوم القيامة (الوجه الرابع) الموبق البرزخ البعيد أي جعلنا بين هؤلا. الكفار وبين الملائكة وعيسي برزخا بعيدًا يهلك فيه الساري لفرط بعده ، لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان ثم قال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنجَم مواقعوها) وفي هذا الظن قولان : (الأولُ) أن الظن ههنا بمعنى العلم واليقين (والثانى) وهو الأقرب أنَّ المعنى أن هؤلاً. الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنونُ أنهم مواقعوها فى تلك الساعة من غير تأخيرومهلة ، لشدة مايسمعون من تغيظها وزفيرها .كما قال (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) وقوله (مواقعوها) أى مخالطوها فان مخالطة الشيء لغيره إذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة ثم قال تعالى (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي لم يجدوا عن النار معدلا إلى غيرها لأن الملائكة تسوقهم الما. وَلَقَدُ صَرَّفْنَا فِي هَنَدَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءً عَدَلًا فَيْ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْمُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلّا أَن عَدَلًا فَيْ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْمُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلّا أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْمُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلّا مُنْسِرِينَ تَأْتِيهُمْ الْعَذَابُ قُبُلًا فَيْ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلّا مُنَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَدِلُ ٱلذِينَ كَغَرُواْ بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَ وَٱلْحَذُواْ عَايَتِي وَمَا أَندُرُواْ هُزُواْ وَأَن وَالْحَذُواْ عَايَتِي وَمَا أَندُرُواْ هُزُواْ وَيَقَى وَالْحَذُواْ عَايَتِي وَمَا أَندُرُواْ هُزُواْ وَيَقَى وَالْحَذُواْ عَايَتِي وَمَا أَندُرُواْ هُزُواْ وَيَقَى وَالْحَذُواْ عَايَتِي وَمَا أَندُرُواْ هُزُوا وَيَقَ

قوله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا فى هـذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شى عدلا . وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سـنة الأولين أو يأتيهم العـذاب قبلا وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا ﴾ .

اعلم أن أو المك الكفرة لما افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأتباعهم وبين تعمالي بالوجوه الكثيرة أن قولهم فاسد وشبهم باطلة وذكرفيه المثلين المتقدمين ، قال بعده (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) وهو إشارة إلى ماسبق والتصريف يقتضى التكرير والآمر كذلك لانه تعالى أجاب عن شبهتهم التى ذكروها من وجوه كثيرة ومع تلك الجوابات الشافية والامثلة المطابقة فهؤلاء الكفار لايتركون المجادلة الباطلة فقال وكان الإنسان أكثر شيء جدلا أى أكثر الاشياء التى يتأتى منها الجدل وانتصاب قوله جدلا على التمييز قال بعض المحققين والآية دالة على أن الأنبياء عليهم السلام جادلوهم فى الدين حتى صاروا هم بحادلين لان المجادلة لا تحصل الا من الطرفين وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل ، ثم قال (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم) وفيه بحثان:

(البحث الأول) قالت المعتزلة الآية دالة على أنه لم يوجد ما يمنع من الإقدام على الإيمان وذلك يدل على فساد قول من يقول إنه حصل المانع. قال أصحابنا العلم بأنه لا يؤمن مضاد لوجود الإيمان. فاذا كان ذلك العلم قائماً كان المانع قائماً. وأيضاً حصول الداعى إلى الكفر قائم وإلا لما وجب لأن الفعل الاختيارى بدون الداعى محال، ووجود الداعى إلى الكفرمانع من حصول الإيمان. وإذا ثبت هذا ظهر أن المراد مقدار الموانع المحسوسة.

﴿ البحث الثانى ﴾ المعنى أنه لما جاءهم الهدى وهو الدليل الدال على صحة الإسلام ، وثبت أنه

وَمَنَ أَظْلُمُ مِمَنَ ذُكِرِ عِالِنَتِ رَبِّهِ عَ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِى مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُو بِهِمْ أَكِنَةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَا نِهِمْ وَقُرَّا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْمُدَىٰ فَلَن عَلَى قُلُو بِهِمْ أَكِنَةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَا نِهِمْ وَقُرَّا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْمُدَىٰ فَلَن يَمْ نَدُوا إِذَا أَبَدًا رَبِي وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَلَ يَمْ الْعَذَابَ بَلَ لَمُ مُ الْعَذَابَ بَلَ لَمُ مُ مَوْعِدٌ لَن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ عَمَوْ بِلًا رَبِي وَتِلْكَ الْقُرَى أَمْ لَكُن اللّهُ اللّهُ مَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا رَبِي

لا مانع لهم من الإيمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة . والاعذار زائلة فلم يقدموا على الإيمان ثم قال تعالى (إلا أن تأتيم سنة الاولين وهو عذاب الاستئصال أو يأتيم العذاب قبلا) قرأ حزة وعاصم والكسائي قبلا بضم القاف والباء جيماً وهو جمع قبيل بمعني ضروب من العذاب تتواصل مع كوبهم أحياء وقيل مقابلة وعيانا والباقون قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا أيضا، وروى صاحب الكشاف قبلا بفتحتين أي مستقبلا . والمدني أنهم لا يقدمون على الإيمان إلا عند نزول عذاب الاستئصال فيلكوا ، أو أن يتواصل أنواع العذاب والبلاء حال بقائهم في الحياذالدنيا ، واعلم أنهم لا يقدمون على الإيمان إلا على هذين الشرطين ، لأن العاقل لا يرضي بحصول الحياذالدنيا ، واعلم أنهم لا يقدمون على الإيمان إلا على هذين الشرطين . ثم بين تعالى أنه إنما أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أرسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المتيلاء الجهل والقسوة . قال الانبياء كانوا يعاد والمائذروا) يجوز أن تكون موصولة ويكون العائد من الصلة محذوفا وبجوز أن تكون مصدرية بمعني إنذاره .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ أَظُلَمُ مِن ذَكَرَ بِآيَاتَ رَبِّهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى مَا قَدَمَتَ يَدَاهُ إِنَا جَعَلْنَا عَلَى قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفى آذانهم وقرأ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا . وربك الغفور ذو الرحمة لويؤاخذهم بماكسبوا نعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً . وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا الملكهم موعدا ﴾

إعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعده بالصفات الموجبة للخزى

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَلَهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِى حُقَبًا ﴿ اللهِ فَاللَّهُ مَا لَكُا مُعْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيا حُوتَهُمَا فَا تَحَذَّ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

والحذلان (الصفة الأولى) قوله (ومن أظلم عن ذكر بآيات ربه) أى لاظلم أعظم من كفر من ترد عليه الآيات والبينات فيعرض عنها وينسى ماقدمت يداه أي مع إعراضه عن التأمل في الدلائل والبينات يتناسى ماقدمت يداه من الاعمال المنكرة والمذاهب الباطلة والمراد من النسيان التشاغل والتغافل عن كفره المتقدم (الصفة الثانية)[قوله](إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرآ ،وإن تدعهمالىالهدى فلن يهتدوا إذا أبدآ)وقد مر تفسيرهذه الآية على الاستقصاء في سورة الأنعام ، والعجب أن قوله (ومن أظلم عن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) متمسك القدرية ، وقوله (إنا جعلنا على قلومهم أكنة أن يفقهوه) إلى آخر الآية متمسك الجبرية وقلما نجد في القرآن آية لاحد هذين الفريقين إلا ومعها آية للفريق الآخر ، والتجربة تكشف عن صدق قولناً . وما ذاك إلا امتحان شديد من الله تعالى ألقاه على عباده ليتميز العلماء الراسخون من المقلدين ثم قال تعالى (وربك الغفور ذو الرحمة) الغفور البليغ المغفرة وهو اشارة إلى دفع المضار ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ، وإنما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة لا في الرحمة ، لأن المغفرة ترك الإضرار وهو تعالى قد ترك مضار لانهاية لها مع كونه قادرًا عليها ، أما فعل الرحمة فهو متناه لأن ترك ما لا نهاية له بمكن ، أما فعل ما لا نهاية له فحال ويمكن أن يقال المراد أنه يغفر كثيراً لانه ذو الرحمة ولا حاجة به اليها فيهبها من المحتاجين كثيراً ثم استشهد بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلاً من غير إمهال مع إفراطهم في عذاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال (بل لهم موعد) وهو إما يوم القيامة ، و إما في الدنيا وهويوم بدروسائراً يام الفتح [وقوله] (لن يجدو امن دو مهمو ثلا) [أى]منجى ولاملجاً ، يقال وأل إذا لجأ . ووأل اليه إذا لجأ اليه مُرْثُم قال تعالى (و تلك القرى) يريد قرى الاولين من نمود وقوم لوط وغيرهم أشار اليها ليعتبروا ، وتُلك مبتدأ ، والقرى صفة لان أسها. الإشارة توصف بأصناف الاجناس وأهاكناهم خبر والمعنى، وتلك أصحاب القرى أهلكناهم لما ظلمو مثل ظلم أهل مكه (وجعلنا لمهلكهم موعداً) أى وضربنا الإهلاكهم وقتاً معلوماً لايتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر ، والمهلك الإهلاك أو وقته ، وقرى. لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة ، أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم ، والموعد وقت أو مصدر ، والمراد إنا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع أن نضرب له وقتا ليكونوا إلى التوبة أقرب.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لَفْتَاهُ لَا أَبْرَحَ حَتَى أَبْلُغُ بَحْمَعُ الْبَحْرِينِ أَوْ أَمْضَى حَقّباً . فلما بلغا

فَلَمَّا جَاوَزًا قَالَ لِفَتَلُهُ اتِنَا عَدَآءَ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَلَذَا نَصَبًا ﴿ قَالَ أَرَة بِتَ إِذَا أُو يَنَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنسَنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ إِذْ أُو يَنَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنسَنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ إِذْ أُو يَنَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِي نَسِيلَهُ وَ إِلَيْ مَا كُنَا نَبْغِ فَأَرْتَدًا عَلَىٰ أَذْ كُرَهُ وَا تَحْدَ سَيِيلَهُ وَ إِلَيْ مَا كُنَا نَبْغِ فَأَرْتَدًا عَلَىٰ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُولُ اللهُ ا

بحمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً . فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هـذا نصباً . قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطلن أنأذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً . قال ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾

اعلم.أن هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى فى هذه السورة وهى أن موسى عليه السلام ذهب الى الخضرعليه السلام ليتعلم منه العلم ، وهذا وإن كان كلاما مستقلافى نفسه إلا أنه يعين على ماهو المقصود فى القصتين السابقتين . أما نفع هذه القصة فى الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والانصار ، فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلم وخلا منصبه واستجاع موجبات الشرف التام فى حقه ذهب الى الخضر لطلب العلم وتواضع له وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر ، وأما نفع هذه القصة فى قصة أصحاب السكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكه : إن أخبركم محمد عن هذه القصة فمو نبى وإلا فلا ، وهذا ليس بشى. لآنه لا يلزم من كونه نبياً من عند الله تعالى أن يكون عالما بحميع القصص والوقائع ، كما أن كون على منه عليه السلام نبياً صادقاً من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه بأن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه فظهر مما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها ، ومع ذلك فهى نافعة فى تقرير المقصود فى فالقصتين المتقدمتين .

﴿ المسألة الأولى ﴾ أكثر العلماء على أن موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة . وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الحضر ليس صاحب موسى بن عمران ، وإنما هو صاحب موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب ، وقيل هو كان نبياً قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو افته ، واعلم أنه كان ليوسف عليه السلام ولدان أفرائيم وميشا فولد أفرائيم نون وولد نون يوشع ابن نون وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته ، وأما ولد ميشا فقيل إنه جاءته النبوة قبل موسى بن عمران ، ويزعم أهل التوراة أنه هو الذى طلب هذا العلم ليتعلم والحضر هو الذى خرق موسى بن عمران ، ويزعم أهل التوراة أنه هو الذى طلب هذا العلم ليتعلم والحضر هو الذى خرق

السفينة ، وقتل الغلام ، وأقام الجدار ، وموسى بن ميشا معه ، هذا هو قول جمهور اليهود ، واحتج القفال على صحة قولنا إن موسى هذا هو صاحب التوراة قال إن الله تعالى ماذكر موسى فى كتابه إلا وأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الإنصراف إليه ، ولو كان المراد شخصاً آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة ، كا أنه لماكان المشهور فى العرف من أبى حنيفة رحمه الله هو الرجل المعين فلو ذكرنا هذا الإسم وأردنا به رجلا سواء لقيدناه مثل أن نقول قال أبو حنيفة الدينورى ، وحجة الذين قالوا موسى هذا غيرصاحب التوراة أنه تعالى بعد أن أنزل التوراة عليه وكامه بلا واسطة وحج خصمه (١) بالمعجزات القاهرة العظيمة التى لم يتفق مثلها لا كثر أكار الانبياء يبعد أن يبعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة ، وأجيب عنه بأنه لا يبعد أن العالم الكامل فى أكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها إلى من دونه وهذا أمر متعارف معلوم ،

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا فى فتى موسى فالا كثرون على أنه يوشع بن نون، وروى القفال عن سفيان بن عينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى هريرة عن أبى ابن كعب عرب النبي بتاليم يقول فتاه يوشع بن نون ، (والقول الثانى) أن فتى موسى أخو يوشع وكان صاحباً لموسى عليه السلام فى هذا السفر (والقول الثالث) روى عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله (وإذ قال موسى الهتاه لا أبرح) قال يعنى عبده ، قال القفال واللغة تحتمل ذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايقولن أحدكم عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » وهذا يدل على أنهم كانوا يسمون العبد فتى والامة فتاة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قبل إن موسى عليه السلام لما أعطى الألواح وكلمه الله تعالى قال: من الذى أفضل منى وأعلم ؟ فقيل عبد لله يسكن جزائر البحر وهو الخضر، وفى رواية أخرى أن موسى عليه السلام لما أوتى من العلم ماأوتى ظن أنه لاأحد مثله فأتاه جبريل عليه السلام وهو بساحل البحر قال ياموسى أنظر إلى هذا الطير الصغير يهوى إلى البحر يضرب بمنقاره فيه ثم يرتفع فأنت فيا أو تيت من العلم دون قدر مايحمل هذا الطير بمنقاره من البحر، قال الاصوليون هذه الرواية ضعيفة لان الانبياء يجب أن يعلموا أن معلومات الله لانهاية لها وأن يعلموا أن معلومات الخلق عب كونها متناهية وكل قدر متناه فإن الزائد عليه بمكن فلا مرتبة من مراتب العلم إلا وفوقها مرتبة ولهذا قال تعالى (وفوق كل ذى علم علمي) وإذا كانت هذه المقدمات معلومة فمن المستبعد جداً أن يقطع العاقل بأنه لاأحداً علم منى (٢) لاسيها موسى عليه السلام مع علمه الوافر بحقائق الاشياء وشدة براءته عن الاخلاق الذميمة كالعجب والتيه والصلف (والرواية الثالثة) قبل إن موسى وشدة براءته عن الاخلاق الذميمة كالعجب والتيه والصلف (والرواية الثالثة) قبل إن موسى

⁽١) قوله وحج خصمه يريد بخصمه فرعون وما ذكره الله ثمالى فى كتابه من الآيات فى محاجة فرعون ، هذا ولموسى عليه السلام عاجة مع آدم عليه السلام فى الأكل من الشجرة ولكن كانت الحجة لآدم علىموسى ولذلك قال رسول الله صلى الشعليه وسلم الحجج آدم موسى، (٢) يعنى أنه لا يجرق إنسان على ادعاء انتهاء العلم إليه إلا إذا سلب نعمة العقل ؛ وكان الأنسب أن يتمول (منه)

الفخر الرازي _ ج ٢١ م ١٠

عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب اليك ؟ قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأى عبادك أقضى ؟ قال الذي يقضى بالحق ولايتبع الهوى ، قال فأى عبادك أعلم ؟ قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ، فقال موسى عليه السلام إن كان في عبادك من هو أعلم منى فادللني عليه ، فقال أعلم منك الخضر قال فأين أطلبه ؟ قال علىالساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لى به ؟ قال تأخذ حو تاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك . فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان ورقد موسى واضطرب الحوت وطفر الى البحر فلما جاء وقتالغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فرجع من ذلك الموضع إلى الموضع الذى طفر الحوت فيه الى البحر فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقاًلو أنى بارضك السلام! فعرفه نفسه، فقال ياموسي أنا على علم علمني الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا ، فلما ركبا السفينة جا. عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الما. فقال الخضر ماينقص على وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر _ أقول نسبة ذلك القدر القليل الذي أخذه ذلك العصفور من ذلك الماء الى كلية ماء البحر نسبة متناه إلى متناه ونسبة معلومات جميع المخلوقات الى معلومات الله تعالى نسبة متناه إلى غير متناه ، فأين إحدى النسبتين من الآخرى والله العالم بحقائق الامور، ونرجع إلى التفسير ، أما قوله تعالى (لا أبرح) قال الزجاج قوله (لا أبرح) ليس معناه لا أزول ، لانه لو كان كذلك لم يقطع أرضاً ، أقول يمكن أن يجاب عنه بأنَّ الزوال عن الشيء عبارة عن تركه و الاعراض عنه ، يقال زال فلان عن طريقته في الجود أي تركها ، فقوله لاأبرح بمعنى لاأزول عن السير والذهاب بمعنى لاأثرك هذا العمل وهذا الفعل ـ وأقول المشهور عند الجهور أن قوله لا أبرح معناه لا أزول ، والعرب تقول لا أبرح ولاأزال ولا أنفك ولا أفتأ بمعنى واحد . قال القفال وقالوا أصل قولهم لا أبرح من البراح كما أن أصل لا أزال من الزوال يقال زال يزال ويزول كمايقال دام يدام ويدوم ومات يمات ويموت إلا أن المستعمل فى هذه اللفظة يزال فقوله لا أبرح أى أقيم لأن البراح هو العدم فقوله لا أبرح يكون عدماً للعدم فيكون ثبوتاً فقوله لا أزال ولا أبرح يفيد الدوام والثبات على العمل فان قيل إذا كان قوله لا أبرح بمعنى لا أزال فلابد من الخبر قلنا حذف الحبر لأن الحال والكلام يدلان عليه ، أما الحال فلأمها كانت حال سفر ، وأما الكلام فلأن قوله (حتى أبلغ بحمع البحرين) غاية مضروبة تستدعى شيئاً هي غاية له فيكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ بجمع البحرين ويحتمل أن يكون المعنى لا أبرح بما أنا عليه يعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان . وأما بجمع البحرين فهو المكان الذى وعد فيه موسى بلقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقي بحرى فارس والروم مما يلي المشرق وقيل غيره وليس في اللفظ مايدل على تعيين هذين البحرين فان صح بالخبر الصحيح شيء فذاك و إلا فالأولى السكوت عنه ، و منالناس من قال : البحران موسى و الخضر

لانهما كانا بحرى العلم وقرى عجمع بكسر الميم ثم قال أو أمضى حقباً أى أسير زماناً طويلا وقيل الحقب ثمانون سنة وقد تكلمنا فى هذا اللفظ فى قوله تعال (لابثين فيها أحقاباً) وحاصل الكلام أن الله عز وجل كان أعلم موسى حال هذا العالم ، وما أعلمه موضعه بعينه ، فقال موسى عليه السلام لا أزال أمضى حتى يجتمع البحران فيصيرا بحراً واحداً أو أمضى دهراً طويلا حتى أجد هذا العالم ، وهذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم فى السفر لأجل طلب العلم وذلك تنبيه على أن المتملم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك ثم قال تعالى (فلما بلغا بجمع بينهما) والمعنى فانطلقا إلى أن بلغا بجمع بينهما والضمير فى قوله بينهما إلى ماذا يعود ؟ فيه قولان (الأول) بجمع بينهما أى بجمع البحرين وهو وكأنه إشارة إلى أول البغى المائل ماذا يعود ؟ فيه قولان (الأول) بجمع بينهما أى بجمع البحرين وهو وكأنه إشارة إلى أولى موسى لاأبرح حتى أبلغ بجمع البحرين أى فحقق [الله] ما قاله (والقول الثانى) أن المعنى فلما بلغ الموضع الذى وقع فيه نسيان الموضع الذى يحتمع إلين يسكنه الحضر أو يسكن بقربه ولاجل هذا المعنى لما رجع موسى الحوت هو الموضع الذى كان يسكنه الحضر أو يسكن بقربه ولاجل هذا المعنى لما رجع موسى وفتاه بعد أن ذكر الحوت صار إليه وهو معنى حسن ، والمفسرون على القول الأول ، ثم قال تعالى (نسيا حوتهما) وفيه مباحث :

(البحث الأول) الروايات تدل على أنه تعالى بين لموسى عليه السلام أن هذا العالم موضعه بحمع البحرين إلا أنه تعالى جعل انقلاب الحوت حياً علامة على مسكنه المعين كمن يطلب إنساناً فيقال له إن موضعه محلة كذا من الرى فاذا انتهيت إلى المحلة فسل فلاناً عن داره وأين ماذهب بك فاتبعه فانك تصل إليه فكذا ههنا قيل له إن موضعه بحمع البحرين فاذا وصلت إليه رأيت الحوت انقلب حياً وطفر إلى البحر ، فيحتمل أنه قيل له فهنالك موضعه ويحتمل أنه قيل له فاذهب على موافقة ذهاب ذلك الحوت فانك تجده . إذا عرفت هذا فنقول إن موسى وفتاه لما بلغا بحمع بينهما طفرت السمكة إلى البحر وسارت وقيل إن يوشع توضأ في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب في الماء وقبل إن يوشع توضأ في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب في الماء وقبل انفجر [ت]هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين المالح فعاش ووثب في الماء وقبل البحر فهذا هو الكلام في صفة الحوت .

(البحث الثانى) المراد من قوله (نسيا حوتهما) أنهما نسيا كفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول إلى المطلوب، فان قيل انقلاب السمكة المالحة حية حالة عجيبة فلما جعل الله حصول هذه الحالة العجيبة دليلا على الوصول إلى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذا المعنى؟ أجاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات القاهرة من موسى عليه السلام كثيراً فلم يبقى لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان. وعندى فيه جواب آخر وهو أن موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الضرورى تنبيها

لموسى عليه السلام على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله وحفظه على القلب والخاطر، أما قوله (فاتخد سبيله فى البحر سرباً) ففيه وجوه (الأول) أن يكون التقدير سرب فى البحر سرباً إلا أنه أقيم قوله فاتخذ مقام قوله سرب والسرب هوالذهاب ومنه قوله (وسارب بالنهار) (الثانى) أن الله تعالى أمسك إجراء الماء على البحر وجعله كالطاق والكوة حتى سرى الحوت فيه فلما جاوز أى موسى وفتاه الموعد المعين وهو الوصول إلى الصخرة بسبب النسيان المذكور وذهباكثيراً وتعبا وجاعا (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقيد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال) الفتى (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) الممخرة) الممزة فى أرأيت همزة الاستفهام ورأيت على معناه الأصلى وقد جاء هذا الكلام على ماهو المتعارف بين الناس فانه إذا حدث لا حده أمر عجيب قال لصاحبه أرأيت ماحدث لى ؟ كذلك مهنا كأنه قال أرأيت ماوقع لى منه إذ أو ينا إلى الصخرة، فحذف مفعول أرأيت لان قوله (فانى نسيت الحوت) يدل عليه ثم قال (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وفيه مباحث:

﴿ البحث الأول ﴾ أنه اعتراض وقع بين المعطوف والمعطوف عليه والنقدير فانى نسيت الحوت واتخذ سبيله فى البحر عجبا، والسبب فى وقوع هذا الاعتراض ما يجرى بحرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان.

(البحث الثانى) قال الكعبى (وما أنسانيه إلا الشيطان ان أذكره) يدل على أنه تعالى ماخلق ذلك النسيان وما أراده وإلاكانت إضافته إلى الله تعالى أوجب من إضافته إلى الشيطان لأنه تعالى إذا خلقه فيه لم يكن لسعى الشيطان فى وجوده ولا فى عدمه ، أثر قال القاضى والمراد بالنسيان أن يشتغل قلب الانسان بوساوسه التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لأن ذلك لا يصح أن يكون إلا من قبل الله تعالى .

(البحث الثالث) قوله أن أذكره بدل من الهاء فى أنسانيه أى) وما أنسانى ذكره إلا الشيطان ثم قال (واتخذ سبيله فى البحر عجباً) وفيه وجوه: (الأول) أن قوله عجباً صفة لمصدر محذوف كأنه قيل واتخذ سبيله فى البحر إتخاذاً عجباً ووجه كونه عجباً انقلابه من المكتل وصيرورته حياً وإلقاء نفسه فى البحر على غفلة منهما (والثانى) أن يكون المراد منه ماذكر نا أنه تعالى جعل الماء عليه كالطاق وكالسرب (الثالث) قيل إنه تم الكلام عند قوله (واتخذ سبيله فى البحر) ثم قال بعده عجباً والمقصود منه تعجبه من تلك العجيبة التى رآها ومن نسيانه لها وقيل إن قوله عجباً حكاية لتعجب موسى وهو ليس بقوله ، ثم قال تعالى (قال ذلك ما كنا نبغ) أى قال موسى ذلك الذى كنا نطله لانه أمارة الظفر بالمطلوب وهو لقاء الخضر وقوله نبغ أصله نبغى فخذفت الياء طلباً للتخفيف لطلاة الكسرة عليه ، وكان القياس أن لايحذف لانهم إنما يحذفون الياء فى الاسهاء وهذا فعل الا أنه قد يجوز على ضعف القياس حذفها لانها تحذف مع الساكن الذى يكون بعدها كقولك ما نبغى اليوم ؟ فلها حذفت مع الساكن ثم قال فار تداعلى آثارهما أى ما نبغى اليوم ؟ فلها حذفت مع الساكن ثم قال فار تداعلى آثارهما أى ما نبغى اليوم ؟ فلها حذفت مع الساكن ثم قال فار تداعلى آثارهما أى ما نبغى اليوم ؟ فلها حذفت مع الساكن عمول المناكن ثم قال فار تداعلى آثارهما أى

فَوَجَدَا عَبْدُا مِنْ عِبَادِنَا عَابَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَمْنَهُ مِن لَدُنَا عِلْمَا فَيْ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمِنِ مِنَّ عُلِّمَتَ رُشْدًا فَيْ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعلِّمِ مِنَّا عُلِمَ اللهِ عَلَىٰ مَالَمْ تُحُطْ بِهِ عَنْ مُنَا اللهُ عَالَ اللهُ عَلَىٰ مَالَمْ تُحُطْ بِهِ عَنْ مَنْ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ مَالَمْ تُحُطْ بِهِ عَنْ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ ال

فرجما وقوله (قصصاً) فيه وجهان (أحدهما) أنه مصدر فى موضع الحال أى رجماً على آثارهما مقتصين آثارهما (والثانى) أن يكون مصدراً لقوله فارتدا على آثارهما ، لآن معناه فاقتصا على آثارهما . وحاصل الكلام أنهما لما عرفا أنهما تجاوزا عن الموضع الذى يسكن فيه ذلك العالم رجعا وعادا إليه والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال إنك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا . قال ستجدى إن شاء الله صابراً والا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله (فوجدا عبداً من عبادنا) فيه بحثان :

﴿ البحث الأول ﴾ قال الاكثرون إن ذلك العبدكان نبياً واحتجوا عليه بوجوه (الأول) أنه تعالى قال (آتيناه رحمة من عندنا) والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك) وقوله (وماكنت ترجو أن يلتي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) والمراد من هذه الرحمة النبوة ، ولقائل أن يقول نسلم أن النبوة رحمة أما لا يلزم أن يكون كل رحمة نبوة .

(الحجة الثانية) قوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) وهذا يقتضى أنه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الامور بالوحى من الله . وهذا الاستدلال ضعيف لأن العلوم الضرورية تحصل ابتداء من عند الله وذلك لا يدل على النبوة .

﴿ الحجة الثالثة ﴾ أن موسى عليه السلام قال (هل أتبعك على أن تعلمنى) والنبى لا يتبع غير النبي

فى التعليم وهذا أيضاً ضعيف ، لآن النبي لايتبع غير النبي فى العلوم التى باعتبارها صار نبياً أما فى غير تلك العلوم فلا.

(الحجة الرابعة) أن ذلك العبد أظهر الترفع على مومى حيث قال له (وكيف تصبر على مالم تخط به خبراً) وأما موسى فانه أظهر التواضع له حيث قال (لا أعصى لك أمراً) وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ، ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق النبي وهذا أيضا ضعيف لانه يجوز أن يكون غير التبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها . فلم قلتم إن ذلك لا يجوز فان قالو الآنه يوجب التنفير . قلنا فارسال موسى إلى التعلم منه بعد إنزال اقه عليه التوراة و تكليمه بغير واسطة يوجب التنفير ، فان قالوا إن هذا لا يوجب التنفير فكذا القول فيا ذكروه .

(الحجة الخامسة) احتج الأصم على نبوته بقوله فى أثناء القصة (ومافعلته عن أمرى) ومعناء فعلته بوحى الله ، وهو يدل على النبوة . وهذا أيضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر .

(الحجة السادسة) ماروى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال السلام عليك ، فقال وعليك السلام يانبى بنى اسرائيل. فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا ؟ قال الذى بعثك إلى . قالوا وهذا يدل على أنه إنما عرف ذلك بالوحى والوحى لا يكون إلا معالنبوة ، ولقائل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والإلهامات .

(البحث الثانى) قال الا كثرون إن ذلك العبد هو الحضر، وقالوا إنما سمى بالحضر الأهكان لا يقف موقفا إلا اخضر ذلك الموضع، قال الجبائي قد ظهرت الرواية أن الحضر إنما بعث بعدموني عليه السلام من بني إسرائيل. فان صحذلك لم يجزأن يكون هذا العبد هو الحضر. وأيضا فبتقدير أن يكون نبياً فهذا يقتضى أن يكون الحضر أعلى شأنا من موسى صاحب التوراة، لانا قد بينا أن الالفاظ المذكورة في هذه لايات تدل على أن ذلك كان يترفع على موسى، وكان موسى يظهر التواضع له إلا أن كون الحضر أعلى شأنا من موسى غير جائز لان الحضر إما أن يقال إنه كان من بني إسرائيل أو ما كان الحضر أعلى شأنا من موسى غير جائز لان الحضر إما أن يقال إنه كان من بني إسرائيل أو ما كان من بني إسرائيل والامة لا تكون أعلى حكاية عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون (أرسل معنا بني إسرائيل) والامة لا تكون أعلى حالي إسرائيل وإن قلنا إنه ما كان من بني إسرائيل لم يجز أن يكون أفضل من موسى لقوله تعالى لبني إسرائيل (وإنى فضلتكم على العالمين) وهذه الكلمات تقوى قول من يقول: إن موسى هذا غير موسى صاحب التوراة.

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (وعلمناه من لدنا علما) يفيد أن تلك العلوم حصلت عنده من عند الله من غير واسطة ، والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية ، والشيخ أبي حامد الغزالى رسالة في إثبات العلوم اللدنية ، وأقول تحقيق الكلام في هذا الباب أن نقول:

إذا أدركنا أمراً من الامور وتصورنا حقيقة من الحقائق فاما أن يحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لا يحكم وهو التصور ، وكل واحد من هذين القسمين فاما أن يكون نظرياً حاصلا من غير كسب وطلب، وإما أن يكون كسبياً ، أما العلوم النظرية فهي تحصل في النفس والعقل من غير كسب وطلب، مثل تصورنا الالم واللذة ، والوجود والعدم ، ومثل تصديقنا بأن النبي والإثبات لايجتمعان ولا يرتفعان ، وأن الواحد نصف الإثنين . وأما العلوم الكسيبية فهي التي لا تكون حاصلة في جوهر النفس ابتـدا. بل لابد من طريق يتوصل به إلى اكتسات تلك العلوم، وهذا العاريق على قسمين (أحدهما) أن يتكلف الإنسان تركب تلك العلوم البديمية النظرية حتى يتوصل بتركبها إلى استعلام المجهولات . وهذا الطريق هو المسمى بالنظر والتفكروالتدبروالتأمل والتروى والاستدلال، وهذا النوع من تحصيل العلوم هوالطريق الذي لايتم إلا بالجهد والطلب. و(النوع الثاني) أن يسمى الانسان بواسطة الرياضات والمجاهدات في أن تصير سرى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قويت القوة العقلية وأشرقت الانوار الإلهيـة في جوهر العقل، وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعى وطلب في التفكر والتأمل ، وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ، إذا عرفت هذا فنقول : جواهر النفس الناطقة مختلفة بالمــاهـية فقد تكون النفس نفساً مشرقة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمانية فلا جرمكانت أبدأ شديدة الاستعداد لقبول الجلايا القدسية والانوار الإلهية ، فلا جرم فاضت عليها من عالم الغيب تلك الانوار على سبيل الكمال والتمام ،وهذا هو المراد بالعلم اللدنى وهو المراد من قوله (آتيناهرحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) وأما النفس التي ما بلغت في صفاء الجوهر وإشراق العنصر فهي النفس الناقصة البليدة التي لايمكما تحصيل المعارف والعلوم إلا بمتوسط بشرى يحتال في تعليمه وتعلمه والقسم الأول بالنسبة إلى القسمالثانى كالشمس بالنسبة الىالاضوا. الجزئية وكالبحر بالنسبة إلى الجداول الجزئية وكالروح الاعظم بالنسبة إلى الارواح الجزئية . فهذا تنبيه قليل على هذا المأخذ، وورا.ه أسرار لا يمكن ذكرها في هذا الكتاب. ثم قال تعالى (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني بما علمت رشداً) وفيه مسألتان:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ أبو عمر و ويعقوب (رشداً) بفتح الراء والشين وعن ابن عباس رضى للله عنهما بضم الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال القفال وهى لغات فى معنى واحد يقال رَشَد ورُشُد مثل نكر ونكر كا يقال سقم وسقم وشغل وشغل وبخل وبخل وعدم وعدم وقوله (رشداً) أى علماً ذا رشد قال القفال قوله (رشداً) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون الرشد راجما إلى الخضر أى بما علمك الله وأرشدك به (والثانى) أن يرجع ذلك إلى موتى ويكون المعنى على أن تعلنى وترشدنى بما علمت .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعي أنواعا كثيرة من الآدب واللطف عندما أراد يتعلم من الخضر (فأحدها) أنه جعل نفسه تبعاً له لأنه قال (هل أتبعك) . (وثانيها) أن استأذن فى إثبات هـذا التبعية فانه قال هل تأذن لى أن أجعل نفسى تبعاً لك وهذا مبالغة عظيمة فى التواضع (و ثالثها) أنه قال على أن (تعلمنى) وهذا إقرار له على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم (ورابعها) أنه قال (بما علمت) وصيغة من للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله ، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع كا نه يقول له لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك ، بل أطلب منك أن تعطيني جزأ من أجزاء علمك ، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع اليه جزأ من أجزاً ماله (وخامسها) أن قوله (مما علمت) اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم (وسادسها) أن قوله (رشداً) طلب منه للارشاد والهداية والارشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والصلال (وسابعها) أن قوله (تعلمني بما علمت) معناه أنه طلب منه أن يعامله بمثل ماعامله الله به وفيه إشعارباً نه يكون إنعامك على عند هذا التعليم شبيهاً بانعام الله تعالى عليك في هذا التعليم ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفاً (وثامنها) أن المتابعـة عبارة عن الاتيان بمثل فعلُّ الغير لأجلكونه فعلا لذلك الغير ، فإنا إذا قلنا لاإله إلا الله فاليهود الذين كانواقبلنا كانوا يذكرون هذه الكلمة فلا يجب كوننا متبعين لهم في ذكر هذه الكلمة ، لأنا لانقول هذه الكلمة لاجل أنهم قالوها بل إنمـا نقولها لقيام الدليل على أنه يجب ذكرها ، أما إذا أتينا بهذه الصلوات الخس على موافقة فعلرسول اللهصلي الله عليه وسلم فانما أتينا بها لاجلأنه عليه السلام أتى بها لاجرم كنامتا بعين فى فعل هذه الصلوات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ثبت هذا فنقول قوله (هل أتبعك) يدل على أنه يأتى بمثل أفعال ذلك الاستاذ لمجرد كون ذلك الاستاذ آتياً بها. وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه فى أول الأمر التسلم وترك المنازعة والاعتراض (وتاسعها) أن قوله (أتبعك) يدلُّ على طلب متابعته مطلقاً في جميع الامور غير مقيد بشي. دون شي. (وعاشرها) أنه ثبت بالإحبار أن الخضر عرف أولا أنه نبي بني إسرائيل وأنه هو موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي كلمه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدلعلي كونه عليه السلام آتياً في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة وهذا هو اللائق به لأن كل منكانت إحاطته بالعلوم أكثركان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثرفكان طلبه لها أشد وكان تعظيمه لارباب العلم أكمل وأشد (والحادى عشر) أنه قال (هل أتبعك على أن تعلمني) فأثبت كونه تبعاً له أولا ثُم طلب ثانياً أن يعلمه وهـذا منه ابتدا. بالخدمة ثم في المرثبة الثانية طلب منه التعلم. (والثانى عشر) أنه قال (هل أتبعك على أن تعلمنى) فلم يطلب على تلك المتابعة على التعلم شيئاً كان قال لا أطلب منك على هـذه المتابعة المـال والجاه ولا غرض لى إلا طلب العلم ثم إنه تعالى حكى عن الحضر أنه قال (إنك لن تستطيع معى صبراً . وكيف تصبر على الم تحط به خبراً) وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن المتملم على قسمين متعلم ليس عنده شي . من العلم ولم يمارس القيل والقال ولم يتعود دالتقرير والاعتراض ، ومتعلم حصل العلوم الكثير قوم ارس الاستدلال والاغتراض . ثم إنه يريد أن يخالط إنسانا أكل منه ليبلغ درجة التمام والسكاليوالتعلم في هذا القسم الثاني شاق شديد ، وذلك لانه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاما فربما كان ذلك بحسب الظاهر منكراً إلا أنه كان في الحقيقة حقاً صواباً ، فهسندا المتعلم لأجل أنه ألف القيل والقال و تعود السكلام والجدال يغتر ظاهره و لآجل عدم كاله لايقف على سره وحقيقته ، وحينة يقدم على النزاع والاعتراض والمجادلة ، وذلك بما يثقل ساعه على الاستاذ الكامل المتبحر فاذا اتفق مثل هذه الواقعة مرتين أو ثلاثة حصلت النفرة التامة والكراهة الشديدة ، وهذا هو الذي أشار اليه الحضر بقوله (إنك والاعتراض ، وقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) إشارة إلى كونه غير عالم بحقائق والاعتراض ، وقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) إشارة إلى كونه غير عالم بحقائق الأشياء كما هي ، وقد ذكرنا أنه متى حصل الأمران صعب السكوت وعسر التعليم وانتهى الام بالآخرة إلى النفرة والكراهية وحصول التقاطع والتنافر ،

﴿ المسألة الثانية ﴾ احتج أصحابنا بقوله (إنك لن تستطيع معى صبراً) على أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل، قالوا لو كانت الاستطاعة على الفعل حاصلة قبل حصول الفعر فيلزم أن يصير قوله (إنك لا الاستطاعة على الصبر عاصلة لموسى عليه السلام قبل حصول الصبر فيلزم أن يصير قوله (إنك لن تستطيع معى صبراً) كذباً ، ولما بطل ذلك علمنا أن الاستطاعة لا توجد قبل الفعل أجاب الجبائى عنه أن المراد من هذا القول أنه يثقل عليه الصبر لا أنه لا يستطيعه ، يقال فى العرف: إن فلانا لا يستطيع أن يرى فلاناً و لا أن يحالسه إذا كان يثقل عليه ذلك ونظيره قوله تعالى (ما كانوا بستطيعون السمع) أى كان يشق عليهم الاستماع ، فيقال له هذا عدول عن الظاهر من غير دليل وإنه لا يحوز . وأقول بما يؤكد هذا الاستماع ، فيقال له هذا عدول عن الظاهر من غير دليل على مالم تحط به خبرا) استبعد حصول الصبر على مالم يقف الإنسان على حقيقته ، ولو كان كذلك لما كان حصول الصبر عند عدم ذلك العلم مستبعداً لأن القادر على الفعل لا يبعد منه إقدامه على ذلك كان حصول السبعاده علمنا أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل . ثم حكى الله تعالى عن موسى أنه قال (ستجدى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ احتج الطاعنون في عصمة الله الأنبياء بهذه الآية فقالوا إن الخضر قال لموسى (إنك لن تستطيع معي صبراً) وقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى

فَانطَلَقَا حَتَى إِذَا رَكِبًا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَ لَقَدُ جِنْتَ شَيْعًا إِمْرًا ﴿ قَالَ أَلَهُ أَقُلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴿ قَالَ لَا يَخُونُ اللَّهِ قَالَ لَا يَخُونُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ قَالَ لَا تُواخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِى عُشْرًا ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

لك أمراً) وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم إلحاق الكذب بأحدهما وعلى التقديرين فيلزم صدور الكذب عن الانبياء عليهم السلام، والجواب أن يحمل قوله (إنك لن تستطيع معى صبرا) على الاكثر الاغلب وعلى هذا التقدير فلا يلزم ماذكروه.

﴿ المسألة الثانية ﴾ لفظة إن كان كذا تفيد الشك فقوله (ستجدى إن شاء الله صابراً) معناه ستجدى صابراً إن شاء الله كوبى صابراً ، وهذا يقتضى وقوع الشك فى أن الله هل يريد كونه صابراً أم لا ، ولا شك أن الصبر فى مقام التوقف واجب ، فهذا يقتضى أن الله تعالى قد لا يريد من العبد ماأوجبه عليه ، وهذا يدل على صحة قولنا إن الله تعالى قد يأمر بالشى ، معأنه لا يريد ه قالت المعتزلة هذه الكلمة إنما تذكر رعاية للأدب فيما يريد الإنسان أن يفعله فى المستقبل فيقال لهم هذا الآدب إن صح معناه فقد ثبت المطلوب ، وإن فسد فأى أدب فى ذكر هذا الكلام الباطل؟ ﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى (ولا أعصى لك أمرا) يدل على أن ظاهر الامر يفيد الوجوب لان تارك المأمور به عاص بدلالة هذه الآية ، والعاصى يستحق العقاب لقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) وهذا يدل على أن ظاهر الامر يفيد الوجوب .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قول الخضر لموسى عليه السلام (وكيف تصبر على مالم تحط به حبراً) نسبة إلى قلة العلم والحبر ، وقول موسى له (ستجدى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) تواضع شديد وإظهار للتحمل التام والتواضع الشديد ، وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم ما يفيده نفعا إظهار التواضع بأقصى الغايات ، وأما المعلم فان رآى أن فى التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعا وإرشاداً إلى الخير . فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه يوقع المتعلم فى الغرور والنخوة وذلك منعه من التعلم ثم قال (فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) أى لا تستخبرني عما تراه منى عما لا تعلم وجهه حتى أكون أنا المبتدى و لتعليمك إياه وإخبارك به ، وفى قراءة ابن عام فلا تسألن محركة اللام مشددة النون بغيرياء . وروى عنه لا تسألني مثقلة مع الياء وهي قراءة نافع ، وفى قراءة الباقين لا تسألن خفيفة و المعنى واحد .

قوله تعالى : ﴿ فَانْطَلْقَاحَتَى إِذَا رَكِبًا فِى السّفِينَةُ خُرِقُهَا قَالَ أَخْرِقُهَا لَتَغْرِقَ أَهْلُهَا لَقَدْجُنْتُ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ لَا تَوَاخَذُنَى بَمَا نُسْيَتُ وَلَا تَرْهَقَىٰمِنَ أَمْرَى عَسْرًا ﴾ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقيٰمن أمرى عسراً ﴾

فَانَطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِبَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسُازَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسِ لَقَدْ جِئْتَ شَيْعًا نَكُرًا ﴿ مَا قَالَ أَلَدْ أَقُل لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا وَ اللَّهِ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِي عُذْرًا وَ اللَّهِ

اعلم أن موسى وذلك العالم لما تشارطا على الشرط المذكور وسارا فانتهيا إلى موضع احتاجا فيه إلى ركوب السفينة فركباها وأقدم ذلك العالم على خرق السفينة ، وأقول لعله أقدم على خرق جدار السفينة لتصير السفينة بسبب ذلك الخرق معيبة ظاهرة العيب فلا يتسارع الغرق إلى أهلها فمند ذلك قال موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها) وفيه بحثان :

﴿ البحث الاول﴾ قرأ حمزة والكسائى (ليغرق أهلها) بفتح الياء على إسناد الغرق الى الاهل والباقون لتغرق أهلها على الخطاب، والتقدير لتغرق أنت أهل هذه السفينة .

(البحث الثانى) أن موسى عليه السلام لما شاهد ذلك الأمر المنكر بحسب الظاهر نسى الشرط المتقدم فلهذا المعنى قال ماقال ، واحتج الطاعنون فى عصمة الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجهين (الأول) أنه ثبت بالدليل أن ذلك العالم كان من الأنبياء ، ثم قال موسى عليه السلام (أخرفتها لتغرق أهلها) فان صدق موسى فى هذا القول دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبى ، وإن كليب دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام . (الثانى) أنه التزم أن لا يعترض على ذلك العالم . وجرت العهود المؤكدة لذلك ، ثم إنه خالف تلك العهود وذلك ذنب (والجواب عن الأول) أنه لما شاهد موسى عليه السلام منه الأمر الحارج عن العادة قال هذا الكلام ، لا كرجل أنه اعتقد فيه أنه فعل قبيحاً ، بل لانه أحب أن يقف على وجهه وسببه ، وقد يقال فى الشىء العجيب الذى لا يعرف سبه إنه إمر يقال أمر الأمر إذا عظم وقال الشاعر : داهية دهياء

(وعلى الثانى) أنه فعل بتاء على النسيان ، ثم إنه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه لما خالف الشرط لم يزد على أن قال (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً) فعند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله (لا تؤاخذى بما نسيت) أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى بشى و ولا ترهقنى من أمرى عسراً ، وهو انباعه من أمرى عسراً) يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أى ولا تغشى من أمرى عسراً ، وهو انباعه إياه يعنى ولا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغتناء وترك المناقشة ، وقرى (عسراً) بضمتين . قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلتُ نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً . قال إن سألتك عن شى و بعدها فلا تصاحبى قد بلغت من لدنى عذرا ﴾

اعلم أن لفظ الفلام قد يتناول الشاب البالغ بدليلأنه يقال رأى الشيخ خير من مشهد الغلام جمل الشيخ نقيضاً للغلام وذلك يدل على أن الغلام هو الشاب وأصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك إلما يكون فى الشباب، وأما تناول هذا اللفظ للصى الصغير فظاهر، وليس فى القرآن كيف لقياه هل كان يلعب مع جمع من الغلمان الصبيان أو كان منفردا؟ وهل كان مسلماً أو كان كافراً؟ وهل كان منعزلا؟ وهل كان بالغا أو كان صغيرا، وكان اسم الغلام بالصغير أليق وإن احتمل الكبير إلا أن قوله (بغير نفس) أليق بالبالغ منه بالصى لأن الصى لا يقتل وإن قتل، وأيضاً فهل قتله بأن حز رأسه أو بأن ضرب رأسه بالجدار أو بطريق آخر فليس فى لفظ الفرآن ما يدل على شى، من هذه الاقسام فعند هذا قال موسى عليه السلام (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) وفيه مباحث:

﴿ البحث الآول ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبؤ عمرو زاكية بالآلف والباقون زكية بغير ألف قال الكسائى الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة ، وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب والزكية التي أذنبت ثم تابت .

﴿ البحث الثانى ﴾ ظاهر الآية يدل على أن موسى عليه السلام استبعد أن يقتل النفس إلا لاجل القصاص بالنفس وليس الامر كذلك لانه قد يحل دمه بسبب من الاسباب، وجوابه أن السبب الافوى هو ذلك.

(البحث الثالث) النكر أعظم من الإمر في القبح ، وهذا إشارة إلى أن قتل الغلام أقبح من خرق السفينة لآن ذلك ما كان اتلافاً للنفس لآنه كان يمكن أن لا يحصل الغرق ، أما ههنا حصل الإتلاف قطعاً فكان أنكر وقيل إن قوله (لقد جثت شيئاً إمراً) أي عجباً والنكر أعظم من الايمر العجب وقيل النكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس فهو أبلغ في تقبيح الشيء من الإمر ومنهم من قال الإمر أعظم قال لآن خرق السفينة يؤدى إلى إتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس إلا إتلاف شخص واحد وأيضاً الإمر هو الداهية العظيمة فهو أبلغ من النكر وأنه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه مازاد على أن ذكره ماعاهده عليه فقال (ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبراً) وهذا عين ما ذكره في المسألة الأولى إلا أنه زاد ههنا لفظة لك لآن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ فعند هذا قال موسى (إن سألتك عن شيء بعدها فلاتصاحبني) مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته وهذا كلام نادم شديد الندامة ثم قال (قد بلغت من لدني عذرا) والمراد منه أنه يمدحه بنده الطريقة من حيث احتمله مرتين أولا وثانياً ، مع قرب المدة ويق بمها يتعلق بالقراءة في هذه الآية ثلائة مواضع: (الأول) قرأ نافع برواية ورش وقالون وابن عامر وأبو بكر عن عاصم نكرا بضم الكاف في جميع القرآن والباقون ساكنة الكاف حيث كان وهما لغتان (الثاني) الكل قرأواً (لا تصحبي) من صحب والمعني واحد الكل قرأواً (لا تصحبي) من صحب والمعني واحد والمنا والما لغتان (الكاني) من صحب والمعني واحد الكل قرأواً (لا تصحبي) من صحب والمعني واحد

فَانطَلَقَا حَتَى إِذَا أَتَكَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبُواْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيها جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْشِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿ قَالَ هَلْذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَدِي لَا يَنفِي اللهِ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ قَالَ هَاذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَالَمْ تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿

(الثالث) فى (لدنى) قراءات (الأولى) قراءة نافع وأبى بكر فى بعض الروايات عن عاصم (من لدنى) بتخفيف النون وضم الدال (الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحزة والكسائى وحفص عن عاصم (لدنى) مشددة النون وضم الدال (الثالثة) قرأ أبو بكر عن عاصم بالإشمام وغير إشباع (الرابعة) (لدنى) بضم اللام وسكون الدال فى بعض الروايات عن عاصم وهذه القراءات كلما لغات فى هذه اللفظة.

قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطها أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لوشئت لاتخذت عليه أجراً ، قال هذا فراق بينى وبينك سأنبثك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾.

اعلم أن تلك القرية هي أنطاكية وقيل هي الآيلة وههنا سؤالات: (الأول) إن الاستطعام ليسمن عادة الكرام فكيف أقدم عليه موسى وذلك العالم لآن موسى كان منعادته عرض الحاجة وطلب الطعام ألاترى أنه تعالى حكى عنه أنه قال في قصة موسى عند ورود ما. مدين (رب إنى كما أنزلت إلى من خير فقير) (الجواب) أن إقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربحا وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد (السؤال الثاني) لم قال (حتى إذا أتيا أهمل قرية استطعا أهلها) وكان من الواجب أن يقال استطعا منهم ،والجواب أن التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر:

ليت الغراب غداة ينعب دائماً كان الغراب مقطع الأوداج (السؤال الثالث) إن الضيافة من المندوبات فتركها ترك للمندوب وذلك أمرغير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه أنه غضب عليهم الغضب الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه مع ذلك العالم في قوله (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) وأيمناً مثل هذا الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لايليق بأدون الناس فضلا عن كليم اقه (الجواب) أما قوله الضيافة من المندوبات قلنا قد تكون من المندوبات ، وقد تكون من الواجبات بأن كان الضيف قد بلغ في الجوع إلى حيث لولم يأكل لهلك وإذا كان التقدير ماذكر ناملم يكن الغضب الشديد لاجل ترك الأكل يوما فان قالوا مابلغ في الجوع إلى حد الهلاك بدليل أنه قال (لوشقت لا تخذت عليه

أجراً) وكان يطلب على إصلاح ذلك الجدار أجرة ، ولو كان قد بلغ فى الجوع إلى حد الهلاك لما قدر على ذلك العمل فكيف يصح منه طلب الآجرة قلنا لعل ذلك الجوع كان شديداً إلا أنه ما بلغ حد الهلاك ، ثم قال تعالى (فأبوا أن يضيفوهما) وفيه بحثان :

(البحث الأول) يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفاً ، وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض و فظيره: زاره من الإزورار ، وأضافه وضيفه أنزله ، وجعله ضيفه ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم كانو أهل قرية لئاماً .

﴿ البحث الثانى ﴾ رأيت فى كتب الحكايات أن أهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يارسول الله نشترى بهذا الذهب أن تجعل الباء تاءاً حتى تصير القراءة هكذا: فأتوا أن يضيفوهما . أى أتوا لان يضيفوهما ، أى كإن إتيان أهل تلك القرية إليهما لاجل الضيافة ، وقالوا غرضنا منه أن يندفع عنا هذا اللؤم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن تغيير هذه المنقطة يوجب دخول الكذب فى كلام الله ، وذلك يوجب القدح فى الإلهية . فعلمنا أن تغيير النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية ، ثم قال تعالى (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) أى فرأيا فى الفرية حائطاً ماثلا ، فإن قيل كيف بجور وصف الجدار بالإرادة مع أن الارادة من صفات . الآحياء قانا هذا اللفظ ورد على سبيل الاستعارة ، وله نظائر فى الشعر قال :

يريد الرمح صدر أبى برا. ويرغب عن دما. بني عقيل

وأنشد الفراء :

إن دهراً يلف شملي بجمعل لزمان يهم بالإحسان وقال الراعي:

في مهمه فلقت به هاماتها فلق الفؤوس إذا أردن نصولا

ونظيره من القرآن قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) وقوله (أن يقول له كن فيكون) وقوله (قالتا أتينا طائعين) وقوله (أن ينقض) يقال انقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته . وقيل انقض فعل من النقض كاحمر من الحمرة ، وقرىء أن ينقض من النقض ، وأن ينقاض من انقاضت العين إذا انشقت طولا ، وأما قوله (فأقامه) قيل يقضه ثم بناه ، وقيل أقامه بيده ، وقيل مسحه بيده فقام واستوى وكان ذلك من معجزاته ، واعلم أن ذلك العالم لما فعل ذلك . وكانت الحالة حالة اضطرار وافتقار إلى الطعام فلأجل تلك الضرورة نسى موسى مأقاله من قوله (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى) فلا جرم قال (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) أى طلبت على عملك أجرة تصرفها في تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات ، وقرى (التخذت عليه أجراً) والتاه في تخذ أصل كما في تبع ، واتخذ

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتُ أَنَّ أَعِيبَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَلِكٌ يَأْخُذُكُلَّ سَفِينَةٍ عَصْبًا ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَننَا وَكُفْرًا ﴿ فَأَرَدُنَا أَن يُبْدِهُمَا رَبُّهُمَا خَيرًا مِنْهُ زَكُوةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا شَوْهُمَا طُغْيَننَا وَكُفْرًا ﴿ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ يَحْتَهُ وَكَانَ لَحُلَمَ وَكَانَ يَحْتَهُ وَكَانَ يَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ يَعْدَارُ وَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ يَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ لَعُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ لَعْدَارُ وَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ لَكُونَا وَكَانَ لِعُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ لَكُونَا وَكَانَ لِعُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ لَكُونَ الْعَمُونَ وَالْفَالَمُ وَاللَّوْمُ الْمُؤْمُنَا وَكُانَ تَحْتَهُ وَكَانَ تَحْتَهُ وَكَانَ لَعْلَامَ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُ الْمُؤْمُ الْوَلُونَ الْمُؤْمُنَا وَكُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُعُولُونَ فَي اللّهُ وَمُنَا وَلَا لَاكُ مَالَمُ اللّهُ مُلْمَا وَيَسْتَخْرِجَا كُنزَهُمَا وَيُسْتَعْ عَلَيْهِ صَارًا فَي فَالْمُ الْمُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمِلُونَ فِي اللّهُ الْمَعْمُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُونَ وَاللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِلُ اللّهُ الْمُؤْمِلُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُؤْمِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللْمُؤْمِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

افتعل منه كقولنا اتبع من قولنا تبع، واعلم أن موسى عليه السلام لما ذكر هذا الكلام قال العالم (هذا فراق بينى وبينك) وههنا سؤالات (السؤال الأول) قوله هذا إشارة إلى ماذا؟ والجواب من وجهين (الاول) أن موسى عليه السلام قد شرط أنه إن سأله بعد ذلك سؤالا آخر يحصل الفراق حيث قال (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى) فلما ذكر هذا السؤال فارقه ذلك العالم وقال (هذا فراق بينى وبينك) أى هذا الفراق الموعود (الثانى) أن يكون قوله هذا إشارة إلى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض هو سبب الفراق (السؤال الثانى) مامعنى قوله إشارة إلى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض هو سبب الفراق (السؤال الثانى) مامعنى قوله الظرف، حكى القفال عن بعض أهل العربية أن البين هو الوصل لقوله تعالى (لقد تقطع بينك) فكان المعنى هذا فراق بيننا، أى اتصالها، كقول القائل: أخرى الله المكاذب منى ومنك، أى أحدنا هكذا قاله الزجاج، ثم قان العالم لموسى عليه السلام (سأنبئك تأويل ما لم تستطع عليه أحدنا أى سأخبرك بحكة هذه المسائل الثلاثة، وأصل التأويل راجع إلى قولهم آل الامر إلى كذا أى صار اليه، فإذا قيل ما تأويله فالمعنى مامصيره.

قوله تعالى : ﴿ أَمَا السَفَينَةُ فَكَانَتُ لَمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فَى البَحْرُ فَارَدْتُ أَنْ أَنْ يَبِهَا وَكَانَ وَرَاءُ هُمُلُكُ يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةً غَصِباً . وأَمَا الغلام فكانَ أَبُواه مؤمنين فخشينا أَنْ يَرْهَقَهُما طغيانا وكفراً . فأردنا أَنْ يَبْدَلُمُما رَبُّهُما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فيكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أَنْ يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم نسطع عليه صبراً ﴾ في الآية مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن هذه المسائل الثلاثة مشتركة فى شى، واحد وهو أن أحكام الأنهاء صلوات اقد عليم مبنية على الظواهر كما قال عليه السلام « عن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » وهذا العالم حاكات أحكامه مبنية على ظواهر الأمور بل كانك مبنية على الأسباب الحقيقة الواقعة فى نفس الأمر وذلك لآن الظاهر أنه يحرم التصرف فى أموال الناس قوق أرواحهم فى المسألة الأولى وفى الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لأن تخير سبب ظاهر ، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر ، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر ، والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل فى المسألة الثالثة تحمل التعب والمشقق من غير سبب ظاهر ، وفى هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم فيها مبنياً عن الأسباب الظاهرة المعلومة ، بل كان ذلك الحكم مبنياً على أسباب معتبرة فى نفس الأمر ، وهذا يدل على أن ذلك المعلم كان قد آناه الله قوة عقلية قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ويطلع بها على حقائق الأشياء فكانت مرتبة الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والاطلاع على أسرارها وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والاطلاع على أسرارها فقول: المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو أن عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى فنقول: المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو أن عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى فنقول: المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو أن عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى فنقول ؛ المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو أن عند تعارض الضررين بحب تحمل الأدنى

﴿ المسألة الأولى ﴾ فلأن ذلك العالم علم أنه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك، وفاتت منافعها عن ملاكها بالسكلية فوقع التعارض بين أن يخرقها ويعيبها فتبق مع ذلك على ملاكها، وبين أن لايخرقها فيغصبها الملك فتفوت منافعها بالكلية على ملاكها، ولا شك أن الضرر الأول أقل فوجب محمله لدفع الضرر الثانى الذى هو أعظمهما.

﴿ المسألة الثانية ﴾ فكذلك لآن بقا. ذلك الغلام حياً كان مفسدة للوالدين فى دينهم وفى دنياهم، ولعله علم بالوحى أن المضار الناشئة من قتل ذلك الغلام أقل من المضار الناشئة بسبب حصول تلك المفاسد للأبوين، فلهذا السبب أقدم على قتله.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ آيضاً كذلك لأن المشقة الحاصلة بسبب الإقدام على إقامة ذلك الجدار ضررها أقل من سقوطه لأنه لو سقط لضاع مال تلك الايتام . وفيه ضرر شديد، فالحاصل أن ذلك العالم كان مخصوصاً بالوقوف على بواطن الأشياء وبالاطلاع على حقائقها كما هي عليها في أنفسها ، وكان مخصوصاً ببناء الاحكام الحقيقية على تلك الاحوال الباطنة ، وأما موسى عليه السلام فا كان كذلك بل كانت أحكامه مبنية على ظواهر الامور فلا جرم ظهر التفاوت بينهما في العلم ، فان قال قائل فحاصل الكلام أنه تعالى أطلعه على بواطن الاشياء وحقائقها في نفسها ، وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه ، وموسى عليه السلام إنما ذهب اليه ليتعلم منه العلم فكان من الواجب

على ذلك العالم أن يظهر له علماً يمكن له تعله ، وهذه المسائل الشلائة علوم لايمكن تعلمها فما الفائدة فى ذكرها وإظهارها . والجواب أن العلم بطواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة ، وأما العلم ببواطن الأشياء فانما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية ، ولهذا قال تعالى فى صفة علم ذلك العالم (وعلمناه من لدنا علما) ، ثم إن موسى عليه السلام لما كلت مرتبته فى علم الشريعة بعثه الله الى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام أن كال الدرجة فى أن ينتقل الانسان من علوم الشريعة المنية على الظواهر الى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتطلع على حقائق الأمور .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اعلم أن ذلك العالم أجاب عن المسألة الأولى بقوله (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذكل سفينة غصباً) وفيه فوائد (الفائدة الأولى) أن تلك السفينة كانت لأقوام محتاجين متعيشين بها في البحر والله تعالى سماهم مساكين ، واعلم أن الشافعي رحمه الله احتج بهذه الآية على أن حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لأنه تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة (الفائدة الثانية) أنْ مراد ذلك العالم من هذا الكلام أنه ما كان مقصودي من تخريق تلك السفينة تغريق أهلها بل مقصودي أن ذلك الملك الظالم كان يغصب السفن الخالية عن العيوب فجعلت هذه السفينة معيبة لئلا يغصبها ذلك الظالم فان ضررهذا التخريق أسهل من الضرر الحاصل من ذلك الغصب، فان قيل وهل يجوز للأجنى أن يتصرف في ملك الغير لمثل هذا الغرض، قلنا هذا بمـا يختلف أحواله بحسب اختلاف الشرائع فلعل هذا المعنى كان جائزا فى تلك الشريعة ، وأما فى شريعتنا فثل هذا دفعنا إلى قاطع الطريق بعض ذلك المال سلم الباقي فينتذ يحسن منا أن ندفع بعض مال ذلك الانسان إلى قاطع الطريق ليسلم الباقى وكان هذا منا يعد إحسانا إلى ذلك المالك (الفائدة الثالثة) أن ذلك التخريق وجب أن يكون واقعاً على وجه لا تبطل به تلك السفينة بالكلية إذ لو كان كذلك لم يكن الضرر الحاصل من غصبها أبلغ من الضرر الحاصل من تخريقها ، وحيته لم يكن تخريقها جائزاً (الفائدة الرابعة) لفظ الورا. على قوله (وكان وراءهم) فيه قولان (الأول) أن المراد منه وكان أمامهم ملك يأحذ، هكذا قاله الفراء وتفسيره قوله تعالى (من ورائهم جهنم) أى أمامهم ، وكذلك قوله تعالى (ويذرون ورا هم يوما ثقيلا) وتحقيقه أن كل ماغاب بحنك فقد توارى عنك وأنت متوار عنه ، فكل ما غاب عنك فهو وراءك وأمام الشي. وقدامه إذا كان غائباً عنه متوارياً عنه فلم يبعد إطلاق لفظ ورا. عليه (والقول الثاني) يجتمل أن يكون الملك كان من ورا. الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ وهي قتل الغلام فقد أجاب العالم عنها بقوله (وأما الغلام فكان الفخر الرازي − ج ٢١ م ١١

أبواه ،ومنين) قيل ، إن ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويقدم على الافعال المنكرة ، وكان أبواه يحتاجان إلى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من يرميه بشي. من المنكرات وكان يصير ذلك سبباً لوقوعهما في الفسق. وربما أدى ذلك الفسق إلى الكفر، وقيل إنه كان صبياً إلا أن الله تعمالي علم منه أنه لو صار بالغاً لحصلت منه هذه المفاسد، وقوله (فحشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) الحشية بمعنى الخوف وغلبة الظن والله تعالى قد أباح له قتل من غلب على ظنه تولد مثل هذا الفساد منه ، وقوله (أن يرهقهما طغيانا) فيه قولان (الأول) أن يكون المراد أن ذلك الغلام يحمل أبويه على الطغيان والكفر كقوله (ولا ترهقني من أمرى عسراً) أي لاتحملي على عسر وضيق وذلك لأن أبويه لاجل حب ذلك الولد يحتاجان إلى الذب عنه ، وريما احتاجاً إلى موافقته في تلك الافعال المنكرة (والثاني)أن يكون المعنى أن ذلك الولدكان يعاشرهما معاشرة الطغاة الكفار ، فان قيل هل يجوز الإقدام على قتل الإنسان لمثل هذا الظن ؟ قلنا إذا تأكد ذلك الظرب بوحي الله جاز ثم قال تعالى (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة) أي أردنا أن يرزقهما الله تعالى ولداً خيراً من هذا الغلام زكاة أي ديناً وصلاحاً، وقيل إن ذكره الزكاة ههناعلي مقابلة قول موسى عليه السلام (أفتلت نفساً زاكية بغير نفس)فقال العالمأردنا أن يرزق الله هذين الأبوين خيراً بدلا عن ابنهما هذا ولداً يكون خيراً منه كما ذكرته من الزكاة ، ويكون المراد من الزكاة الطهارة فكأن موسى عليه السلام قال أقتلت نفساً طاهرة لأنها ما وصلت إلى حد البلوغ فكانت زاكية طاهرة من المعاصي فقال العالم إن تلك النفس وإن كانت زاكية طاهرة في الحال إلا أنه تِعالى علم منها أنها إذا بلغت أقدمت على الطغيان والكفر فأردنا أن يجعل لهما ولداً أعظم زكاة وطهارة منه و هو الذي يعلم الله منه أنه عند البلوغ لايقدم على شيء من هذه المحظورات ومن قال إن ذلك الغلام كان بالغاً قال المراد من صفة نفسه بكونها زاكية أنه لم يظهر عليه مايوجب قتله ثم قال (وأقرب رحماً) أي يكون هذا البدل أقرب عطفاً ورحمة بأبويه بأن يكون أبر بهما وأشفق عليهما والرحم الرحمة والعطف. روى أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله على بديه أمة عظيمة .

بقى من مباحث هذه الآية موضعان فى القراءة (الأول) قرأ نافع وأبو عمرو يبدلها بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك فى التحريم (أن يبدله أزواجا) وفى القلم (عسى ربنا أن يبدلنا) والباقون ساكنة الباء خفيفة الدال وهما لغتان أبدل يبدل وبدل يبدل (الثانى) قراءة ابن عامر فى إحدى الروايتين عن أبى عمرو رحماً بضم الحاء والباقون بسكونها وهما لغتان مثل نكرونكروشغل وشغل الروايتين عن أبى عمرو رحماً بضم الحاء والباقون بسكونها وهما لغتان مثل نكرونكروشغل وشغل تتحت ذلك الجدار كنز وكان ذلك ليتيمين فى تلك المدينة وكان أبوها صالحاً ولماكان ذلك الجدار مشرفا على السقوط ولو سقط لضاع ذلك الكنز فأراد الله إبقاء ذلك الكنز على ذينك اليتيمين

رعاية لحقهما ورعاية لحق صلاح أبيهما فأمرنى باقامة ذلك الجدار رعاية لهذه المصالح، وفي الآية فوائد (الفائدة الأولى) أنه تعالى سمى ذلك الموضع قرية حيث قال (إذا أتيا أهل قرية) وسماه أيضاً مدينة حيث قال (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) (الفائدة الثانية) اختلفوا في هذا الكنز فقيل إنه كان مالاٍ وهذا هو الصحيح لوجهين (الأول) أن المفهوم من لفظ الكنز هو المال (والثانى) أن قوله (ويستخرجا كنزها) يدل على أن ذلك الكنز هو المال وقيل إنه كان علماً بدليل أنه قال (وكان أبوهما صالحا) والرجل الصالح يكون كنزه العلم لا المال إذ كنز المال لا يليق بالصلاح بدليل قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا يتفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه : عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلاالله محمله رسول الله . (الفائدة الثالثة) قوله (وكان أبوهما صالحاً) يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الابناء وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الصالح سبعة آباء وعن الحسن ابن على أنه قال لبعض الخوارج في كلام جزى بينهما: بم حفظ الله مال الغلامين ؟ قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدى خير منه؟ قال قدأنبأنا الله أنكم قوم خصمون. وذكروا أيضاًأن ذلك الآب الصالح كان الناس يضعون الودا تعاليه فيردها إليهم بالسلامة، فان قيل اليتيمان هل عرف أحد منهما حصول الكنز تحت ذلك الجدار أو ماعرف أحد منهما ؟ فانكان الأول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار . وإن كان الثاني فكيف يمكنهم بعــد البلوغ استخراج ذلك البكنز والانتفاع به ؟ (الجواب) لعل اليتيمين كاما جاهلين به إلا أن وصيهما كان عالما بهثم [إن إذلك الوصي عاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط و لما قرر الغالم هذه الجوابات قال (رحمة من ربك) يعني إنما فعلت هذه الفعال لغرض أن تظهر رحمة الله تعالى لانهـــا بأسرها ترجع إلى حرف واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى كما قررناه ثم قال (وما فعلته عَن أمرى) يعني ما فعلت مارأيت من هذه الاحوال عن أمرى واجتهادى ورأى وإنما فعلته بأمر الله ووحيه لان الإقدام على تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم لايجوز إلا بالوحى والنص القاطع بتي في الآية سؤال، وهو أنه قال (فأردت أن أعيبها) وقال (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة) وقال (فأرادربك أن يبلغا أشدهها)كيف اختلفت الإضافة في هذه الإرادات الثلاث وهي كلها في قصة واحدة وفعل واحد؟ (والجواب) أنه لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه فقال أردت أن أعيبها ولماذكر القتل عبر عن نفسم بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظاء في علوم الحكمة فلم يقدم على هـذا القتل إلا لحكمة عالية ، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلىالله تعالى ، لأرب المتكفل بمصالح الا بناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى .

وَيَسْعَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتَلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكًّا ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي

ٱلْأُرْضِ وَءَاتَيْنَهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبًّا ﴿ مَا تَبْعَ سَبًّا ﴿ مَا اللَّهُ عَالَمُهُمْ اللَّهُ

قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً . إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شى. سببا فاتبع سببا ﴾ .

اعلم أن هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وفيها مسائل:

﴿ الْمَسْأَلَةُ الأُولَى ﴾ قد ذكرنا فى أول هذه السورة أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا رسول الله يَرْانِيَّةٍ عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فالمراد من قوله (ويسألونك عن ذى القرنين) هو ذلك السؤال.

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلف الناس في أن ذا القرنين من هو وذكروا فيه أقوالا : (الأول) أنه هو الاسكندر بن فيلبوس اليوناني قالوا والدليل عليه أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذى القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب بدليل قوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمثة) وأيضاً بلغ ملكه أقصى المشرق بدليل قوله (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) وأيضاً بلغ ملكه أقصى الشمال بدليل أن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال ، وبدليل أن السد المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ إنه مبنى في أقصى الشمال فهذا الانسان المسمى بذى القرنين فى القرآن قد دل القرآن على أن ملكم بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ، ومثل هذا الملك البسيط لاشك أنه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب أن يبق ذكره مخلداً على وجه الدهر وأن لا يبقى مخفياً مستنراً ، والملك الذى اشتهر فى كتب التواريح أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ليس إلا الإسكندر وذلك لأنه لمــا مات أبوه جمع ملوك الروم بعد أن كانوا طوائف ثم جمع ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى إلى البحر إلاخضر ثم عاد إلى مصر فبني الإسكندرية وسهاها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف إلى أرمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبزبر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات إلى أن قتله صاحب حرسه فاستولى الإسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الهنـد والصين وغزا الامم البعيدة ورجع إلى حراسان وبنى المدن الكثيرةورجع إلىالعراق ومرض بشهرزور ومات بها ، فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كانرجلا ملك الارض بالكلية ، أو ما يقرب منها ، وثبت بعلم التواريخ أن الذي هذا شأنه ماكان إلا الإسكندر وجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلبوس اليوناني ثم ذكروا في سبب تسميته بهذا الاسم وجوهاً : (الأول) أنه لقب بهذا اللقب لأجل بلوغه قرنى الشمس أى

مطلعها ومغربها كما لقب أردشير بن بهمن بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد (والثانى) أن الفرس قالوا إن دارا الآكبركان قد تزوج بابنة فيلبوس فلما قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردها على أبيها فيلبوس وكانت قد حملت منه بالإسكندر فولدت الإسكندر بعد عودها إلى أبيها فيقي الإسكندر عند فيلبوس وأظهر فيلبوس أنه ابنه وهوفى الحقيقة ابن دارا الآكبر قالوا والدليل عليه أن الإسكندر لما أدرك دارا بن دارا وبه رمق وضع رأسه فى حجره وقال لدارا: يا أبى أخبر فى عمن فعل هذا لانتقم لك منه! فهذا ما قاله الفرس قالوا وعلى هذا التقدير فالإسكندر أبوه دارا الآكبر وأمه بنت فيلبوس(۱) فهو إنما تولد من أصلين مختلفين الفرس والروم وهذا الذى دارا الآكبر وأمه بنت فيلبوس(۱) فهو إنما تولد من أصلين مختلفين الفرس والروم وهذا الذى قاله الفرس إنما ذكروه لانهم أرادوا أن يجعلوه من نسل ملوك العجم حتى لايكون ملك مثله من نسب غير نسب ملوك العجم وهو فى الحقيقة كذب، وإنما قال الإسكندر لدارا يا أبى على سبيل النواضع وأكرم دارا بذلك الخطاب (والقول الثاني) قال أبو الريحان الهروى(۲) المنجم فى كتابه الذى سهاه بالآثار الباقية عن القرون الخالية، قيل إن ذا القرنين هو أبو كرب شمر بن عبير بن أفريقش الحميري فانه بلغ ملكه مشارق الآرض ومغاربها وهو الذى افتخر به أحد الشعراء من قال:

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما ملكا علا فى الارض غير مفندى بلغ المشارق والمغارب يبتعى أسباب ملك من كريم سيد

ثم قال أبوالريحان ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلوأساميهم من ذى كذا كذى النادى (٣) وذى نواس وذى النون وغير ذلك (والقول الثالث) أنه كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة ، وإن كنا لانعرف أنه من هو ثم ذكروا في تسميته بذى القرنين وجوها: (الأول) سأل ابن الكوا علياً رضى الله عن ذى القرنين وقال أملك هوأم نى فقال لاملك ولا نى كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الآيمن في طاعة الله فالت ثم بعثه الله فضرب على قرنه الآيسر في الت فبعثه الله فسمى بذى القرنين وملك ملك (الثانى) سمى بذى القرنين لآنه انقرض في وقتة قرنان من الناس (الثالث) قيل كان صفحتا من النبي يتلقي سمى ذا القرنين لآنه طاف قرنى الدنيا يمنى شرقها وغربها (السابع) كان له قرنان أى صفير تأن (الثامن) أن الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه و بمده ألفلمة من وراثه (التاسع) يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينظح أقرانه (العاشر) رأى في المنام كأنه صعد الفلك فتعلق بطرفى الشمس وقرنيها وجانبها فسمى

⁽١) رسم فى الأصل فى كل مرة مكذا (فيلقوس) بالقاف بمدها واو . ورأيته فى أخبار الدول القرمانى كذلك ، والصواب بالباء لان القاف لاتوجد فى لغة اليونان والروم وإذا أعجمت كلة فيها قاف أبدلتها (كافا) .

 ⁽۲) أبو الريحان الهروى هو المشهور بالبيروني مؤرخ وفلكي ومنجم وجغرافي محقق
 (۳) لعله ذو المناد

لهذا السبب بذى القرنين (الحادى عشر) سمى بذلك لابه دخل النور والظلة (والقول الرابع) أن ذا القرنين ملك من الملائكة عن عرأنه سمع رجلا يقول باذا القرنين فقال اللهم اغفر (۱) أما رضيتم أن تسموا بأسهاء اللائكة! فهذا جملة ما قيل في هذا الباب، والقول الأول أظهر لاجل الدليل الذي ذكرناه وهو أن مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال عند أهل الدنيا والذي هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو الإسكندر فوجب أن يكون المراد بذى القرنين هو هو إلا أن فيه إشكالا قوياً وهو أنه كان تليذ أرسططاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسططاليس حق وصدق وذلك بما لاسبيل اليه والله أعلم.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اختلفوا في ذي القرنين هلكان من الآنبياء أم لا؟ منهم من قال إنه كان نبيا واحتجوا عليه بوجره: (الأول) قوله (إنا مكنا له في الأرض) والأولى حمله على التمكين في الدين والتمكين الكامل في الدين هو النبوة (والثاني) قوله (وآتيناه من كل شيء سبباً) هو أنه تعالى آتاه في ومن جملة الأشياء النبوة فمقتضي العموم في قوله (وآتيناه من كل شيء سبباً) هو أنه تعالى آتاه في النبوة سبباً (الثالث) قوله تقالى (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) والذي يتكلم الله معه لابد وأن يكون نبياً ومنهم من قال إنه كان عبداً صالحاً وماكان نبياً.

﴿ المسألة الرابعة ﴾ في دخول السين في قوله (سأتلوا) معناه إني سأفعل هذا إن وقفني الله تعالى عليه وأنول فيه وحياً وأخبر في عن كيفية تلك الحال، وأما قوله تعالى (إنا مكنا له في الأرض) فهذا التمكين يحتمل أن يكون المراد منه التمكين بسبب النبوة ويحتمل أن يكون المراد منه التمكين بسبب النبوة بسبب الملك من حيث إنه ملك مشارق الأرض, ومغاربها والأول أولى لأن التمكين بسبب النبوة أعلى من التمكين بسبب الملك وحمل كلام الله على الوجه الأكمل الأفضل أولى ثم قال (وآتيناه من كل شيء سبباً) قالوا السبب في أسل اللمة عبارة عن الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود وهو يتناول العلم والقدرة والآلة فقوله (وآتيناه من كل شيء سبباً) معناه أعطيناه من كل شيء من الأمورالتي يتوصل بها إلى تحصيل ذلك الشيء ثم إن الذين قالوا إنه كان نبياً قالواً من جملة الأشياء النبوة فهدنه الآية تدل على أنه تعالى أعطاه الطريق الذي به يتوصل إلى تحصيل النبوة، والذين أنكروا كونه نبياً قالوا المراد به وآتيناه من كل شيء يحتاج اليه في إصلاح ملكه سبباً، إلا أن لقائل أن يقول إن تخصيص العموم خلاف الظاهر فلا يصار اليه إلا بدليل، ثم قال (فأتبع سبباً) ومعناه أنه تعالى لما أعطاه من كل شيء سببه فاذا أراد شيئاً أتبع سبباً يوصله اليه ويقربه فاتبع بقطع الألف وسكون التاء عففة.

⁽١) الصواب اللهم غفراً ،

قوله تعالى : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمَّة ووجد عندها قوما ، قانا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول لهمن أمر نايسرا ﴾ إعلم أن المعنى أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغه ، أما قوله (وجدها تغرب فى عين حمَّة) ففيه مباحث :

﴿ الأول ﴾ قرأ ابن عامر وحزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم فى عين حامية بالألف من غير همزة أى حارة ، وعن أبى ذر ، قال كنت رديف رسول الله يتاليج على جمل فرآى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ قلت : ألله ورسوله أعلم ، قال فانها تغرب فى عين حامية ، وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر ، والباقون حمثة ، وهى قراءة ابن عباس واتفق أن ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية حامية بألف فقال ابن عباس حمثة ، فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ؟ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ، ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب ؟ قال فى ما وطين كذلك نجده فى التوراة ، والحمثة ما فيه ما ، وحمأة سودا ، واعلم أنه لاتنافى بين الحمثة والحامية ، فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعاً .

ر البحث الثانى ﴾ أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السهاء محيطة بها ، ولا شك أن الشمس فى الفلك ، وأيضاً قال (ووجد عندها قوما) ومعلوم أن جلوس قوم فى قرب الشمس غير موجود ، وأيضاً الشمس أكبر من الارض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض ، إذا ثبت هذا فنقول : تأويل قوله (تغرب فى عين حمئة) من وجوه (الاول) أن ذا القرنين لما بلغ موضعها فى المغرب ولم يبق بعده شىء من العارات وجد الشمس كانها تغرب فى عين وهدة مظلة وإن لم تكن كذلك فى الحقيقة كما أن راكب البحريرى الشمس كانها تغيب

في البحر إذا لم ير الشط وهي في الجقيقة تغيب ورا. البحر ، هذا هو التأويل الذي ذكره أبؤ على الجبائي فى تفسيره (التاني) أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار ، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي أيضا حمَّة لكثرة ما فيها من الحمَّاة السودا. والما. فقوله (تغرب في عين حمَّة) إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة (الثالث) قال أهل الاخبار إن الشمس تغيب في عين كثيرة الما. والحأة وهذا في غاية البعد، وذلك لانا إذا رصدنا كسوفا قمرياً فاذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا حصل هذا الكسوف في أول الليل ورأينا المشرقيين قالوا حصل في أول النهار فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ، ووقت الضحوة في بلد ثالث . ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ، ونصف الليل في بلد خامس، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار. وعلمنا أرب الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال إنها تغيب في الطين والحأة كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة ، فلم يبق إلا أن يصار إلى التأويل الذي ذكرناه ثم قال تعالى (ووجد عندها قوما) الضمير في قوله عندها إلى ما ذا يعود ؟ فيه قولان (الأول) أنه عائد إلى الشمس ويكون التأنيث للشمس لأن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس (والقول الثاني) أن يكون الضمير عائدا إلى العين الحامية، وعلى هذا القول فالتأويل ماذكرناه، ثم قال تعالى (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) وفيه مباحث :

﴿ الأول ﴾ أن قوله تعالى (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) يدل على أنه تعالى تكلم معه من غير واسطة ، وذلك يدل على أنه كان نبياً وحمل هذا اللفظ على أن المراد أنه خاطبه على ألسنة بعض الانبياء فهو عدول عن الظاهر .

﴿ البحث الثانى ﴾ قال أهل الآخبار في صفة ذلك الموضع أشياء عجيبة ، قال ابن جريج هناك مدينة لها إثنا عشر ألف باب لو لا أصوات أهلها سمع الناس وجبّة الشمس حين تغيب .

(البحث الثالث) قوله تعالى (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) يدل على أن سكان آخر المغربكانوا كفاراً فير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم وهذا التخيير على معنى الإجتهاد فى أصلح الامرين كما خير نبيه عليه السلام بين المن على المشركين وبمين انتلهم، وقال الاكثرون هذا التعذيب هو القتل، وأما اتخاذ الحسنى فيهم فهو تركهم أحياء، ثم قال ذو القرنين (أما من ظلم نفسه) أى ظلم نفسه بالإقامة على الكفر. والدليل على أن هذا هو المراد أنه ذكر فى مقابلته (وأما من آمن وعمل نفسه بالإقامة على الكفر. والدليل على أن هذا هو المراد أنه ذكر فى مقابلته (وأما من آمن وعمل

ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبًّا ﴿ مَنَّى حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمِ

لَّمْ نَجْعَل لَّمُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿ إِنَّ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿ اللَّهِ

صالحًا) ثم قال (فسوف نعذبه) أى بالقتل في الدنيا (ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً) أي منكرًا فظيعاً ﴿ وَأَمَا مِن آمِن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ﴾ قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم (جزاء الحسني) بالنصب والتنوين والباقون بالرفع والإضافة ، فعلى القراءة الأولى يكون التقدير فله الحسني جزاء كما تقول لك هذا الثوب هبة ، وأما على القراءة الثانية فني التفسير وجهان (الأول) فله جزا. الفعلة الحسني والفعلة الحسني هي الإيمان والعمل الصالح (والثاني) أن يكون التقدر فله جزاء المثوبة الحسني ويكون المعنى فله ذا الجزاء الذي هو المثوبة الحسني والجزاء موصوف بالمثوبة الحسني وإضافة الموصوف إلى الصفة مشهورة كقوله (ولدار الآخرة)و(حق اليقين) ثم قال (وسنقول له من أمرنا يسرآ) أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل الميسر من الزكاة والخراج وغيرهما وتقدير هذا يسر كقوله (قولا ميسوراً) وقرى. يسرأ بضمتين . قوله تعالى : ﴿ ثُمَ أَتَبِعِ سَبِياً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من

من دونها سترا. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ﴾

إعلم أنه تعالى لما بين أولا أنه قصد أقرب الأماكن المسكونة من مغرب الشمس أتبعه ببيان أنه قصد أقرب الاماكن المسكونة من مطلع الشمس فبين الله تعـالى أنه وجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً وفيه قولان (الاول) أنه ليس هناك شجر ولا جبل ولا أبنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم فلهـذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في إسراب واغلة في الارض أو غاصوا في الما. فيكون عند طلوع الشمس يتعــذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش حالهم بالضد من أحوال سائر الحلق (والقول الثانى) أن معناه أنه لاثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً ويقال في كتب الهيئة إن حال أكثر الزيج كذلك وحالكل من يسكن البلاد القريبة من خط الاستوا. كذلك وذكر في كتب التفسير أنَّ بعضهم قال سافرت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم ، فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه الواحدة ويلبس الآخرى ولمسا قرب طلوع الشمس شمعت كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلسا طلعت الشمس إذا هي فوق الما.كميئة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار جعلوا يصطادونالسمك ويطرحونه في الشمس فينضج ثم قال تعالى (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً) وفيـه وجوه (الأول) أي كذلك فعل ذو القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من

مُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿ إِنَّ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدِّينِ وَجَدَمِن دُونِهِ مَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ١٥ قَالُواْ يَنذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلَ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا ﴿ قَالَ مَا مَكَنِي فِيهِ رَبِي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُرْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا نَفِي

الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به (والثاني) كذلك جعل الله أمر هؤلاء القوم على ما قد أعلم رسوله عليه السلام في هذا الذكر (والثالث) كذلك كانت حالته مع أهل المطلع كما كانت مع أهل المغرب، قضى في هؤلاء كما قضى في أولئك ، من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين . (والرابع) أنه تم الكلام عند قوله كذلك والمعنى أنه تعالى قال أمر هؤلاً. العوم كما وجدهم عليه ذو القرنين ثم قال بعده (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى كنا عالمين بأن الامر كذلك.

قوله تعالى : ﴿ ثُمُ أَتَبِعُ سَبِّياً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولاً ، قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكني فيه ربى خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ﴾

اعلم أن ذا القرنين لما بلغ المشرق والمغرب اتبع سبباً آخر وسلك الطريق حتى بلغ بين السدين ، وقد آتاه الله من العلم والقدرة مايقوم بهذه الأمور ، وههنا مباجث :

﴿ الْأُولَ ﴾ قرأ حمزة والمكسائى السدين بضم السين وسداً بفتحها حيث كان ، وقرأ حفص عن عاصم بالفتح فيهما في كل القرآن، وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بالضم فيهما فى كل القرآن ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السدين وسداً ههنا بفتح السين فيهما وضمها فى يس فى الموضعين قال الكسائى هما لغتان ، وقيل ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بفتح السين ، وما كان من صنع الله فهو السدّ بضم السين والجمع سدد، وهو قول أبى عبيدة وابن الآنبارى، قال صاحب الكشاف السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو بما فعله الله وخلقه ، والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس.

﴿ البحث الثانى ﴾ الأظهر أن موضع السدين في ناحية الشمال، وقيل جبلان بين أرمينية وبين أذربيجان، وقيل هذا المكان في مقطع أرض الترك، وحكى محمد بن جرير الطبرى في تاويخه أن صاحب أذربيجان أيام فتحها وجه إنسانا اليه من ناحية الحزر فشاهده ووصف أنه بنيان رفيع وراء خندق عيق وثيق منيع ، وذكر ابن خردا [ذبة] في كتاب المسالك والمالك أن الواثق بالله رآى في المنام كا نه فتح هذا الردم فبعث بعض الحدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل، ثم إن ذلك الإنسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل على البقاع المحاذية لسمر قند ، قال أبو الريحان مقتضى هذا أن موضعه في الربع الشمالي الغربي من المعمورة ، والله أعلم بحقيقه الحال.

(البحث الثالث) أن ذا القرنين لما بلغ ما بين السدين وجد من دونهما أي من ورائهما بحاوزاً عنهما (قوما) أى أمة من الناس (لايكادون يفقهون قولا) قرأ حزة والكسائى يفقهون بعثم الياء وكسر القاف على معنى لايمكنهم تفهيم غيرهم والباقون بفتح الياء والقاف، والمعنى أنهم لا يعرفونغير لغة أنفسهم وماكانوا يفهمون اللسان الذي يتكلم به ذو القرنين عنم قال تعالى (قالوا ياذا القرنين إن يأجوح ومأجوج مفسدون في الارض) فان قبل كيف فهم ذو القرنين منهم هذا الكلام بعد أن وصفهم الله بقوله (لايكادون يفقهون قولا) والجواب أن نقول كاد فيه قولان (الأول) أن إثباته نني ، ونفيه إثبات ، فقوله (لايكادون يفقهون قولا) لا يدل على أنهم لا يفهمون على مشقة وصعوبة (والقول الثاني) أن كاد ممناه المقاربة ، وعلى هذا القول فقوله (لايكادون يفقهون قولا) أي لا يعلمون وليس لهم قرب من أن يفقهوا ، وعلى هذا القول فلا بد من إضار ، وهو أن يقال لايكادون يفهمونه إلا بعد تقريب ومشقة من إشارة ونحوها ، وهذه الآية تصلح أن يحتج بها على صحة القول الأول في تفسيركاد .

و البحث الرابع ﴾ في يأجوج ومأجوج قولان (الأول) أنهما إسمان أعجميان موضوعان بدليل منع الصرف (والقول الثانى) أنهما مشتقان ، وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمز . وقرأ الباقون يأجوج وماجوج ، وقرى في رواية آجوج ومأجوج ، والقاتلون بكون هذين الإسمين مشتقين ذكروا وجوها (الأول) قال الكسائي يأجوج مأخوذ من تأجج النار وتلبها فلسرعتهم في الحركة سموا بذلك ومأجوج من موج البحر (الثانى) أن يأجوج مأخوذ من قولهم أج الظلم في مشيه ملوحته فلشدتهم في الحركة سموابذلك (الثالث) قال القتيبي هو مأخوذ من قولهم أج الظلم في مشيه يشجأجاً إذا هرول وسمعت حفيفه في عدوه (الرابع) قال الخليل الآج حب كالعدس والمج بح الريق فيحتمل أن يكونا مأخوذين منهما واختلفوا في أنهمامن أى الأقوام فقيل إنهمامن النرك وقيل الريق فيحتمل أن يكونا مأخوذين منهما واختلفوا في أنهمامن أى الأقوام فقيل إنهمامن النرك وقيل (يأجوج) من النرك (ومأجوج) من الجيل والديلم ثم من الناس منوصفهم بقصر القامة وصفر المختة بكون طول أحدهم شبراً ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجئة وأثبتوا لهم مخاليب في

وَاتُونِي ذُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُواْحَتَى إِذَا جَعَلَهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

الاظفار وأضراساً كأضراس السباع واختلفوا فى كيفية إفسادهم فى الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل كانوا يأكلون لحوم الناس وقيـل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لهم شيئاً أخضر وبالجلة فلفظ الفساد محتمل لسكل هذه الاقسام والله أعلم بمراده ، ثم إنه تعمالي حكى عن أهل ما بين السدين أنهم قالوا لذى للقرنين (فهل نجعل لك خرحاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) قرأ حمزة والكسائىخراجاً والباقونخرجا قيل الحراج والخرج واحد، وقيل هما أمران متغايران، وعلى هذا القول اختلفوا قيل الخرج بغير ألف هو الجعل لآن الناس يخرج كل واحد منهم شيئاً منه فيخرج هذا أشياء وهذا أشياء ، والخراج هو الذي يجبيه السلطان كل سنة . وقال الفراء الخراج هوالإسم الاصلى والخرج كالمصدر وقال قطربالخرج الجزية والخراج فى الارضفقال ذوالقرنين (ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى) أى ما جعلى مكيناً من المــال الـكـثـير واليسار الواسع خير بمــا تبذلون من الخراج فلا حاجة بى إليه ، وهو كما قال سليمان عليه السلام (فما آنانى الله خير مما آتاكم) قرأ ابنكثير (ما مكنني) بنونين على الإظهار والباقون بنون واحدة مشددة على الادغام، ثم قال ذو القرنين (فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً) أي لاحاجة لي في مالكم ولكن (أعينونى) برجال وآلة أبنى بها السد، وقيـل الممنى (أعينونى) بمـال أصرفه الى هذا المهم ولا أطلب المال لآخذه لنفسي ، والردم هو السديقال ردمت الباب أي سددته وردمت الثوب رقعته لانه يسد الخرق بالرقعة والردم أكثر من السد من قولهم ثوب مردوم أى وضعت عليه رقاع . قوله تعالى : ﴿ آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطراً . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ، قال هذا رحمة من ربي فاذا جا. وعد ربي جعله دكا. وكان وعد ربي حقاً ﴾.

اعلم أن (زبر الحديد) قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة قراءة الحميع آتونى بربر عدرة فانه قرأ اثنونى من الإتيان ، وقد روى ذلك عن عاصم والتقدير اثنونى بربر الحديد ثم حذف الباء كقوله شكرته وشكرت له وكفرته وكفرت له ، وقوله (حتى إذا ساوى

وَرُ كُنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَبِ لِي يَمُوجُ فِي بَعْضِ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَحَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ١

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمُ يَوْمَهِذِ لِلْكُنْفِرِينَ عَرْضًا ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآهِ عَنْ

ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (اللهُ

بين الصدفين) فيه إضهار أى فأتوه بها فوضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ عليها حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلداً ، واعلم أن هذا معجز قاهر لآن هذه الزبر الكثيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها ، والنفخ عليها لا يمكن إلا مع القرب منها ، والنفخ عليها لا يمكن والله مع القرب منها ، والنفخ عليها لا يمكن قال صاحب الكشاف قيل بعد ما بين (السدين) مائة فرسخ (والصدفان) بفتحتين جانبا الجبلين قال صاحب الكشاف قيل بعد ما بين (السدين) مائة فرسخ (والصدفان) بفتحتين جانبا الجبلين النحاس المذاب لآنه يقطر ، وقوله (قطر ا) منصوب بقوله (أفرغ) و تقديره آتونى قطراً (أفرغ عليه قطراً) فخذف الآول لدلالة الثانى عليه ثم قال (فا اسطاعوا) فخذف التاء للخفة لآن التاء قريء المخرو عليه لأجل ارتفاعه وملاسته ولا على نقبه لأجل صلابته وثخانه ، ثم قال ما قدروا على الصعود عليه لأجل ارتفاعه وملاسته ولا على نقبه لأجل صلابته وثخانه ، ثم قال عباده أوهذا الاقتدارواليمكين من تسويته (فاذا جاء وعدربي) يعنى فاذا دنا بحيء القيامة جعل السد كا أى مدكوكا مسوى بالأرض . وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد الذك وقرى و دكاء بالمد أى دكا أى مدكوكا مسوى بالأرض . وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد الذك وقرى و دكاء بالمد أى ما أنهن و دكاء بالمد أى مدكوكا مسوى بالأرض . وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد الذك وقرى و دكاء بالمد أى ما أنبسط بعد الارتفاع فقد الذك وقرى و دكاء بالمد أى ما أنبسط بعد الارتفاع فقد الذك وقرى و دكاء بالمد أى ما أنبسط بعد الارتفاع فقد الذك وقرى و دكاء بالمد أى مدكوكا مسوى بالأرض . وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد الذك و قرى دكاء بالمد أى ما أنبس حكول ما أنبس حكول المناب حكول ا

قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكّنَا بِعَضِهِم يُومَدُ يُمُوجٍ فَى بِعَضَ وَ نَفْحُ فَى الصّورَ فِجْمَعْنَاهُم جَمّاً ، وعرضنا جَهِم يُومَدُ للكَافَرِينَ عَرضاً ، الذين كانتاعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سيا ﴾ اعلم أن الضمير فى قوله بعضهم عائد إلى (يأجوج ومأجوج) وقوله (يومئذ) قيه وجوه : (الأول) أن يوم السد ماج بعضهم فى بعض خلفه لما منعوا من الخروج (الشاف) أن عند الخروج يموج بعضهم فى بعض قيل إنهم حين بخرجون من وراء السد يموجون مزد حمين فى البلاد يأتون البحر فيشربون ماه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ويأكلون لحوم الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم حيوانات فندخل آذانهم فيموتون . (والقول الثالث) أن المراد من قوله (يومئذ) يوم القيامة وكل ذلك محتمل إلا أن الأقرب أن

أَلْحَسِبَ الذِينَ كَفَرُواْ أَن يَنْخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِيَ أُولِيَا ۚ إِنَّا أَعْدَدُنَا جَهَنَّمَ لِلْكُفِرِينَ أَعْمَالُانَ الَّذِينَ جَهَنَّمَ لِلْأَخْسِرِينَ أَعْمَالُونَ الَّذِينَ جَهَنَّمَ لِلْأَخْسِرِينَ أَعْمَالُونَ الَّذِينَ صَلَّ اللهِ الْمُعَيَّمُ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صَنْعًا فَيْ أَوْلَتُهِكَ الَّذِينَ صَلَّ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ ال

المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السد دكا فعنده ماج بعضهم فى بعض وبعده نفخ فى الصور وصار ذلك من آيات الفيامة ، والكلام فى الصور قد تقدم وسيجى من بعد ، وأما عرض جهنم وإبرازه حتى يصير مكشوفاً بأهواله فذلك يجرى بجرى عقاب الكفار لما يتداخلهم من الغم العظيم ، وبين تعالى أنه يكشفه للكافرين الذين عموا وصموا ، أما العمى فهو المراد من قوله (كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) والمرادمنه شدة انصرافهم عن قبول الحق ، وأما الصمم فهوالمراد من قوله (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) يعنى أن حالتهم أعظم من الصمم لأن الأصم قد يستطيعون سمعاً) إذا صبح به وهؤلا وزالت عنهم تلك الاستطاعة واحتج الأصحاب بقوله (وكانوا لا يستطيعون سمعاً) على أن الاستطاعة مع الفعل وذلك لامهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا ، قال القاضى المراد منه نفرتهم عن سماع ذلك الكلام واستثقالهم إياه كقول الرجل لا أستطيع النظر إلى فلان .

قوله تعالى : ﴿ أَحْسَبُ الذِن كَفَرُوا أَنْ يَتَخَذُوا عَادَى مِنْ دُونِى أُولِياً. إِنَا أَعْتَدَنَا جَهُمُ للكَافَرِينَ نزلاً . قَلَ هُلَ نَنْبُكُمُ بِالْآخِسِينَ أَعَمَالًا . الذين صَلَّ سَعِيمٍ فَى الحَيَاةُ الدُنيا وَجَمْ يَحْسُونَ أَنْهُم يحسنون صنعاً . أُولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أنه تعالى لما بين من حال الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن استماع ماجاء به الرسول أتبعه بقوله (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أوليا.) والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع إعراضهم عن تدبر الآيات وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله وهو استفهام على سبيل التوبيخ.

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرأ أبو بكر ولم يرفعه إلى عاصم (أفحسب الذين كفروا) بسكونالسين ورفع الباء. وهي من الاحرف التي خالف فيها عاصها، وذكر أنه قراءة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وعلى هذا التقدير فقوله حسب مبتدأ، أن يتخذوا خبر، والمعنى أفكافيهم وحسبهم أن يتخذوا كذا وكذا، وأما الباقون فقرأوا أفحسب على لفظ المماضى، وعلى هذا التقدير ففيه حذف والمعنى: أفحسب الذين كفروا انتخاذ عبادى أولياء نافعاً.

- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ في العباد أقوال قيل أراد عيسى والملائكة ، وقيل هم الشياطين يوالونهم ويطيعونهم ، وقبل هي الأصنام سمام عباداً كقوله (عباد أمثالكم) ، ثم قال تعالى (إنا أعتدنا جهنم الكافرين نزلا) وفي النزل قولان (الأول) قال الزجاج إنه المأوى والمنزل (والثانى) أنه الذي يقام للنزيل وهو الضيف ، ونظيره قوله (فبشرهم بعذاب أليم) ثم ذكر تعالى ما نبه به على جهل القوم فقال (قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا . إلذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) قيل إنهم مم الرهبان كقوله تعالى (عاملة ناصبة) وعن مجاهد أهل الكتاب وعن على أن ابن الكواء سأله عنهم فقال هم أهل حروراء والأصل أن يقال هو الذي يأتى بالإعمال يظنها طاعات وهي في أنفسها معاصى وإن كانت طاعات لكنها لاتقبل منهم لأجل كفرهم فأولئك إنما أتوا بتلك الإعمال لرجاء الثواب ، وإنما أتعبوا أنفسهم فيها لطلب الإجروالفوز يوم القيامة فاذا لم يفوزوا بمطالبهم بين أنهم كانوا ضائين ، ثم إنه تعالى بين صنعهم فقال (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فيطت أعمالهم) وفيه مسألتان :
- ﴿ المسألة الأولى ﴾ لقاء الله عبارة عن رؤيته بدليل أنه يقال لقيت فلاناً أى رأيته ، فان قيل اللقاء عبارة عن الوصول ، قال تعالى (فالتقى الماء على أم قد قدر) وذلك فى حق الله تعالى عال ، فوجب حمله على لقاء ثواب الله ، والجواب أن لفظ اللقاء ، وإن كان فى الاصل عبارة عن الوصول والملاقاة إلا أن استعاله فى الرؤية بجاز ظاهر مشهور ، والذى يقولونه من أن المراد منه لقاء ثواب الله فهو لايتم إلا بالإضهار ، ومن المعلوم أن حمل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور أولى من حمله على ما يحتاج معه إلى الإضهار .
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ استدلت المعتزلة بقوله تعالى (فيطت أعمالهم) على أن القول بالإحباط والتكفير حق ، وهذه المسألة قد ذكر ناها بالاستقصاء فى سورة البقرة فلا نعيدها ، ثم قال تعالى (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) وفيه وجوه (الأول) أنا نزدرى بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار (الثانى) لانقيم لهم ميزانا لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات (الثالث) قال القاضى إن من غلبت معاصيه صار مافى فعله من الطاعة كأن لم يكن فلا يدخل فى الوزن شى. من طاعته ، وهذا التفسير بناء على قوله بالإحباط والتسكفير ، ثم قال تعالى (ذلك جزاؤهم جهنم) فقوله (ذلك) أى ذلك الذى ذكرناه وفصلناه من أبواع الوعيد هو جزاؤهم على أعمالهم الباطلة ، وقوله (جهنم) عطف بيان لقوله (جزاؤهم) من أبواع الوعيد هو جزاؤهم على اعمالهم الباطلة ، وقوله (جهنم) عطف بيان لقوله (جزاؤهم) من أبواع الوعيد هو جزاؤهم على بحموع أمرين (أحدهما) كفرهم (الثانى) أنهم أضافوا الى

إِنَّ ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَفُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُولًا

الله خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِولًا الله

الكفر أن اتخذوا آيات الله واتخذوا رسله هزواً ، فلم يقتصروا على الرد عليهم وتكذيبهم حتى الستهزأوا بهم .

قوله تعالى : ﴿ إِنِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا عالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾ في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد أتبعه بالوعد، ولما ذكر فى الكفار أن جهنم نزلهم، أتبعه بذكر مايرغب فى الإيمان والعمل الصالح. فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردس نزلا).

﴿ المسألة الثانية ﴾ عطف عمل الصالحات على الإيمان والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وذلك يدل على أن الاعمال الصالحة مغايرة للايمان.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ عن قتادة الفردوس وسط الجنة وأفضلها ، وعن كعب ليس فى الجنان أعلى من جنة الفردوس ، وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال د الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعية والفردوس من فوقها ، فإذا سألتم الله الجئة فاسألوه الفردوس فإن فوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة » ·

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال بعضهم إنه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم إذاأعطى النزل أولا فلابد أن يتبعه بالحتلفة وليس بعد الجنة بكليتها إلا رؤية الله، فإن قالوا أليس أنه تعالى جعل فى الآية الأولى جلة جهنم نزلا الكافرين ولم يبق بعد جملة جهنم عذاب آخر، فكذلك ههنا جعل جملة الجنة نزلا للمؤمنين مع أنه ليس له شى. آخر بعد الجنة ، والجواب قلنا للكافر بعد حصول جهنم مرتبة أعلى منها وهو كونه محجوباً عن رؤية الله كما قال تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم) فجعل الصلاء بالنار متأخراً فى المرتبة عن كونه محجوباً عن الله ، ثم قال تعالى (لا يبغون عنها حولا) الحول التحول ، يقال حال من مكانه حولا كقوله عاد فى حبها عودا يعنى لا مزيد على سعادات الجنة وخيراتها حتى يريد أشياء غيرها ، وهذا الوصف يدل على غاية الكال لآن الإنسان فى الدنيا إذا وصل إلى أى درجة كانت فى السعادات فهو طامع الطرف إلى ما هو أعلى منها .

عُل لَوْكَانَ ' ٱلْبَحْرُ مِدَادُا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدُ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْجِنْنَا بِمِثْلِهِ عَدَدُانَ فَلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَى أَنَّا إِلَنْهُكُمْ إِلَنَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآةً رَبِّهِ عَلَيْعَمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ } أَحَدًا فَ

قوله تعالى : ﴿ قُلُ لُو كَانُ البحر مداداً لكلمات ربي ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلسات ربي رلو جثنا بمثله مدداً ، قل إنمـا أنا بشر مثلـكم يوحى إلى أنمـا إلهـكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وفي الآية مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبينات وشرح اقاصيص الاولين نبه على كمال حال القرآن فقال : ﴿ قُلُ لُو كَانَ البَّحْرُ مُدَادًا لَكُلَّمَاتُ رَبِّي ﴾ والمداد اسم لما تمد به الدواة من الحبر ولما يمد به السراج من السليط ، والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قيل أن تنفد الكلمات ، و تقرير الكلام أن البحار كيفها فرضت في الاتساع والعظمة فهي متناهية ومعلومات الله غير متناهية والمتناهي لا يني البتة بغير المتناهي ، قرأ حمزة والكسائى ينفد بالياء لتقدم الفعل على الجمع والباقون بالتاء لتأنيث كلمات ، وروى أن حيى بن أخطب قال : فى كتابكم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) ثم تقرأون (وما أو تيتم من العلم إلا قليلا) فنزلت هذه الآية يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحركلمات الله .

﴿ المسألة الثانية ﴾ احتج المخالفون على الطعن في قول أصحابنا أن كلام الله تعالى واحد بهذه الآية ، وقالوا إنها صريحة في أثبات كلمات الله تعـالي وأصحابنا "حملوا الكلمات على متعلقات علم الله تعالى ، قال الجبائى : وأيضا قوله (قبل أن تنفدكلمات ربى) يدل على أن كلمات الله تعالى قد تنفد فى الجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه ، وأيضاقال : (ولو جئنا بمثله مدداً) وهذا يدل على أنه تعالى قادر على أن يجي. بمثل كلامه والذي يجا. به يكون محدثا والذي يكون المحدث مثلاً له فهو أيضاً محدث وجواب أصحابنا أن المراد منه الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية ، واعلم أنه تعالى لمــا بين كمال كلام الله أمر محمدا عِيَالِيَّةِ بأن يسلك طريقة النواضع فقال: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) أى لا امتياز بيني وبينكم في شي. من الصفات إلا أن الله تعالى أوحى إلى أنه لا إله الله الواحد الأحد الصمد، والآية تدل على مطلوبين : (الأول) أن كلة (إنمـــا) تفيد الحصر الفخر الرازي - ج ٢١ م ١٢

(۱۹) سِنُوَلِعٌ مِنَ لَمُرَكِيَة وَأَرْيُكَا لِهَا لَمِنَكَا فِي الْمُرْكِانِ وَلِينَاعِوْنَ عَلَيْنَا فِي الْمُرْكِانِ الْمُؤْكِلِينَا فِي الْمُرْكِانِي وَلِينَاعِوْنَ عَلَيْنَا فِي الْمُؤْكِلِينَا فِي الْمُرْكِلِينَا فِي الْمُرْكِلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِي وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينِ وَلِينِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْكِلِينِ وَلِينِي الْمُؤْلِينِ وَلِينِ وَالْمُؤْلِقِينِ وَلِينَا فِي الْمُؤْلِقِينِ وَلِي الْمُؤْلِقِيلِي الْمُؤْلِقِيلِي الْمُؤْلِقِيلِي الْمُؤْلِقِينِ وَلِي الْمُؤْلِقِيلِي الْمُؤْلِقِيلِ

تهيعض ١

وهى قوله (أنما إلهكم إله واحد). (والنانى) أن كون الإله تعالى (إلها واحداً) يمكن إثباته بالدلائل السمعية، وقد قررنا هذين المطلوبين في سائر السور بالوجوه القوية، ثم قال: (فن كان يرجو لقاء ربه) والرجاء هو ظن المنافع الواصلة اليه والحوف ظن المضار الواصلة اليه، وأصحابنا علوا لقاء الرب على رؤيته والمعترلة حملوه على لقاء ثواب الله وهذه المناظرة قد تقدمت والمجب أنه تعالى أورد فى آخر هذه السورة ما يدل على حصول رؤية الله فى ثلاث آيات: (أولها) قوله (والئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه). (وثالثها) قوله (كانت لهم جنات الفردوس نزلا) ورثالثها) قوله (فن كان يرجو لقاء ربه) ولا بيان أقوى من ذلك ثم قال (فليعمل عملا صالحاً) وقد يؤتى به للرياء والسمعة لاجرم اعتبرفيه قيدان: أن يؤتى به قله ، وأن يكون مبراً عن جهات الشرك ، فقال (ولايشرك بعبادة ربه أحدا). قيل نزلت هذه الآية فى جندب بنزهير قال لرسول الشرك ، فقال (ولايشرك بعبادة ربه أحدا). قيل نزلت هذه الآية فى جندب بنزهير قال لرسول لا يقبل ماشورك فيه » وروى أيضاً أنه قال له « لك أجران أجرالسر وأجر العلانية عمل الواية على ما إذا قصد أن الأولى محمولة على ما إذا قصد بعمله الرياء والسمعة ، والرواية الثانية محمولة على ما إذا قصد أن يقتدى به ، والمقام الأول مقام المبتدئين ، والمقام الثانى مقام الكاملين والحد لله رب العالمين ، والمقام الأولى عبدنا محمولة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قال المصنف رضى الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفرسنة اثنتين وستهائة فى بلدة غزنين؛ ونسأل الله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، أن يخصنا بالمغفرة والفضل فى يوم الدين، إنه ذو الفضل العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَبِيمِسٍ ﴾ قبل الحوض في القراءات لا بد مر . مقدمات ثلاثة (المقدمة الأولى)

أن حروف المعجم على نوعين ثنائى وثلاثى، وقيد جرت عادة العرب أن ينطقوا بالثنائيات مقطوعة ممالة فيقولوا باتا ثا وكذلك أمثالها ، وأن ينطقوا بالثلاثيات التي في وسطها الالف مفتوحة مشبعة فيقولوا دال ذال صاد ضاد وكذلك أشكالها ، أما الزاي وحده من بين حروف المعجم فعتاد فيه الأمران، فان من أظهر ياءه في النطق حتى يصير ثلاثياً لم يمله، ومن لم يظهر ياءه في النطق حتى يشبه الثنائي يمله (أما المقدمة الثانية) ينبغي أن يعلم أن إشباع الفتحة في جميع المواضع أصل والإمالة فرع عليه ولهذا يجوز إشباع كل ممال ولا يجوز إمالة كل مشبع من الفتحات (المقدمة الثالثة) للقراء في القراءات المخصوصة بهذا الموضع ثلاثة طرق (أحدها) أن يتمسكوا بالأصل وهو إشباع فتحة الها. واليا. (وثانيها) أن يميلوا الها. واليا. (وثالثها) أن يجمعوا بين الأصل والفرع فيقع الاختلاف ببن الها. واليا. فيفتحوا أحدهما أيهماكان ويكسروا. الآخر ولهم في السبب الموجب لهذا الاختلاف قولان (الأول) أن الفتحة المشبعة أصل والإمالة فرع مشهور كثير الاستعال فأشبع أحدهما وأميل الآخر ليكون جامعاً لمراعاة الاصل والفرع وهو أحسن من مراعاة أحدهما وتضييع الآخر (القول الثاني) أن الثنائية من حروف المعجم إذا كانت مقطوعة كانت بالإمالة ، وإذا كانت موصولة كانت بالإشباع وها ويا في قوله تعالى (كهيعص) مقطوعان في اللفظ موصولان في الخط فأميل أحدهما وأشبع الآخر ليكون كلا الجانبين مرعيا جانب القطع اللفظي وجانب الوصل الخطي، إذا عرفت هذا فنقول فيهقراءات (إحــداها) وهي القراءة المعروفة فيه فتحة الها. واليا. جميعا (وثانيها) كسر الها. وفتح اليا. وهي قراءة أبي عمرو وابن مبادر (١) والقطعي عن أيوب ، وإنميا كسروا الها. دون اليا. ليكون فرقا بينه وبين الها. الذي للتنبيه فانه لا يكسر قط (وثالثها) فتح الها. وكسر اليا. وهو قرا.ة حمزة والاعمش وطلحة والضحاك عن عاصم ، وإنما كسروا الياء دون الهاء، لأن الياء أخت الكسرة وإعطاء الكسرة أختها أولى من إعطائها الى أجنبية مفتوحة للمناسبة (ورابعها) إمالتهما جيماً وهو قراءة الكسائي والمفضل ويحيى عن عاصم والوليد بن أسلم عن ابن عامر والزهري وابن جَرِير وإنما أمالوهما للوجهين المذكورين في إمالة الها. وإمالة اليا. (وخامسها) قراءة الحسن وهي ضم الها. وفتح اليا. ، وعنه أيضاً فتح الها. وضم اليا. ، وروى صاحب الكشاف عن الحسن . بضمهما ، فقيل له لم تثبت هذه الرواية عن الحسن لأنه أورد ابن جني في كتاب المكتسب (٢) أن قراءة الحسن ضم أحدهما وفتح الآخر لا على التعيين ، وقال بعضهم إنما أقدم الحسن على ضم أحدهما لا على التعيين لأنه تصور أن عين الفعل في الهاء والياء ألف منقلب عن الواو كالدار والمال، وذلك لأن هذه الالفات وإن كانت مجهولة لأنها لا اشتقاق لها فانها تحمل على ما هو مشابه لها في اللفظ. والآلف إذا وقع عيناً فالواجب أن يعتقد أنه منقلب عن الواو لان الغالب

⁽١) حكمنا في الأصول (ابن مبادر) ولم نره في القراء ولعله عرف عن ابن مناذر وهو عاسمت به العرب

⁽٢) لمكتاب المفهود لابن جن اسمه (المحتسب) فلمل له كتابًا آخر اسمه المكتسب أو لمله تحريف له م

ذِكُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَكَرِيَّا ٢

فى اللغة ذلك فلما تصور الحسن أن ألف الها. واليا. منقلب عن الواو جعله فى حكم الواو وضم ما قبله لأن الواو أخت الضمة (وسادسها) ها يا باشمامهما شيئاً من الضمة .

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ أبو جعفر كهيعص يفصل الحروف بعضها من بعض بأدنى سكتة مع إظهار نون العين وباقى القراء يصلون الحروف بعضها ببعض ويخفون النون.

﴿ المسألة الثانية ﴾ القراءة المعروفة صاد، ذكر بالادغام وعن عاصم ويعقوب بالإظهار البحث الثاني ﴾ المذاهب المذكورة في هذه الفواتح قد تقدمت لكن الذي يختص بهذا الموضع ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوله تعالى كهيمص ثناء من الله على نفسه ، فمن الكاف وصفه بأنه كاف ومن الهاء هاد ومن العين عالم ومن الصاد صادق ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً أنه حمل الكاف على الكبير والكريم ، ويحكى أيضاً عنه أنه حمل الياء على الكريم مرة وعلى الحكيم آخرى ، وعن الربيع بن أنس في الياء أنه من مجير ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما في العين أنه من عزيز ومن عدل ، وهذه الأقوال ليست قوية لما بينا أنه لا يجوز من الله تعالى أن يودع كتابه مالا تدل عليه اللغة لابالحقيقة ولا بالمجاز لانا إن جوزنا ذلك فتح عليناقول من يزعم أن لكل ظاهر باطناً ، واللغة لاتدل على ماذكروه فانه ليست دلالة الكاف أولى من دلالته على الكريم أو الكبير أو على اسم آخر من أسهاء الرسول صلى الله عليه وسلم أو الملائكة أو الجنة أو النار فيكون حمله على بعضها دون البعض تحكما لاتدل عليه اللغة أصلا .

قوله تعالى : ﴿ ذَكَرَ رَحَةَ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَّرِيا ﴾ فيه مسائل:

و المسألة الأولى كو لفظة ذكر أربع قراءات صيغة المصدر أو الماضى مخففة أو مشددة أو الآمر، أما صيغة المصدر فلا بد فيها من كسر رحمة ربك على الإضافة ثم فيها ثلاثة أوجه: (أحدها) نصب الدال من عبده والهمزة من زكرياه وهو المشهور (وثانيها) برفعهما والمعنى وتلك الرحمة هي عبده زكرياه عن ابن عامر (وثالثها) بنصب الأول وبرفع الثاني والمعنى رحمة ربك عبده وهو زكرياه. وأما صيغة الماضي بالتشديد فلابد فيهامن نصب رحمة . وأما صيغة الماضي بالتخفيف ففيها وجهان (أحدهما) رفع الباه من ربك والمعنى ذكر ربك عبده زكرياه (وثانيها) نصب الباه من ربك والمغنى ذكر ربك عبده زكرياه (وثانيها) للكلى ، وأما صيغة الآمر فلا بد من نصب رحمة وهي قراءة ابن عباس . واعلم أن على تقدير جعله صيغة المصدر والماضي يكون التقدير هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ يحتمل أن يكون المراد من قوله رحمة ربك أعنى عبده زكريا. ثم في كونه رحمة وجهان (أحدهما) أن يكون رحمة على أمته لأنه هداهم إلى الإيمان والطاعات (والآخر) أن

يكون رحمة على نبينا محمد على أمة محمد لأن الله تعالى لما شرح لمحمد على الله على الله الله الله الله الله الله تعالى صار ذلك لفظاً داعياً له ولا منه إلى تلك الطريقة فكان زكريا. رحمة ، ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة الني رحم بها عده زكريا.

قوله تعالى ﴿ إذ نادى ربه نداء خفياً ﴾ راعى سنة الله فى إخفاء دعوته لآن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لآنه أبعد عن الرياء وأدخل فى الإخلاص (وثانيها) أخفاه لثلا يلام على طلب الولد فى زمان الشيخوخة (وثالثها) أسره من مواليه الذين خافهم (ورابعها) خنى صوته لعنعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات ، فان قيل من شرط النعاء الجهر فكيف الجمع بين كونه نداء وخفياً ، والجواب من وجهين (الآول) أنه أذ بأقصى ماقد عليه من رفع الصوت إلا أن الصوت كان ضعيفا لنهاية الضعف بسبب الكبر فكان نداء نظراً إلى قصده وخفياً نظراً إلى الواقع (الثانى) أنه دعا فى الصلاة لآن الله تعالى أجابه فى الصلاة لمقوله تعالى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب إن الله يبشرك بيحيى) فكون الإجابة فى الصلاة يدل على كون الدعاء فى الصلاة فوجب أن يكون النداء فيها خفياً .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِ إِنَّى وَهِنَ الْعَظْمُ مَنَى وَاشْتَعَلَ الرَّاسُ شَيْبًا وَلَمُ أَكُنَ بِدَعَارُتُك رَبَّ شَقِّياً ، و إنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً ، يرثنى ويرث من آل بعقوب واجعله رب رضياً ﴾ القراءة فيها مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرى (وهن) بالحركات الثلاث

﴿ المسألة الثانية ﴾ إدغام السين في الشين[من الرأس شيباً] عن أب عمرو

﴿ المسألة الثالثة ﴾ (و إنى خفت الموالى) بفتح اليا. وعن الزهرى باسكان اليا. من الموالى وقرأً عنهان وعلى بن الحسين ومحمد بن على وسعيد بن جبير وزيد بن ثابت و ابن عباس خفت بفتح الحاء والفا. مشددة وكسر التا. وهذا يدل على معنيين (أحدهما) أن يكون و رائى بمعنى بعدى والمعنى

أنهم قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعده فسأل ربه تقويتهم بولى يرزقه (والثانى) أن يكون بمعنى قدامى والمعنى أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق من به تقو واعتضاد.

﴿ المسألة الرابعة ﴾ القراءة المعروفة (من ورائى) بهمزة مكسورة بعدها ياءساكنة وعن حميد ابن مقسم كذلك لـكن بفتح الياء وقرأ ابن كثير (وراى) كعصاى.

﴿ المسألة الخامسة ﴾ في ير أي ويرث وجوه (أحدها) القراءة المعروفة بالرفع فيهما صفة (و ثانها) وهي قراءة أبي عروو الكسائي والزهرى و الاعمش وطلحة بالجزم فيهما جواباً للدعاء (و ثالثها) عن على ابن أبي طالب وابن عباس وجعفر ن محد و الحسن وقتادة (ير أني) جزم وارث بوزن فاعل (ورابعها) عن ابن عباس (ير ثني) وارث من آل بعقوب (و خامسها) عن الجحدري (ويرث) تصغير و ارث على وزن أفيعل (اللغة) الوهن ضعف القوة قال في الكشاف شبه الشيب بشواظ النار في بياهه و انار ته وانتشاره في الشعر و فشوه فيه و أخذه كل مأخذ كاشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال الى مكان الشعر و منبته وهو الرأس وأخرج الشيب عيزاً ولم يضف الرأس اكتفاء برام الخاطب انه رأس زكريا فن ثم فصحت هذه الجلة ، وأما الدعاء فطلب الفعل و مقابله الإجابة كا أن مقابل الأمر الطاعة ، وأما أصل التركيب في (ولي (١)) فيدل على معني القرب و الدنو يقال وليته أليه ولياً أي دنوت وأوليته أدنيته منه و تباعد ما بعده وولي ومنه قول ساعدة [ابن جؤبة]: وليته أليه ولياً أي دنوت وأوليته أدنيته منه و تباعد ما بعده وولي ومنه قول ساعدة [ابن جؤبة]:

وكل بما يليك وجلست بما يليه ومنه الولى وهو المطر الذى يلى الوسمى ، والولية البرذعة لإنها تلى ظهر الدابة وولى البيم والفتيل وولى البلد لأن من تولى أمراً فقد قرب منه ، وقوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) من قولهم ولاه بركنه أى جعله بما يليه ، وأما ولى عنى إذا أدبر فهو من باب تنقيل الحشو للسلب وقولهم فلان أولى من فلان أى أحق أفعل التفضيل من الوالى أو الولى كالأدنى والأقرب من الدانى والقريب وفيه معنى القرب أيضاً لأن من كان أحق بالشى لما أو الولى كالأدنى والأقرب من الدانى والمبنى اسم لموضع والمرمى والبناء ، وأما العاقم فهى التي لا تلد والعقر في اللغية الجرح ومنه أحذ العاقر لأنه نقص أصل الحلقة وعقرت الفرس بالسيف إذا ضربت قوائمه ، وأما الآل فهم خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم اليه ثم قد يؤول أمرهم اليه تم قد يؤول أمرهم اليه تم قد يؤول أمرهم الله لقرابة تارة وللصحبة أخرى كا ل فرعون وللموافقة في الدين كال النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن زكرياء عليه السلام قدم على السؤال أموراً ثلائة : (أحدها) كونه ضعيفاً (وانثانى) أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة (والثالث) كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين ثم بعد أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة (والثالث) كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين ثم بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة صرح بالسؤال (أما المقام الأول) وهو كونه ضعيفا فأثر الصغف ،

 ⁽١) التثقيل هذا التشديد. والحشو هذا وسط الكلمة ، والسلب هذا معناه الصد والمعنى أنه شدد اللام من ولى لبغهم الشدد فان
 (ول) مكسورة اللام مخففة معناها أقبل و (ولى) مفتوحة اللام مشددة معناها أدبر والادبار ضد الاقبال ، وهذا معنى تثقيل الحشو السلب واقد أعلم

إما أن يظهر في الباطن أو في الظاهر ، والضعف الذي يظهر في الباطن يكون أقوى تما ظهر في الظاهر ظهذا السبب ابتدأ ببيان الضعف الذي في الباطن وهو قوله (وهن العظم مني) وتقريره هو أن العظام أصلب الاعضاء التي في البدن وجعلت كذلك لمنفعتين : (إحداهما) لأن تمكون أساساً وعمداً يعتمد عليها سائرالاعضاء الآخر إذ كانت الاعضاءكلها موضوعة علىالعظام والحامل يجب أن يكون أفوى من المحمول (والثانية) أنه احتيج اليها في بعض المواضع لأن تكون جنة يقوى بها ما سواها من الاعضاء بمنزلة قحف الرأس وعظام الصدر ، وما كان كذلك فيجب أن يكون صلباً ليكون صبورا على ملاقاة الآفات بعيدا من القبول لها إذا ثبت هذا فنقول إذا كان العظم أصلب الاعضا. فتى وصل الامر إلى ضعفها كان ضعف ماعداها مع رخاوتها أولى ، ولان العظم إذا كان حاملًا لسائر الاعضاء كان تطرق الضعف إلى الحامل موجباً لتطرقه إلى المحمول فلهذا السبب خص العظم بالوهن من بين سائر الاعضاء وأما أثر الضعف في الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الرأس فثبت أن هذا الكلام يدل على استيلا. الضعف على الباطن والظاهر وذلك مما يزيد الدعاء توكيداً لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الأسباب الظاهرة (المقام الثاني) أنه ماكان مردود الدعاء البتة ووجه التوسل به من وجهين (أحدهما) ماروي أن محتاجاً سأل واحداً من الأكار وقالأنا الذي أحسنت إنى وقت كذا ، فقلًا، سرحباً بمن توسل بنا إلينا ثم قضى حاجته . وذلك أنه إذا قبله أو لا فلو أنه رده ثانيا لـكان الرد محبطاً للأنعام الأول والمنعم لايسمى في إحباط انعامه(وَالثاني)وهو أن مخالفة العادة شاقة على النفس فأذا تعود الإنسان إجابة الدعاء فلو صار مردوداً بعـد ذلك لـكان في غاية المشقة ولأن الجفاء بمن يتوقع منه الإنعام يكون أشق فقال زكريا. عليه السلام إنك مارددتني في أول الامر معأني ماتعودت لطفك وكنت قرى البدن قوى القلب فلو رددتني الآن بعد ماعودتني القبول مع نهاية ضعفي لـكان ذلك بالغاً إلى الغاية القصوى فى ألم القلب، واعلم أن العرب تقول سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي بها إذا خاب ولم ينلم ا ومعنى بدعائك أي بدعائي إياك فان الفعل قد يضاف إلى الفاعل تارة وإلى المفعول أخرى (المقام الثالث) بيان كون المطلوب منتفعاً به فى الدين وهو قوله (و إنى خفت الموالى من ورائى) وفيه أبحاث (الأول) قال ابن عباس والحسن إنى خفت الموالى أى الورثة من بعدى وعن مجاهد العصبة وعن أبي صالح الكلالة وعن الأصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن أبي مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يقوم بميراثه مقام الولد، والمختار أن المراد من الموالى الذين يخلفون بعده إما في السياسة أو في المال الذي كان 4 أو فى القيام بأمر الدين فقد كانت العادة جارية أن كل من كان إلى صاحب الشرع أقرب فأنه كان متعيناً في الحياة (الثاني) اختلفوا في خوفه من الموالي فقال بعضهم خافهم على إفساد الدين ، وقال بعضهم بل خاف أن ينتهي أمره اليهم بعد موته في مال وغيره مع أنه عرف من حالهم قصورهم في

العلم والقدرة عن القيام بذلك المنصب، وفيه قول ثالث وهوأنه يحتمل أن يكون الله تعالى قدأعله أنه لم يبق من أنبياء بني إسرائيل نبي له أب إلا واحد فخاف أن يكون ذلك من بني عمه إذ لم يكن له ولد فسأل الله تعالى أن يهب لهولداً يكون هوذلك التي ، وذلك يقتضي أنْ يكون خائفاً من أمر يهتم بمثله الأنبياء وإن لم يدل على تفصيل ذلك . ولا يمتنع أن زكرياء كان اليه معالنبوة السياسة من جهة الملك وما يتصل بالإمامة فخاف مهم بعده على أحدهما أو عليهما .أما قوله (وإنى خفت) فهو وإن خرج على لفظ الماضي لكنه يفيد أنه في المستقبل أيضاً ، كذلك يقول الرجل قد خفت أن يكون كذا وخشيت أن يكون كذا أى أنا خائف لا يريد أنه قد زال الخوف عنه وهكذا قوله (وكانت امرأتي عاقراً) أي أنها عاقر في الحال وذلك لأن العاقر لا تحول ولوداً في العادة فني الإخبار عنه بلفظ الماضي إعلام بتقادم العهد فىذلك وغرض زكرياء منهذا الكلام بيان استبعاد حصول الولد فكان إيراده بلفظ الماضي أقوى وإلى هذا يرجع الآمر في قوله وإني خفت الموالي من ورأتي لأنه إنما قصد به الإخبار وعن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال وما يوجب مسألة الوارث وإظهار الحاجة عن الإخبار بوجود الخوف في الحال وأيضاً فقد يوضع الماضي مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى (وإذ قال الله ياعيسي ابن مريم أأنت قلت للناس) والله أعلم وأما قوله من ورائ ففيه قولان (الأول) قال أبو عبيدة أى قداى وبين يدى وقال آخرون أى بعد موتى وكلاهما محتمل فان قيل كيف خافهم من بعده وكيف علم أنهم يبقون بعده فضلا من أن يخاف شرهم؟ قلنا إن ذلك قد يعرف بالأمارات والظن وذلك كاف في حصول الحوف فربما عرف ببعض الإمارات استمرارهم على عادتهم في الغساد والشر واختلف في تفسير قوله (فهب لي من لدنك ولياً) فالأكثرون على أنه طلب الولد وقال آخرون بل طلب من يقوم مقامه ولداً كان أو غيره وَالْاقرب هو الاول لثلاثة أوجه (الاول) قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) (والثاني) قوله في هـذه السورة (هب لي من لدنك ولياً يرثى ويرث من آل يعقوب) (والثالث) قوله تعالى في سورة الأنبياء (وزكريا إذ نادي ربه رب لا تذرني فرداً) وهذا يدل على أنه سأل الولد لأنه قد أخبر في سورة مريم أن له موالي وأنه غير منفرد عن الورثة وهذا وإن أمكن حمله على وارث يصلح أن يقوم مقامه لكن حمله على الولد أظهر واختج أصحاب القول الثالث بأنه لما بشر بالولد استعظم على سبيل التعجب فقال أبى يكون لى غلام ولوكان دعاؤه لأجل الولد لما استعظم ذلك (الجواب) أنه عليه السلام سأل عما يوهب له أيوهب له وهووامرأته على هيئتهما أو يوهب بأن يحولا شابين يكون لمثلهما ولد؟ وهذا يحكي عن الحسن وقال غيره إن قول زكريا. عليه السلام في الدعا. (وكانت امرأتي عاقراً) إنما هو على معنى مسألته ولداً من غيرها أو منها بأن يصلحها الله للولد فـكا نه عليه السلام قال إنى أيست أن يكون لى منها ولد فهب لى من لدنك وليا كيف شئت إما بأن تصلحها فيكون الولد منها أو بأن

تهب لى من غيرها فلما بشر بالعلام سأل أيرزق منها أو من غيرها فأخبر بأنه يرزق منها واختلفوا في المراد بالميراث على وجوه (أحدها) أن المراد بالميراث في الموضعين هو وراثة المال وهذا قول ابن عباس والحسن والصحاك (وثانيها) أن المراد به في الموضعين وراثة النبوة وهو قول أبي صالح (و ثالثها) ير ثبي المال ويرث من آل يعقوب النبوة وهو قول السدى ومجاهد والشعبي وروى أيضاً عن ابن عباس والحسن والضحاك (ورابعها) يرثني العلم ويرث من آل يعقوب النبوة وهو مروى عن مجاهد واعلم أن هذه الروايات ترجع إلى أحد أمور خمسة وهي المال ومنصب الحبورة والعلم والنبوة والسيرة الحسنة ولفظ الإرث مستعمل فى كلها أما فى المال فلقوله تعالى (أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) وأما في العلم فلقوله تعـالي (ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) وقال عليه السلام« العلماء ورثة الانبياء ، وإن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم » وقال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سلمان داود) وهذا يحتمل وراثة الملك ووراثة النبوة وقد يقال أورثني هذا غماً وحزناً ، وقد ثبت أن اللفظ محتمل لتلك الوجوه . واحتج من حمل اللفظ على وراثة المال بالخبروالمعقول أما الخبرفقوله عليهالسلام « رحم الله زكريا ما كانله من يرثه » وظاهره يدل على أن المراد إرث المــال وأما المعقول فن وجهين (الأول) أن العلم والسيرة والنبوة لا تورث بل لاتحصل إلا بالاكتساب فوجب حمله على المال (الثاني) (أنه قال واجعله رب رضياً) ولو كان المراد من الإرث إرث النبوة لكان قد سأل جعل النبي علي رضياً وهو غير جائز لأن النبي لا يكون إلا رضياً معصوما ، وأما قوله عليه السلام «إنا معشر الأنبياء لا نورث ماتركناه صدقة» فهذالا يمنع أن يكون خاصاً به واحتجمن حمله على العلم أو المنصب والنبوة بما علم منحال الانبياء أن اهتمامهم لايشتد بأمر المال كما يشتد بأمر الدين ، وفيل لعله أوتى من الدنيا ماكان عظيم النفع في الدين فلهذا كان مهتما به أما قوله النبوة كيف تورث قلنا المال إنما يقال ورثه الابن بمعنى قام فيه ستام أبيه وحصل له من فائدة التصرف فيه ماحصل لأبيه وإلا فلك المال من قبل الله لا من قبل المورث فكذلك إذا كان المعلوم في الإبن أن يصير نبياً بعده فيقوم بأمر الدين بعده جاز أن يقال ورثه أما قوله عليه السلام ﴿ إنا معشر الانبياء﴾ فهذا وإن جاز حمله على الواحدكما في قوله تعــالى ﴿ إِنَا يَعِنَ نَزَلْنَا الذَّكُرُ ﴾ لكنه مجاز وحقيقتهُ الجمع والعدول عن الحقيقة من غير مؤجب لايجوز لاسبها و قدروى قوله وإنا معاشر الانبياء لانورت، والاولى أن يحمل ذلك على كل مافيه نفع وصلاح في الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح، فأنّ كل هذه الامور مما يجوز تو فر الدواعي على بقائها ليكون ذلك النَّفع دائمًا مستمراً (السابع) انفق أكثر المفسرين على أن يعقوب ههنا هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام لان زوجة زكريا. هي أخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وأما زكريا.

يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَمِ ٱشْمُهُ يَحْيَى لَرْ تَجْعَلَ لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿

عليه السلام فهر من ولد هرون أخى موسى عليه السلام وهرون وموسى عليهما السلام من ولد لاوى بن يعقوب بن إسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب لأنه هو إسرائيل ﷺ وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا ولد إسحق بن ابراهيم عليه السلام بل يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب أخوال يحيي بن ذكريا. وهذا قول الكلبي ومقاتل. وقال السكلي كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومند فأراد أن يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم ، واعلم أنهم ذكروا في تفسير الرضي وجوهاً (أحدها) أن المراد واجعله رضياً من الانبيا. وذلك لأن كلهم مرضيون فالرضى منهم مفضل علىجملتهم فائق لهم فى كثير من أمورهم فاستجاب الله تعالىله ذلك فوهبله سيدآو حصورا ونبياً من الصالحين لم يعص ولم يهم بمعصية ، وهـُ ا غاية ما يكون به المر. رضياً (وثانيها) المراد بالرضى أن يكون رضياً في أمته لايتلقى بالتسكذيب ولا يواجه بالرد (وثالثها) المراد بالرضى أن لا يكون متهما في شي. ولا يوجد فيه مطعن ولا ينسب اليه شي. من المعاصي (ورابعها) أن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قالا في الدعاء (ربنا واجعلنا مسلمين لك) وكانا في ذلك الوقت مسلمين ، وكأن المراد هناك ثبتنا على هذا أو المراد اجعلنا فاضلين من أنبياتك المسلمين فكذا ههنا واحتج أصحابنا في مسألة خلق الأفعال بهذه الآية لأنه إنمـا يكون رضياً بفعله ، فلمــا سأل الله تُعالى جعله رضيا دل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى · فان قيــل المراد منه أن يلطف له بضروب الالطاف فيختار مايصير مرضيا فينسب ذلك الى الله تعالى ، والجواب من وجهين (الأول) أن جعله رضياً لو حملناه على جعل الألطاف وعندها يصير المر. باختياره رضيا لكان ذلك مجازاً وهو خلاف الأصل (والثاني) أن جعل تلك الألطاف واجبة على الله تعالى لايجوز الإخلال به وما كان واجبا لايجوز طلبه بالدعا. والتضرع.

قوله تعالى : ﴿ يَازَكُرِيا إِنَا نَبْشُرِكُ بَغَلَامُ اسْمَهُ يَعِي لَمْ نَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِياً ﴾ فيه مسائل:
﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلفوا في من المنادى بقوله يازكريا ، فالا كثرون على أنه هو الله تعالى ويسأله وذلك لان ماقبل هذه الآية يدل على أن زكريا عليه السلام إنما كان يخاطب الله تعالى ويسأله وهو قوله (رب إنى يكون العظم منى) وقوله (ولم أكن بدعائك رب شقياً) وقوله (فهب لى) وما بسدها يدل على أنه كان يخاطب الله تعالى وهو يقول (رب أنى يكون لى غلام) وإذا كان ماقبل هذه الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب أن يكون النداء من الله تعالى وإلا لفسد النظم ، ومنهم من قال هذا نداء الملك واحتج عليه بوجهين (الأول) قوله تعالى في سورة آل عمران (فنادته الملائد كه وهو قائم يصلى في المحراب أن يالله يبشرك بيحيى) ، (الثانى) أن زكريا

عليه السلام لما قال (أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ، قال كذلك قال ربك هو على هين) وهذا لا يجوز أن يكون كلام الله فوجب أن يكون كلام الملك (والجواب) عن الأول أنه يحتمل أن يقال حصل النداءان نداء الله و نداء الملائدكة (وعن الثانى) أنا نبين إن شاء الله تعالى أن قوله (قال كذلك قال ربك هو على هين) يمكن أن يكون كلام الله .

المسألة الثانية وفان قيل إن كان الدعاء باذن فما معنى الشارة ، وإن كان بغير إذن فلماذا أقدم عليه؟ والجواب هذا أمر يخصه فيجوزأن يسأل بغير إذن ، ويحتمل أنه أذن له فيه ولم يعلم وقته فبشر به .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ احتلف المفسرون في قوله (لم بجعل له من قبل سمياً) على وجهين ؛ (أحدهما) وهو قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة أنه لم يسم أحد قبله بهذا الإسم (الثاني) أن المراد بالسمى النظير كما في قوله (هل تعلم له سمياً) واختلفوا في ذلك على وجوه (أحدها) أنه سيد وحصور لم يعص ولم يهم بمعصلة كأنه جوا بالقوله (واجعله رب رصياً) فقيل له إنا نبشرك بغلام لم نجعل له من قبل شبيها في الدين، ومن كان هكذا فهو في غاية الرضا. وهذا الوجه ضعيف لانه يقتضي تفضيله على الانبياء الذين كانوا قبله كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وذلك باطل بالاتفاق (وثانيها) أن كل الناس إنمـا يسميهم آباؤهم وأمهاتهم بعد دخولهم في الوجود ، وأما يحيي عليه السلام فان الله تعالى هو الذي سماه قبــل دخوله في الوجود فكان ذلك من خواصه فلم يكن له مثل وشبيه في هذه الخاصية (وثالثها) أنه ولد بين شيخ فان وعجوز عافر ، واعلم أن الوجه الآول أولى وذلك لأن حمل السمى على النظير وإن كان يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة من غير ضرورة وإنه لايجوز ، وأما قول الله تعالى (هُلَ تَعَلُّمُ لَهُ سَمِياً) فَهِنَاكُ إِمَا عَدَلْنَا عَنِ الظَّاهِرِ لَانَهُ قَالَ (فاعبده و اصطبر لعبادته هـل تعلم له سمياً) ومعلوم أن مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الإسم لايقتضى وجوب عبادته ، فلهذه العلة عدلنا عن الظاهر، أما ههنا لاضرورة في العدول عن الظاهر فوجب اجراؤه عليه ولان في تفرده بذلك الإسم ضرباً من التعظيم لأنانشاهد أن الملك إذا كان له لقب مشهور فان حاشيته لايتلقبون به بل يتركونه تعظيماً له فكذلك ههذا .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ في أنه عليه السلام سمى بيحي روى الثعلي فيه وجوها (أحدها) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى أحيا به عقر أمه (وثانبها) عن قتادة أن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والطاعة والله تعالى سمى المطيع حياً والعاصى ميتاً بقوله تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) وقال (إذا دعاكم لما يحييكم) (وثالثها) إحياؤه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية لما روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا وقد عصى أو هم إلا يحيى بن ذكر يا فانه لم يهم ونم يعملها » (ورابعها) عن أبى القاسم بن حبيب أنه استشهد وأن الشهداء أحياء عند ربهم الهوله تعالى (بل أحياء عند ربهم). (وخامسها) ماقاله

قَالَ رَبِ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ آمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ

عِنِياً ١

عمرو بن عبد الله المقدسى: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن قل ليسارة ، وكان اسمها كذلك ، بأنى مخرج منها عبداً لايهم بمعصية اسمه حيى . فقال هبى له من اسمك حرفا فوهبته حرفا من اسمها فصار يحيى وكان اسمها يسارة فصار اسمها سارة (وسادسها) أن يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى فصار قلبه حياً بذلك الإيمان وذلك أن أم يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يامريم أحامل أنت ؟فقالت لماذا تقولين ؟فقالت إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك (وسابعها) أن الدين يحيا به لابه إنما سأله زكريا لاجل الدين ، واعلم أن يسجد لما فى بطنك (وسابعها) أن الدين يحيا به لابه إنما سأله زكريا لاجل الدين ، واعلم أن أسماء الالقاب قائمة مقام الاشارات وهى لا تفيد فى المسمى صفة البتة .

قوله تعالى : ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتي عافراً وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ حمزة والكسائى عنياً وصلياً وجثياً وبكياً بكسر العين والصاد والجيم والباء ، وقرأ حفص عن عاصم بكيا بالضم والباقى بالـكسر والباقونجميعاً بالضم ، وقرأ ابن مسعود بفتح العين والصاد من عنياً وصلياً . وقرأ أبى بن كعب وابن عباس عسياً بالسين غير المعجمة والله أعلم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ في الألفاظ وهي ثلاثة (الأول) الغلام الانسان الذكر في ابتداء شهوته للجهاع ومنه اغتلم إذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل في التليذ يقال غلام ثعلب (الثاني) العتى والعبي واحد تقول عنا يعتو عتواً وعتباً فهو عات وعسا يعسو عسواً وعسباً فهو عاس والعاسي هو الذي غيره طول الزمان إلى حال البؤس وليل عات طويل وقيل شديد الظلمة (الثالث) لم يقل عاقرة لأن ما كان على قاعل من صفة المؤنث بما لم يكن للمذكر فإنه لا تدخل فيه الها. نحو امرأة عافر وحائض قال الخليل هذه صفات مذكرة وصف بها المؤنث كما وصفوا المذكر بالمؤنث حين قالوا رجل ملحة وربعة وغلام نفعة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ في هذه الآية سؤالان (الأول) أن زكريا عليه السلام لم تعجب بقوله (أبي يكون لى غلام لم يكن يكون لى غلام) أن قوله أنى يكون لى غلام لم يكن هذا مذكوراً بين أمته لأنه كان يخفي هذه الأمور عن أمته فدل على أنه ذكره في نفسه ، وهذا التعجب بدل على كونه شاكا في قدرة اقه تعالى على ذلك وذلك كفر وهو غير جائز على الانبياء عليهم

قَالَ كَذَالِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى آهِيِّ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَدْ تَكُ شَيُّ ال

السلام (والجواب) عن السؤال الأول أماعلي قول من قال انه لم يطلب خصوص الولد فالسؤال زائل ، وألما على قول من قال إنه طلب الولد فالجواب عنه أن المقصود من قوله (أني يكون ل غلام) هو التعجب من أنه تعالى بجعلهما شابين ثم يرزقهما الولد أو يتركهما شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة بطريق الإُستعلّام لا بطريق التعجب، والدليل عليه قوله تعالى (وزكريا إذ نادى ربه رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين ، فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه) وما هذا الاصلاح إلا أنه أعاد قوة الولادة وقد تقدم تقرير هذا الكلام ، وذكرالسدى في الجواب وجهاً آخر فقال: إنه لما سمع النداء بالبشارة جاءه الشيطان فقال إن هذا الصوت ليس من الله تعالى بل هو من الشيطان يسخر منك، فلما شك زكريا قال (أنى يكون لى غلام) واعلم أن غرض السدى من هذا أن زكريا عليه السلام لو علم أن المبشر بذلك هو الله تمالى لمــا جازله أن يقول ذلك فارتكب هذا ، وقال بعض المتكلمين هذا باطل قطعاً إذ لوجوز الانبياء في بعض مايرد عنالله تعالى أنه من الشيطان لجوزوا في سائره ولزالت الثقة عنهم في الوحى وعنا فيها يوردونه إلينا ويمكن أن يجاب عنه بأن هذا الاحتمال قائم في أول الامر وإنما يزول بالمعجزة فلعل المعجزة لم تكن حاصلة في هذه الصورة فحصل الشك فيها دون ماعداها والله أعلم ، والجواب عن السؤال الثانى من وجوه (الأول) أن قوله (إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي)ليس نصاً في كون ذلك الغلام ولداً له بل يحتمل ان زكريا عليه السلام راعي الأدب ولم يقل هذا الكلام هل يكون لي ولد أم لا ، بل ذكر أسباب تعذر حصول الولد في العادة حتى أن تلك البشارة إنكانت بالولد فالله تعالى يزيل الابهام وبجعل الكلام صريحاً فلما ذكر ذلك صرح الله تعالى بكون ذلك الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا لا أنه كان شاكا في قدرة الله تعالى عليه (الثاني) أنه ماذكر ذلك للشك لكن على وجه التعظيم لقدرته وهذاكالرجل الذى يرىصاحبه قدوهب الكثير الخطير فيقول أبى سمحت نفسك باخراج مثل هذا مِن ملكك! تعظيما وتعجباً (الثالث) أن من شأن من بشر بما يتمناه أن يتولد له فرط السرور به عند أول مايرد عليه استثبات ذلك الكلام إما لأن شدة فرحه به توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما أن امرأة ابراهيم عليه السلام بعد أن بشرت باسحق قالت (أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشي. عجيب) فأزيل تعجبها بقوله (أتعجبين من أمر الله) و إما طلباً للالنذاذ بسماع ذلك الكلام مرة أخرى، و إما مبالغة في تأكيد التفسير .

قوله تعالى : ﴿ قال كذلك قال ربك هوعلى هين وقد خلفتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ وفيه مسائل ﴿ المسألة الأولى ﴾ فى قوله (قال ربك هو هين) وجوه (أحدها) أن الكاف رفع أى الأمر كذلك تصديقاً له ثم ابتداً قال ربك (وثانيها) نصب يقال وذلك إشارة إلى مبهم تفسيره

قَالَ رَبِّ ٱجْعَلِ لِنَّ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسِ ثَلَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿

هو على هين وهو كقوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمرأن دابر هؤلا. مقطوع مصبحين) (وثالثها) أن المراد لا تعجب فانه كذلك قال ربك لا خلف فى قوله ولا غلط ثم قال بعده هو على هين بدليل خلفتك من قبل ولم تك شيئاً (ورابعها) أنا ذكرنا أن قوله أبى يكون لى غلام معناه تعطينى الغلام بأن تجعلنى وزوجتى شابين أو بأن تتركنا على الشيخوخة ومع ذلك تعطينا الولد، وقوله (كذلك قال ربك) أى نهب الولد مع بقائك وبقا. زوجتك على الحاصلة فى الحال.

- ﴿ المسألة الثانية ﴾ قرأ الحسن وهو على هين وهذا لايخرج إلا على الوجه الأول أى الأمركا قلت ولكن قال ربك هو مع ذلك على هين.
- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ إطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لآن ذلك إنمـا يجوز في حق من يجوز أن يصعب عليه شي. ولكن المراد أنه إذا أراد شيئاً كان .
- ﴿ المسألة الرابعة ﴾ في وجه الاستدلال بقوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) فنقول إنه لما خلقه من العدم الصرف والنبي المحضكان قادراً على خلق الذوات والصفات والآثار وأما الآن فحلق الولد من الشيخ والشيخة لايحتاج فيه إلا إلى تبديل الصفات والقادر على خلق الذوات والصفات والآثار معاً أولى أن يكون قادراً على تبديل الصفات وإذا أوجده عن عدم فكذا يرزقه الولد بأن يعيد إليه وإلى صاحبته القوة التي عنها يتولد الماءان اللذان من اجتماعهما يخلق الولدولذلك قال (فاستجنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) فهذا وجه الاستدلال.
- ﴿ المسألة الخامسة ﴾ الجهور على أن قوله قال كذلك قال ربك يقتضى أن القائل لذلك ملك مع الاعتراف بأن قوله (يازكريا إنا نبشرك) قول الله تعالى وقوله (هو على هين) قول الله تعالى وهذا بعيد لأنه إذا كان ماقبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى فكيف يصح إدراج هذه الألفاظ فيما بين هذين القولين، والأولى أن يقال قائل هذا القول أيضاً هو الله تعالى كما أن الملك العظيم إذا وعد عبده شيئاً عظيما فيقول العبد من أين يحصل لى هذا فيقول إن سلطانك ضمن لك ذلك كأنه ينبه بذلك على أن كونه سلطاناً بما يوجب عليه الوفاء بالوعد فكذا همنا.

قوله تعالى : ﴿ قال رب اجعـل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليــال سويا ﴾ وفيه مسائيل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال بعضهم طلب الآية لتحقيق البشارة وهذا بعيد لآن بقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون إظهار الآية أقوى فى ذلك من صريح القول وقال آخرون البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع وهذاهو الحق.

خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ عَمِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأُوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَيْحُواْ بُكْرَةُ وَعَشِيًّا ﴿ ا

﴿ المسألة الثانية ﴾ اتفقوا على أن تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزة ثم اختلفوا على قولين: (أحدهما) أنه اعتقل لسانه أصلا (والثاني) أنه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع أنه كان متمكناً من ذكر الله ومن قراءة التوراة وهذا القول عندي أصح لان اعتقال اللسان مطلقاً قد يكون لمرض وقد يكون من فعل الله فلا يعرف زكريا عليه السلام أن ذلك الاعتقال معجزاً إلا إدا عرف أنه ليس لمرض بل لحض فعل الله تعالى مع سلامة الآلات وهذا بما لا يعرف إلا بدليل آخر فتفتقر تلك الدلالة إلى دلالة أخرى ، أما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم مع اقتداره على التكلم بذكر الله تعالى وقراءة التوراة علم بالضرورة أن ذلك الاعتقال ليس لعلة ومرض بل هو لمحض فعل الله فيتحقق كونه آية ومعجزة ومما يقوى ذلك قوله تعالى (آيتك أن لا تكام الناس ثلاث ليال سوياً) خص ذلك بالتكلم مع الناس وهذا يدل بطريق المفهوم أنه كان قادراً على التكلم مع غير الناس .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اختلفوا فى معنى (سوياً) فقال بعضهم هو صفة لليالى الثلاث وقال أكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى: آيتك أن لا تـكلم الناس فى هذه المدة مع كونك سوياً لم يحدث بك مرض.

قوله تعالى : ﴿ فَرَجَ عَلَى قُولُهُ مِن الْحُرَابُ فَأُوحَى الْهُمُ أَنْ سَبَحُوا بَكُرَةً وَعَشَياً ﴾ وفيه مسائل: ﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله تعالى (فخرج على قومه من المحراب) قبل كان له موضع ينذرد فيه بالصلاة والعباد ثم ينتقل إلى قومه فعند ذلك أوحى اليهم، وقبل كان موضماً يصلى فيه هو وغيره إلا أنهم كانوا لايدخلونه للصلاة إلا باذنه وانهم اجتمعوا ينتظرون خروجه للاذن فخرج اليهم وهو لا يتكلم فأوحى اليهم.

﴿ المسألة الثانية ﴾ لا يجوز أن يكون المراد من قوله أوحى اليهم الـكلام لأن الـكلام كان عنما عليه فكان المراد غير الكلام وهو أن يعرفهم ذلك إما بالاشارة أو برمز مخصوصأو بكتابة لأن كل ذلك يفهم منه المراد فعلموا أنه قد كان ما بشر به فكما حصل السرور له حصل لهم فظهر لمم إكرام إلله تعالى له بالاجابة ، واعلم أن الاشبه بالآية هو الاشارة لقوله تعالى فى سورة آل عمران (ثلاثة أيام إلا رمزاً) والرمز لا يكون كناية للكلام .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اتفق المفسرون على أنه أراد بالتسبيح الصلاة وهو جائز فى اللغة يقال سبحة الضحى أي صلاة الضحى وعن عائشة رضى الله عنها فى صلاة الضحى وإنى لاسبحها، أى لاصليها إذا ثبت هذا فنقول روى عن أبى العالية أن البكرة صلاة الفجر والعشى صلاة العصر

ويحتمل أن يكون إنمــا كانوا يصلون معه فى محرابه هاتين الصلاتين فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه، فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته فأذن لهم بغير كلام والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ يَايِحِي خَذَ الْكَتَابِ بِهُوهُ وآتيناه الْحَكَمُ صِيبًا وَحَنَانًا مَنْ لَدُنَا وَزَكَاهُ وَكَانَ تَقَيّاً ، وبرأ بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾

اعلم أنه تعمالى وصف (يحيى) فى هذه الآية بصفات تسع : (الصفة الأولى)كونّه مخاطباً من الله تعالى بقوله (يابحيي خذ الكتاب بقوة) وفيه مسائل :

- ﴿ المسألة الأولى ﴾ أن قوله (يايحي خذ الكتاب) يدل على أن الله تعالى بلغ بيحي المبلغ الذي يجوز أن يخاطبه بذلك فحذف ذكره لدلالة الكلام عليه .
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكتاب المذكور يحتمل أن يكون هو التوراة التي هي نعمة الله على بني إسرائيل لقوله تعالى (ولقد آنينا بني إسرائيل الكتاب والحسكم والنبوة) ويحتمل أن يكون كتاباً خص الله به يحيى كما خصالته تعالى الكثير من الأنبياء بذلك والأول أولى لأن حل الكلام ههنا على المعهود السابق أولى ولا معهود ههنا إلا النوراة.
- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (بقوة) ليس المراد منه القدرة على الآخذ آلان ذلك معلوم لكل أحد فيجب حمله على معنى يفيد المدح وهو الجد والصبر على القيام بأمر النبوة وحاصلها يرجع الى حصول ملكة تقتضى سهولة الإقدام على المأمور به والإحجام عن المنهى عنه (الصفة الثانية) قوله تعالى (وآتيناه الحكم صبياً) اعلم أن فى الحكم أقوالا (الأول) أنه الحكمة ومنه قول الشاعر:

وأحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد النمسد وهو الفهم في التوراة والفقه في الدين و (الثاني) وهو قول معمر أنه العقل روى أنه قال ماللمب خلقنا (والثالث) أنه النبوة فان الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى اليه وذلك لآن الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لاكما بعث موسى ومحمداً عليهما السلام ، وقد بلغا الاشد والاقرب حمله على النبوة لوجهين: (الاول) أن الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته ومعلوم أن النبوة أشرف صفات الإنسان فذكرها في مدرض المدح أولى من ذكر غيرها فوجب أن تكون نبوته مذكورة في هذه الآية ولا لفظ يصلح للدلالة على النبوة إلا هذه غيرها فوجب أن تكون نبوته مذكورة في هذه الآية ولا لفظ يصلح للدلالة على النبوة إلا هذه

اللفظة فوجب حملها عليها (الثانى) أن الحكم هو ما يصلح لأن يحكم به على غيره والهيره على الاطلاق وذلك لايكون إلا بالنبوة فان قيل كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا؟ قلنا هذا السائل، إما أن يمنع من خرق العادة أو لا يمنع منه ، فإن منع منه فقد سد باب النبوات لأن بنا. الأمر فيها على المعجزات ولا معنى لها إلا خرق العادات ، وإن لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد فانه ليس استبعاد صيرورة الصي عاقلا أشد من استبعاد انشقاق القعر وانفلاق البحر (الصفة الثالثة) قوله تعالى (وحناناً من لدنا) اعلم أن الحنان أصله من الحنيز وهو الارتياحوا لجزع للفراق كما يقال حنين الناقة وهو صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها ذكر الحليل ذلك وفى الحديث وأنه عليه السلام كان يصلى إلى جذع في المسجد فلما اتخذ له المنبر وتحول اليه حنت تلك الحشبة حتى سمع حنينها» فهذا هو الاصل ثم قيل تحنن فلان على فلان إذا تعطف عليه ورحمه ، وقد اختلف الناس فى وصف الله بالحنان فأجازه بعضهم ، وجعله بمعنى الرؤوف الرحيم ، ومنهم من أباه لما يرجع اليه أصل الكلمة قالوا لم يصح الخبر بهذه اللفظة في أسهاء الله تعالى ، إذا عرفت هذا فنقول: الحنان هِنا فيه وجهان (أحدهما) أن يجعل صفة لله (و ثانيهما) أن يجعل صفة ليحي أما إذا جعلناه صفة لله تعالى فنقول : التقدير وآتيناه الحكم حناناً أى رحمة منا ، ثم ههنا احتمالات (الأول) أن يكون الحنان من الله ليحي، المعنى آتيناه الحسكم صبياً ، ثم قال (وحناناً من لدنا) أي إنما آتيناه الحكم صبياً حناناً من لدناً عليه أى رحمة عليه وزكاة أى وتزكية له وتشريفاً له (الثاني) أن يكون الحنان من الله تعالى لزكريا عليه السلام فكا نه تعالى قال إنمــا استجبنا لزكريا دعوته بأن أعطيناه ولهــآ ثم آتیناه الحکم صبیا و حناناً من لدنا علیه أی علی زکریا فعلنا ذلك (وزكاة) أی و تزکیة له عن أن يصير مردود الدعا. (والثالث) أن يكون الحنان من الله تعالى لامة يحى عليه السلام كأنه تعالى قال (وآتيناه الحكم صبياً وحناناً) منا على أمته لعظيم انتفاعهم بهدايته وإرشاده ، أما إذا جعلناه صفة ليحي عليه السلام ففيه وجوه (الأول) آتيناه الحكم والحنان على عبادنا أي التعطف عليهم وحسن النظر على كافتهم فيما أو ليه من الحكم عليهم كما وصف نبيه فتال (فبها رحمة من الله لنت لهم) وقال (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)ثم أخبر تُعالَى أنه آتاه ذكاة ، ومعناه أن لا تكون شفقته داعية له إلى الإخلال بالواجب لأن الرأفة واللين ربمــا أورثا ترك الواجب ألا ترى الى قوله تعالى (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) وقال (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيم غلظة) وقال (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فالمعنى إنما جعلنا له التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الإخلال بالواجبات، ويحتمل آنيناه التعطف على الخلق والطهارة عن المعاصي فلم يعص ولم يهم بمعصية، وفي الآية وجه آخر وهو المنقول عن عظاء بن أبى رباح (وحناناً من لدنا) والمعنى آتيناه الحكم صبياً تعظيما إذ جعلناه نبياً وهو صى ولا تعظيم أكثر من هذا والدليل عليه ماروى أنه مر ورقة ابن

نوفل على بلال وهو يعذب قد ألصق ظهره برمضاء البطحاء، ويقول: أحـد أحـد فقال والذي نفسى بيده لئن قتلتموه لا تخذنه حناناً أي معظها . (الصفة الرابعة) قوله (وزكاة)وفيه وجوه (أحدها) أن المراد وآنيناه زكاة أي عملا صالحاً زكياً ، عن ابن عباس وقتادة والصحاك وابنجريج و (ثانيها) زكاة لمن قبل منه حتى يكونوا أزكيا. عن الحسن (وثالثها) زكيناه بحسن الثناء كما تزكي الشبهود الإنسان (ورابعها) صدقة تصدق الله بها على أبويه عن الكلبي (وخامسها) بركة ونما. وهو الذي قال عيسى عليه الصلاة والسلام (وجعلى مباركا أينها كنت) واعلم أن هذا يدل على أن فعل العبد خلق لله تعالى لانه جمل طهارته وزكاته من الله تعالى و حمله على الألطاف بعيد لانه عدول عن الظاهر (الصفة الخامسة) قوله (وكان تقياً) وقد عرفت معناه وبالجملة فانه يتضمن غاية المدائح لأنه هو الذي يتقى نهى الله فيجتنبه ويتتى أمره فلايهمله ، وأولى الناسبهذا الوصف من لم يعص الله ولايهم بمعصية وكان يحيى عليه الصلاة والسلام كذلك ، فان قيل مامعنى (وكان تقيأً) وهذا حين ابتدا. تكليفه قلنا إنما خاطب الله تعالى بذلك الرسول وأخبر عن حاله حيث كان كاأخبر عن نعم الله عليه (الصفة السادسة) قوله (وبرآ بوالديه) وذلك لأنه لاعبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيمُ الوالدين ، ولهذا السبب قال (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا). (الصفة السابعة) قوله (ولم يكن جباراً) والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك منصفات المؤمنين كقوله تعالى (واخفض جناحك للمؤمنين) وقال تعالى (ولو كنت فظأ غليظ القلب لانفضوا من حولك) ولأن رأس العبادات معرفة الإنسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة وانكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتجبر ، ولذلك فان إبليس لمـا تجبر وتمرد صار مبعداً عن رحمة الله تعالى وعن الدين وقيل الجبار هو الذي لايري لاحد على نفسه حقاًوهومن العظم والذهاب بنفسه عن أن يلزمه قضاء حق أحـد، وقال سفيان في قوله (جباراً عصياً) إنه الذي يقبل على الغضب والدليل عليه قوله تعالى (أثريد أن تقتلى كما قتلت نغساً بالامس إن تريد إلا أن تـكون جباراً في الارض) وقيل كل من عاقب على غضب نفسه من غير حق فهو جبار لقوله تعالى (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) . (الصقة الثامنة) فوله (عصياً) وهو أبلغ من العاصى كما أن العليم أبلغ من العالم (الصفة الناسعة) قوله (وسلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حياً) وفيه أقوال (أحدها) قال محمد بن جرير الطبرى (وسلام عليه) أى أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينالسائر بني آدم (ويوم بموت) أي وأمان عليه من عذاب القبر (ويوم يبعث حياً) أى ومن عذاب القيامة (و ثانيهـ ا) قال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا بما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوما ماشاهدهم قط ، ويوم يبعث فيرى تفسه في محشر عظيم فأكرم الله يحيى عليه الصلاة والسلام فحصه بالسلام عليه في هذه المواطن الثلاثة (وثالثها) قال عبد الله بن نفطويه (وسلام عليه يوم ولد) أى أول مايرى الدنيا (ويوم

يموت) أى أول يوم يرى فيه أول أمر الآخرة (ويوم يبعث حياً) أى أول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة ، وإنما قال (حياً) تنبيها على كونه من الشهداء لقوله تعالى (بل أحياء عند ربهم يرزقون) (فروع) الأول هذا السلام يمكن أن يكون من الله تعالى وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين فدلالة شرفه وفضله لاتختلف لآن الملائكة لايسلمون إلاعن أمرالله تعالى (الثانى) ليحيى مزية فى هذا السلام على ما لسائر الانبياء عليهم السلام كقوله (سلام على نوح في العالمين، سلام على إبراهيم) لأنه قال (ويومولد) وليس ذلك آسائر الأنبيا. عليهم السلام (الثالث) روى أنْ عيسى عليه السلام قال ليحي عليه السلام: أنت أفضل منى لأن الله تعالى سلم عليك وأنا سلمت على نفسى ، وهـذا ليس يقوى لأن سلام عيسى على نفســه يجر مى مجرى سلام الله على يحيي لأن عيسى معصوم لا يفعل إلا ما أمره الله به (الرابع) السلام عليه يوم ولد لا بد وأن يكون تفضلا من الله تعالى لأنه لم يتقدم منه ما يكون ذلك جزا. له ، وأما السلام عليه يوم يموت ويوم يعث في المحشر، فقد يجوز أن يكون ثواباً كالمدح والتعظيم والله تعالى اعلم . القول في فوائد هذه القصة (الفائدة الاولى) تعليم آداب الدعاء وهي من جهات (أحدها) قوله (نداء خفياً) وهو يدل على أن أفضل الدعاء ماهذا حاله و يؤكمه تقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والأنكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبرى عنحول النفس وقوتها والإعتماد على فضل الله تعالى وإحسانه (وثانيها) أن المستحب أن يذكر في مقدمة الدعاء عجز النفس وضعفها كما في قوله تعالى عنه (وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً) ثم يذكر كثرة نعم الله على مافي قوله (ولم أكن بدعائك رب شقيا) (وثالثها) أن يكون الدعاء لأجل شي. متعلق بالدين لا لمحض الدنيا كما قال (وإني خفت الموالى من ورائى) (ورابعها) أن يكون الدعاء بلفظ يارب على مافى هذا الموضع (الفائدة الثانية) ظهور درجات زكريا ويحيى عليهما السلام أما زكريا فأمور (أحدها) نهاية تضرعه في نفسه وانقطاعه إلى الله تعالى بالكلية (وثانيها) إجابة الله تمالى دعاءه (وثالثها) أن الله تعالى ناداه وبشره أو الملائكة أو حصل الامران معاً (ورابعها) اعتقال لسانه عن الكلام دون التسبيح (وخامسها) أنه يجوز للأنبياء عليهم السلام طلب الآيات لقولهرب اجعل لى آية (الفائدة الثالثة) كونه تعالى قادراً على خلق الولد وإن كان الابوان في نهاية الشيخوخة "رداً على أهل الطبائع (الفائدة الرابعة) صحة الاستدلال في الدين لقوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) (الفائدة الخامسة) أن المعدوم ليس بشىء و الآية نص فى ذلك فانقيل المراد ولم تك شيئاً مذكوراً كما فى قوله تعالى (هل أنى على الإنسان حين من الدهر لم يكنشيتاً مذكوراً) قلنا الإضمار خلاف الاصل وللخصم أن يقول الآية تدل على أن الإنسان لم يكن شيئاً ونحن نقول به لان الإنسان عبارة عن جواهر متألفة قامت بها أعراض مخصوصة والجواهر المتألفة الموصوفة بالاعراض المخصوصة

وَآذَكُمْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ آنتَبَذَتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِبً ١٠٥٥ فَآتَحَ ذَتْ

مِن دُونِهِمْ جِمَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَمَّا بَشَرًا سَوِيًّا ١

غير ثابتة في العدم إنمــا الثابت هو أعيان تلك الجواهر مفردة غير مركبة وهي ليست بانسان فظهر أن الآية لا دلالة فيها على المطلوب (الفائدة السادسة) أن الله تعالى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران وذكرها في هذا الموضع فلنعتبر حالها في الموضعين فنقول (الأول) أنه تعالى بين في هذه السورة أنه دعا ربه ولم يبين الوقت وبينه في آل عمران بقوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشا. بغير حساب ، هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) والمعنى أن زكريا عليه السلام لما رأى خرق العادة في حق مريم عليها السلامطمع فيه في حق نفسه فدعا (الثاني) وهو أن آلله تعالى صرح في آل عمران بأن المنادي هو الملائكة لقوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي فى المحراب) وفي هذه السورة الاظهرأن المنادى بقوله (يازكريا إنا نبشرك)هوالله تعالىوقد بينا أنه لامنافاة بين الامرين (الثالث) أنه قال في آ لـعمران (أنى يكون لى غلام وقد بلغني الـكبر وإمرأتي عاقر) فذكر أو لا كبر نفسه ثم عقر المرأة وهو في هذه السورة قال (أبي يكون لي غلام وكانت امرأنى عافراً وقد بلغت من الكبر عتياً) وجوابه أن الواو لاتقتضى النرتيب (الرابع) قال فى آل عمران (وقد بلغني الكبر) وقال ههذا وقد بلغت من الكبروجوابه أن مابلغك فقد بلغته (الخامس) قال في آل عمر ان(آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلار مزاً) وقال همنا (ثلاث ليال سوياً) وجوابه دلت الآيتان على ان المراد ثلاثة أيام بلياليهنوالله أعلم﴿القصة الثانية ﴾ قصة مريم وكيفية ولادة عيسى عليه السلام اعلم أنه تعالى إنما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام لأن خلق الولد من شيخين فانيين أفرب إلى مناهج العادات من تخليق الولد لا من الاب البتة وأحسن الطرق في التعليم والتفهيم الآخذ من الآقرب فالآقرب مترقياً إلى الأصعب فالأصعب .

قوله تعالى : ﴿ وَاذْ كُرُ فَى الْكُتَابِ مُرْيَمِ إِذْ انْتَبَدْتُ مِنْ أَهْلُهَا مُكَانَاً شُرْقِياً فَاتَخَذْتُ مِنْ دُونِهُمْ حَجَاباً فَأُرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحْنا فَتَمثل لَهَا بَشْراً سُويًا ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إذ بدل من مريم بدل اشتمال لأن الأحيان مشتملة على مافيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقت هذا الوقوع لهذه القصة العجيبة فيه .

﴿ المسألةُ الثانية ﴾ النبذ أصله الطرح والإلقاء والإنتباذ افتعالمنه ومنه (فنبذوه وراء ظهورهم) وانتبذت تنحت يقال جلس نبذة من الناس ونبذة بضم النون وفتحها أى ناحية وهذا إذا جلس قريباً منك حتى لو نبذت إليه شيئاً وصل إليه ونبذت الشيء رميته ومنه النبيذ لانه يطرح في الإناء

144

وأصله منبوذ فصرف إلى فعيل ومنه قبل القيط منبوذ لآنه يرمى به ومنه النهى عن المنابذة فى البيع وهو أن يقول إذا نبذت إليك هئا الثوب أو الحصاة فقد وجب البيع إذ عرفت هذا فنقول قوله تعلى (إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً) معناه تباعدت وانفردت على سرعة إلى مكان بلى ناحية الشرق ثم بين تعالى أنها مع ذلك اتخذت من دون أهلها حجاباً مستوراً وظاهر ذلك أنها لم تقتصر على أن اففردت إلى موضع بل جعلت بينها و بينهم حائلا من حائط أو غيره و يحتمل أنها جعلت بين نفسها و بينهم ستراً وهذا الوجه الثانى أظهر من الاول ثم لابد فى احتجابها من أن يكون لغرض صحيح وليس مذكوراً واختلف المفسرون فيه على وجوه (الأول) أنها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكى تنتظر الطهر فتغتسل و تعرد فلما طهرت جاءها جبريل عليه السلام (والثانى) أنها طلبت الحلوة لئلا تشتغل عن العبادة (والثالث) قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض محتجة بشيء يسترها (والرابع) أنها كان لها فى منزل زوج أختها زكرياء محراب على من الحيض محتجة بشيء يسترها (والرابع) أنها كان لها فى منزل زوج أختها زكرياء محراب على طنفرج السقف لهما فرجت إلى المفازة فجلست فى المشرفة وراء الحبل فأتاها الملك (وخامسها) فانفرج السقف لهما فحرجت إلى المفازة لتستقى واعلم أن كل هذه الوجوه محتمل وليس فى اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ المكان الشرقى هو الذى بلى شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها وعن ان عباس رضى الله عنهما: إنى لأعلم خلق الله لأى شى. اتخذت النصارى المشرق قبلة لقرله تعالى (مكاناً شرقياً) فاتخذوا مبلاد عيسى قبلة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ أنها لما جلست في ذلك المكان أرسل الله اليها الروح واختلف المفسرون في هذا الروح فقال الاكثرون إنه جبريل عليه السلام وقال أبو مسلم إنه الروح الذي تصور في بطنها بشرا والاول أقرب لان جبريل عليه السلام يسمى روحا قال الله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك) وسمى روحالانه روحانى وقيل خلق من الروح وقيل لان الدين يحيا به أوسماه الله تعالى بروحه على المجاز محبة له و تقريباكما تقول لحبيبك روحى وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المتقين في قوله (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نميم) أو لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربنا من المقربين وم الموعودون بالروح أي مقربنا وخا روحنا وإذا ثبت أنه يسمى روءا فهو هنا يجب أن يكون المراد به هو لانه قال (إيما أنا رسول ربك لا هب لك غلاماً زكيا ولا يليق ذلك إلا بحبريل عليه السلام واختلفوا في أنه كيف ظهر لها (فالا ولى) أنه ظهر لها على صورة شاب أمرد حسن الوجه سوى الخلق (والثانى) أنه ظهر لها على صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وكل ذلك محتمل ولا دلالة في اللفظ على التعيين ثم قال وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه فاو ظهر لها التعيين ثم قال وإنما تمثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه فاو ظهر لها

قَالَتْ إِنِّي أَعُودُ بِٱلرَّحْمَانِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١

في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه ثم همناً اشكالات (أحدهما) وهو أنه لو جاز أن يظهر الملك في صورة إنسان معين فجيئةُدُ لا يمكننا القطع بأن هذا الشخص الذي أراه في الحال هو زيد الذي رأيته بالا مس لاحتمال أرب الملك أو آلجني تمثل في صورته وفتح هذا البلب يؤدي إلى السفسطة لايقال هذا إنما يجوز في زمان جواز البعثة فأما في زماننا هذا فلا يجوز لا "نا نقول هذا الفرق إنما يعلم بالدليل ، فالجاهل بذلك الدليل يجب أن لا يقطع بأن هذا الشخص الذي أراه الآن هو الشخص الذي رأيته بالا مس (و ثانيها) أنه جاء في الا خبار أن جبريل عليه السلام شخص عظيم جداً فذلك الشخص العظيم كيف صار بدنه في مقدار جثة الانهان أبأن تساقطت أجزاؤه وتفرقت بنيته فحينئذ لاينتي جبريل أو بأرن تداخلت أجزاؤه وذلك يوجب تداخل الا جزاء وهو محال (وثالثها) وهو أنا لو جوزنا أن يتمثل جبريل عليه السلام في صورة الآدي فلم لا يجوز تمثله في صورة جسم أصغر من الآدمي حتى الذباب والبق والبعرض ومعلوم أن كل مُذَهِب جَر إلى ذلك فهُو باطل(ورابعها) أن تجويزه يفضي إلى القدح في خبر التواتر فلعل الشخص الذي حارب يوم بدر لم يكن محمداً بلكان شخصاً آخر تشبه به وكذا القول في الـكل (والجواب) عن الا ول أن ذلك التجويز لازم على الـكل لا ن من اعترف بافتقار العالم إلى الصانع المختار فقد قطع بكونه تعالى قادراً على أن يخلق شخصاً آحر مثل زيد فى خلفته وتخطيطه وإذا جوزنا ذلك فقد لزم الشك في أن زيداً المشاهد الآن هو الذي شاهدناه بالائمس أم لا ، ومن أنكر الصابع المختار وأسند الحوادث إلى اتصالات الكواكب وتشكلات الفلك لزمه تجويز أن يحدث اتصال غريب في الأفلاك يقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الأءور وحينئذ يعود التجويز المذكور (وعن الثانى) أنه لايمتنع أن يكون جريل عليه السلام له أجزا. أصلية وأجزا. فاضلة والاجزا. الأصلية قليلة حدا فينئذ يكون متمكناً من التشبه بصورة الإنسان، هذا إذا جعلناه جسمانياً اما إذا جعلناه روحانياً فأى استبعاد في أن يتدرع تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير (وعن الثالث) أن أصل النجويز قائم في العقل و إما عرف فساده بدلائل السمع وهو الجواب عن السؤال الرابع

قوله تعالى : ﴿ قَالَتَ إِنَّ أَعُوذُ بِالرَّمْنُ مِنْكُ إِنْ كُنْتُ تَقَياً ﴾ وفيه وجوه (أحدها) أرادت إن كان يرجى منك أن تنقي الله ويحصل ذلك بالاستعادة به فانى عائدة به منك وهذا فى نهاية الحسن لانها علمت أنه لا تؤثر الاستعادة إلا في التقى وهو كقوله (وذروا ما بقى من الرباإن كنتم مؤمنين) أى أن شرط الإيمان يوجب هذا لا أن الله تعالى يخشى في حال دون حال (وثانيها) أن معناه

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ عُلَكُما زَيُّكَا ١

ما كنت تقيآ حيث استحللت النظر إلى وخلوت بى (و ثالثها) أنه كان فى ذلك الزمان إنسان فاجر اسمه تتى يتبع النساء فظنت مريم عليها السلام أن ذلك الشخص المشاهد هو ذلك التقى والأول هو الوجه.

قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولَ رَبُّكَ لَاهِبَ لَكُ غَلَاماً زَكِياً ﴾ وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ لما علم جبريل خوفها قال (إنما أنا رسول ربك) ليزول عنها ذلك الحوف ولكن الحوف لايزول بمجرد هذا القول بل لابد من دلالة تدل على أنه كان جبريل عليه السلام وما كان من الناس فههنا يحتمل أن يكون قد ظهر معجز عرفت به جبريل عليه السلام ويحتمل أنها من جهة ذكر ياعليه السلام عرفت صفة الملائدكة فلما قال لها (إنما أنا رسول ربك) أظهر لها من باطن جسده ماعرفت أنه ملك فيكون ذلك هو العلم وسأل القاضى عبد الجبار فى تفسيره نفسه فقال إذا لم تكن نبية عندكم وكان من قولكم أن الله تعالى لم يرسل إلى خلقه إلا رجالا فكيف نصح ذلك وأجاب أن ذلك إنما وقع فى زمان زكريا عليه السلام وكان رسولا وكل ذلك كان عالما به وهذا ضعيف لان المعجز إذا كان مفعولا للنبي فأقل مافيه أن يكون عليه السلام عالماً به وزكريا ما كان عنده علم جذه الوقائع فكيف يجوز جعله معجزاً له بل الحق أن ذلك إما أن يكون ما أن يكون عليه السلام علماً أن يكون ما أن إرهاصا لعيسى عليه السلام .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرأ ابن عامر ونافع ليهب بياء مفتوحة بعد اللام أى ليهب الله الك والباقون بهمزة عفتوحة بعدها أما قوله لأهب لك فني بجازه وجهان (الا ول) أن الهبة لما جرت على يده بأن كان هو الذى نفخ فى جيها بأمر الله تعالى جعل نفسه كأنه هو الذى وهب لها وإضافة الفعل إلى ماهو سبب له مستعمل قال تعالى فى الا صنام (إبن أضلان كثيراً من الناس) (الثانى) أن جبريل عليه السلام لما بشرها بذلك كانت تلك البشارة الصادقة جارية بجرى الهبة فان قال قائل ما الله المنارة العلم على أن جبريل عليه السلام لا يقدر على تركيب الا جزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها والذى يقال فيه إن جبريل عليه السلام جسم والجسم لا يقدر على هذه الا شياء أما أنه جسم فلأنه تحدث وكل محدث إما متحيز أو قائم بالمتحيز وأما أن الجسم لا يقدر على هذه الا شياء فلأنه لا قدر جسم على ذلك لقدر عليه كل جسم لأن الاجسام متماثلة وهوضعيف لان للخصم أن يقول لا بلنم من كونها كمناك كونها أمثالا لذات الله تعالى لان الاشتراك فى الصفات النبوتية بالمتحيز و لا يلزم من كونها كذلك كونها أمثالا لذات الله تعالى لان الاشتراك فى الصفات النبوتية لا يقتضى التماثلة قلنا نعنى به أنها متماثلة فى كونها حاصلة فى الاحياز ذاهبة فى الجهات أو نعنى به الأحياز ذاهبة فى الجهات أو نعنى به الأحياز ذاهبة فى الجهات أو نعنى به الأحياز ذاهبة فى الجهات أو نعنى به الأحيان ذاهبة فى الجهات أو نعنى به المنا حاصلة فى الاحياز ذاهبة فى الجهات أو نعنى به الأحيان ذاهبة فى الجهات أو نعنى به المنا متماثلة قلنا نعنى به أنها متهائلة فى كونها حاصلة فى الاحيان ذاهبة فى الجهات أو نعنى به أنها من كونها حاصلة فى الاحيان من كونها حاصلة فى الاحيان من كونها حاصلة فى الم كلاك كلاك كونها حاصلة فى المناكون المناكو

قَالَتَ أَنِّى يَكُونُ لِي عُلَدٌ وَلَمْ يَمْسَنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿ قَالَ كَذَالِكِ عَالَتُ أَنِّى قَالَ كَذَالِكِ عَالَتُ أَنِّى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَالَى أَمْرًا مَقْضِيًّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا وَلَا اللهُ الل

أنها منهائلة في تمام ماهياتها والأول مسلم لكن حصولها فى الأحياز صفات لتلك الذوات والاشتراك فى الصفات لا يوجب الاشتراك فى ماهيات المواصفات سلمنا أن الأجسام متماثلة فلم لا يجوز أن يقال إن الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض حتى أنه يصح منها ذلك ولا يصح من البشر ذلك والجواب الحق أن المعتمد فى دفع هذا الاحتمال اجماع الامة فقط والله أعلم.

- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ الزكى يفيد أموراً ثلاثة: (الأول) أنه الطاهر من الذنوب (والثانى) أنه ينمو على النزكية لأنه يقال فيمن لا ذنب له زكى، وفى الزرع النامى زكى (والثالث) النزاهة والطهارة فيما يجب أن يكون عليه ليصح أن يبعث نبياً وقال بعض المتكلمين الأولى أن يحمل على الكل وهو ضعيف لما عرقت فى أصول الفقه أن اللفظ الواحد لا يجوز حمله على المعنيين سواء كان حقيقة فيهما أو فى أحدهما مجازاً وفى الآخر حقيقة .
- ﴿ المسألة الرابعة ﴾ سماه زكياً مع أنه لم يكن له شي. من الدنيا وأنت إذا نظرت في سوقك فن لم يملك شيئاً فهو شق عندك. وإنما الزكي من يملك المال والله يقول كان زكيا ، لأن سيرته الهفر وغناه الحكمة والكتاب وأنت فانما تسمى بالزكي من كانت سيرته الجهل وطريقته المال. قوله تعالى : ﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾ وفيه مسائل :
- ﴿ المسألة الأولى ﴾ أنها إنما تعجبت مما بشرها جبريل عليه السلام لأنها عرفت بالعادة أن الولادة لاتكون إلا من رجل والعادات عند أهل المعرفة معتبرة فى الأمور وإن جوزوا خلاف ذلك فى القدرة فليس فى قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أبا البشر على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لابد من أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك.
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ لقائل أن يقول قولها (ولم يمسنى بشر) يدخل تحته قولها (ولم أك بغيا) فلماذا أعادتها وبما يؤكد هذا السؤال أن في سورة آل عمران قالت (رب أني يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء) فلم تذكر البغاء والجواب من وجوه: (أحدها) أنها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال الآنه كناية عنه لقوله (من قبل أن تمسوهن) والزنا ليس كذلك إنما يقال فجر بها أو ما أشبه ذلك ولا يليق به رعاية الكنايات (وثانيها) أن اعادتها لتعظيم حالها كقوله (حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى) وقوله (وملائكته ورسله وجبريل وميكال)

فكذا ههنا إن من لم تعرف من النساء بزوج فأغلظ أحوالها إذا أتت بولد أن تكون زانية فأفرد ذكر البغاء بعد دخوله فى الكلام الأول لانه أعظم ما فى بابه .

- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال صاحب الكشاف البغى الفاجرة التى تبغى الرجال وهو فعول عند المبرد بغوى فأدغمت الواو فى الياء ، وقال ابن جنى فى كتاب التمام هو فعيل ولوكان فعولا لقيل بغواكما قيل نهوا عن المنكر .
- ﴿ المسألة الرابعة ﴾ أنجريل عليه السلام أجابها بقوله (قال كذلك قال ربك هو على هين) وهو كقوله في آل عمران (كذلك الله يخلق ما يشا. إذا قضى أمراً فانمـا يقول له كن فيكون) لا يمتنع عليه فعل مايريد خلقه ولا يحتاج في إنشائه إلى الآلات والمواد .
- ﴿ المسألة الحامسة ﴾ الكناية في (هو على هين) وفي قوله (ولنجعله آية للناس) تحتمل وجهين: (الأول) أن تكون راجعة الى الخلق أى أن خلقه على هين ولنجعل خلقه آية للناس إذ ولد من غير ذكر ورحمة منا يرحم عبادنا باظهار هذه الآيات حتى تبكون دلائل صدقه أبهر فيكون قبول قوله أقرب (الثاني) أن ترجع الكنايات إلى الغلام وذلك لانها لما تعجبت من كيفية وقوع هذا الامر على خلاف العادة أعلمت أن الله تعالى جاعل ولدها آية على وقوع ذلك الامرالغريب، فأما قوله تعالى (ورحمة منا) فيحتمل أن يكون معطوفا على الآية أى (ولنجعله آية للناس) أى فعلنا ذلك ويحتمل أن يكون معطوفا على الآية أى (ولنجعله آية ورحمة) فعلنا ذلك .
- ﴿ المسألة السادسة ﴾ ووله (وكان أمراً مقضياً) المراد منه أنه معلوم لعلم الله تعالى فيمتنع وقوع خلافه لأنه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال والمفضى الى المحال محال فحلافه محال فوقوعه واجب وأيضا فلأن جميع الممكنات منتهية فى سلسلة القضاء والقدر الى واجب الوجود والمنتهى الى الواجب انتهاء واجباً يكون واجب الوجود واذا كان واجب الوجود فلا فائدة فى الحزن والاسف وهذا هو سرقوله عليه السلام « من عرف سر الله فى القدرهانت عليه المصائب ، قوله تعالى : ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاص إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ﴾ وفيه مسائل :
- ﴿ المسألة الأولى ﴾ ذكر الله تعالى أمر النفخ فى آيات فقال (فنفخنا فيه من روحنا) أى فى عيسىعليه السلام كما قال لآدم عليه السلام (و نفخت فيه من روحى) وقال فنفخنا فيها لآن عيسى

عليه السلام كان في بطنها واختلفوا في النافخ فقال بعضهم كان النفخ من الله تعالى لقوله (فنفخنا فيه من روحنا) وظاهره يفيد أن النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كثل آدم خلفه من تراب) ومقتضى الشبيه حصول المشابة إلا فيها أخرجه الدليل، وفي حق آدم النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) فكذا ههنا وقال آخرون النافخ هو جعريل عليه السلام (لاهب لك) أنه أمر أن يكون من قبله حتى يحصل الحمل لمريم عليها السلام فلا بد من إحالة النفخ اليه، ثم اختلفوا في كيفية ذلك النفخ على قولين (الاول) قول وهب إنه نفخ جبريل في جيها حتى وصلت الى الرحم (الثانى) في ذيلها فوصلت إلى الفرج (انثالث) قول السدى أخذ بكمها فنفخ في جنب درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجامتها أختها أمرأة زكريا تزورها فالتزمتها فلما التزمتها علمت فدخلت النفخة صدرها فحملت فجامتها أختها أمرأة زكريا إلى وجدت مافى بطنى يسجد لما في بطنك فدخلت في أن النفخة كانت في فيها فوصلت الى بطنها فذلك قوله تعالى (مصدقا بكلمة من الله). (الرابع) أن النفخة كانت في فيها فوصلت الى بطنها فغلت في الحالى، إذا عرفت هذا ظهر أن في الكلام حذفا وهو، وكان أمراً مقضياً، فنفخ فيها فحملت في الحالى، إذا عرفت هذا ظهر أن في الكلام حذفا وهو، وكان أمراً مقضياً، فنفخ فيها فعلته.

﴿ المسألة الثانية ﴾ قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة ، وقيل بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل . وليس في القرآن مايدل على شي. من هذه الاحوال .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ (فانتبذت به) أى اعتزلت وهو فى بطنها كقوله (تنبت بالدهن) أى تنبت والدهن فيها ، واختلفوا فى علة الإنتباذ على وجوه (أحدها) مارواه الثعلى فى العرائس عن وهب قال إن مريم لما حملت بعيسى عليه السلام كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهبون ، وكان يوسف و مريم يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم فى أهل زمانهما أحد أشد اجتهاداً ولا عبادة منهما ، وأول من عرف حمل مريم يوسف فتحير فى أمرها فكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها ، وأنها لم تغب عنه ساعة قط ، وإذا أراد أن يترتها رأى الذى ظهر بها من الحل فأول ما تكلم أن قال إنه وقع فى نفسى من أمرك شى وقد حرصت على كتبانه فغلنى ذلك فرأيت أن الكلام فيه أشنى لصدرى ، فقالت قل قولا جميلا قال أخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث ، وهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت نعم : ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر إلى حصل من الزرع الذى أنبته من غير بدر ، ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ماخلق كل واحد منهما على حدة ، أو تقول إن الله تعالى وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ماخلق كل واحد منهما على حدة ، أو تقول إن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استمان بالما، ولولا ذلك لم يقدر على إنبانها ، فقال يوسف لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استمان بالما، ولولا ذلك لم يقدر على إنبانها ، فقال يوسف لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استمان بالما، ولولا ذلك لم يقدر على إنبانها ، فقال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول إن الله قادر على ما يشاه فيقول له كن فيكون ، فقالت له مريم أو لم

تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى؟ فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب، فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجى من أرض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمر له، فلما بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فألجأها الى أصل مخلة ، وذلك فى زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها (و ثانيها) أنها استحيت من زكريا فذهبت إلى مكان بعيد لا يعلم بها زكريا . (و ثالثها) أنهاكانت مشهورة فى بنى إسرائيل بالزهد لنذر أمها و تشاح الانبياء فى تربيتها و تكفل زكريا بها ، ولان الرزق كان يأتيها من عند الله تعالى ، فلما كانت فى نهاية الشهرة استحيت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها زكريا (ورابعها) أنها خافت على ولدها لو ولدته فيها بين أظهرهم . واعلم أن هذه الوجوه محتملة ، وليس قى الفرآن ما يدل على شى منها .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ اختلفوا في مدة حملها على وجوه: (الأول) قول ان عباس رضى الله عنهما إنها كانت تسمة أشهر كما في سائر النساء بدليل أن الله تعالى ذكر مدائحها في هذا الموضع فلو كانت عادتها في مدة حملها مخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر (الثانى) أنها كانت ثمانية أشهر ، ولم يعش مولود وضع لفيانية إلا عيسى ان مربم عليه السلام (الثالث) وهو قول عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر (الرابع) أنها كانت ستة أشهر (الخامس) ثلاث ساعات حملته في ساعة ووضعته في ساعة (السادس) وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما أيضا كانت مدة الحل ساعة واحدة ويمكن الاستدلال عليه من وجهيين (الأول) قوله تعالى أيضاكانت مدة الحل ساعة واحدة ويمكن الاستدلال عليه من وجهيين (الأول) قوله تعالى على أن كل واحد من هذه الاحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحل ساعة واحدة لا يقال انتباذها مكاناً قصياً كيف نيصل في ساعة واحدة لانا نقول: السدى الحل ساعة واحدة لا يقال انتباذها مكاناً قصياً كيف نيصل في ساعة واحدة لانا نقول: السدى فسره بأنها ذهبت الى أقصى موضع في جانب محرابها (الثانى) أن الله تعالى قال في وصفه (إن مشره بأنها ذهبت الى أقصى موضع في جانب محرابها (الثانى) أن الله تعالى قال في وصفه (إن مشره بأنها ذهبت الى أقصى موضع في جانب محرابها (الثانى) أن الله تعالى قال في وصفه (إن مثل عيسى عند الله كن فيكون) فثبت أن عيسى عليه السلام مثل عيسى عند الله كن فيكون) وهذا بما لا يتصور فيه مدة الحل، وإنما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ (قصياً) أى بعيداً من أهلها ، يقال مكان قاص ، وقصى بمعنى واحد مثل عاص وعصى ، ثم اختلفوا فقيل أقصى الدار ، وقيل وراء الجبل ، وقيل سافرت مع ابن عها يوسف وقد تقدمت هذه الحكاية .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قال صاحب الكشاف (أجاء) منقول من جا. إلا أن استعاله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء فانك لاتقول جثت المكان، وأجاءنيه زيدكما تقول بلغنيه وأبلغته، والمعنى أن طلقها ألجأها إلى جذع النخلة ثم يحتمل أنها إنما ذهبت إلى النخلة طلباً لسهولة الولادة

للتشبث ما . ويحتمل للتقوية والاستناد إليها ، ويحتمل للنستر بها عن يخشى منه القالة إذا رآها ، ولذلك حكى الله عنها أنها تمنت الموت .

﴿ المسألة السابعة ﴾ قال في الكشاف قرأ ابن كثير في رواية المخاص بالكسر يقال مخضت الحامل مخاصاً ومخاصاً وهو تمخض الولد في بطنها .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ قال في الكشاف كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة ، وكان الوقت شتاء والتعريف إما أن يكون من تعريف الأسهاء الغالبة كتعريف النجم والصعق كائن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس ، فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سائره وإما أن يكون تعريف الجنس أى إلى جذع هذه الشنجرة خاصة كان الله أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء ، ولأن النخلة أقل الأشياء صبراً على البرد ولا تثمر إلا عند اللقاح ، وإذا قطعت رأسها لم تثمر ، فكائه تعالى قال كما أن الآثى لا تلد الا مع الذكر فكذا النخلة لاتثمر إلا عند اللقاح ، ثم إنى أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر .

﴿ المسألة المتاسعة ﴾ لم قالت (ياليتني مت قبل هذا) مع أنها كانت تعلم أن الله تمالى بعث جبريل إليها وخلق ولدها من نفخ جبريل عليه السلام ووعدها بأن يجعلها وابنها آية للعالمين، والجواب من وجهين (الأول) قال وهب أنساها كربة الغربة وما سمرته من الناس[من] بشارة الملائكة بعيسي عليه السلام (الثاني) أن عادة الصالحين إذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك وروى عن أبي بكر أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال طوبي لك ياطائر تقع على الشجر و تأكل من الثمر ! وددت أبي ثمرة ينقرها الطائر ! وعن عمر أنه أخذ تبنة من الأرض وقال ليتني هذه النبنة ياليتني لم أك شيئا ! وقال على يوم الجمل ياليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، وعن بلال ليت بلال لم تلده أمه . فثبت أن هذا الكلام يذكره الصالحون عنداشتداد الأمر عليهم (الثالث) لعلمها قالت ذلك لـكي لا تقع المدصية عن يتكلم فيها ، وإلا فهي راضية بما بشرت به .

﴿ المسألة العاشرة ﴾ قال صاحب الكشاف النسى مامن حقه أن يطرح وينسى كحرقة الطمث ويحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح كقوله (وفديناه بذبح عظيم) تمنت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه به ومن حقه أن ينسى فى العادة وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة نسياً بالفتح والباقون نسياً بالكسر قال الفرا، هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر، وقرأ محمد بن كعب القرظى نسيئاً بالممز وهو الحليب المخلوط بالماء بنساه أهله لقلته وقرأ الاعمش منسياً بالكسر على الإتباع كالمغير والمنخر والله أعلم.

فَنَادَ نَهَا مِن تَعْتِهَ ٱلْآلَا تَعْزَنِي أَقَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَعْنَكِ سَرِيًّا ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِحِنَا اللهِ وَهُزِّى عَبْنًا فَإِمَّا تَرَيِّ وَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّى عَبْنًا فَإِمَّا تَرَيِّ بِجِذْعِ النَّحْلَةِ تُسَلِقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿ فَيَ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّى عَبْنًا فَإِمَّا تَرَيِّ عِبْنًا فَإِمَّا تَرَيِّ مِنَ الْبَشِرِ أَحَدًا فَقُولِ إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّحَمْنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكِيمَ الْبَوْمَ إِنسِيًّا ﴿ وَاللَّهِ مِنْ الْبَشِرِ أَحَدًا فَقُولِ إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّحَمْنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكِيمَ الْبَوْمَ إِنسِيبًا ﴿ وَاللَّهُ مِنْ الْبَشِرِ أَحَدًا فَقُولِ إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّحَمْنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكِيمَ الْبَوْمَ إِنسِيبًا ﴿ وَاللَّهُ مِنْ الْبُشِرِ أَحَدًا فَقُولِ إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّحَمْنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكِيمَ الْبَوْمَ إِنسِيبًا ﴿ وَاللَّهِ مِنْ الْبُسُرِ أَحَدًا فَقُولِ إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّحَمْنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكُلِّمَ الْبَوْمَ إِنْ الْمُعْرَاقِ اللَّهُ اللَّ

قوله تعالى : ﴿ فَادَاهَا مِنْ تَحْتَهَا أَنْ لَاتَحْرَنَى قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتُكُ سَرِيّاً ، وَهَزَى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشرى وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولى إلى نذرت للرحن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياك في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فناداها من تحتها القراءة المشهورة فناداها وقرأ زروعلقمة فخاطبها وفي الميم فيها قراءتان فتح الميم وهو المشهور وكسره وهو قراءة نافع وحمزة والكسائى وحفص وفى المنادي ثلاثة أوجه : (الأول) أنه عيسي عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير (والثاتي) أنه جبريل عليه السلام وأنه كان كالقابلة للولد (والثالث) أن المنادى على الفراءة بالـكسر هو الملك وعلى القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام وهومروى عن ابن عيينة وعاصم والأول أقرب لوجوه (الاول) أن قوله (فناداها من تحتها) بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد علم قبل ذلك أن تحتها أحداً والذي علم كونه حاصلا تحتها هو عَيْسي عليه السلام فوجب حمل اللفظ عليه ، وأما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المناديجبريل عليه السلام ، فقد صح قو لنا(الثاني) أن ذلك الموضح موضع اللوث والنظر إلى العورة وذلك لا يليق بالملائكة (الثالث) أن قوله فناداها فعل ولابد وأن يكون فاعله قد تقدم ذكره ولقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيسي عليهما السلام إلا أن ذكر عيسي أقرب لقوله تعالى (فحمله فانتبذت به) والضمير ههنا عائد إلى المسبح فكان حمله عليه أولى (والرابع) وهو دليل الحسن بن على عليه السلام أن عيسي عليه النبلام لولم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق فما كانت تشير إلى عيسى عليه السلام بالكلام فأما من قال المنادى هو عيسى عليه السلام فالمعني أنه تعالى أنطقه لها حين وضعته تطييباً لقلبها وإزالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الأمر مابشرها به جبريل عليه السلام من علو شأن ذلك الولد ومن قال المنادي جبريل عليه السلام قال إنه أرسل إليها ليناديها بهذه الكلهات كما أرسل إليها في أول الأمر ليكون ذلك تذكيراً لها بماتقدم مرب أصناف البشارات وأما قوله (من تحتها) فان حملناه على الولد فلاسؤال وإن حملناه على الملك ففيه وجهان : (الأول) أن يكونا معا فى مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين كتلك النخلة ههنا فكل من كان أقرب منها كان فوق وكل من كان أبعد منها كان تحت وفسر الكلى قوله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم)بذلك وعلىهذا الوجه قال بعضهم إنه ناداها من أقصى الوادى (والثانى) أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة أنها كانت حين ولدت على مثل رابية وفيه (وجه ثالث) يحكى عن عكرمة وهو أن جبريل عليه السلام ناداها من تحت النخلة ثم على التقديرات الثلاثة يحتمل أن تكون مريم قد رأته وأنها مارأته وليسى في اللفظ مايدل على شيء من ذلك.

 ♦ المسألة الثانية ﴾ اتفق المفسرون إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السرى هو النهر والجدول سمى بذلك لأن المها. يسرى فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلا السرى عيسي والسرى هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وروى أن الحسن رجع عنه وروى عن قتادة وغيره أن الحسن تلاهذه الآية وبجنبه حميد بن عبد الرحن الحميرى (قد جعل دربك تحتك سرياً)فقال إنكان لسرياً وإنكان لكريماً ، فقالله حيد يا أبا سعيد إماهو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجالستك ، واحتج من حمله على النهر بوجهين (أحدهما) أنه سأل النبي ﷺ عن السرى فقال هو الجدول (والثاني) أن قوله (فـكلي واشربي) يدل على أنه نهر حتى ينضاف المـا. إلى الرطب فتأكل وتشربواحتج من مله [على]عيسى بوجهين (الأول) أن النهر لايكون تحتما بل إلى جانبها ولايجوز أن يجاب عنه بأن المراد منه أنه جعل النهر تحت أمرها يجرى بأمرها ويقف بأمرها كما فى قوله (وهذه الانهـار تجرى من تحتى) لأن هذا حمل للفظ على مجازه ولو حملناه على عيسى عليه السلام لم يحتج إلى هذا الجاز (الثاني) أنه موافق لقوله تعالى (وجملنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) والجواب عنه ماتقدم أن المكان المستوى إذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت فرعان : (الأول) إن حملنا السرى على النهر ففيه وجهان (أحدهما) أن جبريل عليه السلام ضرب برجله فظهر تحتك سرياً) مشعر بالحدوث في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكره تعظيما لشأنها وذلك لايثبت إلا على الوجه الذي قلناه (الثاني) اختلفوا في أن السرى هو النهر مطلقاً وهو قول أبي عبيدة والفرا. أو النهر الصغير على ماهو قول الآخفش.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال القفال الجذع من النخلة هو الأسفل ومادون الرأس الذي عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع وأما الباء في قوله بجذع النخلة فزائدة والمعنى هزى إليك أي حركي جذع النخلة ، قال الفراء العرب تقول هزه وهز به وخذ الخطام وخذ بالخطام وزوجتك فلانة وبفلانة ، وقال الاخفش يجوز أن يكون على معنى هزى إليك رطباً بجذع النخلة أي على جذعها ، إذا عرفت هذا فنقول قد تقدم أن الوقت كان شتاء وأن النخلة كانت بابسة ، واختلفوا في أنه هل أثمر الرطب وهو على حاله أو تغير، وهل أثمر مع الرطب غيره ؟ والظاهر

يقتضى أنه صار نخلة لقوله بجذع النخلة وأنه ماأثمر إلا الرطب .

- ﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال صاحب الكشاف تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط ويسقط ويسقط ويسقط ويسقط ويسقط ويسقط ويسقط التاء المنخلة والياء للجذع.
- ﴿ المسألة الخامسة ﴾ رطباً تمييز أو مفعول على حسب القراءة الجنى المأخوذ طرباً وعن طلحة ابن سليمان جنياً بكسر الجيم للا تباع والمعنى جمعنا لك فى السرى والرطب فائدتين (إحداهما) الأكل والشرب (والثانية) سلوة الصدر بكونهما معجزتين فان قال قائل فتلك الافعال الخارقة للعادات لمن ؟ قلنا قالت المعتزلة إنهاكانت معجزة لزكريا وغيره من الانبياء وهذا باطل لان زكرياء عليه السلام ماكان له علم محالها ومكانها فكيف بتلك المعجزات ، بل الحق أنها ثمانت كرامات لمريم أو إرهاصاً لعيسى عليه السلام .
- ﴿ المسألة السادسة ﴾ فكلى واشربى وقرى عيناً قرى " بكسر القاف لغة نجد و نقول قدم الآكل على الشرب لآن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء لكثرة ماسال منها من الدماء ،ثم قال وقرى عيناً ، وهمنا سؤال ، وهو أن مضرة الحوف أشد من مضرة الجوع والعطش والدليل عليه أمران (أحدهما) أن الحوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن (والثانى) ماروى أنه أجيعت شاة ثم قدم العلف اليها وربط عندها ذئب فيقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها الشديد خوفا من الذئب ثم كسرت رجلها وقدم العلف إليها فتناولت العلف مع ألم البدن فدلت هذه الحكاية على أن ألم الخوف أشد من ألم البدن . إذا ثبت هذا فنقول فلم قدم الله تعالى فى الحكاية دفع ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الجوف والعطش على دفع ضر الخوف ، والجواب أن هذا الحوفكان قليلالان بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فا كانت تحتاج إلى التذكير مرة أخرى .
- ﴿ المسألة السابعة ﴾ قال صاحب الكشاف قرأ ترثن بالهمز ان الرومى عن أبى عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بَالحج وحلائت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الإبدال (صوماً) صمتاً وفي مصحف عبد الله صمتاً وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياماً إلا أنهم كانوا لا يشكلمون في صيامهم فعلي هذا كان ذكر الصوم دالا على الصمت وهذا النوع من النذر كان جائزاً في شرعهم ، وهل يجوز مثل هذا النذر في شرعنا قال القفال لعله يجوز لآن الاحتراز عن كلام الآدميين وتجريد الفكر لذكر الله تعالى قربة ، ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق وتعذيب كلام الآدميين وتجريد الفكر لذكر الله تعالى قربة ، ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق وتعذيب أنها لا تشكلم فقال النفس كنذر القيام في الشمس ، وروى أنه دخل أبو بكر على امرأة قد نذرين أنها لا تشكلم فقال أبو بكر إن الإسلام هدم هذا فتكلمي والله أعلى .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ أمرها الله تعالى بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع من اتهمها في الكلام

فَأَتَتْ بِهِ عَوْمَهَ تَمْ لُهُ قَالُواْ يَدْمَرْيَمُ لَقَدْ جِنْتِ شَيْعًا فَرِيًّا ﴿ يَأَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ آمْرَأَ سَوْءِ وَمَا كَانَتْ أَمْكِ بَغِيًّا ﴿ فَا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ

نُكِيِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ١

لمعنيين (أحدهما) أن كلام عيسى عليه السلام أقوى فى إزالة التهمة من كلامها وفيه دلالة على أن تفويض الامر إلى الافضل أولى (والثانى) كراهة مجادلة السفها. وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها.

﴿ المسألة التاسعة ﴾ اختلفوا في أنها هل قالت معهم (إلى نذرت للرحمن صوماً) فقال قوم إنها ماتكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأن تأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فاذا أتت بهذا النذر فلو تمكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المنافضة ولكنها أمسكت وأومأت برأسها ، وقال آخرون إنها مانذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم (إلى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) وهذه الصيغة وان كانت عامة إلا أنها صارت بالقرينة مخصوصة في حق هذا الكلام قوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً . يا أخت هرون ما كان أبوك امراً سوء وما كانت أمك بغياً . فأشارت اليه قالوا كيف نسكلم من كان في المهد صبياً ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلفوا فى أنها كيف أتت بالواد على أفوال (الأول) ماروى عنوهب قال أنساها كرب الولادة وما سمعته من الناس ماكان من كلام الملائكة من البشارة بعيسى عليه السلام فلما كلمها جاءها مصداق ذلك فاحتملته وأقبلت به إلى قومها (الثانى) ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يوسف انتهى بمريم إلى غار فأدخلها فيه أربعين يوماً حتى طهرت من النفاس ثم أتت به قومها تحمله فكلمها عيسى فى الطريق ، فقال ياأماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه . وهذان الوجهان محتملان وليس فى القرآن ما يدل على التعيين .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الفرى ، البديع وهو من فرى الجلد يروى أنهم لما رأوها ومعها عيسى عليه السلام قالوا لها (لقد جنت شيئا فريا) فيحتمل أن يكون المراد شيئا عجيباً خارجاً عن العادة من غير تعيير وذم ويحتمل أن يكون مرادهم شيئاً عظيها منكراً فيكون ذلك منهم على وجه الذم وهذا أظهر لقولم بعده (ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) لأن هذا القول ظاهره التوييخ وأما هرون ففيه أربعة أقوال: (الأول) أنه رجل صالح من بني اسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمراد أنك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا، وهو قول

قنادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يسمون هرون تبركا به وباسمه (الثانى) أنه أخو موسى عليه السلام وعن الذي يتلق إنما عنوا هرون النبي وكانت من أعقابه وإنما قبل أخت هرون كما يقال ياأخا همدان أى ياواحداً منهم (والثالث) كان رجلا معلناً بالفسق فنسبت إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة (الرابع) كان لها أخ يسمى هرون من صلحاء بنى اسرائيل فعيرت به وهذا هو الاقرب لوجهين (الاول) أن الاصل في الكلام الحقيقة وإنما يكون ظاهر الآية محمولا على حقيقتها لوكان لها أخ مسمى بهرون (الثانى) أنها أضيفت اليه ووصف أبواها بالصلاح وحينتذ يصير التوبيخ أشد لان من كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ القراءة المشهورة (ما كان أبوك امرأ سوء) وقرا عمرو بن رجاء التميمى (ماكان أباك امرؤ سوء) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ أنهم لما بالغوا في توبيخها سكتت وأشارت اليه أى إلى عيسى عليه السلام أى هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه وعن السدى لما أشارت اليه غضبوا غضباً شديداً وقالوا لنخريتها بنا أشد من زناها ، روى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره وأشار بسبابته ، وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصيان . وقيل إن زكريا عليه السلام أتاها عند مناظرة اليهود إياها ، فقال لعيسى عليه السلام أنطق بحجتك إن كنت أمرت بها فقال عيسى عليه السلام أنه يتكلم ؟ قلنا إن جبريل عليه السلام أو عيسى عليه السلام أنه يتكلم ؟ قلنا إن جبريل عليه السلام أو عيسى عليه السلام أنه يتكلم ؟ قلنا إن جبريل عليه السلام أو عيسى عليه السلام ناداها من تحتها أن لا تحزي وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت ، فصار ذلك كالتنبيه لها على أن الجيب هوعيسى عليه السلام أو لعلها عرفت بالوحى اليها على سبيل الكرامة ، يق ههنا محنان :

﴿ البحث الأول ﴾ قوله (كيف نكلم منكان فى المهد صبياً) أى حصل فى (المهد) فكان همنا بمعنى حصل و وجد وهـذا هو الأقرب فى تأويل هـذا اللفظ ، وإن كان الناس قد ذكروا وجوها أخر .

﴿ البحث الثانى ﴾ اختلفوا فى المهد فقيل هو حجرها لما روى أنها أخذته فى خرقة فأتت به قومها فلما رأوها قالوا لها ماقالوا فأشارت اليه وهو فى حجرها ولم يكن لها منزل معد حتى يعد لها المهد أو المعنى (كيف نكلم صبياً) سبيله أن ينام فى المهد .

قَالَ إِنِي عَبْدُ اللّهِ ءَاتَنْنِي الْكِتَابَ وَ وَجَعَلَنِي نَبِيّانَ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأُوصَتِي بِالصَّلَوْةِ وَالزِّكُوةِ مَادُمْتُ حَيَّانَ وَبَرَّا بِوَلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا كُنتُ وَأُوصَتِي بِالصَّلَوْةِ وَالزِّكُوةِ مَادُمْتُ حَيَّانَ وَيَوْمَ أَبُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّانَ اللّهَ مَلَى يَوْمَ وُلِدتْ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّانَ اللّهَ مَلَى يَوْمَ وُلِدتْ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّانَ اللّهَ

قوله تعالى : ﴿ قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلى نبياً ، وجعلى مباركا أينها كنت وأوصائى بالصلوة والزكوة مادمت حياً ، وبراً بوالدنى ولم يجعلى جباراً شقياً ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾.

اعلم أنَّه وصف نفسه بصفات تسع: (الصفة الأولى) قوله (إنَّى عبـد الله) وفيه فوائد: (الفائدة الأولى) أن الكلام منه في ذلك الوقت كان سبباً للوهم الذي ذهبت اليه النصاري ، فلا جرم أول ما تكلم إنما تكلم بما يرفع ذلك الوهم فقال (إنى عبد الله) وكان ذلك الكلام وإن كان موهماً من حيث إنه صدر عنه في تلك الحالة ، ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من حيث إنه تنصيص على العبودية (الفائدة الثانية) أنه لما أقر بالعبودية فانكان صادفاً في مقاله فقد حصل الغرض و إن كانكاذباً لم تـكن القوة قوة إلهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يبطل كونه إلهآ (الفائدة الثالثة) أن الذي اشتدت الحاجة اليه في ذلك الوقت إنميا هو نغي تهمة الزنا عن مربم عليها السلام ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك و إنما نص على إثبات عبو دية نفسه كأنه جعل إزالة النهمة عن الله تعالى أو لي من إزالة النهمة عن الآم ، فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بهما (الفائدة الرابعة) وهي أن التكلم بازالة هـذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لايخِص الفاجرة بولد فيهذ، الدرجة العالية والمرتبة العظيمة . وأما النكلم بازالة التهمة عن الام لايفيد إزالة النهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى فهذا بحموع ما في هذا اللفظ من الفوائد، واعلم أن مذهب النصارى متخبط جداً، وقد اتفقوا على أنه سبحانه ليس بجسم و لا متحيز ، ومع ذلك فانا نذكر تقسيما حاصرا يبطل مذهبهم على جميع الوجوه فنقول : إما أن يُعتقدوا كونه متحيزا أو لا ، فإن اعتقدوا كونه متحيزاً أبطلنا قولهم باقامة الدلالة على حدوث الاجسام ، وحينتذ يبطل كل ما فرعوا عليه . وإن اعتقدوا أنه ليس متحيز فحينتذ يبطل ما يقوله بعضهم من أن الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الما. بالخر وامتزاج النار بالفحم لأن دلك لا يعقل إلا في الأجسام فاذا لم يكن جسما استحال ذلك ثم نقول للناس قولان في الانسان منهم من قال إنه هرهذه البنية أو جسم موجود في داخلها ومنهم من يقول إنه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الاُجسام فنقول هؤلًا. النصاري ، إمّا أن يعتقدوا أن اللهأوصفة من صفاته اتحد ببدن

المسيح أوبنفسه أو يعتقدوا أن الله أو صفة من صفاته حل في بدن المسيح أوفي نفسه ، أو يقولوا لانقول بالاتحاد ولا بالحلول وَلكن نقول إنه تعمالي أعطاه القدرة على خلق الاجسام والحيماة والقدرة وكان لهذا السبب إلها ، أو لا يقولوا بشي، من ذلك ولكن قالوا إنه على سبيل التشريف اتخذه ابأكما اتخذ أبراهيم على سبيل التشريف خليلافهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب، والكل باطل، أما القول الأولُّ بالاتحاد فهو باطل قطعاً ، لأنالشيئين إذا اتحدًا فهما حال الاتحاد، إما أن يكونا موجودين أو معدومين أو يكون أحدهماموجوداً والآخر معدوماً ، فان كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل، وان عدما وحصل ثالث فهو أيضاً لايكون اتحاداً بل يكون قولا بعدم ذينك الشيئين ، وحصول شيء ثالث ، وإن في أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالوجود لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتحاد عال . وأما الحلول فلنا فيه مقامان : (الأول) أن التصديق مسبوق بالتصور فلابد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا أن نعلم أنه هل يصح علىالله تعالى أو لايصح وذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة : (أحدها)كون الشي. في غيره ككون ما. الورد في الورد والدهن في السمسم والنار في الفحم ، واعلم أن هذا باطل لأن هذا إنما يصح لوكان الله تعالى جسما وهم وافقونا على أنه ليس بجسم (وثانيها) حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم فنقول المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الحمر تبعاً لحصول محله فيه ، وهــذا أيضاً إنمــا يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعمالي (و ثالثها) حصوله في الشيء على مثمال حصول الصفات الإضافية للذوات فنقول هـذا أيضاً باطل لان المعقول من هـذه التبعية الاحتياج فلوكان الله الله تعالى فى شي. سهذا المعنى لكان محتاجا فكان بمكناً فكان مفتقراً إلى المؤثر ، وذلَّك محال ، وإذا ثبت أنه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن إثباته في حق الله تعالى امتنع إثباته . (المقام الثانى) احتج الاصحاب على نفى الحلول مطلفاً بأن قالوا لو حل لحل، إما مع وجوب أن يحل أو مع جواز أن يحل والقسمان باطلان ، فالقول بالحلول باطل ، وإنمـا قلنا إنه لايجوز أن يحل مع وجوب أن يحل لأن ذلك يقتضي إما حدوث الله تعالى أو قدم المحل وكلاهما باطلان ، لإنا دللنا على أن الله قديم . وعلى أن الجسم محدث ، ولانه لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجاً إلى المحل والمحتاج إلى العير بمكن لذانه لا يكون واجباً لذانه ، وإبما قلنا إنه لايجوز أن يحل مع جواز أن يحل لانه لما كانت ذاته واجهبة الوجود لذاتها وحلوله في المحل أمر جائز، والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز فيلزم أن يكون حلوله فى المحل أمرآ زائداً على ذاته وذلك محال لوجهين (أحدهما) أن حلوله في المحل لوكان زائداً على ذاته لكان حلول ذلك الزائد في محله زائداً على ذاته أولزم التسلسل وهو محال (والثاني) أن حلوله في ذلك لمــاكان زائداً على ذاته فاذا حل في محل وجب أن يحل فيه صفة محدثة ، وذلك محال لانه لوكان قابلا للحوادث.

لكانت تلك القابلية من لوازم ذاته ، وكانت حاصلة أزلا ، وذلك محال لأن وجود الحوادث في الازل محال ، فحصول قابليتها وجب أن يكون متنع الحصول فان قيل لم لايجوزان يحلمع وجوب أن يحل. لانه يلزم ، إما حدوث الحال أو قدم الحل قلنا لانسلم وجوب أحدالامرين ، ولم لايجوز أن يقال إن ذاته تقتصى الحلول بشرط وجود المحل فني الآزل ما وجد المحل فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلاجرم لم يجب الحلول ، وفيما لايزال حصل هذا الشرط فلاجرم و جب سلمنا أنه يلزم ، إما حدوث الحال أو قدم المحل فلم لا يحوز . قوله إنا دلانا على حدوث الاجسام ، قلنا لم لا يجوز أن يكون محله ليس بحسم ولكنه يكون عقلا أو نفساً أو هيولي على ما يثبته بعضهم ، ودليلكم على حدوث الاجسام لايقبل حدوث هذه الأشياء ، قوله ثانياً لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجا إلى المحل ، قلنا لانسلم وجوب أحد الأمرين بلهمنا احتمالان آخران (أحدهما) أن العُلة وإن امتنع انفكا كها عن المعلول لكمها لا تكون محتاجة إلى المعلول فلم لا يحوز أن يقال إن ذاته غنية عن ذلك المحلولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك المحل من معلولات ذاته ، وقد ثبت أن العلة وإن استحال انفكاكها عن المعلول لكن ذلك لايقتضى احتياجها إلى المعلول (الثاني) أن يقال إنه في ذاته يكون غنياً عن المحلول (الثاني) أن يقال إنه في ذاته يكون غنياً عن المحلول (الثاني) المحل يوجب لذاته صفة الحلول، فالمفتقر إلى المحل صفة من صفاته وهي حلوله في ذلك المحل فأما ذاته فلا ولا يلزم من افتقار صفة من صفاته الإضافية الى الغير افتقار ذاته إلى الغير وذلك لأن جميع الصفات الإضافية الحاصلة له مثل كونه أو لا وآخراً ومقارناً ومؤثراً ومعلوماً ومذكوراً يما لا يتحقق إلا عند حصول التحيز، وكيف لا والإضافات لابد في تحققها من أمرين، سلمنا ذلك ؛ فلم لايجوز أن يحل مع جواز أن يحل . قوله يلزم أن يكون حلوله فيه زائداً عليه ، ويلزم التساسل ، قلنا حلوله في المحل لما كان جائزاً كان حلوله في المحل زائداً عليه ، أما كون ذلك الحلول حالاً في المحل أمر واجب فلا يلزم أن يكون حلول الحلول زائداً عليه فلا يلزم التسلسل. قوله ثانياً يلزم أن يصير محل الحوادث ، قلنا لم لا يجوز ذلك قوله يلزم أن يكون قابلا للحوادث في الأزل، قلنا لاشك أن تمكنه من الابحاد ثابت له إما لذاته أو لامر ينتهي إلى ذاته، وكيف كان فيلزم صحة كونه مؤثراً في الإزل فكل ما ذكرتموه في المؤثرية فنحن نذكره في القابلية. والجواب أنا نقرر هذه الدلالة على وجه آخر بحيث تسقط عنها هذه الاسئلة ، فنقول ذاته ، إما أن تكون كافية اقتضاء هذا الحلول أو لا تكون كافية في ذلك فان كان الأول استحال توقف ذلك الإقتضاء على حصول شرط فيعود ماقلنا إنه يلزم إما قدم المحل أو حدوث الحال. وإنكان الثابي كان كونه مقتضياً لذلك الحلول أمراً زائداً على ذاته حادثا فيه فعلى التقديرات كلها يلزم من حدوث حلوله في محل حدوث شيء فيه لكن يستحيل أن يكون قابلًا للحوادث ، وإلا لزم أن يكون في الازل قابلًا لها وهو محال على مابيناه ، وأما المعارضة بالقدرة فغير واردة لانه تعالى لمناله قادر على الإيحاد في الأزل فهو قادر على الإيجاد فيها لايزال فهمنا أيضاً لوكانت ذات الله

للحوادث لكانت في الأزل قابلة لها فحينتذ يلزم المحال المذكور . هذا تمام القول في هذه الأدلة ولنا في إبطال قول النصاري وجوه أخر (أحدها) أنهم وافقونا على أن ذاته سبحانه وتعالى لم تحل في ناسوت عيسي عليه السلام بل قالو ا الكلمة حلت فيه ، والمراد من الكلمة العلم . فنقول: العلم لما حل في عيسي فني تلك الحالة إما أن يقال إنه بتي في ذات الله تعالى أو مابتي فيها فانكان الأول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين . وذلك غير معقول ولأنه لو جاز أن يقال العلم الحاصل فى ذات عيسى عليه السلام هو العلم الحاصل فى ذات الله تعالى بعينه ، فلم لا مجوز فى حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصـل لذات الله تعالى ، و إن كان الثانى لزم أن يقال إن الله تعالى لم يبق عالماً بعد حلول علمه فى عيسى عليه السلام وذلك بما لا يقوله عاقل (و ثانيها) مناظرة جرت بيني وبين بعض النصاري ، فقلت له على تسلم أن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول أم لا؟ فإن أنكرت لزمك أن لا يكون الله تعالى قديما لأن دليل وجوده هو العالم فاذا إزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم من عدم العالم في الأزل عدم الصانع في الأزل، وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدايل عدم المدلول، فنقول إذا جوزت اتحاد كلمة الله تعالى بعيسي أو حلولها فيه فكُيف عرفت أنكلمة الله تعالى مادخلت في زيد وعمرو بل كيف أنها ماحلت في هذه الهرة وفي هذا الكلب ، فقال لي إن هذا السؤال لايليق بك لانا إنما أثبتنا ذلك الإتحاد أو الحلول بنا. على ماظهر على يد عيسى عليه السلام من إحيا. الموتى وإبراء الأكمه والابرص ، فاذا لم نجد شيئاً من ذلك ظهرعلى يد غيره فكيف نثبت الاتحاد أو الحلول، فقلت له إنى عرفت من هذا الكلام أنك ماعرفت أول الكلام لأنك سلت لى أن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فاذا كان هذا الحلول غير ممتنع في الجملة فأكثر مافي الباب أنه وجد مايدل على حصوله في حق عيسى عليه السلام ولم يوجد ذلك الدليل في حق زيد وعمرو ولكن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فلا يلزم من عدم ظهور هذه الخوارق على يد زيد وعمرو وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول، فثبت أنك مهما جوزت القول بالاتحاد والحلول لزمك تجويز حصول ذلك الاتحاد وذلك الحلول في حق كل واحد بل في حق كل حيران ونبات ولا شك أن المذهب الذي يسوق قائله إلى مثل هذا القول الركيك يكون باطلا قطعاً ، ثم قلت له وكيفَ دل إحياء الموتى وإبرا. الاكمه والابرص على ماقلت؟ أليس أن انقلاب العصا ثعباناً أبعد من انقلاب الميت حياً فاذا ظهر ذلك على يد موسى عليه السلام ولم يدل على إلهيته فبأن لايدل هذا على آ لهية عيسي أولى (و ثالثها) أنا نقول دلالة أحوال عيسي على العبودية أقوى من دلالتها على الربوبية لأنه كان مجتهداً في العبادة والعبادة لا تليق إلا بالعبيد فانه كان في نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصارى إن اليهود قتلوه ومن كان فىالضعف هكذا فكيف تليق به الربوية (ورابعها) المسيح إما أن يكون قديمًا أو محدثًا والقول بقدمه باطل لآنا نعلم

بالضرورة أنه ولد وكان طفلا ثم صار شاباً وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر ، وإن كان محدثاً كان مخلوقاً ولا معنى للعبودية إلا ذلك ، فان قيل المعنى بإلهيته أنه حلت صفة الآلهية فيه ، قلنا هب أنه كان كذلك لكن الحال هو صفة الإله والمسيح هو المحل والمحل محدث مخلوق فما هو المسيح [إلا]عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالإلهية (وخامسها) أن الولد لابد وإن يكون من جنس الوالد فان كان لله ولد فلا بد وأن يكون من جنسه فاذن قد اشتركا من بعض الوجوه، فإن لم يتميز أحدهما عن الآخر بأمر ما فكل و احد منهما هو الآخر، و إن حصل الإمتياز في الهمتياز غير مابه الاشتراك ، فيلزم وقوع التركيب في ذات الله وكلمركب ممكن ، فالواجب ممكن هذا لخلف محال هذا كله على الإنحاد والحلول (أما الاحتمال الثالث) وهو أن يقال معنى كونه إلها أنه سبحانه خص نفسه أو بدنه بالقدرة على خلق الأجسام والتصرف في هذا العالم فهذا أيضاً باطل لأن النصاري حكوا عنه الضعف والعجز وأن اليهود قتاوه ولوكان قادراً على خلق الاجسام لما قدروا على قنله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكراً يذبون عنه (وأما الاحتمال الرابع) وهو أنه اتخذه ابناً لنفسه علىسبيلالتشريف فهذا قد قال به قوم منالنصارى يقال لهم الأرميوسية وليس فيه كثير حطأ إلا في اللفظ فهذا جلة الكلام على النصاري وبه ثبت صدق ماحكادالله تعالى عنه أنه قال إنى عبدانه (الصفة الثانية) قوله تعالى (آنانى الكتاب)وفيه مسائل: ﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلف الناس فيه فالجمهور على أنه قال هذا الكلام حال صغره وقال أبو القاسم البلخي إنه إنما قال ذلك حين كان كالمراهق الذي يفهم وإن لم يبلغ حد التكايف أما الاولون ملهم قولان (أحدهما) أنه كان في ذلك الصغر نبياً (الثاني) روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال المراد بأن حكم وقضى بأنه سيبعثني من بعد و لما تكلم بذلك سكت وعاد إلى حال الصغر ، ولما بلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبياً ، واحتج من نص على فساد القول الأول بأمور (أحدها) أن الني لايكون إلا كاملا والصغير ناقص الحلقة بحيث يعد هذا التحدي من الصغير منفراً بل هو في التنفير أعظم من أن يكون امرأة (وثانيها) أنه لوكان نبياً في هذا الصغر لكان كال عقله مقدماً على ادعائه للنبوة إذ الني لابد وأن يكون كامل العقل لكن كال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدماً على التحدي وإنه غير جائز (وثالثها)أنه نو كان نبياً في ذلك الوقت لوجب أن يشتغل ببيان الاحكام، وتعريف الشرائع ولو وقع ذلك لاشتهر ولنقل فحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه ماكان نبياً في ذلك الوقت . أجاب الأولون عن الكلام الأول بأن كون الصبي ناقصاً ليس لذاته بل الأمر يرجع إلى صغر جسمه ونقصان فهمه ، فاذا أزال الله تعالى هذه الأشياء لم تحصل النفرة بل تكون الرغبة إلى استماع قوله وهو على هذه الصفة أتم وأكمل. وعن الكلام الثاني لم لايجوز أن يقال إكمال عقله وإن حصل مقدمًا على دعواه إلا أنه معجزة لزكريا عليه السلام ، أو يقال إنه إرهاص لنبوته أو كرامة لمريم

عليها السلام وعندنا الإرهاص والكرامات جائزة ، وعن الكلام الثالث لملايجوز أن يقال مجرد بعثته إليهم من غير بيان شيء من الشرائع والاحكام جائز ثم بعد البلوغ أخد في شرح تلك الاحكام ، فثبت بهذا أنه لا امتناع في كونه نبياً في ذلك الوقت وقوله (آتاني الكتاب) يدل على كونه نبياً في ذلك الوقت فوجب إجراؤه على ظاهره بخلاف ما قاله عكرمة ، أما قول أبي القاسم البلخي فبعيد وذلك لأن الحاجة إلى كلام عيسى عليه السلام إنما كانت عند وقوع التهمة على مريم عليها السلام.

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا فى ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لآن الآلف واللام فى الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة، وقال أبو مسلم المراد هو الإنجيل لآن ألّالف واللام ههنا للجنس أى آتانى من هذا الجنس، وقال قوم المراد هو التوراة والإنجيل لآن الآلف واللام تفيد الاستغراق.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ختلفوا في أنه متى آتاه الكتاب ومتى جمله نبياً لأن قوله (آتاف الكتاب وجعلى تبياً) يدل على أن ذلك كان قد حصل من قبل إما ملاصقاً لذلك الكلام أو متقدماً عليه بأزمان ، والظاهر أنه من قبل أن كلمهم آناه الله الكتاب وجعله نبياً وأمر, ه بالصلاة والزكاة وأن يدعو الى الله تعالى وإلى دينه وإلى ماخص به منالشريعة فقيل هذا الوحي ولعليه وهو في بطنأمه وقيل لما انفصل من الام آتاه الكتاب والنبوة وأنه تكلم معامه وأخبرها بحاله وأخبرها بأبه يكلمهم بما يدل على براءة حالها فلهذا أشارت إليه بالكلام (الصفة الثالثة) قوله (وجعلى نبياً) قال بعضهم أخبر أنه ني ولكنه ما كان رسو لا لآنه في ذلك الوقت ما جاء بالشريعة ومعنى كونه نبياً أنه رفيع القدر على الدرجة وهذاضعيف لأنالنبي فىعرف الشرعهو الذىخصه انتهبالنبوة وبالرسالة خصوصاً إذا قرن إليه ذكر الشرع وهو قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة (الصفة الرابعة) قوله (وجعلني مباركا أينها كنت) فلقائل أن يقول كيف جعله مباركا والناس كانوا قبله على الملة الصحيحة فلما جا. صار بعضهم يهوداً وبعضهم نصارى قائلين بالتثليث ولم يبق على الحق إلا القليل، والجواب ذكروا فى تفسير المبارك وجوهاً (أحدها) أن البركة في اللغة هي الثبات وأصله من بروك البعير فمعناه جعلى ثابتاً على دين الله مستقرأ عليه (وثانيها) أنه إنما كان مباركا لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فان ضلوا فن قبل أنفسهم لامن قبله وروى الحسن عن النبي براية قال أسلمت أمعيسي عليها السلام عيسى إلى الكتاب فقالت للعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له المعلم أكتب فقال أى شيء أكتب ، فقال أكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدرى ما أبجد ؟ فعلاه بالدرة ليضربه فقال يامؤ دب لا تضربني إن كنت لا تدرى فاسألني فأنا أعلمك الالف من آلاً. الله راباً. من بها. الله والجيم من جمال الله والدال من أدا. الحق إلى الله (وثالثها) البركة الزيادة والعلو فكا نه قال جعلى في جميع الا حوال غالباً مفلحا منجحاً لا ني مادمت أبقى فىالدنيا

أكون على الغير مستعلياً بالحجة فاذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السها.(ورابعها) مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى وإبراء الإ كمه والأبرص ، عن قتادة أنه رأته أمرأة وهو يحيي الموتى ويبرى. الا كم والا برص فقالت طوبي لبطن حملك و ثدى أرضعت به ، فقال عيسى عليه السلام مجيبا لهاطو بى لمن تلاكتاب الله واتبع مافيه ولم يكن جبارأشقياً . أما قوله (أينها كنت) فهو يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل إنه عاد إلى حال الصغر وزوال التكليف (الصفة الخامسة) قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً)فان قيل كيف أمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلا صغيراً والقلم مرفوع عنه على ما قاله على ﴿ رَفِعَ الْقُلُّمُ عَن ثُلَاثُ عَن الصِّي حَي يبلغ، الحديث وجوابه من وجهين (الأول) أن قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة) لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ فلعل المراد أنه تعالى أوصاه بهما وبأدائهما في الوقت المعين له وهو وقت البلوغ (الثاني) لعل الله تعالى لما انفصل عيسي عن أمه صيره بالغاً عاقلا تام الاعضا. والحلقة وتحقيقه قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) فـكما أنه تعالى خلق آدم تاماً كاملا دفعة فكذا القول في عيسي عليه السلام ، وهذا القول الثاني أقرب إلى الظاهر لقوله (مادمت حياً) فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حيائه ولكن لقائل أن يقول لوكان الأمركذلك لكان القوم حين رأوه فقد رأوه شخصاً كامل الاعضاء تام الحلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجباً فكان ينبغي أن لا يعجبوا فلعل الا ولي أن يقال إنه تعالى جعله مع صغر جثته قوى النركيبكامل العقل بحيثكان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل مرة أخرى (الصفة السَّادسة) قوله تعالى (وبرأ بوالدتى) أى جعلى برا بوالدتى وهذا يدل على قولنا إن فعل العبد مخلوق لله تعالى لا ن الآية تدل على أن كونه برأ إنما حصل بجعل الله وخلقه وحمله على الا لطاف عدول عن الظاهر ثم قوله (وبرأبو الدتى) إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا إذلو كانت زانية لماكان الرسول المعصوم مأموراً بتعظيمها قال صاحب الكشاف جعل ذاته برآ لفرط بره ونصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لا أن أوصاني بالصلاة وكلفني بها واحد (الصفة السابعة) قوله (ولم يجعلني جباراً شقياً) وهذا أيضاً يدل على قولنا لانه لما بين أنهجعلهبراً وماجعلهجباراً فهذا إنما يحسن لو أن الله تعالى جعل غيره جباراً وغيربار بأمه ، فان الله تعالى لوفعل ذلك بكل أحد لم يكن لعيسى عليه السلام مريد تخصيص بذلك، ومعلوم أنه عليه السلام إنما ذكر ذلك في معرض التخصيص وقوله (ولم يجعلني جباراً) أي ماجعلني مشكبراً بل أنا خاضع لأني متواضع لها ولو كنت جباراً لكنت عاصياً شقياً . وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي وعن بعض العلماء لاتجد العاق إلاجباراً شقياً وتلا (وبراً بوالدتى ولم يجعلني جباراً شقياً) ولا تجد سي. الملكة إلا مختالا فحوراً وقرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فحوراً) (الصفة

ذَاكَ عِيسَى أَبْنُ مَرْيَمَ قُولَ ٱلْحَتِي ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَغْفِذَ مِن وَلَا سُبْحَنْنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ١

الثامنة) هي قوله (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) وفيه مسائل : ﴿ المسألة الأولى ﴾ قال بعضهم لام التعريف في السلام منصرف إلى ما تقدم في قصتي يحبي عليه السلام من قوله (وسلام عليه) أى السلام الموجه اليه فى المواطن الثلاثة موجه إلى أيضاً وقال صاحب للكشاف الصحيح أن يكون هذا التعريف تعويضاً باللعن على مرب اتهم مريم بالزنا وتحقيقه أن اللام للاستغراق فاذا قال (والسلام على) فكا نه قال وكل السلام على وعلى أتباعى فلم يبق للأعداء إلا اللعن ونظيره قول موسى عليه السلام (والسلام على من اتبع الهدى) بمعنى أن العذاب على من كذب وتولى ، وكان المقام مقام اللجاج والعناد ويليقٍ به مثل هذا التعريض . ﴿ المسألة الثانية ﴾ روى بعضهم عن عيسى عليه السلام أنه قال ليحيى أنت خير مني سلم الله عليك

وسلمت على نفسى وأجاب الحسن فقال إن تسليمه على نفسه بتسليم الله عليه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال القاضي السلام عبارة عما يحصل به الأمان ومنه السلامة في النعم وزوال الآفات فكما نه سال ربه وطلب منه ماأخبر الله تعالى أنه فعله بيحي ، ولابد في الانبياء من أنْ يكونو ا مستجابي الدعوة وأعظم أحوال الإنسان احتياجا إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث فجميع الاحوال التي يحتاج فيهما إلى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى طلبها ليكون مصو ماً عن الآفات والمخافات في كل الاحوال، واعلم أن اليهود والنصارى ينكرودان عيسى عليه السلام تكلم فى زمان الطفولية واحتجوا عليه أن هذا من الوقائع المجيبة التي تتوافر الدواعيعلى نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولوكان ذلك لعرفه النصارى لاسماوهممن أشد الناس بحثًا عن أحواله وأشد الناس غلواً فيه حتى زعموا كونه إلها ولاشك أن الكلام في الطفولية من المنافب العظيمة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحبوكال البحث عن أحو اله علمنا أنه لم يوجدو لأن البهود أظهروا عداوته حال ماأظهر ادعاً. النبوة فلو أنه عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وادعى الرسالة لكانت عداوتهم معه أشد ولكان قصدهم قتله أعظم فحيث لم يحصل شي. من ذلك علمنا أنه ماتكلم،أما المسلمون فقد احتجوامن جهة العقل على أنه تكلم فانه لو لاكلامه الذي دلهم على براءة أمه من الزنا لمـا تركوا إقامة الحد على الزنا علما فني تركهم لذلك دلالة على أنه عليه السلام تكلم في المهد وأجابوا عن الشبهة الأولى بأنه ربما كان الحاضرون عندكلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثانى لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعواكلامه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله . قوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ وفيه مسائل: ﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود (قال الحق) ورقال الله) وعن الحسن (قول الحق) بضم القاف وكذلك في الأنعام قوله (الحق) والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب ، أما ارتفاعه فعلى أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ، وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله أوعلى أنه مصدر ، وكد لمضمون الجلة كذوك هو عند الله الحق لا الباطل والله اعلم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لاشبه أن المراد بقوله (ذلك عيسى ابن مريم) الاشارة إلى ما تقدم وهو أوله (إنى عبد الله آتاني الكتاب) أي ذلك الموصوف بهـذه الصفات هو عيسي ابن مريم وفى قوله (عيسى ابن مريم) إشارة إلى أنه ولد هذه المرأة وابنها لا أنه ابن الله ، فأما (قولهالحق) ففيه وجوه : (أحدها) وهو أن نفس عيسى عليه السلام هو قول الحق وذاك لأن الحق هو اسم الله فلا فرق بين أن نقول عيسي كلمة الله وبين أن نقول عيسي قول الحق (و ثانيها) أن يكون المراد (ذلك عيسى ابن مريم القول الحق) إلا أنك أضفت الموصوف إلى الصفة فهو كقوله (إن سذا لهو حق اليقين) وفائدة قولك (القول الحق) تأكيد ما ذكرت أولا من كون عيسي عليه السلام ابناً لمريم (وثالثها) أن يكون قول الحق خبراً لمبتدأ محذوف كا نه قيل ذلك عيسي ابين مريم ووصفنا له هو قول الحق فكا نه تعالى وصفه أو لاثم ذكر أن هذا الموصوف هوعيسي ان مربم ثم ذكران هذا الوصف أجمع هوقول الحق على معنى أنه ثابت لايجوز أن يبطل كما بطل مايقع منهم من المرية ويكون في معنى إن هـذا (لهو الحق اليقين) . فأما امتراؤهم في عيسي عليه السلام فالمذاهب التي حكيناها من قول البهود والنصاري وقد تقدم ذكر ذلك في سورة آل عمران ، روى أن عيسي عليه السلام لمـا رفع حضراً ربعة من أكابرهم وعلمائهم فقيل للأول ماتقول في عيسى؟ فقال هو إله والله إله وأمه إله ، فتابعه على ذلك ناس وهم الاسرائيلية ، وقيل للرابع ما تقول؟ فقال هو عبد الله ورسوله وهو المؤمن المسلم، وقال أما تعلمون أن عيسى كان يطعم وينام وأن الله تعالى لا يجوز عليه ذلك؟ فخصمهم ، أما قوله (ماكان لله أن يتخذ من ولد) فهو يحتمل أمرين : (أحدهما) أن ثبوت الولد له محال فقولنا (ما كان لله أن يتخذ من ولد) كقوله ما كان لله أن يقول لاحد إنه ولدى لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمة الله تعالى وكاله فقوله (ما كان لله أن يتخذ من ولد) كقولنا ماكان لله أن يظلم أي لايليق ذلك بحكمته وكمال إلهبته ، واحتج الجبائي بالآية بنا. على هذا التفسير أنه ليس لله أن يفعل كل شيء لانه تعالى صرح بأنه ليس له هذا الايجاد أي ليس له هذا الاختيار وأجاب أصحابنا عنه بأن الكذب محال على الله تعالى فلا جرم قال (ماكان لله أن يتخذ من ولد) أما قوله (سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أنه تعالى لما قال سبحانه ثم قال عقيبه (إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون)كان كالحجة على تنزيهه عن الولد وبيان ذلك أن الذي يجعل ولداً لله ، إما أن يكون

قديماً أزلياً أو يكون محدثاً فانكان أزلياً فهو محال لانه لوكان واجباً لذاته لكان واجب الوجود أكثر من واحد . هذا خلف . وإن كان مكنا لذاته كان مفتقرا في وجوده الى الواجب لذاته غنياً لذاته فيكون الممكن محتاجا لذاته فيكون عبدا له لأنه لامعنى للعبودية إلا ذلك ، وأما إنكان الذي يجعل ولدأ يكون محدثا فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم وايجاده وهو المراد من قُوله (إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) فيكون عبداً له لا ولداً له فثبت أنه يستحيل أن يكون ته ولد.

﴿ الْمُسَالَةُ الثَّانِيةِ ﴾ احتج الاسحاب بقوله (إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) على ندم كلام الله تعالى قالوا لأن الآية تدل على أنه تعالى إذا أراد إحداث شي. قال له ركن فيكون فلو كان قوله كن عدمًا لافتقر حدوثه الى قول آخر ولزم التسلسل وهو محال ، فثبت أن قول الله قديم لامحدث ، واحتبج المعتزلة بالآية على حدوث كلام الله تعالى من وجوه : (أحدها) أنه تعالى أدخل عليه كلمة إذا وهذه الكلمة دالة على الاستقبال فوجب أن لايحصل القول إلا في الاستقبال (و ثانيها) أن حرف الفاء للتعقيب والفاء في قوله (فانما يقول له) يدل على تأخر ذلك القول عن ذلك القضاء والمتأخر عن غيره محدث (وثالثها) الفاء في قوله (فيكون) يدل على حصول ذلك الشيء عقيب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله متقدما على حدوث الحادث تقدما بلا فصل والمتقدم على المحدث تقدماً بلا فصل يكون عدثاً ،فقول الله محدث. واعلم أن استدلال الفريقين ضميف ، أما استدلال الاصحاب فلأنه يقتضى أن يكون قوله (كن) قديماً وذلك باطل بالاتفاق، وأما استدلال المعتزلة فلأنه يقتض أن يكون قول الله تعالى هو المركب من الحروف والاصوات وهو محدث وذلك لا نزاع فيه إنمــا المدعى قدم شي. آخر .

﴿ الْمُسْأَلَةُ الثَّالَثَةُ ﴾ من الناس من أجرى الآية على ظاهرها فزعم أنه تعالى إذا أحدث شيئاً قال له كن وهـذا ضعيف لانه ، إما أن يقول له كن قبل حدوثه أوحال حدوثه . فار كان الأولكان ذلك خطاباً مع المعدوم وهو عبث وإنكان الثاني فهوحال حدوثه قد وجدبالقدرة والإرادة فأى تأثير لقوله كن فيه ، ومن الناس من زعم أن المراد من قوله (كن) هو التخليق والتكوين وذلك لأن القدرة على الشيء غير و تكوين الشيء غير فان الله سبحانه قادر في الأزل وغير مكون في الأزل ، ولأنه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكون لها ، والقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون لأنا نقول المكون إنما حدث لأن الله تعالى كونه فأوجده ، فلوكان التكوين نفس المكون لـكان قولنا المكون إنمــا وجد بتــكوين الله تعالى نازلا منزلة قولنا المكون إنما وجد بنفسه وذلك محال، فثبت أن التكوين غير المكون فقوله (كن) إشارة الى الصفة المسهاة بالتكوين، وقال آخرون قوله (كن) عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيئته في الممكنات . فان وقوعها بتلك القدرة والإرادة من غير امتناع واندفاع

يجرى مجرى العبد المطيع المسخر المنقاد لأو امر مولاه، فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللهُ رَبِي وَرَبُكُمْ فَاعِبْدُوهُ هَذَا صَرَاطُ مَسْتَقِيمٌ . فَاخْتَلْفُ الْآحِزَابِ مِن بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم . أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين . وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الآمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون . إنا نحن نرث الارض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾

اعلم أن قوله (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه) فيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ المدنيون وأبو عزو بفتح أن ، ومعناه ولانه ربى وربكم فاعبدوه ، وقرأ الكوفيون وأبر عبيدة بالكسر على الابتداء ، وفى حرف أبى (إن الله) بالكسر من غير واو أى بسهب ذلك فاعبدوه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أنه لايصح أن يقول الله (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه) فلا بد وأن يكون قائل هذا غير الله تعالى، وفيه قولان (الأول) التقدير فقل يامحمد إن الله ربى وربكم بعد إظهار البراهين الباهرة فى أن عيسى هو عبد الله (الثانى) قال أبو مسلم الاصفهانى : الواو فى وإن الله عطف على قول عيسى عليه السلام (إنى عبد الله آتانى السكتاب) كانه قال إنى عبد الله وإنه ربى وربكم فاعبدوه، وقال وهب بن منبه عهد إليهم حين أخبرهم عن بعثه ومولده ونعته أن الله ربى وربكم أى كلنا عبيد الله تعالى .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (و إن الله ربى وربكم) يدل على أن مدبر الناس ومصلح أمورهم هوالله تعالى على خلاف قول المنجمين إن مدبر الناس ومصلح أمورهم فى السعادة والشقاوة هى الكواكب ويدل أيضاً على أن الإله واحد لأن لفظ الله اسم علم له سبحانه فلما قال (إن الله ربى وربكم)

أى لا رب للمخلوقات سوى الله و تعالى وذلك يدل على التوحيد، أما قوله (فاعبدوه) فقد ثبت فى أصول الفقه آن ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فههنا الأمر بالعبادة وقع مرتباً على ذكر وصف الربوبية فدل على أنه إنما تلزمنا عبادته سبحانه لكونه رباً لنا، وذلك يدل على أنه تعالى إنمــا تجب عبادته لكونه منها على الخلائق بأصول النعم وفروعها ، ولذلك فان إبراهيم عليه السلام لما منع أباه من عبادة الأوثان قال (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً) يعنى أما لما لم تكن منعمة على العباد لم تجز عبادتها ، وبهذه الآية ثبت أن الله تعالى لما كان رباً ومربياً لعباده وجبب عبادته، فقد ثبت طرداً وعكسا تعلق العبادة بكون المعبود منعماً ، أما قوله (هذا صراط مستقيم) يعني القول بالتوحيد و نني الولد والصاحبة صراط مستقيم وأنه سمى مذا القول بالصراط المستقيم تشبيهاً بالطريق لأنه المؤدى إلى الجنة ، أما قوله تعالى : (فاختلف الاحزاب من بينهم) فني الأحزاب أفوال (الأول) المراد فرق النصارى على ما بينا أقسامهم (الثانى) المراد النصارى واليهود فجعله بعضهم ولدا و بعضهم كذابا (الثالث) المراد الكفار الداخل فيهم اليمود والنصارى والكفار الذين كانوا فى زمن محمد علي وإذا قلنا المراد بقوله (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه) أى قل يامحمد إن الله ربى وربكم ، فهذا القول أظهر لأنه لاتخصيص فيه ، وكذا قوله (فويل الذين كفروا) مؤكد لهذا الإحتمال ، وأما قوله (من مشهد يوم عظيم) فالمشهد إما أن يكون هو الشهود وما يتعلق به أو الشهادة وما يتعلق بها (أما الأول) فيحتمل أن يكون المراد من المشهد نفس شهو دهم هول الحساب، والجزا. في القيامة أو مكان الشهود فيه وهوالموقف، أو وقت الشهود، وأما اشهادة فيحتمل أن يكون المراد شهادة الملائكة والانبياء وشهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال ، وأن يكون مكان الشهادة أو وقتها ، وقيل هو ماقالوه وشهدوا به في عيسي وأمه ، وإنما وصف ذلك المشهد بأنه عظيم لانه لاشى. أعظم بمـا يشاهد فى ذلك اليوم من محاسبة ومساءلة ، ولا شى. من المنافع أعظم ممـاً هنالك من الثوب ولا بد من المضار أعظم مما هنالك من العقاب، أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) ففيه مسائل :

و المسألة الأولى ﴾ قالوا التعجب هو استعظام الشيء مع الجهل بسبب عظما ، ثم يجوز استعال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير أن يكون للعظم سبب حصول ، قال الفراء قال سفيان قرأت عند شريح (بل عجبت ويسخرون) فقال إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لايعلم فدكرت ذلك لا براهيم النخعي فقال إن شريحاً شاعر يعجبه علمه ، وعد الله أعلم بذلك منه قرأها (بل عجبت ويسخرون) ومعناه أنه صدر من الله تعالى فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم ، وبهذا التأويل يضاف المكر والاستهزاء الى الله تعالى ، وإذا عرفت هذا فنقول: للتعجب صفتان (إحداهما) ماأف له

(والثانية) أفعل به كقوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) والنحويون ذكروا له تأويلات (الأول) قالوا أكرم بزيد أصله أكرم زيد أى صار ذاكرم كأغد البعير أى صار ذا غدة إلا أنه خرج على لفظ الأمر ومعناء الخبر كما خرج على لفظ الخبر ما معناه الامر كقوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ، والولملدات يرضعن أو لادهن ، قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مداً) أى يمد له الرحمن مدا ، وكذا قولهم رحمه الله خبر وإن كان معتاه الدعاء والباء زائدة (الثانى) أن يقال إنه أمر لكل أحد بأن يحمل زيداً كريماً أى بأن يه فه بالكرم ، والباء زائدة مثل قوله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ولقد سممت لبعض الادباء فيه تأويلا (ثالثا) وهو أن قولك أكرم بزيد يفيد أن زيداً بلغ فى الكرم إلى حيث كا نه فى ذاته صار كرما حتى لو أردت جعل غيره كريما فهو الذى يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك ، كما أن من قال أكتب بالقلم فعناه أن القلم هو الذى يلصقك بمقصودك و يحصل لك غرضك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فوله (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) فيه ثلائة أوجه (أحدها) وهو المشهور الا وي أن معناه ماأسموم وما أبصرهم والتعجب على الله تعالى محال كما تقدم وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ حدير بأن يتعجب منهما بعد ماكانوا صماًوعمياًفي الدنيا ، وقيل معناه النهديد بما سيسمعون وسيبصرون بما يسو. بصرهم ويصدع قلوبهم (وثانيها) قال القاضي ويحتمل أن يكون المراد أسمع هؤلا. وأبصرهم أى عرفهم حال القوم الذين يأتوننــا ليعتبروا وينزجروا (و ثالثها)قال الجبائي ويجوز أسمع الناس بهؤلا. وأيصرهم بهم ليعرفوا أمرهم وسو. عاقبتهم فينزجروا عن الإتيان بمثل فعلهم أما قوله (لكن الظالمون الذيم في ضلال مبين) ففيه قولان (الا ول) لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وفي الآخرة يعرفون الحق (والثاني) (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وهم في الآخرة في ضلال عن الجنة بخلاف المؤمنين، وأما قوله تعالى (وأبذرهم) فلا شبهة في أنه أمر لمحمد ﷺ بأن ينذر من فى زمانه فيصلح بأن يجعل هذا كالدلالة على أن قوله فاختلف الا ُحزاب أراد به اختلاف جميمهم في زمن الرسول ﷺ وأما الإبذار فهو التخويف من العذاب لكي يحذروا من ترك عبادة الله تعالى وأما يوم الحسرة فلا شبهة فى أنه يوم القيامة من حيث يكثر التحسر من أهلالنار وقيل يتحسرأيضا في الجنة إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلىالدرجات العالية والا ول هو الصحيح لا أن الحسرة غم وذلك لا يليق بأهل الثواب، أما قوله تعالى (إذ قضى الا مر) ففيه وجوه (أحدها) إذ قضى الا مر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب(و ثانيها)إذ قضى الا مر يوم الحسرة بفنا. الدنيا وزوال التكايف والا ول أقرب لقوله (وهم لا يؤمنون) فكأ نه تعالى بين أنه ظهرت الحجج والبينات وهم فى غطة وهم لا يؤمنون (وثالثها) روى أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله قضى الا مر «فقال حين يجا. بالموت في صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرخاً على فرح وأهل النار غماً على غم، واعلم أن الموت عرض فلا يجوز أن يصير وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَهِمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًا ﴿ إِنَّهُ مَالَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْعًا ﴿ يَنْ الْبَتِ إِنِي قَدْ جَآءَنِي مِنَ لِرَ تَعْبُدُ مَالا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْعًا ﴿ يَنَا بَتِ إِنِي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَالَدْ يَأْتِكَ فَا تَبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿ يَنْ يَنَا بَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الْعَلْمَ مَالَدْ يَأْتِكَ فَا تَبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿ يَنَ اللَّهُ عَلَا لَكُ عَبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَلَيْ عَصِيًّا ﴿ يَنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلِي اللَّهُ الْعُلِي الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

جسما حيوانيا بل المراد أنه لاموت البتة بعد ذلك وأما قوله (وهم فى غفلة) أى عن ذلك اليوم وعن كيفية حسرته وهم لايؤمنون أى بذلك اليوم ثم قال بعده (إنا نحن نرث الارض ومن عليها) أى هذه الا مور تؤول إلى أن لا يملك الضر والنفع إلا الله تعالى (و إلينا يرجعون) أى إلى محل حكمنا وقضائنا لانه تعالى منزه عن المكان حتى يكون الرجوع اليه وهذا تخويف عظيم و زجر بليغ للعصاة .

القصة الثالثة وصة ابراهيم عليه السلام

قوله تعالى : ﴿ وَاذْ كُرُ فَى الْكُتَابِ ابِرَاهِيمِ إِنْهُ كَانَ صَدِّيقاً نَبِياً . إِذْ قَالَ لَابِيهِ يَا أَبِتَ لَمْ تَعَبِدُ مَالاً يُسْمِعُ وَلا يَبْضِى وَلا يَغْنَى عَنْكُ شَيْسًا . يَاأَبِتَ إِنَى قَدْ جَاءَنَى مَنَ العَلَمُ مَا لَمْ يَأْتُكُ فَاتَبْغَى أَهْدُكُ صَرَاطاً سُوياً . يَاأَبِتَ لاتَعْبِدُ الشَّيطانِ إِنَّ الشَّيطانُ كَانَ للرَّحْنَ عَصِياً . يَاأَبِتَ إِنَى أَخَافَ أَنْ يُمسكُ عَذَابِ مِن الرَّحْنُ فَتَكُونَ للشَّيطانُ ولِيا ﴾ عَذَابِ مِن الرَّحْنُ فَتَكُونَ للشَّيطانُ ولِيا ﴾

اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للنوحيدهم الذين أنبتوا معبوداً غيراته حياً عاقلا فاهما وهم النبتوا معبوداً غيراته حياً عاقلا فاهما وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جماداً ليس بحى ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الأو ثان والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم فلها بين تعالى ضلال الفريق الأول تمكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الأوثان فقال (واذكر في الكتاب) والواو في قوله واذكر عطف على قوله (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)كا نه لما انتهت قصة عيسي وزكريا عليهما السلام قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال ابراهيم وإنما أمر بذكره لانه عليه السلام ماكان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشتغلين بالعلم و مطالعة الكتب فاذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من عير زيادة ولا نقصان كان ذلك إخباراً عن الغيب ومعجزاً قاهراً دالا على نبوته ، وإنما شرع في قصة إبراهيم عليه السلام كان أب العرب وكانوا مقرين في قصة إبراهيم عليه السلام كان أب العرب وكانوا مقرين

بملوشأنه وطهارة دينه على ماقال تعالى (ملة أبيكم ابراهيم) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) فكا أنه تعالى قال للعرب إن كنتم مقلدين لآبائكم على ما هو قو لــكم (إنا وجدنا آبا.نا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون) ومعلوم أن أشرف آبائكم وأجلهم قدراً هو إبراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وإن كنتم من المستدلين فانظروا في هذه الدلائلاالتي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم إما تقليداً وإما استدلالا (وثانيها) أن كثيراً من الكفار في زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون كيف نترك دين آبائنا وأجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وبين أنه ترك دين أبيه وأبطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة أبيه ليعرف الكفار أن ترجيح جانب الآب على جانب الدليل رد على الآب الأشرف الا كبر الذي هو إبرهيم عليه السلام (وثالثها) أن كثيراً من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون الاستدلال على ما قال الله تعالى (قالوا إنا وجدنا آبا.نا على أمة) و(قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فحكى الله تعالىءن إبراهيم عليه السلام التمسك بطريقة الاستدلال تنبيهاً لهؤلا. على سقوط هذه الطريقة ثم قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام (إنه كان صديقاً نبياً) و في الصديق قولان (أحدهما) أنه مبالغة في كونه صادقاً وهو الذي يكون عادته الصدق لا نهذا البناء ينبي. عن ذلك يقال رجل خمير وسكير للمولع بهذه الا فعال(والثانى) أنه الذي يكون كثيرالتصديق بالحقحتى يصير مشهورا بهوالا ولأول أولى وذلك لان المصدق بالشي الايوصف بكونه صديقا إلا إذاكان صادقا فىذلك التصديق فيعود الامر إلى الاول فان قيل أليس قد قال تعالى (و الذين آمنو ا بالله ورسله أولتك مالصديقون والشهداء) قلنا المؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق واعلم أن النبي يجبأن يكون صادقاً فى كل ماأخبر عنه لأن الله تعالى صدقه ومصدق الله صادق و إلا لزم الكذب في كلامالله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقا فى كلمايقول ، ولأن الرسلشهدا. الله على الناس على ماقال الله تعالى (فكيف إذا جثنا ،نكل أمة بشهيد وجثنا بك على هؤلاً. شهيداً) والشهيد إنما يقبل قوله إذا لم يكن كاذباً . فان قيل فما قولكم في إبراهيم عليه السلام في قوله (بل فعله كبيرهم) و (إنى سقيم) قلنا قد شرحنا في تأويل هذه الآيات بالدلائل الظاهرة أن شبئا من ذلك ليس بكذب فلما ثبت أن كلنبي بجب أن يكون صديقاً ولا يجب في كل صديق أن يكون نبياً ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبةَ النبي فلهذا انتقلمن ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً ، وأما الني فعناه كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس وأي رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده . وقوله (كان صديقاً) قيل إنه صار وقيل إن معناه وجد صديقاً نبياً أي كان من أول وجوده إلى انتهائه موصوفاً بالصدق والصيانة قال صاحب الكشاف هذه الجملة وقعتُ اعتراضاً بين المبدل منه وبدله أعنى ابواهيم وإذ قال ونظيره قولك رأيت زيداً ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقاً نبياً أي كان جامعاً لخصائص الصديقين والانبياء حين عاطب أباه بتلك المخاطبات

أما قوله (يا أبت) فالتاء عوض من يا. الاضافةو لا يقال ياأبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه وقد يقال يا أبتا لـكون الآلف بدلا من اليا. واعلم أنه تعالىحكى أن أبراهيم عليه السلام تكلم مع أبيه بأربعة أنواع من الكلام (النوع الاول) قوله (لم تعبد مالا يسمع ويبصر ولا يغني عَنْكُ شَيْئًا ﴾ ووصفُ الاو ثان بصفات ثلاثة كل واحدة منها قادحة في الإلهية وبيان ذلك من وجوه (أحدها) أن العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها إلا من له غاية الانعام وهو الإله الذى منه أصول النعم وفروعها على ماقررناه في تفسير قوله (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه) وقال (كيف تكفرون بألله وكنتم أمواتا فأحياكم) الآية وكما يعلم بالضرورة أنه لايجوز الاشتغال بشكرها مالم تكن منعمة وجب أنَّ لايحوز الاشتغال بعبَّادتها ﴿ وَثَانِيها ﴾ أنها إذا لم تسمع ولم تبصر ولم تميزمن يطيعها عمن يعصيها فأى فائدة في عبادتها ، وهذا ينبهك على أن الإله يجب أن يكون عالما بكل المعلومات حتى يكون العبد آمناً من وقوع العلط للمعبود (وثالثها) أنالدعا. مخ العباد فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته وإذا كانت لاتبصر بتقرب من يتقرب إليها فأى منفعة في ذلك التقرب (ورابعها) أن السامع المبصر الضار النافع أفضل ممن كان عارياً عن كل ذلك، والانسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من الوثن فكيف يليق بالافضل عبادة الأخس (وخامسها) إذاكانت لاتنفع و لا تضر فلا يرجى منها منفعة و لا يخاف من ضررها فأى فائدة في عبادتها (وسادسها) إذا كانت لاتحفظ أنفسها عن الكسر والإفساد على ماحكي الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كسرها و جعلها جذاذاً فأى رجاء للغير فيها واعلم أنه عاب الوثن من ثلاثه أوجه (أحدها) لايسمع (وثانيها) لايبصر (وثالثها) لايغنى عنك شيئاً كأنه قال له بل الإلهبة ايست إلا لربي فانه يسمع ويجيب دعوة الداعي ويبصرُ، كما قال (إنني معكما أسمع وأرى) ويةضى الحوائج (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) واعلم أن قوله ههنا (لم تعبد) محمول على نفس العبادة وأما قوله في المقام الثالث (لاتعبد الشيطان) لايقال ذلك بل المرادالطاعة لأنهم ماكانوا يعبدون الشيطان فوجب حمله على الطاعة ولأما نقول ليس إذا تركنا الظاهر ههنا لدليل وجب ترك الظاهر في المقام الأول بغير دليل فان قيل: إما أن يقال إن أبا ابرٍ اهيم كان يعتقد في تلك الأو ثان أنها آلهة بمعنى أنها قادرة مختارة موجدة للناس والحيوانات أو يقال إنه ماكان يعتقد ذلك بلكان يعتقدأنها تماثيل الكواكب والكواكب هي الآلهة المدبرة لهذا العالم، فتعظيم تماثيل الكواكب بموجب تعظيم الكواكب أو كان يعتقد أن هذه الاوثان تماثيل أشخاص معظمة عند الله تعالى من البشر فتعظيمها يقتضي كون أو لئك الاشخاص شفعا. لهم عند الله تعالى أو كان يعتقد أن تلك الاوثان طلسمات ركبت بحسب اتصالات مخصوصة للكواكب قلسا يتفق مثلها. وأنها مشفع بها،أوغير ذلك من الاعذار المنقولة عن عبدة الأوثان ، فإن كان أبو ابراهيم من القسم الأولكان في نهاية الجنون لأن العلم بأن هذا الحشب المنحوت في هذه الساعة ليس خالقاً للسموات والارض من الفخر الرازي ـ ج ٢١ م ١٥

أجلى العلوم الضرورية ، فالشاك فيه يكون فاقداً لأجلى العلوم الضرورية فكان مجنونا والمجنون لايجوز إيراد الحجة عليه والمناظرة معه ، وإنكان من القسم الثاني فهذه الدلائل لاتقدح فيشي. من ذلك لأن ذلك المذهب إنما يبطل باقامة الدلالة على أن الكواكب ليست أحيا. ولا قادرة على خلق الاجسام وخلق الحياة ومعلوم أن الدليل المذكور ههنا لايفيد ذلك المطلوب فعلمنا أن هذه الدلالة عديمة الفائدة على كل التقديرات ، قلنا لانزاع أنه لا يخفى على العاقل أن الخشبة المنحونة لاتصلح لحلق العالم وإنما مذهبهم هذا على الوجه الثانى ، وإنما أورد إبراهيم عليه السلام هذه الدلالة عليهم لأنهم كانوا يُعتقدون أن عبادتها تفيد نفعاً إما على سبيل الخاصية الحاصلة من الطلسمات أو على سبيل أن الكواكب تنفع و تضر ، فبين إبراهيم عليه السلام أنه لامنفعة فى طاعتها ولا مضرة نى الإعراض عنها فوجب أنَّ لاتحسن عبادتها (النوع الثانى) قوله (يا أبت إنى قد جا.نى من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) ومعناه ظاهر وطمع في التمسك به أهل التعليم وأهل. لتقليد ــ أما أهل التعليم فقالوا إنه أمره بالإتباع في الدين وما أمره بالتمسك بدليل لايستفاد إلا من الإتباع ، وأما أهلُ التقليد فقد تمسكوا بهأيضاً منهذا الوجه ، ومنالناسمن طعن أنه أمره بالإتباع لتحصل الهداية ، فاذن لاتحصل الهداية إلا باتباعه ، ولاتبعية إلاإذا اهتدى لقولنا إنه لابد من اتباعه فيقع الدور وإنه باطل (والجواب) عن الأول أن المراد بالهداية بيإن الدليل وشرحه وإيضاحه ، فعنَّد هذا عاد السائل فقال أنا لا أنكر أنه لابد من الدلالة ، ولكنىأفولاالوقوف على تلك الدلالة لا يستفاد إلا من له نفس كاملة بعيدة عن النقص والخطأ ، وهي نفس النبي المعصوم أو الإمام المعصوم فاذا سلمت أنه لابد من الني في هذا المقصود فقد سلمت حصول الغرض ، أجاب المجيب وقال أنا ماسلت أنه لابد في الوقوف على الدلائل من هداية النبي ، و لكبي أقول هذا الطريق أسهل وإن إبراهيم عليه السلام دعاه إلى الأسهل والجواب عن سؤال الدور أن قوله (فاتبعني) ليس أمر إيجاب بل أمر إرشاد (والنوع الثالث) قوله (يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) أي لا تطعه لأنه عاص لله فنفره بهذه الصفة عن القبول منه ، لأنه أعظم الخصال المنفرة ، واعلم أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايات الشيطان إلاكونه عاصياً لله ولم يُذكر معاداته لآدم عليه السلامكان النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان غمى فكره وأطبق على ذهنه ، وأيضاً فان معصية الله تعالى لا تصدر إلاعن ضعيف الرأى ، ومن كان كذلك كان حقيقاً أن لايلتفت إلى رأيه ولايجعل لقوله وزن فان قيل إن هذا الفول يتوقف على إثبات أمور : (أحدها) إثبات الصانع (وثانيها) إثبات الشيطان (وثالثها) إثبات أن الشيطان عاص لله (ورابعها) أنه لما كان عاصياً لم تجز طاعته في شي. من الاشياء (وخامسها) أن الإعتقاد الذي كان عليـه ذلك الإنسانكان مستفاداً من طاعة الشيطان ، ومن شأن الدلالة التي تورد على الخصم أن تكون مركبة من مقدمات معلومة مسلمة ،ولعل أبا ابراهيم كان منازعاً في كل هذه المقدمات ،

وكيف والمحكى عنه أنه ماكان يثبت إلها سوى بمروذ فكيف يسلم وجود إلاله الرحمزوإذا لم يسلم وجوده ، فكيف يمكنه تسليم أن الشيطانكان عاصياً للرحمن ، ثم إنعلى تسليم ذلك فكيف يسلم الخصم بمجرد هذا الـكلام أن مذهبه مقتبس من الشيطان ، بل لعله يقلب ذلك على خصمه ، قلنا الحجة المعول عليها في إبطال مذهب آزر هو الذي ذكره أولا من قوله (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً) فأما هذا الكلام فيجرى مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة ، وعلى هذا التقدير يسقط الدؤال (النوع الرابع) قوله (ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) قال الفراء معنى أَخَاف أعلم. والأكثرون على أنه محمول على ظاهره ، والقول الأول إنما يصح لوكان إبراهيم عليه السلام عالماً بأن أباه سيموت على ذلك الكفر وذلك لم يثبت فوجب إجرآؤه على ظاهره فانه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب ويجوز أن يصرفيموت على الكفر ، فيكون من أهل العقاب ، ومن كان كذلك كان خائفاً لا قاطعاً ، واعلم أن من يظن وصول الضرر إلى غيره فانه لايسمى خائفاً إلا إذاكان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر إليه تألم قلبه كما يقال أنا خائف على ولدى أما قوله(فنكون للشيطان ولياً) فذكروا في الولى وجوها(أحدها) أنه إذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النــار والولاية سبب للمعية وإطلاق اسم السبب على المسبب مجاز وإن لم يجز حمله على الولاية الحقيقية لقوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقال (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً)و حكى عن الشيطان أنه يقول لهم (إنى كفرت بما أشركتمون من قبل) واعلم أن هذا الإشكال إنما يتوجه إذا كان المراد منالعذاًب عذاب الآخرة ، أما إذا كان المراد منه عُذَابِ الدُنيا فالإشكال ساقط (و ثانيها) أن يحمل العذاب على الحذلان أى إنى أخاف أن يمسك خذلان الله فتصير موالياً للشيطان ويبرأ الله منك على ما قال تعــالى (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ (وثالثها) ولياً أي تالياً للشيطان ، تليه كما يسمى المطر الذي يأتي تالياً ولياً فان قيل قوله (أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) يقتضى أن تكونو لاية الشيطان أسوأ حالا من العذاب نفسه وأعظم، فما السبب لذلك (و الجواب) أن رضوان الله تعالى أعظم من الثواب على ماقال (ورضوان من الله أكبرذلك هو الفُوز العظيم) فوجب أن تكون ولاية الشيطان التي هي في مقابلة رضو ان الله أكبر منالعداب نفسه وأعظم. واعلم أن إبراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لانه نبه أو لا على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم أمره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على أن الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيـد الزاجر عن الإفدام على مالاينبغي ثم إنه عليه السلام أورد هذا الكلام الحسن مقروناً باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلام (يا أبت) دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وإرشاده الى الصواب، وختم الكلام بقوله

(إنى أخاف) وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وإنما فعل ذلك لوجوه: (أحدها) قضاء لحق الأبوة على ما قال تعالى (وبالوالدين إحسانا) والإرشاد إلى الدين من أعظم أنواع الإحسان، فاذا انضاف إليه رعاية الأدب والرفق كان ذلك نوراً على نور (وثانيها) أن الهادى إلى الحق لابد وأن يكون رفيقاً لطيفاً يورد الكلام لاعلى سبيل العنف لأن إيراده على سبيل العنف يصير كالسبب فى اعراض المستمع فيكون ذلك فى الحقيقة سعياً فى الإغواء (وثالثها) ماروى أبوهريرة أنه قال عليه السلام «أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أنك خليلي فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فان كلتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأن أسكنه حظيرة قدسى وأدنيه من جوارى » والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغَبِ أَنتَ عَنَ آلِهُ فَيَ يَاابِرَاهِيمِ لَئُنَ لَمْ تَنتَهُ لَارِجَنْكُ وَاهْجِرَنَى مَلِياً · قَالَ سَلَامُ عَلَيْكُ سَأَسْتَغَفَرُ لَكُ رَبِي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياً . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعا. ربي شقياً ﴾

اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى التوجيد، وذكر الدلالة على فساد عبادة الأوثان، وأردف تلك الدلالة بالوعظ البليغ، وأورد كل ذلك مقروناً باللطف والرفق، قابله أبوه بحواب يضاد ذلك، فقابل حجته بالتقليد، فانه لم يذكر في مقابلة حجته إلا قوله (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) فأصر على ادعاء إلهيتها جهلا وتقليداً وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم، وقابل رفقه في قوله (يا أبت) بالعنف حيث لم يقل له يابني بل قال (يا إبراهيم) وإنما حكى الله تعالى ذلك لمحمد بالتخف على قلبه ماكان يصل اليه من أذى المشركين فيعلم أن الجهال منذكانوا على هذه السيرة المذمومة، أما قوله (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) فان كان ذلك على وجه الإستفهام فهو خذلان لأنه قد عرف منه ما تكرر منه من وعظه و تنبيه على الدلالة وهو يفيد أنه راغب عن ذلك أشد رغبة فما فائدة هذا القول، وإن كان ذلك على سبيل على الدلالة وهو يفيد أنه راغب عن ذلك أشد رغبة فما فائدة هذا القول، وإن كان ذلك على سبيل على الدليل الذي ذكره ابراهيم عليه السلام كما أنه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد التعجب عبادتها فان الدليل الذي ذكره ابراهيم عليه السلام كما أنه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد التعجب من أن العاقل كيف يرضى بعبادتها فكان أباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب من أن العاقل كيف يرضى بعبادتها فكان أباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب

فاسد غير مبنى على دليل وشبهة ، ولا شك أن هذا النعجب جدير بأن يتعجب منه ، أما قوله (لأنهم تند الارجنك و اهجر ني ملياً) ففيه مسائل :

- ﴿ المسألة الأولى ﴾ في الرجم همنا قولان (الأول) أنه الرجم باللسان ، وهو الشتم والذم ، ومنه قوله (والذين يرمون المحصنات) أي بالشتم ، ومنه الرجم ، أي المرمى باللعن ، قال مجاهد : الرجم في القرآن كله بمعنى الشتم (والثاني) أنه الرجم باليد ، وعلى هذا التقدير ذكروا وجوها : (أحدها) لأرجمنك باظهار أمرك للناس ليرجموك ويقتلوك (وثانيها) لأرجمنك بالحجارة لتتباعد عنى (وثالثها) عن المؤرج لاقتلنك بلغة قريش (ورابعها) قال أبو مسلم لارجمنك المراد منه الرجم بالحجارة إلا أنه قد يقال ذلك في معنى الطرد والإبعاد اتساعا ، ويدل على أنه أراد الطرد قوله تعالى (واهجرني ملياً) واعلم أن أصل الرجم هو الري بالرجام فحمله عليه أولى ، فان قيل : أفا يدل قوله تعالى (واهجرني ملياً) على أن المراد به الرجم بالشتم ؟ قلنا لا ، وذلك لا نه هدده بالرجم يدل قوله تعالى (واهجرني ملياً) على أن المراد به الرجم بالشتم ؟ قلنا لا ، وذلك لا نه هدده بالرجم إن بق على قربه منه وأمره أن يبعد هرباً من ذلك فهو في معنى قوله (واهجرني ملياً).
- ﴿ المسألة الثانية ﴾ فى قوله تعالى (واهجرنى ملياً) قولان (أحدهما) المراد واهجرنى بالقول (والثانى) بالمفارقة فى الدار والبلد وهى هجرة الرسول والمؤمنين أى تباعد عنى لكى لاأراك وهذا الثانى أقرب إلى الظاهر.
- ﴿ المسألة الثالثة ﴾ فى قوله (ملياً) قولان (الأول) ملياً أى مدة بعيدة مأخوذ من قولهم أنى على فلان ملاوة من الدهر أى زمان بعيد (والثانى) ملياً بالذهاب عنى والهجران قبل أن أن أيخنك بالضرب حتى لاتقدر أن تبرح يقال فلان ملى بكذا إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به .
- ﴿ المسألة الرابعة ﴾ عطف اهجرنى على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك ، أى فاحذرنى واهجرنى لئلا أرجمنك ، ثم إن إبراهيم عليه السلام لما سمع من أبيه ذلك أجاب عن أمرين (أحدهما) أنه وعده التباعد منه ، وذلك لأن أباه لما أمره بالتباعد أظهر الإنقياد لذلك الأمر وقوله (سلام عليك) توادع ومتاركة كقوله تعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليك لانبتغى الجاهلين ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج ، وعلى أنه تحسن مقابلة الإساءة بالإحسان ، ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ، ألا ترى أنه وعده بالاستغفار ، ثم إنه لما ودع أباه بقوله (سلام عليك) ضم الى ذلك مادل به على أنه وإن بعد عنه فاشفاقه باق عليه كاكان وهو قوله (سأستغفر لاك وزلانه استغفر لايهوهو كافر والاستغفار الكافر لايجوز ، فثبت بمجموع هذه المقدمات أن إبراهيم عليه السلام فعل مالايجوز لانه فعل ما لايجوز أن أباه كان كافراً فذاك بنا سأستغفر لله ربى) وقوله (واغفر لابي إنه كان من الضالين) وأما أن أباه كان كافراً فذاك بنص القرآن لك ربى) وقوله (واغفر لابي إنه كان من الضالين) وأما أن أباه كان كافراً فذاك بنص القرآن

و بالاجماع ، وأما أن الاستغفار للكافر لايجوز فلوجهين (الأول) قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) ، (الثانى) قوله في سورة الممتحنة (قدكانت لـكم أسوة حسنة في إبراهيم ـ الى قوله ـ لأستغفرن لك) وأمر الناس إلا في هذا الفعل فوجب أن ٰ يكون ذلك معصية منه ، (والجواب) لا نزاع إلا في قولكم ألاستنفار للكافر لايجوز فان الكلام عليه من وجوه (أحدها) أن القطع على أن آلله تعالى يعذب الكافر لايعرف إلا بالسمع ، فلعل ابراهيم عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لابيه (وثانيها) أن الاستغفار قد يكون بمعنى الاستماحة ، كما في قوله (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) والمعنى سأسأل ربى أن لايجزيك بكفرك ماكنت حياً بعذاب الدنيا المعجل (وثالثها) أنه عليه السلام إنما استغفر لابيَّه لانه كان يرجو منه الايمان فلما أيس من ذلك تركر الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجى منه الايمــان، والدليل على وقوع هــذا الاحتمال قوله تعالى (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فبين أن المنع من الاستغفار إيما يحصل بعد أن يعرفوا أنهم من أصحاب الجحيم) ثم قال بعدُ ذلك (وماكان استغفار إبراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إباه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فدلت الآية على أنه وعده بالاستغفار لو آمن ، فلما لم يؤمن لم يستغفرله بل تبرأ منه ، فان قيل فاذا كان الأمر كذلك فلم منعنا من التأسى به في قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم - إلى قوله - إلا قول إبراهيم لأبيه لا ستغفرن لك) قلنا الآية تدل على أنه لا يحوز لنا التأسى به في ذلك لكن المنع من التأسى به في ذلك لايدل على أن ذلك كان معصية .فان كثيراً من الأشياء هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا التأسى به مع أنها كانت مباحة له عليه السلام (ورابعها) لعل هـذا الاستغفار كان من باب ترك الأولى وحسنات الأبرار سيئآت المقربين، أما قوله (إنه كان بي حفياً) أي لطيفاً رفيقاً يقال أحنى فلان في المسألة بفلان إذا لطف به وبالغ في الرفق ، ومنه قوله تعالى (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) أي وإن لطفت المسألة والمراد أنه سبحانه للطفه بي وإنعامه على عودني الإجابة فاذا أنا استغفرت لك حصل المراد فكأنه جعله بذلك على يقين إن هو تاب أن يحصل له الغفران (الجواب الثاني) من الجوابين قوله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) الاعتزال للشي. هو التباعد عنه والمراد أنى أفارقكم في المكان وأفارقكم في طريقتكم أيضاً وأبعد عنكم وأتشاغل بعبادة ربى الذي ينفع ويضر والذي خلقني وأنعم على فانكم بعبادة الأصنام سالكون طريقة الهلاك، فواجب على مجانبتكم ومعنى قوله (عسى أن لا أكون بدعا. ربي شقياً) أرجو أن لا أكون كذلك، وإنما ذكر ذلك على سبيل التواضع كقوله (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وأما قوله (شقياً مع مافيه من التواضع لله ففيه تعريض بشقاوتهم في دعا. آلهتهم على ماقرره أولا في

فَلَمَّا اَعْتَزَكَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ وَإِسْمَتَ وَيَعْقُوبَ وَكُلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقِ عَلِيًّا ﴿ وَاللَّهِ عَلَيْنَا

قوله (لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً) .

قوله تعالى : ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق و يعقوب وكلاجعلنا نبياً ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾

اعلم أنه ماخسر على الله أحدثان إبراهيم عليه السلام لمما اعتزلهم في دينهم وفي بلدهم واختار الهجرة إلى ربه إلى حيث أمره لم يضره ذلك ديناً ودنيا ،بل نفعه فعوضه أولاداً أنبيا. ولا حالة في الدين والدنيا للبشر أرفع من أن يجعل الله له رسولا إلى خلقه ويلزم الخلق طاعته والإنقياد له مع مايحصل فيه من عظيم النزلة في الآخرة فصار جعله تعالى إياهم أنبيا. من أعظم النعم في الدنيا والآخرة ، ثم بين تعالىأنه مع ذلكوهب لهممن رحمته أى وهب لهم معالنبوةماوهب ويدخل فيه المال والجاه والاتباع والنسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال (وجعلنا لهم لسان صدق علياً)وأسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان ، كما عبر باليد عما يعطى باليد وهو العطية ، واستجاب الله دعوته في قرله (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الاديان كلهم وقال عز وحل (ملة أبيكم إبراهيم ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) قال بعضهم إن الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال (وأعتزلكم وما تدعون من دون ألله) فلا جرم بارك الله فى أولاده فقال (ووهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً)(وثانيها) أنه تبرأ من أبيه فى الله تعالى على ما قال (فلم المبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) لاجرم أن الله سماه أباً للمسلمين فقال (ملة أبيكم ابراهيم) (وثالثها) تل ولده للجبين ليذبحه على مُاقال (فلما أسلما وتله للجبين) لا جرم فداه الله تعـالى على ما قال (وفديناه بذبح عظيم)(ورابعها) أسلم نفسه فقال (أسلمت لرب العالمين) فجعلالله تعالى النارعليه برداً وسلاماً فقال (فلنا يانار كونىبرداً وسلاماً على ابراهيم) (وخامسها) أشفق على هذه الأمة فقال (ربنا وابعث فيهمرسولا منهم) لاجرم أشركه الله تعالى في الصلوات الخنس ،كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم (وسادسها) في حق سارة فى قوله (وإبراهيم الذى وفى) لاجرم جعل موطى. قدميه مباركا (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي)،(وسابعها) عادى كل الحلق في الله فقال (فانهم عدو لي إلا رب العالمين) لاجرم اتخذه الله خليلا على ما قال (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ليعلم صحة قولنا أنه ماخسر على الله أحد .

﴿القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُ فَى الْكُتَابِ مُوسَى إِنْهَ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولًا نَبِياً . و ناديناه من جانب الطور الآيمن وقربناه نجياً . ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً ﴾ .

إعلم أنه تعالى وصف موسى عليه السلام بأمور (أحدها) أنه كان مخلصاً فاذا قرى بفتح اللام فهو من الإصطفاء والإجتباء كأن الله تعالى اصطفاه واستخلصه وإذا قرى بالكسر فمعناه أخلص لله فى التوحيد فى العبادة والإخلاص هو القصد فى العبادة إلى أن يعبد المعبود بهاوحده، ومتى ورد القرآن بقراءتين فكل و احدة منهما ثابت مقطوع به ، فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الأمرين (وثانيها) كونه رسولا نبيا ولا شَّك أنهما وصفان مختلفان لـكن المعتزلة زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول ومن الناس من أنكر ذلك وقد بينــا الكلام فيه في سورة الحج في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) (وثالثها) قوله تعالى (و ناديناه من جانب الطور الأيمن) من اليمين أى من ناحية اليمين والأيمن صفة الطور أو الجانب(ورابعها)قوله(وقربناه نجياً) ولما ذكر كونه رسولا قال(وقربناه نجياً) وفىقوله(قربناه) قولان (أحدهما) المراد قرب المكان عن أبي العالية قربه حتى سمع صرير القلم حيث كتبت التوراة في الألواح (والثاني) قرب المنزلة أي رفعناً قدره وشرفناه بالمناجّاة ، قال القاضي وهذا أقرب لأن استعمال القرب في الله قد صـــار بالتعارف لايراد به إلا المنزلة وعلى هذا الوجه يقال في العبادة تقرب، ويقال في الملائكة عليهم السلام إنهم مقربون وأما (نجياً) فقيل فيه أنجيناه من أعدائه وقيل هو من المناجاة في المخاطبة وهو أولى (وخامسها) قوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) قال ابن عباس رضى الله عنهما :كان هرونعليه السلام أكبر من موسى عليهما السلام ،و إنما وهب الله له نبوته لاشخصة وأخوته وذلك إجابة لدعائه في قوله (واجعل ليوزيراً من أهليهرونأخيأشدد به أزرى) فأجابه الله تعالى إليه بقوله (قد أو تيت سؤلك ياموسي)وقوله (سنشد عضدك بأخيك)

﴿ القصة الخامسة قصة إسمعيل عليه السلام ﴾

قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرُ فِي الْكُتَابِ إِسْمَعِيلَ إِنَّهُ كَانْ صَادَقَ الْوَعْدُ وَكَانَ رَسُولًا نَبْياً . وكان يأمر

أَهْلَهُ إِللَّهَ لَوْهِ وَٱلزَّكُوةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ عَمْرَضِيًّا ١٠٠

أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾

إعلم أن إسمعيل هذا هو إسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ،واعلم أن الله تعالى وصف إسمعيل عليه السَّلام بأشياء (أولها) قوله (إنه كان صادقُ الوعد) وهذا الوعد يمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الله تعالى ويمكن أن يكون المراد فيها بينه وبين الناس (أما الأول) فهو أن يكون المراد أنه كان لا يخالف شيئاً ما يؤمر به من طاعة ربه وذلك لأن الله تعالى إذا أرسل الملك إلى الانبياء وأمرهم بتأدية الشرع فلابدمن ظهور وعدمنهم يقتضى القيام بذلك ويدل على القيام بسائر ما يخصه من العبادة (وأما الثاني) فهو أنه عليه السلام كان إذا وعد الناس بشي. أنجز وعده فالله تعالى وصفه بهذا الخلق الشريف وروي عن انءباس رضىالله عنهما أنه وعدصاحباً له أن ينتظره فى مكان فانتظره سنة، وأيضاً وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به حيث قال (ستجدنى إن شاء الله من الصارين) ويروى أن عيسى عليه السلام قال له رجل انتظر في حتى آتيك فقال عيسى عليه السلام نعم وأنطلق الرجل ونسى الميعاد فجاء لحاجة الى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هنالك لليعاد، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه واعد رجلاونسي ذلك الرجل فانتظرهمن الصحى ألى قريب من غروب الشمس ، وسئل الشعى عن الرجل يعد ميعاداً الى أى وقت ينتظره فقال إن واعده مهاراً فكل النهار وإن واعده ليلا فكل!الميل ، وسئل إبراهيم بن زيد عن ذلك فقال إذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره إلى وقت صلاة أخرى (و ثانيها) قوله (وكان رسولا نبياً) وقد مر تفسيره (وثالثها) قوله (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) والا ُقرب في الا ُهل أن المراد به من يلزمه أنْ يؤدى إليه الشرع فيدخل فيه كل أمته من حيث لزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصة ، هذا إذا حمل الا مر على المفروض من الصلاة والزكاة فان حمل على النـدب فيهماكان المراد أنه كما كان يتهجد بالليل يأمر أهله أى منكان فى داره فى ذلك الوقت بذلك وكان نظره لهم في الدين يغلب على شفقته عليهم في الدنيا بخلاف ما عليه أكثر الناس، وقيل كان يبدأ بأهله فى الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم كما قال تعمالي (وأنذر عشيرتك الأقربين) (وأمر أهلك بالصّلاة واصطبر عليها) (قواأنفسكم وأهليكم ناراً) وأيضاً فهم أحق أن يتصدق عليهم فوجب أن يكونوا بالاحسان الديني أولى ، فأما الزكاة فعن ابن عباس رضيالله عنهما أنها طاعة الله تعالى والاخلاص فكأنه تأوله على مايزكو به الفاعل عند ربه والظاهر أنه إذاقرنت الزكاة إلى الصلاة ان يراد بها الصدقات الواجبة وكان يعرف منخاصة أهله أن يلزمهم الزكاة فيأمرهم بذلك أو يأمرهم أن يتبرعوا بالصدقات على الفقرا. (ورابعها) قوله (وكان عند ربه مرضياً) وهو في نهاية المدح لأنّ المرضى عند الله هو الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا اللهِ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيْ لَيْ وَافْعَنَهُ مَكَانًا عَعَ نُوجٍ وَمِن أُولَيْكَ اللَّهِ مَا أَنْعَمَ الله عُلَيْمِ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِيَّةٍ عَادَمَ وَمِمَّنَ حَمَلْنَا مَعَ نُوجٍ وَمِن ذُرِيَّةٍ إِرَاهِمِ وَإِنْ أَنْعَمَ الله عَلَيْمِ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِيَّةٍ عِادَمَ وَمِمَّنَ حَمَلْنَا مَعَ نُوجٍ وَمِن ذُرِيَّةً إِرَاهِمِمَ وَإِنْسَرَ عِيلَ وَمِمَّنَ هَدَيْنَا وَآجَتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَى عَلَيْمِمْ عَايَبُمْ عَايَتُ الرَّحْمَانِ خَرُوا مُنَا وَأَجْتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَى عَلَيْمِمْ عَايَتُ الرَّحْمَانِ خَرُوا مُكَانًا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَى عَلَيْمِمْ عَايَبُمْ عَايَبُهُمْ عَايَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُوا مُعَدَّا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَى عَلَيْمِمْ عَايَبُمْ عَايَبُهُمْ عَايَبُولَ فَي الْعَالَقُولُ فَي اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَايَبُولُ مَا لَكُنّا مَعَ عَلَيْهُ مَ عَلَيْهُمْ عَايَبُهُمْ عَايَتُهُمْ مَا اللَّهُ لَذِي اللَّهُ لَكُولُكُ وَلَيْهُمْ عَالَيْهُمْ عَالَيْهُمْ عَالَةً عَالَمُ وَمِثَنَ مَلْكُولُ مَا لَيْنَ إِلَيْنَ وَالْعَلَقُولُ مَا مُؤْلِكُهُمْ عَالِيْكُ اللَّهُ فَا عَلَيْهُمْ مَا يَلْتُ اللَّهُ لَكُولُ عَلَيْهُمْ مَا اللَّهُ لَكُولُ عَلَيْكُمْ لَكُولُ عَلَيْكُمْ مِي الْعَلَى عَلَيْهُمْ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُمْ لَكُولُ اللَّهُ لَيْمُ عَلَيْكُمْ عَالِيكُ اللَّهُمُ الْعُولُولُ اللَّهُ الْعُنْكُولُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ لَكُولُولُولُولُولُولُولُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عُلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَل

﴿ القصة السادسة قصة إدريس عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاذْ كُرُ فَى السَّمَتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا وَرَفْعَنَاهُ مَكَانًا عَليًّا ﴾ اعلم أن إدريس عليه السلام هو جد أبى نوح عليه السلام وهو نوح بن لمك بن متوشلخ ابن أخنوخ قيل سمى إدريس لكثرة دراسته واسمه أخنوخ ووصفه الله تعالى بأمور: (أحدها) أنه كان صَديقاً ﴿ وَثَانِيها ﴾ أنه كان نبياً وقد تقدم القول فيهما ﴿ وثالثُها ﴾ قوله (ورفعناه مكاناً علياً ﴾ وفيه قولان (أحِدهما) أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ (ورفعنا لك ذكرك) فان الله تعالى شرنه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أولىمن خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود (الثانى) أنَّ المراد به الرُّفعة في المكان إلى موضع عال وهذا أولى، لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لا فى الدرجة ثم اختلفوا فقال بعضهم إن الله رفعه إلى السما. وإلى الجنة وهو حى لم يمت ، وقالآخرون بلرفع إلى السياء وقبض روحه سأل ابنءباس رضىالله عنهما كعباً عن قوله (ورفعناه مكانا علياً) قال جاءه خليل له من الملائـكة فسأله حتى يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به إلىالسماء فلماكان في السماء الرابعة فاذا ملك الموت يقول بعثت وقيل لى اقبض روح إدريس فى السها. الرابعة ، وأنا أفول كيف ذلك وهو فى الأرض فالنفت إدريس فرآه ملك الموت فقبض روحه هناك. واعلم أن الله تعالى انما مدحه بأن رفعه إلى السماء لأنه جرت العادة أنَّ لايرفع اليها إلا منكانعظيم القدرو المنزلة ، ولذلك قال في حق الملائكة (ومن عنده لايستكبرون عن عبادته) وههنا آخر القصصُ .

قوله تعالى : ﴿ أُولئك الذين أَنعَم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ اعلم أنه تعالى أثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الانبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخرا فقال (أولئك الذين أنعم الله عليهم) أى بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه وأولئك إشارة إلى المذكورين

في السورة من لدن زكريا إلى إدريس، ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بأنه من ذرية من حمل مع نوح. والذي يختص بأنه من ذرية آدم دون من حمل مع نه حرف ادريس عليه السلام، فقد كان سابقاً على نوج على مأثبت في الآخبار والذين هم من ذريَّة من حمل مع نوح هوإبراهيم عليه السلام لأنه من ولد سام بن نوح وإسماعيل وإسحق ويعقوب من ذرية إبراهيم ثمم خص بعضهم بأنهم من ولد إسرائيل أى يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام فرتب الله سبحانه وتعالى أحوال الانبياء عليهم السلام الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبهاً بذلك علىأنهم كما فضلوا بأعمالهم فلهم مزيد فىالفضل بو لادتهم من هؤلا. الأنبياء ، ثم بين أنهم من هدينا واجتبينا منهماً بذلك على أنهم اختصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم ، ولأنه اختارهم للرسالة ثم قال (إذا تتلى عليهم آيات الرحن خروا سجداً وبكياً) تنلى عليهم أى على هؤلا. الانبيا. فبين تعالى أنهم مع نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذىعندتلاوة آياتالله يخرون سجداً وبكياً خضوعاً وخشوعاً وحذراً وخوفاً ، والمرادبآيات الله ماخصهم الله تعالى به من الكتبالمنزلة عليهم . وقال أبو مسلم المراد بالآيات التي فيها ذكر العذاب المنزل بالكفاروهو بعيد لأن سائر الآيات التيفيها ذكر الجنة والنار إلى غير ذلك أولى أن يسجدوا عندهو يبكوا فيجب حمله على كل آية تتليما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، لأن كل ذلك إذا فكر فيه المتفكر صع أن يسجد عنده وأن يبكى ، و اختلفوا فقال بعضهم في السجو د إنه الصلاة و قال بعضهم المر ادسجو د التلاوة على حسب، اتعبدنا به وقيل المراد الخضوع والخشوع والظاهر يقتضى سجو دأمخصوصاً عند التلاوة ثم يحتمل أن يكون المراد سجو دالتلاوة للقرآن ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجو دفيفعلون ذلك لا لاجل ذكر السجود في الآية ، قال الزجاج في بكياً جمع باك مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ثم قال الإنسان في حال خروره لايكون ساجداً فالمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكياً إنه مصدر فقد أخطأ لائن سجداً جمع ساجد وبكياً معطوف عليه وعن رسول الله ﷺ واتلوا القرآن وابكوا فان لم تكوا فتباكوا، وعن صالح المرى قال: قرأت القرآن عن رسول الله على فالمنام فقال لى ياصالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه . وعن رسول الله عليه والقرآن نزل بحزن فاقرأوه بحزن، وعن رسول الله علي «مااغرورقت عين به بماء إلا حرم الله على النار جسدها ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه « لا يلج النار من بكي من خشية الله » وقال العلما. يدعو في سجود التلاوة بما يليق بها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلى من الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه السجدة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الماكين عند تلاوة آيات كتابك . عَلَفَ مَنْ بَعْدِهِمْ خَلْفُ أَضَاعُواْ الصَّلَوْةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهُواتِ فَسَوْفَ يَلْقُونَ غَيًّا

اللهُ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَا لِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

شيئان

قوله تعالى : ﴿ فَلَفَ مِن بِمَدَّهُمْ خَلَفَ أَضَاءُوا الصَّلَاةُ وَاتَّبَعُوا الشّهُواتُ فَسُوفَ يَلْقُونَ غَياً ، إلا مِن تابِ وآمِن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾

إعلم أنه تعالى لما وصف هؤلا. الأنبيا. بصفات المدح ترغيباً لنا فى التأسى بطريقتهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف، وظاهر الكلام أن المراد من بعدهؤلا. الاثبيا. خلف من أولادهم يقال خلفه إذا أعقبه ثم قيل فى عتمب الخبر خلف بفتح اللام وفى عقب الشر خلف بالسكون، كما قالوا وعد فى ضمان الخير ووعيد فى ضمان الشر وفى الحديث « فى الله خلف من كل هالك » وفى الشعر للبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم وصفهم باضاعة الصلاة واتباع الشهوات فاضاعة الصدلاة فى مقابلة قوله (خروا سجداً) واتباع الشهوات فى مقابلة قوله (وبكياً) لائن بكاه م يدل على خوفهم واتباع هؤلاء لشهواتهم يدل على عدم الحوف لهم وظاهر قوله (أضاعوا الصلاة) تركوها لمكن تركها قد يكون بأن لا تفعل أصلا وقد يكون بأن لا تفعل فى وقتها وإن كان الأظهر هو الاثول وأما اتساع الشهوات فقال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشر بوا الخر واستحلوا نكاح الا خت من الأب واحتج بعضهم بقوله (إلا من تاب وآمن) على أن تارك الصلاة كافر ، واحتج أصحابنا بها فى أن الإيمان غير العمل لائه تعالى قال (وآمن وعمل صالحاً) فعطف العمل على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه ، أجاب الكمي عنه بأنه تعالى فرق بين التوبة والإيمان والتوبة من الإيمان فكذلك العمل الصالح يكون من الإيمان وإن فرق بينهما ، وهذا الجواب ضعيف لأن عطف الايمان على النوبة يقتضى وقوع المغايرة بينهما لأن التوبة عزم على الترك والإيمان إقرار بالله تعالى وهما متغايران ، فكذا فى هذه الصورة . ثم بين تعالى أن من هذه صفته (يلقون غياً) بالله تعالى وجوها (أحدها) أن كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد ، قال الشاعر :

فن بلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغى لائمـا (وثانيها) قال الزجاج (يلقون غياً) أى يلقون جزاء الغى ، كقوله تعالى (يلق أثاماً) أى مجازاة الآثام (وثالثها) غياً عن طريق الجنة (ورابعها) الغى واد فى جهنم يستعيذ منه أوديتها جَنَّنَتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ, بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعَدُهُ مَأْتِيًّا ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فَيَهَا لَغُوا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُ مَ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿ يَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ فِيهَا لَكُوا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُ مَ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿ قَالَ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

والوجهان الأولان أقرب فان كان فى جهنم موضع يسمى بذلك جاز ولا يخرج من أن يكون المراد ماقدمنا لأنه المعقول فى اللغة ، ثم بين سبحانه أن هذا الرعيد فيمن لم يتب ، وأما من تاب والمن وعمل صالحاً فلهم الجنة لا يلحقهم ظلم ، وههنا سؤالان (الأول) الاستثناء دل على أنه لابد من التوبة والإيمان والعمل الصالح وليس الأثمر كذلك ، اثن مر تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة ، أو كانت المرأة حائضاً فانه لا يجب عليها الصلاة والزكاة أيضاً غير واجبة ، وكذا الصوم فههنا لو مات فى ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع أنه لم يصدر عنه عمل فلم يجز توقف الآجر على العمل الصالح ، (والجواب) أن هذه الصورة نادرة ، والمرادمنه الغالب (السؤال الثانى) قوله (ولا يظلمون شيئاً) هذا إنما يصح لو كان الثواب مستحقاً على العمل ، لا نه لوكان الكل بالتفضل لاستحال حصول الظلم لكن من مذهبكم أنه لا استحقاق للعبد بعمله إلا بالوعد (الجواب) أنه لما أشبهه أجرى على حكمه .

قوله تعالى : ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالعيب إنه كان وعده مأتياً . لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً . تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ إعلم أنه تعالى لما ذكر في التائب أنه يدخل الجنة وصف الجنة بأمور (أحدها) قوله (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) والعدن الإقامة وصفها بالدوام على خلاف حال الجنان في الدنيا التي لا تدوم ولذلك فان حالها لا يتغير في مناظرها فليست كجنان الدنيا التي حالها مختلف في خضرة الورق وظهور النور والثمر وبين تعالى أنها (وعد الرحمن لعباده) وأما قوله (بالغيب) ففيه وجهان (أحدهما) أنه تعالى وعد الرحمن للذين يكونون عباداً بالغيب أى الذين يعبدونه في السر مخلاف (والثاني) أن المراد وعد الرحمن للذين يكونون عباداً بالغيب أى الذين يعبدونه في السر مخلاف المنافقين فانهم يعبدونه في الظاهر و لا يعبدونه في السر وهو قول أبي مسلم (والوجه الأول) أقوى لأنه تعالى بين أن الوعد منه تعالى وإن كان بأمر غائب فهو كا نه مشاهد حاصل ، فلذلك قال بعده (إنه كان وعده مأتياً) أما قوله (مأتياً) فقيل إنه مفعول بمعني فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة (إنه كان وعده مأتياً) بيان أن الوعد منه تعالى وإن كان بأمر غائب فهو كا نه مشاهد وحاصل (إنه كان وعده مأتياً) بيان أن الوعد منه تعالى وإن كان بأمر غائب فهو كا نه مشاهد وحاصل (إنه كان وعده مأتياً) بيان أن الوعد منه تعالى وإن كان بأمر غائب فهو كا نه مشاهد وحاصل (إنه كان وعده مأتياً) بيان أن الوعد منه تعالى وإن كان بأم غائب فهو كا نه مشاهد وحاصل

والمراد تقرير ذلك فى القلوب (وثانيها) قوله (لايسمعون فيها لغوا إلا سلاماً) واللغو من الكلام ما مبيله أن يلغى ويطرح وهو المنكر من القول ونظيره قوله (لاتسمع فيها لاغية) وفيه تذبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله (وإذا مروا باللغو مروا كراماً)، (وإذا سمعوا اللغو أعرضه اعنه وقالوا انا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) أما قوله (إلا سلاماً) ففيه بحثان:

﴿ البحث الأول ﴾ أن فيه إشكالا وهو أن السلام ليس من جنس اللغو فكيف استثنى السلام من اللغو والجواب عنه من وجوه (أحدها) أن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وأهل الجنة لاحاجة بهم إلى هذا الدعاء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا مافيه من فائدة الإكرام (وثانيما) أن يحمل ذلك على الاستثناء المنقطع (وثالثما) أن يكون هذا من جنس قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ﴿ بَهِن فلول مِن قراع الكتائب

﴿ البحث الثانى ﴾ أن ذلك السلام يحتمل أن يكون من سلام بعضهم على بعض أومن تسليم الملائكة أومن تسليم آلله تعالى على ما قال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكمُ بما صبرتم فنعم عقبي الدار) وقوله (سلام قولا من رب رحيم) (ورابعها) قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وفيه سؤالان (السؤال الأول) أن المقصود من هذه الآيات وصف الجنة بأحوال مستعظمة ووصولالزق إليهم بكرة وعشياً ليسمن الأمورالمستعظمة (والجواب) من وجهين (الأول) قال الحسن أراد الله تعالى أن يرغب كل قوم بمــا أحبوه فى الدنيا ولذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير الني كانت عادة العجم والأرائك التي هي الحجال المضروبة على الأسرة وكانت من عادة أشراف العرب في اليمن ولا شيء كان أحب إلى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك (الثاني) أن المراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشياً تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين (السؤال الثاني) قال تعالى (لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً) وقال عليه السلام «لاصباح عند ربك ولا مساء» والبكرة والعشى لايو جدان إلا عند وجود الصباح والمساء (والجواب) المراد أنهم يأكلون:عند مقدار الغداة والعشى إلا أنه ليس في الجنة غدوة وعيَّى إذ لا ليل فيهـــا ويحتمل ما قيل إنه تعالى جمل لقدر اليوم علامة يعرفون بها مقادير الغباة والعشى ويحتمل أن يكون المراد لهم رزقهم متى شاؤا كما جرت العادة فى الغداة والعشى (وخامسها) قوله (تلك الجنة التي نورث منعبادنا من كان تقياً) وفيه أبحاث : (الأول) قُوله (تلك الجنة) هذه الإشارة إنما صحت لأن الجنة غائبة (و ثانيها) ذكروا في نورث وجوهاً (الأول) نورث استعارة أى نبق عليه الجنة كما نبق على الوارث مال المورث (الثاني) أن المراد أنا نَنقل تلك المنازل مَن لوأطاع لكانت له إلى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل هذا النقل إرثاً قاله الحسن (الثالث) أن الإتقياء يلقونرَجهم يومالقيامة وقد انقضت أعمالهم وثمراتها باقية وهي الجنة فاذا أدخلهم وَمَا نَتَنَزُّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَالِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ وَاللَّهِ عَلَيْهِ لِعِبْلَدَيهِ رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ وَالسَّمَا وَآلَ أَرْضِ وَمَا بَيْنَهُ مَا فَآعَبُدُهُ وَآصَطِيرٌ لِعِبْلَدَيهِ مَلْ تَعْلَمُ لَهُ وَسَعِيدًا لِعِبْلَدَيهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ وَسَعِيبًا رَبِّي

الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يرث الوارث المال من المتوفى (ورابعها) معنى من كان تقياً من تمسك باتقاء معاصيه وجعله عادته واتتى ترك الواجبات ، قال القاضى فيه دلالة على أن الجنة يختص بدخولها من كان متقياً والفاسق المرتكب للكبائر لايوصف بذلك (والجواب) الآية تدل على أن المتقى يدخلها وليس فيها دلالة على أن غير المتتى لايدخلها وأيضاً فصاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه أنه متق لأن المتقى جزء من مفهوم قولنا المتقى عن الكفر وإذا كمان صاحب الكبيرة يصدق عليه أنه متق وجب أن يدخل تحته فالآية بأن تدل على أن صاحب الكبيرة يدخل الجنة أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها .

قوله تعالى : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ، رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾

إعلم أن في الآية إشكالا وهو أن قوله (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) كلام فير الله وقوله (وما نتزل إلا بأمر ربك) كلام غير الله فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير فصل (والجواب) أنه إذا كانت القرينة ظاهرة لم بقبح كما أن قوله سبحانه (إذا قضي أمراً فانما يقول له كن فيكون) هو كلام الله وقوله (وإن الله ربي وربكم) كلام غير الله وأحدهما معطوف على الآخر ، واعلم أن ظاهر قوله تعمللي (وما نتزل إلا بأمر ربك) خطاب جماعة لواحد وذلك لا بليق إلا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول ويحتمل في سببه ماروى أن قريشاً بعثت خمسة رهط إلى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد يراي وهل يجدونه في كتابهم فسألوا النصاري فزعموا أنهم لا يعرف فاسألوه عنهن فان أخبركم بخصلتين منهما فاتبعوه ، فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن فلم يعرف فاسألوه عنهن فان أخبركم بخصلتين منهما فاتبعوه ، فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذلك ، ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً وقيل خسة عشر يوماً فشق عليه ذلك ذي القرنين وعن الروح قال الجار و وعهر به وقلاه ، فنزل جبريل عليه السلام فقال له الني يراق أبطأت في حتى ساء ظي و اشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا عني حتى ساء ظي و اشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا عبست احتبست فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل قوله (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً

إلاأن يشاء الله) وسورة الضحى ثم أكدوا ذلك بقولهم (له مابين أيدينا وما خلفنا) أى هو المدبر لنا فكل الأوقات الماضي والمستقبل و مابينهما أوالدنيا والآخرة و مابينهما فانه يعلم إصلاح التدبير مستقبلا وماضياً وما بينهما والغرض أن أمرنا موكول إلى الله تعلى يتصرف فينا بحسب مشيئته وإرادته وحكمته لا اعتراض لاحد عليه فيه وقال أبو مسلم قوله (وما نتنزل إلا بأمر ربك) بجوز أن يكون قول أهل الجنة والمراد وما نتنزل الجنة إلا بأمر ربك لهمابين أيديناأى في الجنة مستقبلا وماخلفنا عمل كان في الدنيا وما بين ذلك أى ما بين الوقتين وما كان ربك نسياً لشيء بما خلق فيترك إعادته لانه عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله (وماكان ربك نسياً) ابتداء كلام منه تعالى في مخاطبة الرسول علي ويتصل به (رب السموات والارض) أى بل هو (رب السموات والارض عما ينهما فاعده) أن ظاهر التنزل نزول وما يينهما فاعده) أن ظاهر التنزل نزول وانيها أنه خطاب من جماعة لواحد وذلك لا يليق بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة (وثالثها) أن الملائكة الى الرسول معاعة لواحد وذلك لا يليق بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة (وثالثها) أن ما في سياقه من قوله (وماكان ربك نسياً ، رب السموات والارض وما بينهما) لا يليق إلا بحال التكليف ولا يوصف به الرسول علي فياً من والله الرسول وماكان ربك نسياً بوز عليه السموات والأرض وما بينهما) لا يليق إلا بحال التكليف ولا يوصف به الرسول عليك فياً نهم قالوا للرسول وماكان ربك يا مجد نسياً بحوز عليه السموحي يضرك إبطاؤ نا بالتنزل عليك إلى مثل ذلك ثم ههنا أبحاث :

﴿ البحث الأول ﴾ قال صاحب الكشاف التنزل على معنيين: (أحدهما) النزول على مهل (والثانى) بمعنى النزول على الإطلاق والدليل عليه أنه مطاوع نزل و نزل يكون بمعنى أنزل و بمعنى التدريج واللائق بمثل هذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا فى الاحايين. وقتاً بعد وقت ليس إلا بأمر الله تعالى .

(البحث الثانى) ذكروا فى قوله (مابين أيدينا وما خلفنا ومابين ذلك) وجوها: (أحدها) له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيه فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومن مكان إلى مكان إلا بأمره ومشيئته فليس لنا أن ننقلب من السهاء إلى الأرض إلا بأمره (وثانيها) له ما بين أيدينا ما سلف من أمر الدنيا وما خلفنا ما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك وما بين النفختين وهو أربعون سنة (وثالثها) ما مضى من أعمارنا وما غبر من ذلك والحال التي نحن فيها (ورابعها) ماقبل وجودنا وما بعد فنائنا (وخامسها) الارض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسهاء التي وراءنا وما بين السهاء والأرض وعلى كل التقديرات فالمقصود أنه المحيط بكل شيء لا تخني عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل إلا بأمره وحكمه.

﴿ البحث الثانث ﴾ قوله (وماكان ربك نسياً) أى تاركا لك كقوله (ما ودعك ربك وما قلى) أى ما كان امتناع النزول إلا لامتناع الآمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك و تو ديعه إياك، أما قوله (رب السموات والأرض ومابينهما) فالمراد أن من يكون رباً لها أجمع لا يجوز عليه النسيان إذ لابد من أن يمسكها حالا بعد حال وإلا بطل الامر فيهما وفيمن يتصرف فيهما ، واحتج

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَوْذَا مَامِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيَّا ﴿ اللَّهِ الْإِنسَانُ أَوْذَا مَامِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيَّا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مِن قَبْلُ وَلَدْ يَكُ شَيْعًا ﴿ فَوَرَبِكَ لَنَحْشُرَبَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَا خَشَرَبَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِئِيً ﴾ وَلَدْ يَكُ شَيْعًا ﴿ فَيَ رَبِكَ لَنَحْشُرَبَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِئِيً ﴾ فَا لَذَعْنَ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيَّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ لَنْ عَنْ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيَّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عَنِيًا ﴿ وَلَا يَهَا صِلْيًا ﴿ وَلَا يَهَا مَا لَهُ مَا أُولِنَ مِهَا صِلْيًا ﴿ وَلَا يَهُمْ إِلَّذِينَ هُمْ أُولِنَ مِهَا صِلْيًا ﴿ وَلَا يَهَا صِلْيًا ﴿ وَلَا يَهُا صَلَّا لَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَا عَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُ عَلَيْ الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُ عَلَا عَلَاللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَا الللَّهُ عَلَيْلُولُ عَلَيْكُولُ عَلَا اللَّهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُولُ عَلَيْلُولُ عَلَيْكُولُ عَ

أصحابنا بهذه الآية على أن فعل العبد خلق الله تعالى ، لأن فعل العبد حاصل بين السماء والأرض. والآية دالة على أنه رب لكل شي. حصل بينهما ، قال صاحب الكشاف رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محـذوف أى هو رب السموات والأرض فاعبـده واصطبر لعبادته فهو أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف فى الأدا. والإبلاغ وفيها يخصـه من العبادة فان قيل لم لم يقل واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته قلنا لأنَّ العبـادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيها بورد عليك من شداته (والمعنى) أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولاتهن ولايضق صدرك من إلقاء أهل الكتاب اليك الإغاليط عن احتباس الوحى عنك مدة وشماتة المشركين بك ، أما قوله تعالى (هل تعلم له سمياً) فالظاهر يدل على أنه تعالى جعل علة الأمر بالعبادة والأمر بالمصابرة عليها أنه لاسمى له ، والأقرب هو كونه منعا بأصول النعم وفروعها وهي خلق الاجسام والحياة والعقل وغيرها فانه لايقدر على ذلك أحد سواه سبحانه، فأذاكان هو قد أنعم عليك بغاية الإنعام وجب أن تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادة ، ومن الناس من قال المراد أنه سبحانه ليس له شريك في اسمه وبينوا ذلك من وجهين : (الأول) أنهم وإن كانوا يطلقون لفظ الإله على الوثن في أطلقوا لفظ الله على شيء سواه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لايسمي بالرحمن غيره (الثاني) هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل ؟ لأن التسمية على الباطل فى كونها غير معتد بها كلا تسمية ،والقول الأول هو الصواب والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان أنذا ما مت لسوف أخرج حياً ، أو لايذ كرالإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ، فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ، ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴾.

اعلم أنه تمالى لما أمر بالعبادة والمصارة عليها فكائن سائلا سأل وقال هذه العبادات لامنفعة فيها فى الدنيا، وأما فى الآخرة فقد أنكرها قوم فلا بدمن ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى

يظهر أن الاشتغال بالعبادة مفيد فلهذا حكىالله تعالى قول منكرى الحشر فقال (ويقول الانسان أثذا ما مت لسوف أخرج حياً) وإنما قالوا ذلك على وجه الانكار والاستبعاد ، وذكروا في الإنسان وجهين: (أحدهما) أن يكون المراد الجنس بأسره فان قيل كلهم غير قائلين بذلك فكيف يصح هذا القول؟ قلنا الجواب من وجهين : (الأول) أن هذه المقالة لمــاكانت موجودة فيما هو من جنسهم صح إسنادها إلى جميعهم ، كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا و إنما القاتل رجل منهم (والثاني) أن هـذا الاستبعاد موجود ابتدا. في طبع كل أحد إلا أن بعضهم ترك ذلك الاستبعاد المبنى على محض الطبع بالدلالة القاطعة التي قامت على صحه القول به (الثاني) أن المراد بالانسان شخص معين فقيل هو أُبُوجهل، وقيل هو أبى بن خلف، وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدمالبعث ،ثم إن الله تعالى أقام الدلالة على صحة البعث بقوله (أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) والقراءكلهم على يذكر بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصماً قد خففوا ،أى أو لايتذكر الانسان أنا خلقناه من قبل وإذا قرى. أو لا يذكر فهو أقرب الى المراد إذ الغرض النفكر والنظر في أنه إذا خلق من قبل لامن شيء فجائز أن يعاد ثانياً، قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة فى البعث على هذا الاختصار لمـا قدروا عليها إذ لاشك أن الاعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولا،ونظيره قوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وقوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن المعدوم ليس بشي. وهو ضعيف لأن الإنسان عبارة عن مجموع جواهر متألفة قامت بها أعراض وهذا المجموع ماكان شيه ، ولـكن لم قلت إن كل واحد من تلك الاجزاء ماكان شيئاً قبل كونه موجوداً؟فان قيل كيف أمر تعالى الإنسان بالذكر مع أن الذكر هو العلم مما قد علمه من قبل ثم تخللهما سهو؟ قلنا المراد أو لا يتفكر فيعلم خصوصا إذا قرى. أو لا يذكر الإنسان بالتشديد أما إذا قرى. أو لا يذكر بالتخفيف فالمراد أو لايعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد يعلم أنه لم يكن حياً في الدنيا ثم صار حياً ،ثم إنه سبحانه لما قرر المطلوب بالدليل أردفه بالنهديد من وجوه (أحدها) قوله (فوربك لنحشرنهم والشياطين) وفائدة القسم أمران (أحدهما) أن العادة جاّرية بتأكيد الخبر باليمين (والثاني) أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافا إلى اسم رسوله ﴿ لِلَّهِ مِنْ تَفْخَيمُ لَشَأَنَهُ ﴿ لِلَّهِ وَرَفَّعَ مَنْهُ كَمَّا رَفِّعَ مَن شَأَنَ السَّهَاءُ وَالْأَرْضَ فَي قُولُهُ (فو رب السماء والأرض إنه لحق) والواو فى(الشياطين)و يجوز أن تكون للمطف وأن تكون بمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع،والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مَع شيطان في سلسلة (وثانيها) قوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) وهذا الأحضار يكون قبل إدخالهم جهنم ثم إنه تعالى يحضرهم على أذل صورة لقوله تعالى (﴿شِياً) لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل أو صورته صورة العاجز، فإن قيل هذا الممي حاصل للكل بدليل قوله تعالى (وترى كل أمة جاثية) والسبب فيه جريان العادة أن الناس في مواقف المطالبات من

وَ إِن مِّنكُرْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿ ثَنِي ثُمَّ نُعَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿ ثَنِي

الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من الاستنظار والقلق،أو لما يدهمهم من شدة الآمر الذي لا يطيقون معه القيام على أرجلهم ، وإذا كان هذا عاماً للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار ؟ قلنا لعل المراد أنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد الذل فى حقهم (و ثالثها) قوله (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أى تبعت غاوياً من الغواة قال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) والمراد أنه تعالى يحضرهم أو لا حول جهنم جثياً ثم يمـيز البعض من البعض فن كان أشدهم تمرداً في كفره خص بعذاب أعظم لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره ،وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدي به مع الغفلة قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وقال (وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم) فبين تعالى أنه ينزع من كل فرقة من كان أشد عتواً وأشد تمرداً ايعلم أنْ عذابه أشد، ففائدة هذه التمييزالتخصيص بشدة المذاب لا التخصيص بأصل العذاب.فلذلك قال في جميعهم (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب، واختلُّفُوا في إعراب أيهم فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لوجي. به لاعرب وقيل أيهم هو أشد .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مَنْكُمُ إِلَا وَارْدُهَا كَانَ عَلَى رَبُّكُ حَبًّا مَقْضِيًّا ، ثَمُ نَنْجَى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًّا ﴾

واعلم أنه تعالى لما قال من قبل (فوربك لنحشرنهم والشياطين) ثم قال (ثم لنحضرنهم حول جهنم) أردفه بقوله (وإن منكم إلا واردها) يعنى جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أو لاكناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافمة ،قالوا إنه لايجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور (أحدها) قوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها (والثانى) قوله (لايسمعون حسيسها) ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها (وثالثها) قوله (وهم من فزع يومئذ آمنون) وقال الاكثرون إنه عام فى كل مؤمن وكافر لقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) فلم يخص. وهذا الحطاب مبتدأ

مخالف للخطاب الآول ، ويدل عليه قوله(ثم ننجىالذين اتقوا) أى من الواردين من اتتى ولايجوز أن يقال (ثم ننجي الذين انقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) إلا والكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول ، ثم هؤلا. اختافوا في تفسير الورود فقال بعضهم الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهوموضع المحاسبة ، واحتجوا علىأن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى (فأرسلوا واردهم) ومعلوم أن ذلك الوارد مادخل المــاء وقال تعالى (ولمـــاورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وأراد به القرب و يقال وردت الفافلة البلدة و إن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والانس يحضرون حول جهنم (كان على بك حتماً مقضياً) أى واجباً مفروغا منه محكم الوعيد ثم ننجي أي نبعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى (أولئك عنها مبعدون)وعا يؤكد هذا القول ماروى أنه ﷺ قال «لايدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول (و إن منكم إلا واردها) فقال عليهالسلام فمه ثم ننجىالذين اتقوا ،ولوكان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازماً (القول الثانى) أن الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر أما الآية فقوله تعالى (إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أتتم لها واردون) وقال (فأوردهم النار وبئس الورد المورود) ويدل عليه قوله تعالى (أولئك عنها مبعدون) والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريباً فهذا إنمــا يحصل لو كانوا في النار،ثم إنه. تعالى يبعدهم عنها و يدل عليه قوله تعالى(ونذر الظالمين فيها جثياً)وهذا يدلُ على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنمـا يبقون في النار فلابدوأن يكونوا قد دخلوا النار ، وأما الخبر فهو أن عبد الله بن رواحة قال وأخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور، فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرأ مابعدها ثم ننجى الذين اتقوا هو ذلك يدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي الله ماأنكر عليه في ذلك وعن جابر «أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لايبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً حتى أن للناس ضجيجاً من بردها ﴾والقائلون بهذا القول يقولون المؤمنون يدخلون النار منغير خوفوضرر البتة بلمع الغبطة والسرور وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم (لايحزنهم الفزع الأكبر)ولان الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف، وإيصال الغم والحزن إنما يجوز في دار النكليف، ولانه صحت الرواية عن رسول الله ﷺ وأنالملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه وكذَّلَك القول في حال المعاينة فكيف يجوز أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم، وإنما تؤثر هذه الاحوال في أهل النار لانهم لايعلمون كونهم من أهل النار والعقاب،ثم اختلفوا في أنه كيف يندفع عنهم ضرر النار،فقال بعضهم البقعة المسهاة بجهنم لايمتنع أن يكون فى خلالها مالا نار فيه ويكون من المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم،وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار ، والكفار يكونون في وسط

النار (و ثانيها)أن الله تمالى يحمد النار فيمبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم،قال ابن عباس رضى الله عنهما «يردونهاكا نها إهالة»وعن جابر بن عبد الله وأنهسأل رسول الله والله فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بمضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة، (وثالثها) أن حرارة النار ليست بطبعها فالاجزاء الملاصقة لابدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والاجزا. الملاصقة لابدان المؤمنين يجملها الله برداً وسلاماً عليهم ، كما في حق إبراهيم عليه السلام. وكما أن الكوز الواحد من الماءكان يشربه القبطي فكان يصير دماً ويشربه الإسرائيلي فكان يصير ما. عذبا(١)واعلم أنه لابد من أحدهذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين ، فان قيل إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخو لهم النار فما الفائدة في ذلك الدخول؟ قلنا فيه وجوه (أحدها) أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه (وثانيها) أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها وهم يبقون فيها (وثالثها) أن فيه مزيد غم على أهل النار من حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الأوليا. وعند من كان يخوفهم من النار فماكانوا يلتفتون اليه (ورابعها) أن المؤمنين إذاكانوا معهم فى النار يبكتونهم فزاد ذلك غماً للكفار وسروراً للمؤمنين (وخامسها) أن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويقيمون عليهم صحة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل،فاذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيها قالوا،وأن المكذبين بالحشر والنشركانوا كاذبين (وسادسها) أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صارذلك سبباً لمزيدالتذاذهم بنعيم الجنة كما قال الشاءر: وبضدها تتبين الأشياء

فأماالذي تمسكوا بقوله تعالى (أولئك عنها مبعدون) فقد بينا أنه أحد ما يدل على الدخول فى جهنم وأيضاً فالمراد عن عذا بها وكذا قوله (لايسمعون حسيسها) فان قيل هل ثبت بالآخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها إلى الجنة ؟فانا ثبت بالآخبار أن المحاسبة تكون فى الأرض أو حيث كانت الأرض ويدل عليه أيضاً قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) وجهنم قريبة من الأرض والجنة فى السهاء فنى موضع المحاسبة يكون الاجتماع فيدخلون من ذلك الموضع إلى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة وينجيم ويدفع أهل النار فيها . أما قوله (كان على ربك حتما مقضياً) فالحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجه فسمى المحتوم بالحتم كقولهم خلق الله وضرب الأسير، واحتج من أو جب العقاب عقلا فقال إن قوله (كان على ربك حتما مقضياً) يدل على وجوب ما جاء من أو جب العقاب عقلا فقال إن قوله (كان على ربك حتما مقضياً) يدل على وجوب ما جاء من جهة الوغيد والاخبار لان كلمة على للوجوب والذى ثبت بمجرد الاخبار لايسمى واجباً (والجواب) أن وعد الله تعالى لما استحال تطرق الخلف إليه جرى مجرى الواجب أما قوله (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين) قرى "ننجى و ننجى و ينجى على مالم يسم فاعله .قال القاضى الآية دالة على قولنا فى الوعيد لأن الله تعالى بين أن المكل يردونها ثم بين صفة من ينجو وهم المتقون والفاسق فى الوعيد لأن الله تعالى بين أن المكل يردونها ثم بين صفة من ينجو وهم المتقون والفاسق

⁽١) هذه إحدى الآيات التسع التي كانت عذابا لفرعون وأهله في مصر وأكرم الله بها نبيه موسى والتي عد منها في قوله (فأرسلنا عليم الطوفانِ والجراد والقبلِ والصفادعِ والدم) ، والمراد بالقبط هنا أنهاعِ فرعون وهم سكان مصر قديماً ،

وَإِذَا نُتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَنُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ

خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿

لا يكون متقياً ، ثم ببن تعالى أن من عدا المتقين يذرهم فيها جثياً فثبت أن الفاسق يُبقى في النار أبداً قال ابن عباس المتنى هو الذي اتقى الشرك بقول لا إله إلا الله، واعلم أن الذي قاله ابن عباس هو الحق الذي يشهد الدليل بصحته،وذلك لأن من آمن بالله وبرسله صح أن يقال إنه متق عن انشرك و من صدق عليه أنه متق عن الشرك صدق عليه أنه متق إن المتقى جزء من المتقى عن الشرك و من صدق عليه المركب صدق عليه المفرد، فثبت أن صاحب السكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار لعموم قوله (ثم ننجي الذين اتقوا) فصارت هذه الآية التي توهموها دليلا من أقوى الدلائل على فساد قو لهم قالُ القاضي و تدل الآية أيضاً ، على فساد قول من يقول إن مر. المـكلفين من لا يكون في الجنَّة ولا في النار قلنا هذا ضعيف لأن الآية تدل على أنه تعالى ينجي الذين اتقوا وليس فيها ما يدل على أنه ينجيهم إلى الجنة ،ثم هب أنهـا تدل على ذلك ولكن الآية تدل على أن المتقين يكونون في الجنة والظالمنين يبقون في النار فيبقى همنا قسم ثالث خارج عرب عن القسمين وهو الذي استوت طاعتهو معصيته فتسقط كل واحدة منهما بالأخرى فيبقى لامطيعاً ولاعاصياً ، فهذا القسم إن بطل فانمـا يبطل بشي. سوى هذه الآية فلا تكون هذه الآية دالة على الحصر الذي ادعاه ومن المعتزلة من تمدك في الوعيدبةوله (ونذر الظالمين فيهاجثياً) ولفظ الظالمين لفظ جمع دخل عليه حرف التعريف فيفيد العموم والكلام على التمسك بصيغ العموم قد تقدم مراراً كثيرة في هذا الكتاب أما قوله (جثياً) قال صاحب الكشاف قوله (ونذر الظالمين فيها جثياً) دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقونالكفرة إلى الجنة بعدنجاتهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا بَيْنَاتُ قَالَ الذِّينَ كَفُرُوا لَلَذَينَ آمَنُوا أَى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴾ .

إعلم أنه تعالى لما أقام الحجة على مشركى قريش المنكرين للبعث أتبعه بالوعيد على ماتقدم ذكره عهم أنهم عارضوا حجة الله بكلام فقالوا لو كنتم أنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم فى الدنيا أحسن وأطيب من حالنا، لأن الحكيم لايليق به أن يوقع أولياءه المخلصين فى العذاب والذل وأعداءه المعروضين عن خدمته فى العز والم حة؛ ولماكان الأمر بالعكس فان الكفار كانوا فى النعمة والراحة والاستعلاء، والمؤمنين كانوا فى ذلك الوقت فى الحوف والنزل دل على أن الحق ليس مع المؤمنين، هذا حاصل شبهتهم فى هذا الباب ونظيره قوله تعالى (لوكان خيراً ماسبقونا إليه) ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون و يتطيبون و يتزينون

وَكُرْ أَهْلَكُنَّا قَبْلَهُم مِّن قَرْنِ هُمْ أَحْسَنُ أَثَلْنَا وَرِءْياً ١

بالزينة الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم . بتى بحثان :

(الأول) قوله (آباتنا بينات) يحتمل وجوها (أحدها) أنها مرتلات الألفاظ مينات المعانى إما محكات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا (و ثانيها) أنها ظاهرات الإعجاز تحدى بها في قدروا على معارضتها (و ثالثها) المراد بكونها آبات بينات أى دلائل ظاهرة و اضحة لا يتوجه عليها سؤال ولا اعتراض مثل قوله تعالى فى إثبات صحة الحشر (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً)

﴿ البحث الثانى ﴾ قرأ ابن كثير (مقاماً) بالضم وهو موضع الإفامة والمنزل، والباقون بالفتح وهو موضع القيام، والمراد والندى المجلس يقال: ندى وناد، والجمع الآندية، ومنه قوله (وتأتون فى ناديكم المنكر) وقال (فليدع ناديه) ويقال ندوت القوم أندوهم إذا جمعتهم فى المجلس، ومنه دار الندوة بمكة وكانت مجتمع القوم. ثم أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاناً ورثياً ﴾

وتقرير هذا الجواب أن يقال إن من كان أعظم نعمة منكم في الدنيا قد أهلكهم الله تعالى وأبادهم، فلو دل حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حبيباً لله تعالى لوجب في حبيب الله أن لا يوصل اليه غماً في الدنيا ووجب عليه أن لايهاك أحدًا من المنعمين في دار الدنيا وحيث أهلكهم دل إما على فساد المقدمة الأولى وهي أن من وجد الدنيا كان حبيباً لله تعالى ، أو على فساد المقدمة الثانية وهي أن حبيب الله لايوصل الله إليه غما ، وعلى كلا التقديرين فيفسدماذكرتموه من الشبهة ، بتى البحث عن تفسير الألفاظ فنقول : أهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم وهم أحسن في محل النصب صفة لكم، ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية ، والآثاث متاع البيت ،أما رئياً فقرى. على خمسة أوجه لآنها إما أن تقرأ بالرا. التي ليس فوقها نقطة ، أو بالزات التي فوقهانقطة فأما الأول ، فإما أن يجمع بين الهمزة واليا. أو يكتني باليا. ، أما إذا جمع بين الهمزة واليا. ففيه وجهان : (أحدهما) بهمزة ساكنة بعدها يا. وهو المنظر والحيثة فعل بمعنى مفعول من رأيت رئياً (والثانى) ريئاً على القلب كقولهم را. في رأى ، أما إن اكتفينا باليا. فتارة باليا. المشددة على قلب الهمزة يا. ، والإدغام ، أو من الرى الذي هو النعمة والثرفه، من قولهم ريان من النعيم، (والثاني) بالياء على حذف الهمزة رأساً ووجهه أن يخفف المقلوب وهو ريثاً بحذف الهمزة وإلقا. حركتها على الياء الساكنة قبلها، وأما بالزاي المنقطة من فوق زياً فاشتقاقه من الزي وهو الجمع ،لأن الزي محاسن مجموعة ، والمعنى أحسن من هؤلاء ، والله أعلم .

قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَلَةِ فَلْيَمْدُدُ لَهُ ٱلرَّحْمِنُ مَدًّا حَتَىٰ إِذَا رَأُواْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَشَرِّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿ وَ يَرِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى وَٱلْبَاقِينَ ٱلصَّلْحَاتُ خَيْرً عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴿ ثَنَى الْمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَا لَا اللَّهُ الْمُعْمِلُولَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

قوله تعالى : ﴿ قُلَ مَنَ كَانَ فَى الصَّلَالَةُ فَلَيْمَدُدُ لَهُ الرَّحْنُ مَدَاً . حَتَى إذا رأوا مايوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً . ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾

إعلم أن هذا الجواب الثانى عن تلك الشبهة وتقريره لنفرض أن هذا الضال المتنعم فى الدنيا قدمد ألله فى أجله وأمهله مدة مديدة حتى ينضم الى النعمة العظيمة المدة الطويلة ، فلا بد وأن ينتهى الى عذاب في الدنيا أو عذاب في الآخرة بعد ذلك سيعلمون أن نعم الدنيا ما تنقذهم من ذلك العداب فقوله (فسيملمون من هو شر مكاناً)مذكور في مقابلة قولهم (خير مقاماً) (وأضعف جنداً) في مقابلة قولهم (أحسن ندياً) فبين تعالى أنهم وإن ظنوا في الحال أن منزلتهم أفضل من حيث فعنلهم الله تعالى بالمقام والندى فسيعلمون من بعد أن الامر بالضد من ذلك وأنهم شر مكانا ظه لامكان شر من النار والمناقشة في الحساب (وأضعف جنداً) فقد كانوا يظنون وهم في الدنيا أن اجتماعهم ينفع فاذا رأوا أن لاناصر لهم في الآخرة عرفوا عند ذلك أنهم كانوا في الدنيا مبطلين فيها ادعوه . بقى البحث عن الالفاظ وهو من وجوه (أحدها) مد له الرحمن أى أمهله وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الامر إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لامحالة كالمأمور الممتثل ليقطع معاذير الصال ، ويقال له يوم القيامة (أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) وكقولهم (آنمـا نملي لهم ليزدادوا [ثمـآ) . (وثانيها) أن قوله (إما العذاب وإما الساعة) يدلُّ على أن المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل يوم القيامة لأن قوله (وإما الساعة) المرادمنه يوم القيامة مم العذاب الذي يحصل قبل يوم القيامة يمكن أن يكون هو عذاب القبر ويمكن أن يكون هو العذابالذي سيكون عند المعاينة لآنهم عند ذلك يعلمون مايستحقون ، ويمكن أيضاً أن يكون المراد تغير أحوالم في الدنيا من العز إلى الذل ،ومن الغني إلى الفقر،ومن الصحة إلى المرض، ومن الامن إلى الخوف ، ويمكن أن يكون المراد تسليط المؤمنين عليم ، ويمكن أيضاأن يكون المراد ما نالهم يوم بدر ، وكل هذه الوجوه مذكورة ، واعلم أنه تمالى بين بعد ذلك أنه كما يعامل الكفايي،

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِعَا يَنْتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿ إِنَّ أَظَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ

عِندَ ٱلرَّحَانِ عَهْدُا ۞

ذكره فكذلك يزيد المؤمنين المهتدين هدى ، واعلم أنا نبين إمكان ذلك بحسب العقل، فنقول إنه لا يبعد أن يكون بعض أنواع الاهتدا. مشروطاً بالبعض فان حاصل الاهتدا. يرجع الى العلم ولا امتناع فى كون بعض العلم مشروطاً بالبعض ، فن اهتدى بالهداية التي هي الشرط صار بحيث لا يمتنع أن يعطى الهداية التي هي المشروط ، فصح قوله (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) مثاله الإيمان هدى والإخلاص في الإيمان زيادة هدى ولايمكن تحصيل الإخلاص إلا بعد تحصيل الإيمان فن اهتدى بالايمــان زاده الله الهداية بالاخلاص ، هذا إذا أجرينا لفظ الهداية على ظاهره ومن الناس من حمل الزيادة في الهدى على الثواب أي ويزيد الله الذين اهتدوا ثواباً على ذلك الاهتداء ومنهم من فسر هذه الزيادة بالعبادات المترتبة على الايمان ، قال صاحب الكشاف يزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر وتقديره منكان في الصلالة يمد له الرحمن مدأ ويزيد أي يزيد في ضلال الضلال بخذلانه بذلك المد ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه، ثم إنه تعالى بين أن ماعليه المهتدون هو الذي ينفع في العاقبة فقال (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً) وذلك لأن ما عليه المهتدون ضرر قليل متناه يعقبه نفع عظيم غير متناه ، والذي عليه الضالون نفع قليــل متناه يعقبه ضرر عظيم غير متناه، وكل أحد يعلم بالضرورة أن الأول أولى ، وبهذا الطريق تسقط الشهة التي عولوا عليها واختلفوا في المراد بالباقيات الصالحات فقال المحققون إنها الإيمان والاعمال الصالحة سهاها باقية لأن نفعها يدوم ولا يبطل ومنهم من قال المراد بهـا بعض العبادات ولعلهم ذكروا ما هو أعظم ثواباً فبمضهم ذكر الصلوات وبعضهم ذكر التسبيح وروى عن أبي الدرداء قال: وجلس رسول الله ﷺ ذات يوم وأخذ عودا يابساً فأزال الورق عنه ثم قال: إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله يحط الخطايا حطاً كما يحط ورق هذه الشجرة الربح خذهن يا أبا الدردا. قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة، وكان أبو الدردا. بقول لأعلمن ذلك ولا كثرن منه حتى إذا رآنى جاهل حسب أنى مجنون، والقول الأولى أولى لأنه تعالى إنمـا وصفها بالباقيات الصالحات من حيث يدوم ثوابها ولاينقطع فبعض العبادات وإن كان أنقص ثواباً من البعض فهي مشتركة في الدوام فهي بأسرها باقية صالحة نظراً إلى آثار هاالتي هي الثواب ثم إنه تعالى أخبر أنها (خير عندر بك ثوا بأو خير مرداً) ولا يجوز أن يقال هذا خير إلا والمراد أنه خير من غيره فالمرادإذن أنها خير مما ظنه الكفار بقولهم (خير مقاماً وأحسن ندياً) قوله تمالى ﴿ أَفُرَابِتَ الذِي كَفُرُ بَآيَاتُنَا وَقَالَ لَاوْ تَيْنَ مَالَا وَوَلَدًا ۚ ، أَطَلَعُ الغَيبِ أَم اتَّخَذَ عَنْد

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ, مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ

وَيَأْتِينَا فَرَدًا ﴿

الرحمن عهداً ،كلا سنكتب ما يقول و نمد له من العذاب مداً ، ونرثه ما يقول و يأتينا فرداً ﴾ . إعلم أنه تعالى لمـا ذكر الدلائل أولا على صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين، وأجأب عنها أورد عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعناً فى القول بالحشر فقال (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاو تين مالا وولداً) قرأ حمزة والـكسائى ولداً وهو جمع ولدكا ُسد في أسد أو بمعنى الولدكالعرب في العرب ،وعن يحيى بن يعمر ولداً بالكسر ، وعن الحسن نزلت الآية في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن واثل ، قال خباب بن الأرتكان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد بالله لاحياً ولاميتاً ولاحين تبعث فقال فانى إذا مت بعثت؟ قلت نعم قال إنى إذا بعثت وجثتنى فسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك، وقيل صاغ خباب له حلياً فاقتضاه فطلب الاجرة فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون ، وأن فى الجنة ذهباً وفضة وحريراً فأنا أقضيك ثم ، فإنى أوتى مالا وولدا حينئذ ثم أجاب الله تعــالى عن كلامه بقوله (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) قال صاحب الكشاف أطلع الغيب من قولهم أطلع الجبل أى ارتقى الى أعلاه ويقال مر مطلعاً لذلك الامر أى غالباً له مالكاً له والاختيار في هذه الكلُّمةُأن تقولُأُو قد بلغ منعظم شأنه أنه ارتقى الدعلم الغيبالذي توحد به الواحد القهار،والمعنى أن الذي ادعَى أنه يكون حاصلا له لايتوصل اليه إلا بأحد هذين الامرين، إما علم الغيب و إما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل اليه؟وقيل فىالعهدكلمة الشهادة عن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلكما يقول؟ثم إنه. بحانه بين منحالهضد ماادعاه، فقال(كلا) وهي كلمة ردعو تنبيه على الخطأ أي هو مخطى. فيها يقوله و يتمناه فان قيل لم قال (سنكتب ما يقول) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قلنا فيه وجهان : (أحدهما) سيظهر له ويعلم أنا كتبنا (الثانى) أن المتوعد يقول للجانى سوف أننقم منــك وإنكان فى الحال فى الانتقام ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد فكذا هبنا ، أما قوله تعالى (ونمد له من العذاب مداً) أى نطول له من العذاب ما يستأهله ونزيده من العذاب و نضاعف له من المدد و يقال مده وأمده بمعنى ويدل عليه قراءة على بن أبى طالب عليه السلام و بمد له بالضم ، أما قوله و زئه ما يقول أي يزول عنــه ما وعده من مال وولد فلا يعودكما لا يعود الإرث ألى من خلفه وإذا سلب ذلك في الآخرة يبقى فرداً فلذلك قال (ويأتينا فرداً) فلا يصح أن ينفرد في الآخرة بمـال وولد(ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة)والله أعلم.

ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَنِ عَهْدًا ۞

قوله تعالى : ﴿ وَاتَخَدُوا مَن دُونَ الله آلِمَةُ لَيْكُونُوا لَهُمْ عَزاً ،كلا سَيْكُفُرُونَ بَعَبَادَتُهُمْ وَيَكُونُونَ عليهم ضداً ، ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ، فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً ، يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ، لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحن عهدا ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما تكلم في مسألة الحشر والنشر ، تكلم الآن في الرد على عباد الاصنام فحكى عنهم أنهم إنمها انخذوا آلحة لانفسهم ليكونوا لهم عزاً ،حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصاراً ، ينقذونهم من الهلاك .ثم أجاب الله تعالى بقوله (كلا) وهو ردع لهم وانكار لنعززهم بالآلهة ، وقرأ ابن نهيك (كلا سيكفرون بعبادة هذه الأوثان وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الاعتقاد والرأى كلا ، قال صاحب الكشاف إن صحت هذه الرواية فهى كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها نوناكما في قواريرا واختلفوا في أن الضمير في قوله (سيكفرون) يعود إلى المعبود أو إلى العابد فنهم من قال إنه يعود إلى المعبود ، ثم قال بعضهم أراد بذلك الملائحة لانهم في الآخرة يكفرون بعبادتهم ويتبرون منهم ويخاصمونهم وهو المراد من قوله (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) وقال آخرون إن الله تعالى يحيي الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرؤا منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم ومن الناس من قال الضمير يرجع إلى العباد أى أن هؤلاء المشركين يوم القيامة ينكرون أنهم عبدو! الأصنام ثم قال تعالى (ثم لم تمكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين) أما قوله (ويكونون عليم ضداً) فذكون عليم ضداً) فذكونون عليم ضداً المودن عليم عوناً والضد العون ، يقال من أضدادكم أى من أعوانكم وكأن العون يسمى ضداً ويكونون عليم عوناً والضد العون ، يقال من أضدادكم أى من أعوانكم وكأن العون يسمى ضداً ويكونون عليم عوناً والضد العون ، يقال من أضدادكم أى من أعوانكم وكأن العون يسمى ضداً ويكونون عليم عوناً والصد العون يسمى ضداً أو يكونون عليم عوناً والضد العون ، يقال من أضدادكم أى من أعوانكم وكأن العون يسمى ضداً أو يكونون عليم عوناً والضد العون ، يقال من أضدادكم أى من أعوانكم وكأن العون يسمى ضداً أو يكونون عليم عوناً والصد العون ، يقال من أضاد العون عليم ضداً أو الصد العون يسمى ضداً أو يكونون عليم عوناً والصد العون يسمى ضداً أو يكونون عليم عوناً والعدود وأورادون كان عليم أو كأن العون يسمى ضداً أو يكونون عليم عوناً والصد العون بيقال من أصد العرب و كان العون يسمى طوناً والميدود وأورادون كان العون يسمى الميار الم

لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه،فان قيل ولم وحد؟ قلنا وحد توحيد قوله عليه السلام «وهم يد على من سواهم» لا تفاق كلمتهم فانهم كشى، واحد لفرط انتظامهم و توافقهم، ومدى كون الآلمة عوناً عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وأعلم أنه تعالى لما ذكر حال هؤلا، الكفار مع الاصنام في الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين في الدنيا فانهم يسألونهم وينقادون لهم فقال (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) وفيه مسائل:

﴿ الْمُسَالَةُ الْأُولَى ﴾ احتج الاصحاب بهذه الآية على أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل أرسلت فلانا على فلان موضوع في اللغة لإفادة أنه سلطه عليه لإرادة أن يستولى عليه قال عليه السلام سم الله وأرسل كلبك عليه إذا ثبت هذا فقوله (أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) يفيد أنه تعالى سلطهم عليهم لارادة أن يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود مم يتأكد هذا بقوله (تؤزهم أزأ) فان معناه إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين لتؤزهم أزاً ويتأكد بقوله(واستفزز من استطعت منهم) قال القاضي حقيقة اللفظ توجب أنه تعمالي أرسل الشياطين إلى الكفار كما أرسل الانبيا. بأن حملهم رسالة يؤدونها إليهم فلا يجوز فى تلك الرسالة إلا ما أرسل عليه الشياطين من الاغوا. فكان يجب في الكفار أن يكونوا بقبولهم من الشياطين مطيعين وذلك كفرمن قائله، ولأن من الحب تعلق المجبرة بذلك لأن عندهم أن ضلال الكفار من قبله تعالى بأن خلق فيهم الكفر وقدر الكفر فلا تأثير لما يكون من الشيطان وإذا بطل حمل اللفظ في ظاهره فلا بد من التأويل فنحمله على أنه تعالى خلى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من إغوائهم وهذه التخلية تسمى إرسالا في سعة اللغة . كما إذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال أرسل كابه عليه وإن لم يرد أذى الناس،وهذه التخلية وإنكانفيها تشديد للمحنةعليهم فهم متمكنون من أنلاية بلوا منهم ويكون ثوابهم على ترك القبول أعظم والدليل عليه قوله تعالى (وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) هذا تمامكلامه ونقول لا نسلم أنه لايمكن حمله على ظاهره فان قوله ([أرسلنا] لشياطين)لو أرسلهم الله إلى الكفار لكان الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين، قلنا الله تعالى ماأرسل الشياطين إلىالكفاربل أرسلها عليهم والارسالعليهم هوالتسليط لارادة أن يصير مستولياً عليه ، فأين هذا من الإرسال إليهم. قوله ضلال الكافر من قبل الله تعالى فأى تأثير للشيطان فيه ؟ قلناً لم لا يجوز أن يقال إن إسماع الشيطان إياه تلك الوسوسة يوجب في قلبه ذلك الصلال بشرط سلامة فهم السامع لأن كلام الشيطان من خلق الله تعالى فيكون ذلك الصلال الحاصل في قلب الكافر منتسباً إلى الشيطان وإلى الله تعمالي من هذين الوجهين ، قوله لم لايجوز أن يكون المراد بالإرسال التخلية قلناكما خلى بين الشيطان والكفرة فقد خلى بينهم وبين الانبياء ،ثم إنه تعالى خص الكافر بأنه أرسل الشيطان عليه فلابد من فائدة زائدة ههنا ولان قوله (تؤزهم أذاً) أي تحركهم تحريكا شديداً كالغرض من ذلك الارسال في جب أن يكون الآذ مراداً

لله تعالى ويحصل المقصود منه فهذا مافى هذا الموضع والله أعلم

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ان عباس (تؤزهم أزاً) أى تزعجهم في المعاصى إزعاجاً نزلت في المستهزئين بالقرآن وهم حمسة رهط قال صاحب الكشاف الآز والهز والاستفزاز أخوات في معنى التهييج وشدة الازعاج أى تغريهم على المعاصى وتحثهم وتهيجهم لها بالوساس والتسويلات أما قوله تعالى (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً) يقال عجلت عليه بكذا إذا استعجلته به أى لاتعجل عليهم بأن بها كموا أو يبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ماتطلب من هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة ، ونظيره قوله تعالى (ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) عن ابن عباس أنه كان إذا قرأها بكى وقال : آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد دخول قبرك ، آخر العدد فراق أهلك . وعن ابن السماك رحمه الله أنه كان عند المأمون فقرأها فقال إذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد ف أسرع ما تنفد ، وذكروا في قوله (نعد لهم عداً) وجهين آخرين (الأول) نعد أنفأسهم وأعمالهم فنجازيهم على قليلها وكثيرها (والثاني) نعد الأوقات إلى وقت الأجل المعين لكل أحد الذي لايتطرق إليه الزيادة والنقصان،ثم بينسبحانه ماسيظهر في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين وبين المجرمين في كيفية الحشر فقال (يومنحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)قال صاحب الكشاف نصب يوم بمضمر أى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين مالايحيط به الوصف أواذكر يوم يحشر وبجوز أن ينتصب بلا يملكون عن على عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب ، ثم تلا هذه الآية . وفيها مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال القاضى هذه الآية أحد ما يدل على أن أهوال يوم القيامة تختصر بالمجرمين لآن الحتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فهم آمنون من الخوف فكيف يجوز أن تنالهم الآهوال؟.

﴿ المسألة الثانية ﴾ المشبهة احتجوا بالآية وقالوا قوله (إلى الرحمن) يفيد أن انتها. حركتهم يكون عند الرحمن وأهل التوحيد يقولون المعنى يوم نحشر المتقين إلى محل كرامة الرحمن.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ طعن الملحد فيه فقال قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) هذا إنما يستقيم أن لو كان الحاشر غير الرحمن أما إذا كان الحاشر هو الرحمن فهذا الكلام لا ينتظم، أجاب المسلمون بأن التقدير يوم نحشر المتقين إلى كرامة الرحمن أما قوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم) ورداً فقوله (نسوق) يدل على أنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء، والورد اسم للعطاش، لأن من يرد الماء لايرده إلا للعطش.وحقيقة الورود السير إلى الماء فسمى به الواردون أما قوله (لإيملكون الشفاعة) أى فليس لهم والظاهر أن المراد شفاعتهم لغيرهم

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَانُ وَلَدًا ١٥ اللَّهِ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْعًا إِذًّا ١١ اللَّهِ تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُ ٱلْأَرْضُ وَتَخِيرُ الْجِلْبَالُ هَدًّا ﴿ إِنَّى أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدَّا ﴿ إِنَّ

وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَنِ أَن يَغِيدُ وَلَدًا ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَاوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا وَاتِي وَ ٱلرَّحْمَنِ عَبْدُا ﴿ وَ لَقَدْ أَحْصَلُهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدَّا ﴿ وَكُلُّهُمْ وَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْدًا .

أو شفاعة غيرهم لهم فلذلك اختلفوا ،وقال بعضهم لايملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون وقال بعضهم بل المراد لايملك غيرهم أن يشفعوا لهم وهذا الثانى أولى لأن حمل الآية على الأول يحرى مجرى إيضاح الواضحات وإذا ثبت ذلك دلت الآية على حصول الشفاعة لاهل الكبائر لانه قال عقيبه (إلامن أتخذ عند الرحمن عهداً) والتقدير أن هؤلاً. لايستحقون أن يشفع لهم غيرهم إلا إذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهداً التوحيد والنبوة فوجب أن يكون داخلا تحته ونما يؤكد قولنا ماروى ابن مسعود أنه عليه السلام قاللاصحابه ذات يوم «أيعجز أحدكم أن يتخذكل صباح ومساء عند الله عهداً؟قالوا وكيف ذلك قال يقول كلصباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك بأنى أشهد أن لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فانك إن تـكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتبعدني من الخير وإنى لا أثق إلا برحمتك فاجعل لى عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد . فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عندالرحمن عهد فيدخلون الجنة» نظهر بَهذا الحديث أن المراد من العهدكلمة الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على أن الشفاعة لاهل الكبائر وقال القاضي الآية دالة على مذهبه وقد ظهر أن الآية قوية في الدلالة على قولناوالله أعلم. قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْنَ وَلِدَا لَقَدَ جَنَّتُمْ شَيْئًا إِدَاً.تَكَادَ السَّمُوات يَتَفَطَّرَنَ مَنْهُ وَتَنْشَقَ الأرض وتخر الجبـال هداً . أن دعوا للرحن ولداً ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً 🍑.

إعلم أنه تعالى لما رد على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولداً (وقالت اليهودعزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقالت العرب الملائكة بنأت الله والكل داخلون في هذه الآية ومنهمٌ من خصها بالعرب الذين أثبتوا أن الملائكة بنات الله قالوا لآن الرد على النصارى تقدم في أول السورة أما الآن فانه لما رد على العرب الذين قالوا بعبادة الأوثان تسكلم في إفساد

قول الذين قالوا بعبادة الملائكة لكونهم بنات الله أما قوله (لقد جثيم شيئا إداً) فقرى. إداً بالكسر والفتح قال ابن خالو به الإد والاد العجب وقبل المنسكر العظيم والادة الشدة وأدنى الامر وآدنى أثقلى. قرى "ينفطرن بالتاء بعد الياء أعنى المعجمة من تحتها واختلفوا فى يكاد فقراً بعضهم بالياء المعجمة من تحتها وبعضهم بالتاء من فوق، والانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شقه وكرر الفعل فيه وقراً ابن مسعود يتصدعن وقوله (وتخر الجبال هداً) أى تهد هداً أو مهدودة أو مفعول له أى لانها تهد والمعنى أنها تتساقط أشد ما يكون تساقط البعض على البعض ، فان قيل من أين يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى فى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال؟ قلنا فيه وجود هذه الكلمة غضباً منى على من تفوه بها لولا حلى وأنى لا أعجل بالعقوبة كما قالى (إن الله وجود هذه الكلمة غضباً منى على من تفوه بها لولا حلى وأنى لا أعجل بالعقوبة كما قالى (إن الله يسمك السموات والارض أن تزولا ولن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إلاكان حليا غفوراً) وقواعده (وثالثها) أن يكون استمظاماً للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويراً لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده (وثالثها) أن السموات والارض والجبال كانت سليمة من هذا القول وهذا تأويل أبي مسلم (ورابعها) أن السموات والارض والجبال كانت سليمة من كل العيوب فلما تكلم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها أما قوله (أن دعوا للرحن ولداً) ففيه مسائل:

﴿ المِسْأَلَةُ الأُولَى ﴾ فى إعرابه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون مجروراً بدلا من الها. فى منه أو منصوباً بتقدير سقوط اللام وإفضا. الفعل أى هذا لآن دعوا أو مرفوعا بأنه فاعل (هداً) أى هدها دعا. الولد للرحن،والحاصل أنه تعالى بين أن سبب تلك الأمور العظيمة هذا القول.

﴿ المسألة الثانية ﴾ إنما كرر لفظ الرحن مرات تنبيهاً على أنه سبحانه وتعالى هو الرحمن وحده من قبل أن أصول النعم وفروعها ليست إلا منه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (دعوا للرحمن) هو من دعا بمعنى سمى المتعدى إلى مفعولين فاقتصر على الحدهما الذى هو الثانى طلباً للعموم والإحاطة بكل من ادعى له ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من ادعى إلى غير مواليه ﴾ . قال الشاعر : إنا بنى نهشل لا ندعى الآب

أى لانتسب إليه ، ثم قال تعالى (وما ينبغى للرحن أن يتخذ ولداً) أى هو محال ، أما الولادة المعروفة فلا مقال فى امتناعها ، وأما التبنى فلأن الولد لابد وأن يكون شبيها بالوالد ولا مشبه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد إيما يكون لأغراض لاتصح فى الله من سروره به واستعانته به وذكر جيل ، وكل ذلك لا يليق به ، ثم قال (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) والمراد أنه مامن معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة والناس إلا وهو يأتى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَمُ مُ ٱلرَّمْنَ وُدًّا ﴿ وَأَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْمُعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْمَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُعَلِمُ اللَّهُ عَلَى اللْمُعَلَّمُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ

الرحمن أى يأوى اليه ويانجي. إلى ربوبيته عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً راجياً كما يفعل العبيد، ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة والأول أولى لأنه لا تخصيص فيه وقوله (لقد أحصاهم وعدهم عداً) أى كلهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته فهو سبحانه محيط بهم، ويعلم مجمل أمورهم وتفاصيلها لايفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم براء منهم.

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَلُوا الصَّالَحَاتُ سَيَجَعَلَ لَمُمَ الرَّحْنُ وَدَاً. فَإِيمَا يَسْرِنَاهُ بِلَسَانِكُ لَتَبْشُرُ بِهِ المُؤْمِنِينَ وَتَنَذَرُ بِهِ قَوْماً لَداً . وَكُمْ أَهْلُـكُنَا قِبْلُهُمْ مِن قرنَ هُلِ تَحْسُ مِنْهُمْ مِن أَحْدُ أَنْ تَنْ مِنْ لَمِنْ لَكُونُ مِنْ وَتَنَذَرُ بِهِ قَوْماً لِداً . وَكُمْ أَهْلُـكُنَا قِبْلُهُمْ مِن قَرِنَ هل

أو تسمع لهم ركزاً ﴾.

اعلم آنه تعالى لما رد على أصناف الكفرة وبالغ فى شرح أحوالهم فى الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعلوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودآ) وللمفسرين فى قوله (وداً) قولان (الأول) وهو قول الجهور أنه تعالى سيحدث لهم فى القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التى يكتسب الناس بها مودات القلوب من قرابة أو صدافة أو اصطناع معروف أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه تعالى وابتداء تخصيصاً لأولياته بهذه الكرامة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاماً لهم وإجلالا لمكانم ، والسين فى سيجعل إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك إذا جاء الإسلام ، وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحبهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية وإذا أحب الله عبداً نادى جبر بل قد أحببت فلانا فأحبوه فينادى جبريل عليه السلام بذلك فى السهاء والأرض وإذا أبغض عبداً فثل ذلك » وعن كعب قال: مكتوب فى التوراة والإنجيل الابرض وتصديق ذلك فى القرآن قوله (سبجمل لهم الرحمن وداً). (القول الثانى) وهو اختيار الإب مسلم معنى (سيجمل لهم الرحمن وداً) أى يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء يقال آتيت فلانا كناء ، وحمل لهم ما يحبون والود والمحبة سواء يقال آتيت فلانا كبته ، وجعل لهم ما يحبون ، وجعلت له وده ، ومن كلامهم يود لوكان كذا ، ووددت أن فلانا كبته ، وجعل لهم ما يحبون ، ومن كلامهم يود لوكان كذا ، ووددت أن

لوكان كذا أى أحببت، ومعناه سيعطيهم الرحمن ودهم أى محبوبهم فى الجنة (والقول الأول) أُولَى لان حمل المحبة على المحبوب مجاز ، ولأنا ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وفسرها بذلك فكأن ذلك أولى، وقال أبر مسلم بل القول الثاني أولىلوجوه (أحدها) كيف يصح القول الآول مع علمنا بأن المسلم المتقى يبغضه الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين، (وَثَانِهَا) أَنْ مثل هَذَّه المحبة قد تحصل للكفار والفساق أكثر فكيف يمكن جعله إنعاماً في حق المؤمنين (و ثالثها) أن محبتهم في قلوبهم من فعلهم لاأن الله تعالى فعله فكان حمل الآية على إعطاء المنافع الآخروية أولى (والجواب) عن الآول أن المراد يجعل لهم الرحمن محبة عند الملائكة والآنبياء، وروى عنه عليه السلام أنه حكى عن ربه عز وجل أنه قال د إذا ذكرنى عبدى المؤمن فى نفسه ذكرته فى نفسى . وإذا ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا أطيب منهم وأفضل، وهذا هو (الجواب)عن الكلام الثاني لأن الكافر والفاسق ليس كذلك (و الجواب)عن الثالث أنه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية إكرامه في قلوبهم، أما قوله تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين) فهو كلام مستأنف بين به عظيم موقع هذه السورة لمــا فيها من التوحيد والنبوة والحشر والنشر والرد على فرق المضلين المبطلين فبين تعالى أنه يسر ذلك بلسانه ليبشر به وينذر، ولو لا أنه تعالىنقل قصصهمالى اللغة العربية لما تيسر ذلك على الرسو لصلى الله عليه وسلم فأما أن القرآن يتضمن تبشير المتقين وإندار من خرج منهم فبين ، لكنه تعالى لما ذكر أنه يبشر به المتقين ذكر فى مقابلته من هو فى مخالفة التقوى أبلغ وأبلغهم الآلد الذى يتمسك بالباطل ويجادل فيه ويتشدد وهو معنى لداً ، ثم إنه تعالى ختم السورة بموعظة بليغة فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) لأنهم إذا تأملوا وعلمواأنه لابد منزوال الدنيا والانتهاء إلىالموت خافوا ذلكو خافوا أيضاً سو. العاقبة فيالآخرة فكانوا فيها ألى الحذر من المعاصى أقرب، ثم أكد تعالى في ذلك فقال (هل تحس منهم من أحد) لان الرسول عليه السلام إذا لم يحس مهم أحداً برؤية أو إدراك أو وجدان (ولايسمع لهم ركزاً) وهو الصوت الخني ، ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الآرض والركاز المال المدفون دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية ، والآفرب في قوله (أهلكنا) أن المراد به الانقراض بالموت وإن كان من المفسرين من حمله على العذاب المعجل في الدنيا ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمـآب، والحمد لله ر بـ العالمـين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

فه شنت

الجزء الحادى والعشرون من التفسير الكبير للامام الفخر الرازى

- تفسير قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية .
- پیان هل کان السجو د آدم علیه السلام أو کان به تعالی و آدم کان قبلة السجو د .
- أوجه القراءات في قوله تعالى (لثن أخرتن إلى يوم القيامة) .
- توله تعالى (واستفرز من استطعت مهم بصوتك) الآية .
- الكلام على مشاركة إبليس لأوليائه
 ف الاموال والاولاد.
- كيفية دعوة إبليس إلى المعصية وتنفيره
 عن الطاعة
- بیان المراد من العباد فی قوله تعالی
 (إن عبادی لیس لك علیم سلطان)
- أوله تعالى(ربكم الذى يزجى لكم الفلك
 في البحر لتبتغوا من فضله) الآية .
- ١١ ذكر دلائل التوحيد المستنبطة من
 الإنعامات في أحوال ركوب البحر .
- ١٢ بيان وجوه القراءات في قوله تعالى
 (أفأمنتم أن يخسف بكم) الآية .
- ١٣ قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) الآية
- ١٤ ذكر الأشياء التي كرم الله تعالى بهانبي آدم
- 10 محث نفيس في ذكر أقسام الموجودات

- صفحة
- 17 ذكر بعض نعم الله تعالى على الانسان 17 قوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) الآية.
- ۱۸ بیان أوجه القراءات فی قوله تعالی
 (یوم ندعوا) .
- ١٩ بيان أو جه القراءات في قوله تعالى (ومن
 كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى).
- ۲۰ قوله تعالى (وإنكادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) الآية .
 - ٢١ بيان سبب نزول هذه الآية .
- ٢٧ احتجالطاء:ون في عصمة الانبياء عليهم
 السلام بهذه الآية الرد على حججهم.
- ۲۲ احتجاج أهل السنة بقوله تعالى (ولو لا
 أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم) على
 أنه لاعصمة عن المعاصى إلا بتوفيقه تعالى
- ۲٤ قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك
 من الارض) الآية .
- ور قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس)
- ٢٦ ذكر وجوه نظم الآيات وارتباط
 هذه الآية بما قبلها .
- ۷۷ بیان أن فی معنی دلوك الشمس قولان وذكر الارجح منهما.
- ۲۸ ذکر فوائد مستنبطة من قوله تعالى
 (وقرآن الفجر) ،

صفحة

- ۲۹ ذكر احتمالات فى معنى قوله تعالى (إن قرآن الفجر كان مشهوداً).
 - ٣٠ قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به)
- ۳۲ إعراب قوله تعالى (مقاماً محموداً) وذكر أموال المفسرين في المقام المحمود ماهو.
- ۳۳ بیان المراد من قوله تعالی (وقل رب أدخلنی مدخل صدق) الآبة .
- ٣٤ قوله تعالى (و انزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الآية
- وه بيان أن القرآن شفياء من الأمراض الروحانية والجسمانية .
- ٣٦ قُوله تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) الآية .
- ۳۷ قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل
 الروح من أمر ربى) الآية .
- ۳۸ بیان آن السؤال عن الروح یقع علی وجوه کثیرة .
- ٤٠ بيان أن المراد بالروح المسئول عنه في
 هذه الآية ملك من الملائكة .
- ٤١ إبطال قول من يقول إن الإنسان هو
 جسم فقط بالحجج القاطعة .
- الاستدلال على أن الانسان مغاير لهذا
 الجسد بقوله تعالى خطاباً له بعد الموت
 إيا أيتها النفس المطمئنة) الآمة .
- ٤٣ الاستدلال بإخبار الميت مناماً وصحة إخباره على أن الانسان هو الروح لا الجسم الميت.
- ٤٤ برهان فلسنى على أن الانسان غير
 محسوس، وأنهذا المرئى سطح جسمه

- أولونه ، وشرح مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود في داخلالبدن .
- ولمن يقول الانسان أى الروح عرض حال فى البدن بالادلة القاطعة .
- ٤٦ بيان أنالروح ليست بجسم وأنها باقية بعد الموت وذكر القائلين بذلك .
- ٤٧ ذكر أدلة عقلية للدلالة على أن الروح
 مغايرة لهذا البدن ولكل واحد من
 أجزائه .
- الاستدلال على أن النفس الانسانية
 شىء واحد هو المدرك لجيع المدركات
- ٤٩ بيان امتناع أن تكون النفس جز. آ من أجزا. هذا الدن.
- أثبات أن الإنسان عبارة عن شيء غير
 هذا الجسد وهو الروح.
- ١٥ وجوه الاستدلالات العقلية على أن
 النفس ليست جسما لمنافاة أحوالها
 لأحواله .
- ٥٢ إثبات أن النفس ليست بحسم من الدلائل السمعية .
- ويسألونك عن الروح)
 الآية . على أن الروح ليست جسما متنقلا
 من حالة إلى حالة .
- هوله تعالى (ولأن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) الآيه
- وه تعالى (قل أن اجتمعت الجن والانس علىأن أتوابمثل هذا) الآية.
- ٥٦ قوله تعالى (ولقد صرفنا للناس) الآية .
- ٥٠ قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك) الآيات

صفحة

- ٨٥ ذكر أوجه القراءات في قوله تعالى
 (أو تسقط السهاء كمازعمت علينا كسفاً)
- و الطالقول المشبه فيأن الله تعالى بحى. ويذهب بقوله تعالى (قل سبحان ربى) جو اباً للكفار .
- عوله تعالى (ومامنع الناس أن) الآية
- ۲۱ (د (ومن یهدی الله) «
- وجوه عدم المنافاة بين قوله تعالى
 (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
 عياً وبكارصاً) وبين الآيات الدالة على
 أنهم يبصرون ويتكلمون ويسمعون.
- ٦٣ قوله تعالى (وقالوا أنذاكنا) الآيات
- ٦٤ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ اللَّالِهُ ﴾ ﴾ الآية .
- م. يان أن تخصيص العدد بالذكر لايدل على نفى الزائد.
- ٢٦ ذكر وجوه القراءات فى قوله تعالى
 (قال لقد علمت ما أبزل هؤلا. إلا رب السموات والأرض) الآية .
- ١٩ « (وقرآناً فرقنا لتقرأه) الآية
- ٧٠ « « (قل ادعوا الله أو ادعو االرحن)
 - ٧١ أبطال قول المعتزلة بأن الله تعالى ليس
 خالفاً للظلم وإلا لجاز أن يسمى ظالماً .
 - ۷۷ سان أن المراد بقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) الدعاء.
 - ۷۳ الكلام على تكبير الله تعالى فى ذاته
 وأفعالة وصفاته وأحكامه وأسمائه .
 - ١٧٠ سورة الكهف قوله تعالى (الحدية الذي أنزل على عده الكتاب) الآية

- بيأن أن إنزال الكتاب نعمة يجب حمد الله تعالى عليها.
- اعراب قوله تعالى (ولم بجعل له عوجا قيما)
 ويبان أنه لا تكرار .
- استدلال المعتزلة بهذه الآية على خلق القرآن وخلق العبد أفعاله الاختيارية وغير ذلك ، وبيانأن استدلالهم باطل بالداهة .
- ٥٠ قوله تعالى (وينذرالذين قالوا اتخذ الله
 ولداً) الآية .
- استدلال نفاة القياس بهذه الآية على
 أن القول بغير علم باطل ، وأن القياس
 قول بغير علم والرد عليهم .
- ٨٠ فوله تعالى (إنا جعلنا ما على الارض
 زينة لها) الآية .
- ۸۱ استدلال بعض المعتزلة بقوله تعالى (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) على أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل و قوعها و بيان بطلان قولهم .
- ۸۷ قوله تعالى (أم حــبت أن أصحباب الكهف والرقم) الآية .
- ٨٣ ذكرسبب نزول قصة أصحاب الكهف وذى القرنين .
- ٨٤ إعراب قوله تعالى (سنين عدداً ثم
 بعثناهم لنعلم) الآية .
- ٥٨ . ذكر وجوه القراءات والاعراب في قوله تعالى (لنعلمأى الحزبين الآية.
- ٨٦ بحث نفيس في الأوليا. وإثبات كرامانهم

تفحة

- ۸۷ الاستدلال على كرامات الأوليا. بأحاديث رسول الله بتالية .
 - ٨٨ ذكر ماورد في كرامات الاولياء .
- ۸۹ ذکر بعض کرامات آبی بکر الصدیق
 وعمروعثمان وعلی رضی الله عنهم .
- بيان الادلة العقلية القطعية على جواز
 كرامات الاواياء.
 - ٩٣٪ ذكر شبه المنكرين للكرامات.
- ٩٤ الفرق بين كرامات الأولياء وبين استدراج الفاسقين .
- بيان الحجج على أن الاستثناس بالكرامات قاطع عن طريق الوصول إلى ألله تعالى وذكر الحجج على ذلك،
 وهى عشر.
- - ٩٨ قوله تعالى (نحن نقص عليك) الآية.
- ٩٩ ﴿ ﴿ (وَإِذَا أَعْتَرَائِمُوهُمُ ﴾ الآية .
- ۱۰۰ بیان وجوه القراءات فی قوله تعالی (وتری الشمسإذا طلعت) الآیة .
- ۱۰۱ قوله تعالى (وتحسبهمأ يقاظ وهم رقرد)
- ۱۰۲ ريان وجوه القراءات فى قولُه تعالى (ولملئت منهم رعباً)
- ۱۰۳ قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا)
- ۱۰۶ ذكر وجوه القراءات في قوله تعالى (فابشوا أحدكم بورقكم) الآية .
- ۱۰۰ قوله تمالی (وكذلك أعثرنا عليم ليعلموا أن وعد الله حتى) الآية .

- ۱۰۶ ذكر الاختلاف فى عدد أصحاب الكهفوأدلة ترجيح أنهم كانوا سبعة .
 - ١٠٧ ذكر أسماء أهل الكمف.
- ۱۰۸ وجوه زیادة الواو فی قوله تمالی (وثامنهم کابهم)
- ۱۰۹ قوله تعالى (ولا تقولن لشي. إلى فاعل ذلك غدا إلا أن يشا. الله).
- ۱۱۰ إبطال مذهب المعتزلة وبيان أنه لايقع
 من العبد إلا ما أراده الله تعالى .
- ١١١ جواب أهل السنة على من يقول إن
 المعدوم شيء مستدلا بالآية المتقدمة .
- ۱۱۳ ذكر وجوه القراءات فى قوله تعالى (ثلثماثة سنين).
- ١١٤ اختلاف الناس في زمان أصحاب الكهف.
- ١١٥ قوله تعالى (واتل ما أوحى إليك من
 كتاب ربك) الآية .
- ۱۱۱ بيان سبب نزول قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون رجم) الآية .
- ١١٧ قوله تعالى (ولا تطعمن أغفلنا قلبه) الخ
- ١١٨ ذكر تأويل المعتزلة لهذه الآية وبيان الردعليه .
- ١١٩ قوله تعالى (وقل الحقمن ربك) الآية.
- ۱۲۰ استدلال المعتزلة بهذه الآية على تفويض الامور إلى العبد واختياره وبيان أنها منأقوى الدلائل على صحة قول أهل السنة
- ۱۲۱ بيان أن هذه الآية تدل على صدور الفعل عن القاعل بدون القصد محال وإن المراد بصيغة الآمر فيها التهديد والوعيد.

مفحة

- ۱۲۲ قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع) الآية.
- ۱۲۳ قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما) الآية.
- ١٢٥ إعراب قوله تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها) الآية .
- ۱۲۲ وجوه القراءات فى قوله تعالى (و فجرنا خلالها نهراً وكان له ثمر) .
- ۱۲۷ الاستدلال بقوله تعالى (أكفرت بالذى خلقك من تراب) الخ، على أن منكر البعث كافر.
- ۱۲۸ إعراب قوله تعالى (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا).
- ۱۲۹ | إيرادأنعلى قوله تعالى (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) الآية والجواب عنهما .
- ۱۳۰ قوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) ١٣٠ قد له تعالى (المال والندن في ندة الحاة
- ۱۳۱ قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) الآية :
- ۱۳۲ ذكر أقوال المفسرين فى قوله تعالى (والباقيات الصالحات خير) الآية:
- ١٣٣ قوله تعالى (ويوم نسيرَ الجبال) الآية
- ۱۳۳ وجوه القراءات في هذه الآية وبيان المراد بقسيرالجبال.
- ۱۳۶ استدلال المشبهة بقوله (وعرضواعلى ربك صفاً لقد جنتمونا) إلخ على حضوره تعالى فى ذلك المكان.
- الناس فى القيامة على ثلاثة ، الحديث.

- ۱۳۱ قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) الآية.
- ۱۳۷ بیان کیف کان إ_بلیس من الجن، ومن الملائکة .
- ۱۳۸ بیّان وجه ذکر قصة آدم و إبلیس ومناسبتها لمـا قبلها
- ۱۳۹ بیان أوجه القراءات فی قوله تعالی (وماكنت متخذ المضلین عضدا).
- ۱٤٠ إعراب قوله تعالى (ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم).
- ۱۶۱ قوله تعالى (والقدصرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) الآية .
- ۱۶۲ قوله تعالى (ومن أظلم بمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) الآية .
- ۱۶۳ (و إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ) الآية .
- ۱۶۶ بیان آن موسی علیه السلام صاحب الحضر هو موسی بن عمران صاحب التوراة لا زره .
- م ۱۶۰ ذكر اختلاف المفسرين فى موسى عليه السلام من هو.
- ۱٤٦ ذكر السبب في طلب موسى عليه السلام من الله الدلالة على الخضر.
- ۱٤۷ الاستدلال بقول موسى عليه السلام (لا أبرح حتى أبلغ) الآية على وجوب تحمل المشاق فى طلب العلم .
- ۱٤۸ استدلال المعتزلة بقوله تعالى (وما أنسانيه[لاالشيطان) على أنه تعالى ماخلق ذلك النسيان وما أراده وإبطال ذلك

منفحة

۱۹۸۸ قوله تعالی (فوجدا عبداً من عبادنا آتیناه رحمة من عندنا) الآیة .

۱۶۹ قول أكثر المفسرين إن الخضر كان نبياً وذكر حججهم على ذلك .

 ١٥٠ بيان أن موسى عليه السلام أعلى شأناً وأفضل من الخضر .

١٥١ بحث نفيس وتحقيق الكلام في إثبات العلوم اللدنية .

۱۰۲ الاستدلال بهذه الآيات على أن موسى عليه السلام راعى أنواعاً كثيرة من الآدب واللطف عند إرادة التعلم .

۱۵۳ استدلال أهل السنة بقوله تعالى (إنك لن تستطيع معى صبراً) على أن الاستطاعة لاتحصل قبل الفعل و إبطال قول المعتزلة .

١٥٤ قوله تعالى (فانطلفا حتى إذًا ركبا فى السفينة خرقها) الآية .

١٥٥ قوله تعالى (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) الآية .

۱۰۶ بیان وجوه القراءات فی قوله تعالی
(نکراً قال إن سألتك عن شی. بعدها
فلا تصاحبنی قد بلغت من لدنی عذراً)
۱۰۷ قوله تعالی (فانطلقا حتی إذا أتیا أهل
قریة) الآیة .

۱۰۸ |برادعلیقوله تعالی (فوجدا فیهاجداراً برید آن ینقض) والجواب عنه

١٥٩ قوله تعالى (أماالسفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) الآية .

صفحة

170 بيان أن الحكم عند تعارض الضررين أنه يجب تحمل الآدنى لدفع الآعلى .

171 بيان حكم خرق السفينة وما يشبه في في الشريعة المحمدية

۱۹۲ ذكر وجوه القراءات فى قوله تمالى (فأردنا أن يبدلها ربهما) الآية.

۱۹۳ ذکرالمرادفیقوله(ویستخرجاکنزها)

١٦٤ قوله (ويسألونكءن ذى القرنين) الح

١٦٤ اختلف الناس فىأن ذا القرنين من هو وذكروا فيه أقوالا.

۱۹۶ هلكان ذو االقرنين نبياً والحجة علىذلك أم لا وحجة من قال أنه نبي

١٦٧ قوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) الآية .

۱٦٨ الاستدلال على نبوة ذى القرنين بقوله تعالى (قلنا ياذا القرنين) الآية .

۱۶۹ قوله تعالى (ثم أتبع سبباً حتى إذا) الآية ۱۷۰ قوله تعالى (ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين) الآية .

۱۷۱ وجوه القراءات في قوله تعالى (إن يأجوج ومأجوج) الآية

١٧٢ قوله تعالى (آتونى زبر الحديد) الآية.

١٧٣ قوله تعالى (وتركنا بعضهم) الآية.

١٧٤ قوله تعالى (أفحسب الذين كفروا)الآية

١٧٥ بيان المراد بلقاء الله.

١٧٦ قوله تعالى (إن الذين آمنوا) الآية .

١٧٧ قوله تعالى (قل لوكان البعر مدادا) الآية

١٧٨ . سورة مريم عليها السلام .

١٧٨ قوله تعالى (كهبيس).

مفخة

۱۷۹ ذکروجوهالقراءات فی قوله (کهمیص) ۱۸۰ قوله تعالی (ذکررحمة ربك عبده زکریا)

۱۸۱ قوله تعالى (إذنادى ربه) الآية .

۱۸۷ ذکروجوه القراءات فی قوله (من وراثی الله قوله یرثنی ویرث من آل یعقوب)

۱۸۳ قوله تعالى (انى وهن العظم منى) الآية ۱۸۶ تفسيرقوله تعالى (فهبلىمن لدنكو لياً)

۱۸۶ نفسیرفوله نعالی (فهبلیمن)دنگولیا) هل المراد منه الولد أم لا؟.

۱۸۰ اتفقاً كثر المفسرين على أن يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابر اهيم عليهم السلام وذكر من هو خلاف ذلك .

١٨٦ قوله تعالى (يازكريا إنا نبشرك) الآية .

۱۸۷ بیان لم سمی الله سیدنا یحیی علیه السلام

۱۸۸ قوله تعالى (قالرى أى يكونلى) الآية.

۱۸۹ ((قال كذلك قال ربك) () (قال ربك) () (قال رب اجعل لي آية) (

۱۹۱ ﴿ ﴿ (فخرج، على قومه من المحراب) ﴿

۱۹۲ (رایحی خذالکتاب بقوة) (

١٩٣ إيرادسؤالعلى قوله (وآتيناه الحكم صبياً)

۱۹۶ ييان المراد بالسلام على يحيى فى قوله تعالى (وسلام عليه يوم ولد) الآية

١٩٠ القول فىفوائد قصةزكريا عليهالسلام

١٩٦ قوله تعالى (و إذ كرف الكتاب مريم) الح

١٩٧ اختلفوا في كيفية ظهور الروح لمريم

١٩٨ قوله تعالى (قالت إن أعوذ بالرحمن منك)

١٩٩ ﴿ ﴿ (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ ﴾ الآمة.

۲۰۰ ((قالت أني يكون لي) الآية.

۲۰۱ د (فحملته فانتبذت به مكانا قصياً)

صفحة

٢٠٢ ٳختلف المفسرون في النافخ في مريم.

٢٠٣ ذكر أقوال المفسرين في مدة حمل مريم

 ۲۰۶ بیان الحکمة فی قول مریم (یالیتی مت قبل هذا) مع علمها ببراه تها.

٢٠٠ قوله تعالى (فناداها من تحتها) الآية

٢٠٦ ذكر أقوال المفسرين في السرى

۲۰۷ ذکروجوه القراءات فی قوله (تساقط علیك رطبا جینا فکلی) الآیة .

٢٠٨ قوله تعالى (فأتت به قومها) الآية .

٧٠٩ منهوهرون الذي نسبت إليه مريم؟

١١٠ قوله تمالى (قال إنى عبد الله) الآية

۲۱۰ بیان أن النصاری یعتقدون أن الإله لیس جسما و لا متحدراً .

٢١١ الكلام على إبطال قول النصارى .

٢١٣ ذكر وجوه أخرفي إبطال أقو ال النصاري

۲۱۶ ذکر وجه قول عیسی (وجعلی نبیاً)

٢١٥ متى آتى الله عيسى الكتاب وجعله نبيآ؟

۲۱۶ ذکر جواب من يقول کيف أمر عيسي

بالصلاة والزكاة وهو صغير .

۲۱۷ قوله تعالی (ذلك عيسی ابن مريم) .

۲۱۸ قوله تعالى (ماكانلة أن يتخذ من ولد)

٢١٩ الكلام على قول الله تعالى للشي. (كن)

۲۲۰ قوله تعالى (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه)

٢٢١ قوله تعالى(فاختلفالاحزاب) الآية .

٢٢٧ قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) الآية .

۲۲۳ قوله تعالى (وأذكر في الكتاب أبر اهيم)

٢٢٤ بيان وجه ارتباط قصة ابراهيم ما قبلها

٢٢٥ قُولُه تعالى (يا أبت لم تعبد إلى ولياً)

صفحة

744

٢٢٨ قوله تعالى (قال أراغب أنت) الآية . ٧٢٩ كيف جاز لإبراهيم أن يستغفرلابيه؟ بيان الجواب عن هذا السؤال. قوله تعالى (فلما اعتزلهم) الآية . 741 قوله تعالى (واذكر في الكتاب موسى) 744 (((((إسماعيل) الخ 744 « (« « (ادريس) « 148 أمر النبي براتي بالبكاءعندتلاوة القرآن ٢٣٦ قوله تعالى (فحلف من بعدهم) الآية . ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ حِناتُ عَدِنَ ﴾ الآية . 747 « (لايسمعون فيها) وجوابها 744

۲۶۰ ذکروافی قوله (له مابین أیدینا) و جوها ۲۶۱ قوله تعالی (ویقول الإنسان أنذامامت) ۲۶۷ إیضاح الردعلی منکری البعث بقوله (أو لایذکر الإنسان أنا خلقناه من قبل) ۲۶۳ قوله تعالی (و إن منکم إلا واردها) الآیة ۲۶۶ اختلاف المفسرین فی تفسیر و رود النار

قوله تعالى (و مانتنزل إلا بأمر ربك) الآية

صفحة

٢٤٥ ما الفائدة في دخول المؤمنين النارإذا لم
 يكونو ا من أهل العذاب ؟

۲٤٦ قوله تعالى (وإذا تتلى غليهم آياتنا) الآية ۲٤٧ ﴿ ﴿ ﴿ (وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبِلُهُم ﴾ ﴿

٢٤٨ قوله تعالى (قُلْ مَن كَان فِي الضَّلَالَةِ) الْآية .

۲۶۹ قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا)

۲۵۰ 💘 ﴿ (كلا سنكتب ما يقول) الآية

۲۰۱ (و اتخذوا من دون الله) (

۲۰۲ استدلال أهل السنة بقوله (ألم ترأنا أرسلنا الشياطين) الآية على أن الله تعالى مريد

السياطين) أو يه على المالك على حريد

۲۰۳ إعراب قوله تعالى (يوم نحشر المتقين) وبيان الرد على المشبهة والملحدين.

٢٥٤ قُولُه تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا)

ه ٢٥ إعراب قوله تعالى (أن دعو اللر حمن ولدا)

۲۰۲ قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجمل لهم الرحمن وداً)

٢٥٧ قوله تعالى (فإ مايسرناه بلسانك) الآية .